وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي

جامعة بغداد

تاريخ الشرق القديم

تأليف

الدكتور
سامي سعيد الأحمد

الدكتور
جمال رشيد احمد

بغداد ١٩٨٨


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

توطئة

لقد أعد هذا الكتاب المنهجي المساعد بناء على الحاجة الماسة لتغطية كافة مفردات المنهج الدراسي لمادة ـ تاريخ الشرق القديم ـ المعتمدة في قسم التأريخ / كلية الاداب بجامعة بغداد.

كتب الدكتور سامي سعيد الأحمد الفصلين الأول والثاني من الباب الأول، والباب الثالث الخاص بالقطر الفلسطيني، ثم الفصلين الثالث والرابع من الباب الخامس.

وكتب الدكتور جمال رشيد أحمد الفصلين الثالث والرابع من الباب الأول، ثم الفصل الأول والثاني والثالث من الباب الثاني المتعلق بالقطر السوري، فضلا عن الفصلين الأول والثاني من الباب الخامس.

الدكتور سامي سعيد الأحمد

الدكتور جمال رشيد احمد


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الباب الأول

مصر القديمة

الباب الاول
مصر القديمة

١- **جغرافية مصر القديمة :** يرجع تكون مجرى النيل الى نهاية عصر الميوسين غير ان ارتفاع مياه البحر المتوسط خلال عصر البلايوسين واندفاعها من ثغرات كثيرة سببت تحول الوادي الى خليج طويل ضيق يصل حتى اسوان وربطت البحرين الاحمر والمتوسط خلال جزء صغير بقي منه خليج السويس الحالي وبعض البحيرات. كما ان الامطار الشديدة خلال هذه الفترة جعلت جميع المجاري المائية المنحدرة الى ذلك الوادي ترسب كميات هائلة من الحصي والغرين. وعند تراجع البحر صار النيل (الذي كان حوالي ٣٠٠ قدم اعلى مما هو عليه في الوقت الحاضر) ينحت مجراه في منطقة الترسبات هذه، ويتضح ذلك في ثمانية مدرجات للنهر وجدت على ارتفاع ٣٠٠، ٢٠٠، ١٥٠، ١٠٠، ٥٠، ٣٠، و١٠ قدم فوق المستوى الحالي، وكل منها تمثل مجرى سابقا لنهر النيل. وقد وجدت آثار الانسان على مدارج ترتفع مائة قدم مما يدل على ان في تلك الفترة من عصر البلايستوسين وحين كان النيل اعلى بمائة قدم عما هو عليه الآن بدأ الانسان في الاستقرار بمصر. وكون النيل (ايلاس، ميلاس، حابي قديماً) حوالي عشرة فروع في الاراضي التي القي فيها رواسبه. وما ان حل العصر الحجري القديم الاسفل حتى كانت روافد النيل في الصحراء الشرقية وفرعاه في الصحراء الغربية قد جفت وانفصل خليج السويس عن البحر المتوسط وتقلص خليج العقبة ووصل فرع من النيل الى منخفض الفيوم. وكان النيل في البداية اكثر سرعة واقل عمقاً، وبقلة الامطار تقلص عرض البحر وظهرت المدرجات التي استوطنها الانسان الاول.

كان مناخ مصر في بداية عصر البلايستوسين حاراً رطباً والهضاب خصبة تعيش فيها حيوانات مختلفة من العصر السالف. ثم اخذ الجدب يسري من الجنوب الى الشمال في نهاية عصر البلايستوسين هذا واخذت مصر قالبها الحالي وهو وادٍ ضيق بين هضبتين صحراويتين (صحراء العرب شرقاً وصحراء ليبيا غرباً). ولم تتكون الدلتا الا في زمن لاحق وكانت خليجاً بحرياً والسبب في تكوينها المتأخر هو ان الرواسب التي كان يحملها النيل من منابعه الجنوبية لاتكفي لردم هذا الخليج لان النيل ظل حتى حوالي ١٤ ألف ق.م. يستحصل مياهه من المنابع الاستوائية فقط وهي لاتمده بكميات طمىً كبيرة وكان

ضعيف التيار قليل المياه. ولما تكونت الروافد الحبشية في عصر لاحق ووصلت مياهها الكثيرة الرواسب تمكن النهر من شق طريقه الى الشمال ليصب في البحر المتوسط وتحول الجزء الذي يشغله الوادي والدلتا الى مستنقعات اولاً ثم ردمت كلياً بالترسبات الحبشية التي يحملها النيل سنوياً وصارت تغطي المصب مكونة منه الدلتا الحالية. كان لموقع مصر اثر كبير في نشوء وتطور حضارتها اذ انها تطل على البحر المتوسط من الشمال الذي ربطها مع لبنان وفلسطين من اقدم العصور ومع جزره المختلفة وخاصة قبرص وكريت ثم العالم اليوناني ـ الروماني. والى الشرق البحر الأحمر نافذتها الى افريقيا وحيث كانت موانئ ارسينوي ليبين (قرب القصير الحالية)، برنيس (قرب سفاجة) وميوس هرمز (القصير الآن). وتتوغل مصر من الجنوب بالقارة الافريقية. وانقسمت مصر منذ القدم الى قسمين متميزين ارض الشمال (تاحيت) وأرض الجنوب (تاشمع). واستمر هذا التقسيم ولاقى ملوك مصر الاوائل صعوبة في توحيد القسمين وتلقبوا بملوك القطرين (الشمالي (البحري)والجنوبي (القبلي).[1]

ان مصر كما قال هيكتيوس وهيردوتس هبة النيل فلولاه لغدت جزءاً من الصحراء الغربية الكبرى. ومصر ارض النقائض، فالخضرة تستمر على طول مجرى النيل لبضع كيلومترات عند كل جانب فقط ثم تأتي حافة الصحراء. واطلق المصريون على مصر في البداية كي أوتا كمي (الارض المثمرة) ثم صارت تعرف باسم كمي (الارض السوداء) اشارة الى الغرين الخصب الذي تتركه فيضانات النيل. ثم دشرت (الارض الحمراء) وهي الصحراء. كما عرفت مصر احياناً بالاسم تامرا (ارض الفأس أو الفلاحة)، وبالاسم اخت (الأرض الطيبة). وسميت مصر خلال فترة الاحتلال البطلومي ايجبتوس، نسبة الى كوپتوس (قفط) وربما نسبة الى حاكاپتاح (منفس القديمة).[2] ومصر بلد نور الشمس الدائم حيث المطر قليل فيها (بمعدل انج ونصف سنوياً عند القاهرة واقل بكثير باسوان). وان الفروع السبعة لنهر النيل التي ذكرها هيردوتس هي الآن اثنان فقط غربي (فرع رشيد) وشرقي اطول (دمياط). وفي منتصف المسافة بين أدفو (اپولينوبوليس ماكنا) وجبل سلسلة (خينو) على بعد ٥٥ ميلاً شمال اسوان تتبدل الأرض من تربة جيرية الى رملية. ويتميز النيل بوجود جنادل وهي صخور من الغرانيت سوداء او حمراء تعرقل مسير الماء وهي ليست بشلالات. والجندل الأول عند اسوان والثاني عند سمنا والثالث عند كرما في السودان. وقبل الجندل الاول هناك جزيرة الأنس (ألفنتايني، آبو). وكانت

نوبياً بشرياً وطبيعياً تبدأ عند سلسلة. واطلق الاسم واوات على بلاد نوبيا السفلى (جنوباً من اسوان حتى وادي حلفا). اما لفظة كوش (كاش) فقد ظهرت منذ بداية المملكة المصرية الوسطى لتعني الاقليم جنوب وادي حلفا وعاصمته نباتة. وقد عرفت بلاد النوبة في المصادر المصرية القديمة باسماء تاستي، خنت حن نفر، ستيهو، اونوت وأحياناً ستيو اونوت (نوبيو اونوت) وناكسي (السود). ومن الجدير بالذكر ان اللفظة اثيوبيا في العصور القديمة استعملت للدلالة على جميع الاقطار الواقعة جنوب مصر. واستعملت احياناً لتعني الاقليم الممتد في اعالي النيل والذي يشمل من وادي حلفا تقريباً حتى ملتقى النيل الازرق بالابيض عند الخرطوم. وسميت المنطقة الى الجنوب من الشلال الثاني (حح، سمنة) في السودان بلاد يام . تقع في غرب مصر صحراء ليبيا التي تحوي عدة منخفضات يصل بعضها احيانا الى اقل من مستوى سطح البحر حيث الواحات امثال سيوه (سحت ام ومعناها ارض النخل) لدى المصرين القدامى وامونيوم بالمصادر الكلاسية والبحيرة والفرافرة والداخلة والخارجة .وميزت المصادر المصرية جماعتين قطنتا المنطقة الغربية هما التحنو والتمحو عند وديان الفيوم والنطرون . ومساحة وادي الفيوم حوالي الفي كيلو متر مربع يحمل اليه بحر يوسف مياه نهر النيل ويقع جزء اكبير منه تحت سطح البحر واكثر اجزائه انخفاضا منطقة بحيرة قارون . وتنتشر في الوادي الكثير من المستنقعات وسميت منطقة الوادي قديما بمقاطعة تاشي ومن مدنها الفيوم (ارسينوي، كروكو ديوبوليس قديما) وشدت. وعلى بحر يوسف كانت تقع هوتن سوتن (حانيس العهد القديم، أهنس، هيراكليوبوليس ماكناً وهي أهناسية المدينة على بعد ١٥كم غرب بني سويف الحالية). وسمي وادي النطرون باسماء عدة امثال (وادي الأطرون، وادي هبيب، برية الاسقيط (النسك) وبرية شيهات (من شيهيت المصرية اي ميزان القلوب وسمي زمن البطالمسة حقل الملح (سخت هام) وهو وادي منخفض طوله ٦٠ كم وطول بحيراته ٣٠كم ومتوسط عرضه ١٠كم واخفض منسوب لبحيراته ٢٢ متر تحت سطح البحر. والى الشرق صحراء سيناء (توشويت بالمصرية القديمة اي ارض الجدب والعراء وهي خوريب العهد القديم) التي كانت جزءاً من أرض مصر منذ اقدم الازمنة وعرفوا سكانها باسم هيروشاتيو (اسياد الرمال) وميزوا منهم سكان جبال سيناء باسم مونيو. وقد استغل المصريون مناجم النحاس والاحجار الكريمة فيها.

لقد شعر المصري القديم بالأمان والقناعة فقد كانت بلاده محاطة بحدود طبيعة آمنة كجنادل النيل والصحاري الغربية والشرقية والبحار من الشمال والشرق. ووفر له النيل الخصب والنماء وامده بالماء الكافي لمحاصيله وحيواناته وتوفرت باراضيه المعادن واحجار البناء والزينة الى جانب الصحو الدائم . واعتدال المناخ الأمر الذي زرع عنده الثقة بالآلهة وحب الأرض ورسخ الاعتقاد بكون الآلهة ستسعده بعد موته فاجتهد على حفظ جثته وبناء المدافن وتزويدها بالحاجات الضرورية. وطبعت شخصيته بطابع المرح والجنوح الى السلم الا في حالة الدفاع والضرورة القصوى.

ب. المصادر وطبيعتها: يمكن تقسيم مصادر تاريخ مصر القديمة الى:

١. مصادر أصلية: وهي التي دونها المصريون القدامى في معابدهم ومدافنهم والواحهم وبردياتهم ولخافهم سواء أكانت تاريخية، علمية او ادبية مما تسلط الضوء على تاريخهم السياسي وتقدمهم الحضاري. ويمكن تصنيف هذه الى:

ا. مصادر معاصرة: سجلت في وقت لايبعد كثيراً عن الأحداث التي دونتها وهي الاكثر أهمية. ومن هذه:

١. الاثباتات وهي: حجر پاليرمو : وقد دون ربما زمن السلالة الخامسة او بداية السادسة لانه يقف عند العاهل السادس للسلالة السابقة. ويتألف من ستة قطع أكبرها بعرض قدم واحد وارتفاع ١٧ انجاً موجودة الآن في متحف پاليرمو - صقلية واربعة قطع في متحف القاهرة وكان الحجر في الاصل حوالي المترين طولاً مدون من وجهيه يقوم في احد معابد مدينة العاصمة منف (منفس). ووجها الحجر مقسمين افقياً الى صفين من الكتابة مقسمة بدورها عمودياً الى قطع تحمل كل منها الاسم بالهيروغليفية. ويذكر الصف العلوي اسماء حكام عصور ماقبل السلالات. واسم كل ملك مرفق باسم امه وتحته ارتفاع النيل كل سنة. وتظهر دراسة القطع بان الحوليات تبدأ بكتابة اثبات بملوك المملكتين المنفصلتين لمصر العليا والسفلى. وهناك مايزيد عن ١٤٠ اسماً للملوك في القائمة الأولى. وان بضع من ملوك الصف الأول في قطعة القاهرة الرئيسية يظهرون وهم يلبسون تاجي مصر العليا والسفلى. وان وجود ملوك لمصر موحدة قبل عصر السلالات يؤكد نظرية وجود اتحاد سابق لشمال وجنوب مصر نتج عن غزو الشمال للجنوب، تلاه انفصال آخر للمملكتين وآخر اسم مدون هو نفر اير كارع من السلالة

الخامسة. وقد اعتبر المصريون الملوك الذين حكموا قبل السلالة الأولى أنصاف آلهة ودعوهم اتباع الاله حورس والمبجلون جاؤوا بنظرهم بعد حكم الآلهة على الأرض. ويصعب القول ان القطع الموجودة من هذا الحجر اجزاء من لوح واحد بدليل اختلاف مظاهر الكتابة وسمك القطع. فضلا عن حقيقة كون حجر پاليرمو يقدم اسماء اتباع حورس في الشمال في وقت تذكر احدى قطع القاهرة خمسة من اتباع حورس في الجنوب. وتحت اسم كل ملك من عصر السلالات ذكر بالأحداث المهمة في كل سنة من حكمه كالحروب وعمل تماثيل الآلهة والأعياد والاحتفالات والانتصارات على القبائل المعادية، حملات البحث عن المعادن وتشييد المعابد والقصور والاحصاء وارتفاع منسوب النيل كل سنة. والواضح انه لو وصل الينا هذا الحجر كاملاً لكان سجلا لسنة بعد اخرى ابتداء ربما من منس حتى نفر اير كارع. ويعتبر الاستاذ زيتة اتباع حورس ملوك هيراكونپوليس وبوتو .

بردية تورين: ودونت بالخط الهيرا طيقي زمن الملك رعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق. م.) وتحوي اسماء اكثر من ثلثمائة ملك لمصر ابتداء من حكم الآلهة (رع، پتاح، كيب، شو، اوزيريس، ايزيس (ايزة)، سيث (ستخ)، حور (حورس)، دحوتي، ماعت (معات) ثم الخلدون (أخو بالمصرية القديمة وانصاف الآلهة) اتباع حور الذين اعطيت لهم ارقام حكم خيالية ومدة اجمالية قدرها ٢٢ الف سنة) ثم ملوك منف (منفس) فاون وبعدها مينا (منس) وتنتهي بنهاية احتلال الهكسوس. وقد كشف البردية الايطالي درڤيتي سنة ١٩٢٠ وظلت عند ملك سردينيا فترة ثم انتهت بمتحف تورين. وقد اصابها التلف وقيل انها كانت مهشمة وقت اكتشافها فرممها الباحثون ونشروها مرات عدة ابتداء من شامبليون ففوستاف سيفارث ثم ڤارينا، كاردنر وياروسلاف شرني وهي لاتزال بحاجة الى دراسات اكثر. واحد وجهي البردية عديم الفائدة ويبدو انها قد نقلت عن مدونات سابقة موثوق بها. وتقسم البردية الملوك الى سلالات وتعطي مدة حكم كل ملك بالسنين والاشهر والايام وتجمل اخيراً مدة حكم كل اسرة. وعند مقارنتها بالاثباتات والمصادر الأخرى ظهر صحة غالبية معلوماتها ونقص بعضها. فللعصر الثيني مثلاً سبعة عشر ملكاً لا عشرة كما ورد فيها بينما ورد مجموع سنين حكم السلالة ١٢ فيها (٢١٥)اقرب الى ماتجمع عليه المصادر الاخرى (٢١٣). وتعتبر بردية تورين من المصادر الموثوق بها.

اثبات الكرنك: وقد امر بتدوينه الملك طحو طمس الثالث ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق٠ م٠) في غرفة قرب بهو الاعياد في معبد الكرنك الكبير وهو الأن في متحف اللوفر بباريس. ويحتوي الاثبات نخبة مختارة قوامها ٦١ ملكاً (منها ٤٨ واضحة في النص) ابتداء من منس ربما (لان اسم الملك الأول تالف في الاصل) واسم الذي يليه هو سنفرو مؤسس السلالة الرابعة حتى وقت تدوينها. وحوت اسماء ملوك السلالات ١٠ - ١٢ ثم اثنى عشر ملكاً من السلالتين ١٣ - ١٤ لانجدهم في مصادر اخرى وقد تكون لطحو طمس الثالث صلة قربى بهم دفعته الى ذكرها. ومن عيوب هذا الاثبات عدم ترتيبه الملوك حسب تسلسلهم الزمني المعروف واغفاله ملوك العصرين الانتقاليين الاول والثاني (الهكسوس).

اثبات ابيدوس: ويسمى لوحة الاجداد وقد دونت زمن ستخي الأول (السلالة ١٩) في معبد ابيدوس لكي تقدم القرابين للملوك المدونين فيها. ومجموع اسماء الملوك المدونة فيها ست وسبعون تبدأ بثمانية لملوك السلالة الأولى ثم سبعة (من اصل عشرة) للسلالة الثانية وخمسة للسلالة الثالثة وستة للرابعة وثمانية من اصل تسعة للخامسة ثم ملوك السلالة السادسة وخمسة عشر ملكاً للسلالتين. السابعة والثامنة وملكين للحادية عشر. وتنتهي عند وقت تدوينها. وقد اغفل الاثبات ملوك السلالتين ٩-١٠ من اهناسيا وكل حكام الهكسوس وحتشبسوت وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون واي (عاي) .

اثبات سقارة: وقد عثر عليه في مقبرة الكاهن تونري منذ زمن رعمسيس الثاني. وقد دون في وقت مقارب الى الاثبات السابق ولكنه يختلف عنه في الاسماء المذكورة فيه مما يدل على ان للشماليين رأيهم الخاص في الملوك الشرعيين يختلف عن تلك لأهل الجنوب، ان لم يكن السبب هو ذكر من مدوا اياديهم بالمعونات الى معبد منفس. وتبدأ القائمة التي حوت اسماء ثمانية وخمسين ملكاً بالملك أدجيب (مر پي با) السادس من ملوك السلالة الاولى وتنتهي برعمسيس الثاني. وقد يكون اد جيب هو اول ملك يقيم في منفس. والاثبات يذكر فقط نخبة من ملوك مختلف السلالات ويغفل ملوكاً وحتى سلالات. فقد ذكر ثلاثة ملوك للسلالة الأولى، ثمانية للثانية، اربعة للثالثة وربما تسعة للرابعة (الواضح منها الآن اربعة) وثمانية للخامسة واربعة للسادسة واغفل ذكر السلالات من ٧-١٠ وذكر ملكين للسلالة الحادية عشرة واغفلوا ملوك الهكسوس وحتشبسوت واخناتون.

٠٢ قوائم الانساب: وتبرز اهمية هذه القوائم في تعرضها لاسماء الملوك الذين عاصرهم اسلاف صاحب القائمة. ومنها قائمة نسب الكاهن عنخف اين سخمت من السلالة الثانية والعشرين ذكر بها ستين من اجداده دون امام غالبيتهم اسماء الملوك الذين عاصروهم وقد عاد باجداده حتى السلالة الحادية عشرة. ولم يضع اسم الملك آي داخل خانة ملكية مما قد يدل على عدم رضاه عنه. وتحتوي القائمة على فجوات واخطاء في مواضع عدة.

٠٣ الحوليات : وتتضمن كتابات الملوك المصريين وربما يكون نصب الملك العقرب الذي سبق نعرمر أقدم ماوصل الينا. ويحوي النصب ثلاث صفوف لأعمدة تحمل رموز آلهة مصر العليا وفوق بعضها طيور ميتة تمثل الكلمة الخاصة بفئة من سكان مصر (ريخيت) وأقواس تمثل الأقواس التسعة وهي رموز قبائل وادي النيل التي دحرها مصريو العصور التاريخية. ثم صور الملك العقرب ونهر النيل. واللوح الآخر لنعرمر خليفة الملك العقرب ويصور انتصاره على الشمال وعلى رأسه تاجي مصر العليا والسفلى محاطاً برجال بلاطه يتسلم اسرى ومواشي ذكر اللوح أعدادها. ثم كتابات بيبي الأول عن عن حملاته الاسيوية الخ.

تعتبر حوليات ملوك عصر الامبراطورية أطول وأهم الكتابات المصرية القديمة، والغرض من كتابتها تعظيم شخص الملك. ونلحظ بها اجتهاد الناسخ في التقليل من مدح أسلاف الملك لئلا تفسر كانتقاص من منجزاته وانتصاراته. وتركزت الحوليات على ماقام به الفرعون وتعظيم شخصه وابراز بطولاته في الحرب والصيد والرياضة وأعماله في حقول البناء والاعمار. وهي تحوي مبالغات وحتى تشويهات للحقائق احياناً. ومن هذه حوليات طحو طمس الثالث التي تخلد انتصاره في مجيدو وتلك لرعمسيس الثاني في قادش.

٠٤ نصب الافراد وكتابات القبور : ومن هذه الواح الافراد التذكارية وهم في العادة موظفون كبار خدموا الدولة تعرضوا فيها الى مهامهم ومنها لوح خوسيبك من ابيدوس ولوح سحتيب ايب رع محاسب الملك امنمحت الثالث من ابيدوس ايضاً. ثم كتابات القبور التي تشرح الكثير من اعمال المتوفي وتكشف عن الأحوال العامة. ومن هذه نصوص مدفن ريخميرة وزير مصر العليا زمن طحو طمس الثالث التي تعرض فيها لطبيعة عمله، تعيين الملك له وسماعه شكاوى الناس. والكتابات من قبر أحمس بن ابانا في الكاب بمصر العليا عن طرد الهكسوس وتلك من قبر حور محاب. وبدأت ممارسة تشييد مدافن مكتوبة لرجل من العامة ثم تقلد وظائف حكومية منذ السلالة الثالثة. ويفتخر الموظف

عادة في كتابات قبره بالخدمات التي اسداها للمملكة في السلم والحرب. واذا لم يكن القبر كله مغطى بالكتابات فانه يترك نصباً على قبره او لوحاً تذكارياً في مقبرة ابيدوس (العرابة المدفونة). وتعطينا كتابات القبور هذه معلومات لعصور طويلة امتدت الى ما يزيد عن الفي سنة. ووضع بعض منهم نسخاً من وثائقهم الشرعية ووصاياهم منقوشة على جدران قبورهم تحسباً من ضياع نسخها الاصلية وصل الينا بعضها من فترة المملكة القديمة والوسطى.

٠٥ تسجيلات بعثات التعدين. وقطع الفيروز ومنها كتابات حور اور رع من سرابيط الخادم بسيناء واخرى من فترة حكم الملك امنمحت الثالث تلقى جميعها الضوء على هذه الفعاليات المهمة

٠٦ الأساطير والملاحم: وقد وصل منها الشيء الكثير امثال قصص الخليقة المختلفة كخلق اتوم من اون (هليوپوليس)، خلق پتاح للكون، خلق ثوث للطبيعة، ومن الاساطير الأخرى: صد التنين، تخليص البشر من الهلاك، خلق الحيوانات النجسة، المنافسة بين حورس وستخ على الحكم، اشتارتة وجزية البحر والأميرة المسحورة. ولهذه اهمية كبيرة لمعرفة جوانب الفكر المصري القديم ونظرياتهم في الخلق ومشاكله.

٠٧ القصص: وهي كثيرة ومهمة بماتلقيه من اضواء على احداث تاريخية سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة وبتأثيرات بعضها على مأثورات من العهد القديم الى جانب قيمتها الأدبية.

٠٨ النصوص الدينية: وتأتي في مقدمتها نصوص الأهرام من المملكة القديمة، نصوص التوابيت من المملكة الوسطى وكتاب الميت من المملكة الحديثة. ومن النصوص الدينية ماهو مدون في المقابر مثل النص المعروف بمستقبل الميت الطيب من قبر نفر حوطب في طيبة من زمن حور محاب. ثم نصوص الاعترافات، الطقوس والتعاويذ ومنها بطقس تقديم طعام الموتى (المعروف بعين حورس) وآخر بطقوس المعبد اليومية. وهناك نصوص تتضمن تعاويذ ضد الافاعي والعقارب، نصوص لعن اعداء التاج المصري، نص سحري لوقاية الطفل. وتدخل ضمن النصوص الدينية المقاطع المسرحية التي كانت تقدم في المراسيم والمناسبات الدينية مثل تمثيليات اوزيريس الحزينة كذلك التراتيل امثال ترتيلة الاله عمون رع، ترتيلة الى الاله الشمس، الىأتون، الى الآلهة جميعها وتخاطبها كاله واحد وترتيلة للنيل. وهناك تراتيل نصر مثل تلك لطحو طمس الثالث ومرنپتاح. وهناك

الادعية كذلك كتلك الى اله الشمس حار|آختي .واخرى الى ثوث ثم دعاء شكر الى اله، دعاء طلب العون من اله في مرافعة قضائية· ويمكن ان ندرج هنا نصوص الايحاء امثال تلك على لسان الملك احمس الأول والترشيح السماوي للملك طحو طمس الثالث·

٠٩ المعاهدات والوثائق الشرعية: ومن الأولى المعاهدة ـ المصرية ـ الحيثية من زمن الملك / رعمسيس الثاني المدونة على جدران معبد عمون في الكرنك وكذلك في البناية المعروفة بالرعمسيوم· ومن الأخرى الأوامر الملكية بامتيازات المعابد ومنها مرسوم اعفاء الملك ايري كاره من السلالة الخامسة لكهنة معبد اوزيريس في ابيدوس من اعمال السخرة، مراسيم تعيين الوزراء ومنها نص تعيين الوزير ريخميرة او مرافعات في المحاكم مثل مرافعة المتهمين في اغتيال / رعمسيس الثالث· وتدخل هنا كافة المعاملات الشرعية ايضاً·

٠١٠ الأدب الحكمي والامثال: وكمثال لها نصائح الوزير پتاح حوطب وزير الملك ايزيزي من السلالة الخامسة، نصائح مري كارة، نصائح الأمير حور ديديف ابن الملك خوفو، نصائح أني لولده وتلك لأمين ايم اوپت·

٠١١ القطع الأدبية، الشعر والغناء: منها نص في مدح الناسخين المتعلمين، وآخر ساخر يتعلق بالاعمال والتجارة· ومن الاغاني تلك الخاصة بالقيثارة، اغاني حب، اغاني العامة، اغاني حاملي الهودج واغاني الاعياد· ووردتنا قصائد قصيرة كثيرة منها تلك في مدح مدينة رعمسيس·

٠١٢ الرسائل: ومن هذه رسائل العمارنة المدونة باللغة الاكدية بين ملكي مصر امنحوطب الثالث والرابع وملوك وامراء دول آسيا الغربية من القرن الرابع عشر ق· م·، رسالة حوري في الرد على امين ايم اوپت ورسائل الفنتايني المدونة باللغة الآرامية·

٠١٣ نصوص مختلفة مثل تفسير الآحلام كالبردية من السلالة التاسعة عشرة· ثم النبوءات كنبوءة نفر روحو

٠١٤ المقالات والنصوص العلمية وقد وردت مدونة في الغالب على البرديات التي سميت باسماء مكتشفيها او امكنة حفظها الحالية·

٠١٥ الآثار الشاخصة كالاهرامات والمعابد، المنحوتات، المومياء|،الجعارين ، الفخار، العاجيات، انواع الأثاث والأدوات الخ·

٠١٦ المدونات الأجنبية المعاصرة التي اتصل بدولها المصريون او كانت لهم علاقات سلمية او حربية معها· ومن هذه المصادر العراقية القديمة بابلية او آشورية، الحيثية، الفينيقية واليونانية ـ الرومانية·

ب. **مصادر متأخرة :** ويرد في مقدمتها تاريخ مانيتون (مانيثوس ولقب بالمنديسي) كبير كهنة معبد هليوپوليس المدون باللغة اليونانية في ثلاثة اجزاء بعنوان (اجيبتياكا ايپو منيانا). ويظهر انه كان عارفاً بتاريخ وديانة مصر ولغتها. وقدم كتابه الى الملك بطليموس الثاني فيلا دلفوس الذي ربما كان قد كلفه واعتمد مانيتون على ما كان متوفراً في المعابد المصرية آنذاك من المدونات وسلسل تاريخه منذ اقدم الأزمنة حتى وفاة الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ ق. م. ومما يؤسف له هو ان كتاب مانيثوس الأصلي قد فقد اثناء حريق مكتبة الاسكندرية الثاني (عند تحول مصر الى المسيحية) ولم يصل الينا سوى مااقتطفه الكتاب اللاحقون ومنهم يوسيفوس في كتابه (الرد على أپيون) ويوليوس افريكانوس ويوزيبيوس وجور جيوس سينكللوس في كتابه كرونو غرافيا. وغالباً مايختلف افريكانوس ويوسيبيوس في معلوماتها. فمثلاً اعطى الأول تسعة ملوك للسلالة الثانية عشر التي جعلها الثاني بثلاثة ملوك. كما تختلف مدد حكم الملوك في المصدرين ايضاً. وقسم مانيتون تاريخ مصر الى احدى وثلاثين سلالة حاكمة موزعة على ثلاث عصور توازي الممالك القديمة، الوسطى والحديثة . ووضع اسماء الآلهة المصرية بما يقابلها من الجمع الالهي اليوناني. وهناك مواضع تماثل فيه معلومات مانيتون ماورد في بردية تورين مما حمل البعض على الاستنتاج باعتماده عليها بصورة اساسية. ويجعل مانيتون وبردية تورين ملوك مصر من الآلهة الأولى ذوى صلة بالتاسوع الالهي المرتبطين بلاهوت هليوپوليس. وخلافاً يبدأ اثباته بـ هيفا ستوس (الموازي الى پتاح منفس) كسابق لاله هليوپوليس مما يدل على اعتماد مانيتون على نص يرقى الى السلالة السادسة حيث كانت لمنفس الزعامة . ثم الاله أغاثا ديمون (الموازي الى اله الجو شو) الذي لم تذكره بردية تورين. يليهم كرونوس (كَب اله الارض)، فاوزيريس، تيفون (ستخ) وحورس.

ج. **كتابات المصادر اليونانية ـ الرومانية :** وهي كتابات رحالة قدموا في الغالب الى مصر ودونوا ماسمعوه من محدثيهم ومرافقيهم من المصريين الذين قد يكونوا من الجهلة والمحدودي المعرفة. وجاءت كتاباتهم مشحونة بالاخطاء سواء في التفسير او التقدير لذا يلزم اخذ مااوردوه من معلومات بكل حذر وحيطة ـ وربما تكون الاوذيسة المنسوبة الى هوميروس اول كتاب باليونانية يذكر مصر. ومن الذين زاروا مصر كان هكتيوس (المولود سنة ٥٤٩ ق. م. في مليطية بآسيا الصغرى) الذي ركب النيل حتى طيبة وكتب عن طير العنقاء الخرافي وفرس الماء وطرق المصريين في صيد السمك واخطأ

في تعليله فيضان النيل حيث يذكرهيردوتس اقتناعه بكونه نتيجة الماء القادم من المحيط الذي يحيط بالارض. ثم هيردوتس الذي زار مصر حوالي سنة ٤٤٥ ق. م. ووصل بالنيل حتى جزيرة الانس. وجاءت معلوماته عن مصر مليئة بالاخطاء رغم اعجابه بحضارتها ونقله المشوه لأحوالها ومعتقداتها. ثم ايفوروس الذي تظهر كتاباته جهلاً باحوال مصر عكس مادونه ، معاصره بيريفوس السكيلاكسي الذي يظهر انه اقتصر اسفاره في مصر على المنطقة الساحلية لوصفه الدقيق لها واخطاءه في مادونه عن داخل مصر ومواقع مدنه. وجاء وصف اريانوس لمصر العليا وواحة سيوه دقيقاً. كما زار ديودوروس الصقلي مصر حوالي ستة ٦٠ ـ ٥٧ ق. م. وتكلم عن حدود مصر الطبيعية. ويظهر ان ديودورس قد بالغ كثيراً في الارقام التي قدمها عن سكان مصر وعدد قراها آنذاك رغم ان باحثاً محدثاً (بريستد) يتفق معه حولها. ثم سترابون الذي نعرف عن اقامته لفترة في الاسكندرية وتنقله بمصر وكتابته عن مصر جاءت اكثر دقة من سابقيه وقد خصص ثلثي كتابه السابع عشر لمصر. ثم بلني الكبير وبلوتارخ وايليان ويوسيفوس.(٣)

وقد جاء اليونانيون الى مصر من آسيا الصغرى وجزر بحر ايجة وبلاد اليونان منذ القرن السادس ق. م. كما استخدم الملك بساماتيك الأول من السلالة ٢٦ جنوداً مرتزقة من اليونانين الى جانب التجار والمسافرين. وكانت أخبار مصر تستهوي مستمعيها امثال ندرة سقوط المطر ومجرى النيل المعاكس لانهار العالم الأخرى. واعطى اليونانيون الى المدن المصرية القديمة اسماء خاصة فصار لكل مدينة مصرية في الغالب اسمين يوناني ومصري مثل اون (ومعناها العمود بالمصرية وباليونانية هليوبوليس اي مدينة الشمس) منفس (من نفر اي الجدار الابيض بالمصرية) واسيوط (معناها الحارس بالمصرية وباليونانية ليكوبوليس) وخمنو (الاشمونين وباليونانية هيرموپوليس)، حنن سو (اهناسية وفي اليونانية هيراكونبوليس). واعطوا للدلتا اسمها نظراً لكون شكلها يماثل الحرف ء دلتا اليوناني. وحتى تسميات يونانية خاصة لابنية مصرية (اللابيرنث لمجمع الملك امنحت الثالث من السلالة الثانية عشرة في الفيوم) او لتاثيل (ممنون للتمثالين اللذين امر بصنعهما امنحوطب الثالث من السلالة الثامنة عشرة على الجانب الغربي من النيل في الاقصر).

٠٢ عصور ماقبل السلالات وحضارته:

٠١ العصر الحجري القـديم: ان اقـدم الادوات الحجريـة في مصر قـد عثر عليهـا في مـدرجات النيـل التي ترتفـع ثـلاثين متراً او منتشرة في الهضبـة الصحراويـة الملاصقـة لجـانبي الـوادي وهي ادوات معمـولـة من الـوجهين من النـوع الأبفيلي والأشـولي لصيـادين أوائـل٠ وكانت انـواع الأدوات التي تركهـا هـؤلاء الصيـادون على مـدرجـات النيـل خـلال العصر الحجري القـديم الأسفـل مشابهـة الى تلـك في شمال افريقيـة ووسـط اوربـا٠ وصنـع الانسـان أدوات شتى بـالطرق بحصـاة كبيرة مستـديرة صـانعاً من لب الصخر فؤوسـا حجريـة٠ وكان انسـان العصر متنقـلاً في الصحـاري المصريـة التي كانت تتمتـع بـالـدفء والرطـوبـة والنبـات الكثيف٠ وفي مـدارج النيـل التي ترتفـع حـوالي خمسـة عشر متراً ترك الانسـان المصري ادوات بيضـويـة معمـولـة من الـوجهين واقراصـاً من النـوع الأشيلي الاوسـط والمتـأخر احيـانـاً وعثر عليها في واحة الخارجة ايضاً٠ وكذلك في منطقـة الجبل الاحمر قرب العبـاسيـة وجبل المقطم في الهضبة الشرقية وسفوح مرتفعات الاقصر والطريق البري بين النيل والواحات٠

صـار شمال افريـقيـة بمـا فيـه مصر خـلال العصر الحجري القـديم الأوسـط يصنـع الآلات من شظـايـا الصـوان وامتـازت بـالصغر وتعـدد الأنـواع ومنهـا الشفرات المسننـة والرحى الحجري التي تقترح طحنهم الحبـوب الـوحشيـة٠ وان معرفـة الانسـان للسهـام والاقـواس دل عليـه كثرة أسنـة السهـام المصنـوعـة من الصـوان، العـاج والعظـام٠ وعثر على آثـار من هـذا العصر في منطقـة الفيـوم ومرمـدة ابـو غـالب على سـاحـل الـدلتـا الغربي والعبـاسيـة وسفـوح مرتفعـات الاقصر٠ عرفت صنـاعـة العصر الحجري القـديم الأعلى في مصر بـالسبيليـة نسبـة الى بلـدة السبيـل قرب كـوم امبـو بمصر العليـا وامتـازت صنـاعتهـا الصـوانيـة بـالصغر فـدعيت بـالقـزميـة ثم اخـذت تعمـل بـاشكال هنـدسيـة٠ وعثر على آثـار منهـا في بحيرة الفيـوم وواحـة الخـارجـة (على مسـافـة ١١٠ ميـل غرب النيـل)٠ وكانت الأدوات المكتشفـة في الأخيرة ذات علاقة بـالحضـارة الاتيريـة بشمال غرب افريقيـة والصحراء وهي امـا برأس بـارز ونهـايـة تشبـه ورقـة الغـار مشـذبـة من الـوجهين او ذات نهـايـة تشبـه اللسـان معمـولـة من شضية مثلثة الشكل وجميعهـا اسلحـة متطورة لجماعـة محـاربـة لابـد وأن قـدموا من الغرب واستوطنوا الواحة٠

ب) العصر الحجري الأوسط: تمتاز الآلة المصنوعة من الصوان بكبرها. وقد عثر عليها في وادي الشيخ بوسط مصر وقورنت مع صناعة هذا العصر من شمبانيا بشمال فرنسا. وكانت آثار من موقع حلوان تماثل تلك من الفترة النطوفية بفلسطين من العصر الحجري الاوسط.

ج) العصر الحجري الحديث: وهو العصر الذي عرف فيه المصري الزراعة، تدجين الحيوان، بناء البيوت، صنع الفخار، نسج الملابس الكتانية، عمل السلال والحصران الخ. وربما كان استصلاح الاراضي والري الاصطناعي والسيطرة على الفيضان السنوي للنيل من منجزات انسان هذا العصر. وقد عثر على آثار هذا العصر في اماكن عدة بمصر العليا والسفلى. ومن هذه مواقع ديمة، كوم او شيم وقصر الصاغة في الفيوم (حوالي ٤٥٠٠ ق.م). ومارس سكان هذا العصر الزراعة (الحنطة الاحادية البذرة المعروفة بالايمر التي تلتصق قشرتها على البذرة والشعير) والصيد وصنعوا اسنة السهام، القاشطات، المناشير، المناجل الصوانية. وعاشوا في خيام واكواخ ودفنوا موتاهم داخل منازلهم ودجنوا الاغنام والبقر والخنازير. كما وجدت آثار العصر في قرية العمري (راس حوف وسميت بالعمري نسبة الى المنقب امين العمري).

ثم موقع مرمدة بني سلامة على الدلتا الغربية. وكانت مساكنها مشيدة من كتل طينية بيضوية الشكل يعلو نصف المبنى سطح الارض والآخر في باطن الارض. وقد وجد فيها مناجل صوانية وجران محفورة في الارض مدورة يخزنون فيها حبوبهم. وكانت البيوت دونما ابواب وسقوفها من القصب. وطحنوا الحبوب برحاي اسطوانية كما دجنوا الماشية والاغنام والخنازير وان كثرة ماوجد من عظام فرس النهر في آثارهم يدل على تناولهم لحمه. وكان فخارهم بدائي الصنع بلون احمر او اسود والاخير اكثر. وجاءت اوانيهم مصقولة، ملساء او خشنة امثال الكاسات ذات الصنابير، الاواني الصغيرة، القدور والاقداح ذات المجرى وبعض الاقداح بقاعدة مستوية او تحوي على نتوءات وصحون بيضوية الشكل ضحلة. كما عثر على مشارط ومثاقب ومغازل طينية ومغارف بمقابض والابر العظمية. وعرفوا الحلي كالاساور والخواتم والخرز التي صنعوها من العاج والعظام. وكانوا يكحلون عيونهم بصبغ خاص يعرف بالملخيت (الدهنج) يدقونه في صلاية حجرية. ودفن سكان مرمدة بني سلامة موتاهم في بيوتهم حيث وضعوا الجثة على جانبها الايمن باتجاه

الشرق وذراعاه الى صدره ورجلاه مسحوبتان الى صدره دونما اثاث جنازية عكس الوجه القبلي حيث ملؤت القبور بالاوعية والادوات الجنازية.

وتقع قرية حلوان (الأولي، العمري) على مسافة ثلاث كيلومترات من حلوان ولم يبق من مساكن هذه القرية الا اسمها وهي اما أعمدة خشبية شيد فوقها الدار أو بناء محفور في الارض لم يبق منه شيٌ. ووجدت في القرية مقبرتان الأولى داخل القرية والثانية خارجها مما يدل على اعتقادهم بعالم آخر يذهب اليه الموتى. وكانت اوجه الجثث نحو الغرب وغطوا جسم الميت بحصير او جلد او قماش. وعينوا مكان الدفن احياناً بركام من الحجر دون شك لاقامة الطقوس الجنائزية للمتوفي وتقديم القرابين. وبعض مقابر العمري كبيرة الحجم ووجد في قبر صولجان بيد الميت ربما يدل على زعامته بين قومه ومقامه المتميز. وعثر في موقع حلوان العمري على فخار جيد وشي، من النسيج والسلال والادوات المصنوعة من العظم، الحجر والخشب والاصداف.

هناك حضارة دير طاسة (على شاطئ النيل الشرقي بمصر العليا جنوب اسيوط بقليل) ويقابلها في الوجه البحري حلوان ١٠وقد صنع سكان طاسة الصحون الضحلة المستديرة والكاسات العميقة ذات القواعد المستوية والجوانب المائلة والقدح ذو المجرى بشكل ناقوس او القاعدة المدورة والحافة المفرطحة والمزينة بخطوط محززة باشكال السلال مملوءة بمادة بيضاء بالوان رمادية ـ سوداء وبنية بحرق غير متساوٍ نظراً لعدم تقدم الكورة. وهو عصر نهضة في صناعة الصوان حيث استعملوا الفؤوس المصقولة من الحصى المنحوت والحافة الحادة. ودفن جماعة طاسة موتاها في مقابر والقبر عبارة عن حفرة مستطيلة كبيرة والجثة موضوعة على الجانب الايمن والارجل مثنية الى الصدر والوجه باتجاه المساكن. واحياناً وضعت اصابع الجثة بين اسنانها واحياناً بحبوب قمح مبعثرة في يده او حول رأسه. واحياناً عثر على أكثر من هيكل واحد في القبر. وبعض القبور بحنايا حوت العطايا الجنازية التي منها اصداف من البحر الأحمر تدل على تنقلهم وعلاقتهم مع المنطقة هذه. وتدل الاثاث الجنائزية على اعتقادهم في حياة اخرى. كما عثر في مستقرهم على صنارات صغيرة لصيد السمك مصنوعة من القرون والصدف وتدل على ان السمك لابد انه شكل جزءاً مهماً من غذائهم. وعثر ايضاً على كثير من الخرز التي استعملوها للزينة ووجد في القبور قليلاً من الكتان لايمكننا من تقدير طبيعة ملابس الجماعة. ويعتقد البعض ان جماعة دير طاسة مسؤولين عن قطع الغابات في وادي النيل وتجفيف المستنقعات بمنطقتهم وفي الوقت الذي كانت لدي

هذه الجماعة افكار عن عالم آخر لانعرف طبيعتها الآن لم يترك ساكنوا الفيوم مقابر مما يرجع عدم توصلهم الى حفظ الموتى والاعتقاد بعالم آخر. وكان سكان دير طاسة يلفوا الجثة في جلد او قماش ثم يوضع في سلة تغطي بحصير ويسند راسه الى وسادة من القش او الجلد وعمق القبر بضع اقدام[١]

٥٠ **العصر الحجري المعدني:** ويبدأ بالفترة البدارية نسبة الى موقع البداري قرب قاو الكبير باقليم اسيوط. وقد نقب موقع حضارة البداري غاي برينتون في نهاية العشرينات وتشبه حضارة البداري تلك لسكان الصحراء الغربية القدامى وقد انتشرت هذه الحضارة الى الجنوب .

وكان سكان البداري بطول يبلغ معدله ١٦٠ سم نحاف البنية بشعر متموج طويل اسود واحياناً بني فاتح ورؤوس طويلة حليقوا الوجوه. لبسوا الملابس الكتانية صيفاً والجلود بصوفها خلال الموسم البارد. وان طبيعتهم المسالمة اوضحها خلو مقابرهم من الاسلحة. وتركت النساء شعورهن وظفروها بغدائر وزينوا رقابهم وايديهم بالعقود والأساور وشعورهم بالريش ووضعوا بها احياناً الامشاط العاجية برؤوس اشكال من الحيوانات التي عرفوها. واستعملوا الخرز من الفيروز والعقيق والكوارتز واصداف البحر الاحمر لعمل الاحزمة والاساور والقلائد . الى جانب اساور من عاج وعظام قرون. وبعض الاساور مزينة بالزينة الشارية المطعمة بالخرز الزرقاء او الاقراص المدورة. ولبس بعض الرجال حزماً من الخرز الزرقاء الاسطوانية . وظهر في هذا العصر الطلاء الازرق والأخضر الذي استحصلوه من خلط مسحوق البلور الصخري والبوتاس وكربونات النحاس ومزجها ساخنة ثم سحقها بالماء وحرقها بالفرن. وقد استعمل الطلاء هذا الآن في تغطية الخرز الصغيرة من البلور او الحجر الصابوني. وجاءت قطع الزينة من مدافن البداري رائعة تدل على ذوق فني كالقلائد من صفوف خرز الفيروز المفصولة عن بعضها بفصوص من العقيق واليشب والحجر المرقط. واستعملوا الكحل الاخضر للعيون والذي سحنوه في صلاية من الاردواز. وقد استوردوا الملخيت (التوتيا الخاصة بالكحل) من سيناء او نوبية. واستعملوا الملخيت (نترات النحاس) للزينة ولحماية العيون وصيانتها لان معنى صلاية في الهيروغليفية مرتبطة مع حماية.

كانت مساكن جماعة البداري بدائية وهي مجموعة من الأكواخ البيضوية الشكل او المستديرة مصنوعة من القصب والخشب. وفي وسط الكوخ حفرة. وفي كتل الطين بموقع

الحمامية كانت توضع بين كل صفين من كتل الطين رباطات من القصب. ثم حل البيت المستطيل محل المستدير وحلت الاكواخ المشيدة من الطوف محل تلك من القصب والخشب. وعثر في موقع المعادي على منازل مستطيلة الشكل استعمل في بنائها اللبن. وزودت هذه البيوت باثاث بسيط مثل الاسرة الخشبية ووسائد الجلد او الكتان المحشوة بالقش او القماش. وعثر على اواني مصغرة للدهون وملاعق بمغارف مستديرة او مستطيلة قوارب و مقابض اسطوانية تنتهي برؤوس حيوانات. ومن ادواتهم التي عثر عليها عصى الرماية وصنارات صيد السمك والحراب والسهام واسنتها ونماذج قوارب. وان خرق النسيج من مدافن البداري المصنوعة من الكتان تدل على كون الصناعة بسيطة رغم امتيازها بالمتانة وانتظام النسيج.

دفن سكان البداري موتاهم بوضعها احياناً فوق اسرة او ملفوفة في حصير او في جلد وهو في ملابسه اليومية ودفنوا مع موتاهم في بعض الأحيان غزلاناً وقططاً ووضعوا رؤوس موتاهم فوق وسائد باتجاه الغرب غالباً. ثم يغطى الميت بالأعشاب، وعثر بجانب بعض الجثث على ملابس الميت الاعتيادية وحليه واليد مرفوعة الى فمه وبجانبه اناء والآت نحاسية او صوانية او عظمية. ووجدت في بعض القبور دمى تمثل نسوة من العاج او الطين ربما تمثل الالهة الام او انها كتعويض للمتوفي عن زوجته. ويظهر انه كانت توضع فوق الجثة مايشبه كوخ من القصب او المواد الخفيفة لحماية الميت من التراب الذي كان يهال عليه بعد الدفن وتصبح له كغرفة في القبر. وعثر في القبور على دبابيس وامشاط عاجية وخرز انبوبيه الشكل بعضها من النحاس واخرى مطلية بالمينا. واحياناً كانوا يلفون راس الميت ويدفنونه في اتجاه القرية وعلى جانبه الأيسر وراسه الى الجنوب. وكانت قبور النساء اوسع عادة من تنك للرجال. كما دفنوا بعض الحيوانات في قبور ايضاً ولفوا أجسامها بالقماش ثم بحصير وتماثل قبورها تلك للبشر فيما عدا خلوها من الاثاث الجنازي. وقد وجدت قبور كلاب، ثعالب، ابقار ومواشي. واكثر الاثاث الجنازي كان من ادوات الزينة والفخار وفي موقع الحمامية كان الغالب من الفخار. وعمق القبر ٤٠ وعرضه بين ٤٥ ـ ٥٥ انج وبعضها اكثر من هذه الابعاد

يدل فخار البداري على مهارة وحسن ذوق وحوى سطحه الخارجي على تموجات غطت سطح الأناء كله او نصفه العلوي. وتمتاز برقة جدرانه واحياناً تكون ارضية الاناء ذات حلية كغصن شجرة او خطوط متموجة او اغصان عدة مكونة صليباً او نجمة.

ويظهر فخار البداري اتقاناً في العمل لم يوازيه فيه اي فخار لاحق في وادي النيل. والاوعية كانت حمراء وبنية بنهايات سوداء والطاسات الضحلة كثيرة. وهو على اشكال عدة امثال ذات البطن ثم ذو الرقبة الضيقة، الحافة البارزة والقعر المسطح والزخارف ذات الخطوط البنفسجية - البنية وهي باشكال حلزونية واشجار على شكل مراوح واشكال اشخاص وصفوف من ذوات الاربع او اللقلق او خطوط متموجة الخ.

عرف سكان بداري النحاس والبرونز بمزجه مع القصدير وصنعوا حلي للنساء من الذهب. وعثر على خرز نحاسية ومثقب نحاسي. وكان النحاس محدود الاستعمال وصارت الادوات الصوانية تستعمل في الطقوس لمدة طويلة. وقد اقتصر استعمال النحاس على الادوات الصغيرة الحجم كالدبابيس والابر والصنارات والمكاشط والازميل الخ. وكان استعماله آنذاك نقياً وصنعت الادوات منه بالطرق. وان اكثر امثلة الصناعة الصوانية وردتنا من موقع الحامية. وعند مقارنة صناعة الصوان بالفخار نراها فقيرة وبسيطة مما يدل على ان المنطقة التي هاجرت منها جماعة البداري كانت تفتقر للصوان الأمر الذي أجبرهم على استعمال حجر اقل قيمة. وقد تقدم حفر العاج والخشب ايضاً. وعثر على ابر بعضها مقوسة وواحدة طولها قدم . كان سكان البداري زراعاً وعثر في موقع المتمر على بقايا عدد من الكواير غير المنتظمة الشكل التي فرشت ارضياتها باعمال السلال. ومارست الزراعة والصناعة الرجال والنساء وزاد انتاجهم عن الحاجة والاستهلاك المحلي بحيث صدروا الفائض منه الى الخارج واستحصلوا بدلها ماافتقر اليه البلد. كما عثر على رحي الأمر الذي يدل على ان الحبوب قد طحنت واكلت وخزنت في كواير.

صنع سكان البداري التمائم وهي تمثل راس غزال او راس فرس النهر وربما اعتقدوا بقدسية هذه الحيوانات وكونها تحمي حملتها وربما لبسوا التمائم في الصيد الذي كان وفيراً (خنازير، اوز، طيور، سمك).

عثر على آثار فترة البداري في اللاهون ، ميدوم، طوخ، بلاص، تل اليهودية بالدلتا، المعادي، حلوان، الحامية، كوم القناطر ومنطقة نزلة المستجدة. ومستقرات الفترة عادة كبيرة نسبياً. ومن دراسة الجماجم من مقابر البداري والمستجدة نرى بأنهم من اصول ممتزجة فبعضهم بجمجمة كبيرة واخرى معتدلة. وتشبه جماجمهم جماعة نقادة الاولى والثانية. وعند مقارنة آثار حضارة البداري مع تلك للفترة الغسولية في فلسطين نلاحظ تماثلاً بسيطاً امثال المغارف الطينية والاوعية ذات القواعد. وقد اقترح البعض كون حملة حضارة البداري من اصول نوبية[٥]

حضارة العمرة: وسميت نسبة الى موقع نجع العمرة قرب البلينا. ويظهر ان اصحاب هذه الحضارة كانوا نحيفي البنية لايزيد معدل طول الفرد عن اربعة اقدام واربع انجات وشعورهم مستقيمة وجماجمهم طويلة صغيرة. وقد جعل پتري هذه الحضارة ليبية الاصل في وقت اعتبرها فيه شارف نوبية تعود للاقوام التي انتشرت في شرق وغرب وادي النيل. وصور رجال هذا العصر على الفخار تحلي اغطية رؤوسهم ريشة. علماً بان كلمة نوبي وجندي في المصرية القديمة كانت تصور برجل على رأسه ريشة. ومن الاشكال العاجية والطينية التي تركوها نرى بان الرجال كانوا حليقي الوجوه او بلحية طويلة مدببة بجباه عالية وانوف اقرب الى الرومانية. ويظهر ان نساءهم كن يحلقن رؤوسهن ويلبسن الشعر المستعار. وان صور التماسيح والعقارب الخ. على فخارهم ربما يدل على اعتبارهم لها طواطماً ورغم عدم وجود اي دليل على زعامة والتي لابد أن كانت موجودة فان الصور والتماثيل تشير الى وجود حروب متمثلة في صور رجال وايديهم مربوطة الى الخلف لابد أن يكونوا أسرى نتيجة حرب. واعتبر پتري صور الاشخاص البدينين تعود الى جماعة سابقة غلبت على امرها كانت تعتبر السمنة ضربا من الجمال.

اكتشف پتري هذه الحضارة سنة ١٨٩٥ في المقابر الضخمة قرب قرية نقادة ومواقع المدن المرتبطة مع هذه المقابر. وقسم حضارة نقادة الى مرحلتين كانت الأولى منها (نقادة) I مطابقة لحضارة العمرة. ويمتاز فخار العمرة (نقادة) I بالخطوط البيضاء المتقاطعة كالشبكة الذي استمر في الاستعمال خلال الفترة اللاحقة (نقادة او الجرزية). وان الفخار ذو الخطوط البيضاء هو اقدم الفخار المنقوش في مصر. ومن اشكال الفخار القدح ذو المجرى، الزمزميات، الاصص النحيفة، الطاسات والقناني والاصص ذات الاربعة اقدام او الوعاء المتكون من انبوبين متصلين. وقد رسمت خطوط الفخار البيضاء على ارضية حمراء واحياناً ذات حافة سوداء وحوى الفخار على نماذج هندسية واحياناً على مناظر رجال وحيوانات. وان فخار هذه الفترة الأحمر المصقول والاحمر ذو الحافة السوداء يعود الى طريقة حرقه حيث توضع الانية في الكورة على فوهتها فتأخذ الاجزاء الملاصقة للنار اللون الأسود وتظل الاجزاء الاخرى حمراء. وتمثل صور الفخار مناظر من مصر العليا كالتمساح وفرس الماء والزرافة والفيل. وان نوعي فخار هذه الفترة (ذو الخطوط البيضاء والأحمر المصقول) تبدو رديئة اذا قورنت بفخار فترة البداري. واقرب نوع يماثل فخار البداري هو الأحمر ذو الحافة السوداء رغم خلوه من التموجات. وان الاكواب ذات الايدي على شكل عقد كبيرة موجودة في الحضارة الفسولية، حقيقة فسرتها

مس كانتور بالمصدر المشترك لهذه الصناعة. اكدت حضارة العمرة اكثر على العادات الجنازية التي تنوعت الآن. وصار شكل اللحد سواء البيضوي منه او المستدير على شكل كوخ. وعثر في موقع العمرة على قبر من هذا النوع به حوالي ٢١ اناء كبيراً مصفوفة على مقاعد بثلاثة جوانب من حفرة القبر. وفي قبر آخر وجد ١٢ اناء احدها مصقول من طرفيه. ووضع مع الموتى الصنارات، السكاكين، المناجل، الصولجانات، الشفرات، السهام، الخرز والدبابيس والفخار. وربما رافق وضع هذه الأدوات طقوس سحرية من اجل جعلها تقوم بدورها في خدمة الميت. كما وجدت تماثيل من العاج والطين ربما تمثل خدماً والتي تشكل (ربما) طلائع تماثيل الشوباتي من المملكة الوسطى. وان مقبرة نقادا كانت اكبر مقابر عصر ماقبل السلالات تم كشفها حتى الآن. فقد شملت على ثلاثة مناطق بها اكثر من الفي قبر ولذا صارت معلوماتنا عن ممارسات دفن فترة العمري اكثر من العصر السابق. وفي قبر وضعت الجثة في شبه تابوت عبارة عن صندوق من الواح ربطت جميعها بحبل، ويرتفع الصندوق حوالي ٢٥ انجاً عن ارضية المدفن وسقف القبر بعصي ملطت بالطين. ثم وضعت اواني القرابين في القبر على رف. ثم غدى مستطيل الشكل وبنيت جدرانه باللبن واضيفت حجرات متقاربة لحفرة الدفن وضعت بها مؤونة الميت والقرابين مع سلم يستعمل للوصول اليها. وفي نهاية فترة العمرة برزت عادة الدفن تحت اناء كبير مقلوب وصارت عادة لف الجثة بحصير او قطعة جلد في القلة حن اختفت وحلت محلها ممارسة وضع الجثة في سلة من القصب المظفور ثم بتابوت فخاري او الواح. واستمرت عادة دفن الكثير من الجثث في حفرة واحدة احياناً وكذلك دفن الميت مع ادواته فالصياد كان يدفن بجانب كلاب صيده. ودفن الميت بهيئة مثنية على جانبه الايمن باتجاه الجنوب او الجهة الموازية لسير النيل في الغالب واحياناً كان وجهه الى الشرق والأغلب الى الغرب. ولانعرف ان كانت قبور النساء اكبر من تلك للرجال كما في فترة البداري ولكن في موقع كان قبر امرأة هو الاكبر. وعثر على عدد من الاجسام منفصلة عن عظامها واعتقد البعض احتمال اكل الانسان لها وظهر في بعض المقابر كون الجزء الامامي من عظم الساعد مكسوراً وربما يكون السبب عقائدياً. والدفن الآن في مقابر خارج البلدة

تقدمت صناعة الاوعية الحجرية وهي مصنوعة في الغالب من المرمر والغرانيت او البازلت (الذي ادخل في نهاية الفترة) وعمل بعضها من بيض النعام او العاج. وتدل صناعة الاوعية هذه على غنى مادي وكانت اسطوانية الشكل. واستمر عمل الصلايات التي صنعت باشكال هندسية (معينية او بيضوية) او على شكل حيوانات كالسمكة وغيرها. كما

استمرت صناعة الصوان الذي صنعت منه السكاكين ذات الوجهين والسكاكين القصيرة ذات الطرف المستدير ورؤوس الحراب ذات اللسانين، تنم جميعا عن تقدم حيث شضفت قطعة الصوان من وجهيها الى الشكل المطلوب ولكن الصوان نادرٌ في القبور ويعتقد البعض ان صناعة الصوان في الفيوم أ ذات علاقة وثقى مع نقادة I. رغم وجود المعادن الأخرى الا ان النحاس ظل سيد الجميع. فقد عثر على دبابيس نحاسية وصنانير. ورغم ان ادوات من ذهب تعود لهذه الفترة لم تكتشف بعد الا ان ذلك في الغالب راجع الى عامل الصدفة، حيث ان المصريين اتوا بالذهب من المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر. وبذلك يعتقد البعض ان اسم نقادة مهم لانها قريبة وقد تكون ذات علاقة بالكلمة نبت (نوبت) القديمة وهي الصيغة المؤنثة لكلمة ذهب المصرية. واذا كانت نقادة هي نوبت القديمة (ذهب) فتدل على حصول سكانها على الذهب وكونها ارض الذهب - واذا كان الذهب فعلاً ثروتها فقد يفسر ماكانوا يقدموه لتبادل الفيروز، الشذر، الخرز الزجاجية والياقوت الخ. الذي كانوا يستحصلونه من الخارج. وربما يفسر سقوطها الأخير حيث ان ثروتها استجذبت التجار ثم الغزاة الأجانب (اصحاب الحضارة الجرزية او نقادة الثانية).

شهدت فترة العمرة انتشار زراعة الحبوب والكتان على مستوى واسع على طول وادي النيل. وانهم احتفظوا بقطعان من الماشية والابقار والخنازير واستحصلوا ممالديهم من قطعانهم الالبان الى جانب اللحم. وربما دجنوا الحمار الذي استعملوه للنقل. وان كثرة صور القوراب المصنوعة من حزم البردي ذات المجاذيف تدل على تنقلاتهم النهرية وحتى صلاتهم مع الجنوب التي ربما جلبوا منها الذهب ايضاً. وربما جلبوا الحجر البركاني الاسود من اماكن بعيدة في غرب آسيا الأمر الذي يدل على تقدم علاقتهم التجارية.

صنع اصحاب حضارة العمرة الأمشاط العاجية التي تنتهي بأشكال حيوانات مثل الماعز، الزرافة والطيور. وصنع مشط من موقع المحاسنة على شكل حيوان غريب يشبه حيوان للاله ستخ لكنه دونما ذيل.

تقابل حضارة العمرة في الجنوب تلك للمعادي الواقعة قرب قمة الدلتا على حدود السيل الفيضي والجيدة الاتصال بالشمال والشرق. وقد عثر في المعادي على قرية كبيرة ذات منازل مستديرة او بيضوية يقوم كل منها على قوائم مغروزة في الارض ملئت المسافات بينها باغصان مضفورة لطخت بالطين. وقد تطورت هذه الى منازل مستطيلة الشكل حوت على باب في وسط الواجهة وبجدار امام المدخل يحجب ساحة المنزل عن المارة ويقي البيت من الريح. كما عثر على آثار لهذه الحضارة في موقع الحامية، ارمنت

من نهاية الفترة، وان اهم مصدر عن حضارة نقادة Iهي مقابر موقع نقادة، وفي بعض المواقع تعاصرت حضارتي البداري ونقادة I . واكواخ نقادة المدورة ذات قطر قدره من ٣ - ٧ قدم، وجدران من الطين والحجر الجيري بسمك قدره قدم واحد وحوت الواجهات الخارجية على آثار حزم القصب او التبن والداخلية ناعمة مصقولة ٠ اما السقف فكان من مادة سريعة التلف وليس في البيوت ابواب او فتحات في الجدران ٠ وعثر پتري على مستقرين قرب نقادة وكان مايسميه المدينة الجنوبية هو الاكثر اهمية، ويقع المستقر على حافة وادي امام معبد الاله ستخ نوبتي حيث كانت مدينة نوبت، ويتحدث پتري عن تحصينات وبيوت شبه*مستطيلة من الطابوق الصغير المستعمل في بعض مقابر العصر التالي، ومساحة المنطقة التي كشفها پتري حوالي ١٠٠ م مربع ولكن المدينة لابد وان كانت اوسع، وعثر في نوبت على كسر فخار اصص حجرية ، فلكات مغازل، عاجيات ، صوانيات وصلايات الخ، ولانعلم ان كانت التحصينات موجودة فعلاً في عصر نقادة I،

يبدو ان الاسيوين الذين كانت لهم صلات مع سكان حضارة نقادة I قد غزوا وادي النيل في نهاية هذا العصر وبهم حل عصر نقادة ٢ (الجرزي)[٦]

حضارة جرزة (نقادة الثانية): وسميت نسبة الى جرزة وهي قرية من قرى مركز العياط، وهو عصر تغير شامل في كل نواحي الحياة وقد قسمت الى فترتين متميزتين هما بداية الفترة ثم نهايتها، ويعتقد البعض (پتري ومؤيدوه) بان حملة هذه الحضارة قدموا من سورية او جبال البحر الاحمر، في حين يرى آخرون (شارف وآخرون) بانهم من سكنة الدلتا رحلوا الى مصر الوسطى ثم الى الصعيد، فيرى الأول في انياب الفيلة المنحوتة برؤوس ذوات لحى والخرز المزينة والتأثيرات السورية في الفخار والعراقية الكثيرة ارتباطاً بغرب آسيا، وان قربها من البحر الأحمر يفسر كثرة السفن في صورهم ويؤشر علاقاتهم التجارية حيث حصلوا على الحجر البركاني وحجر الصنفرة (السنباذج) وصخور اخرى لاتتوفر في مصر، فالموجة البشرية الجديدة كانت اكثر تقدماً وربما وصلوا في البداية كتجار مسالمين، والدليل الأثاري لايؤكد كونهم في الأصل من الدلتا، واستند حملة هذا الرأي على اعتبارات منها كون اعلام السفن المصورة في الفخار والرسوم تمثل الوجه البحري وان السفن والطيور المائية المرسومة هي وسائل وحيوانات منطقة كثيرة البحيرات والقنوات مما يتفق وطبيعة الوجه البحري، ووجود صولجان حجري كمثري الشكل لم يظهر في حضارات الوجه القبلي بل ظهر في حضارة

مرمدة بني سلامة في الدلتا حيث كان صولجان نقادة الأولى يشبه الطبق ولم يظهر فيما بعد. ثم ان الاواني ذات العري المتوجة الغير محروقة ظهرت في هذا العصر ولم تظهر في اي مكان آخر سوى فلسطين ويعتقد ان اصلها من الدلتا ثم انتشرت الى فلسطين شمالاً والوجه القبلي جنوباً. وان السفن الكبيرة التي تظهر في الرسوم كانت مستعملة بين اهل الدلتا. وكل سفينة كانت تحمل شارة معينة وقد عثر على ٢٨٨ شارة مختلفة ١٩٦ منها تدل على اقاليم في الدلتا بينما كانت صور اواني نقادة الاولى ذات الحفر البيضاء تمثل مناظر مصر العليا فقط كالتمساح وفرس النهر والفيل. ثم ان فخار نقادة الثانية المشابه للخزف والمسمى بالمصرية تحنت وهو اسم اطلق على القبائل التي كانت تسكن غرب الدلتا. وان الاعتقاد بكون حضارة نقادة الثانية شمالية نشأت في الدلتا اولاً يساعد على التدليل بقيام اتحاد بين شطري مصر قبل توحيد مينس (مينا) لهما بالف سنة تقريباً وكون اهل الشمال هم الذين قاموا بهذا الاتحاد في وقت كان الاتحاد اللاحق نتيجة توغل اهل الجنوب وبسط سلطانهم على الشمال الموضح في اسطورة اوزيريس. واقتنع الأخرون بكونهم من غرب آسيا وعزوا اليهم التأثير الجزري (السامي) في اللغة المصرية في وقت كان التأثير الحامي به لسكان أقدم. ويسند الدليل الأثاري هذا الافتراض. وان الطريق الذي سلكوه كان من مصر العليا لانعرفه بالضبط وان المكان الوحيد الذي نجد فيه نوع السفن المرسومة على فخار نقادة الثانية هو وادي الحمامات. علماً بان اول الأدلة عن وجودهم بمصر جاءت من قفط على الضفة الشرقية للنيل عبر النهر في نقادة وهوو (ديوسپوليس پارڤا قرب فم وادي الحمامات). وان القول بانهم جاؤوا براً من فلسطين وبعد استيطان في الدلتا غزوا مصر العليا يستند على وجود الفخار ذي الايدي المتوجة في فلسطين وهو فلسطيني الأصل انتشر منها الى شرق الدلتا وجاء الى مصر في نهاية العصر الجرزي. وهنا لابد من التحدث عن التأثير العراقي الذي صرنا نلحظه في الفترة الجرزية. فقد عثر على ثلاثة اختام اسطوانية عراقية من العصر الشبه الكتابي واحدة منها في قبر جرزي بنقادة كما اخذنا نلحظ طبعات الاختام الاسطوانية على الطين. وان الاختام الاسطوانية المصرية من الخشب والحجر. ثم صور بعض الحيوانات الضخمة التي نعرفها في الفن العراقي مثل كائنين برأسي افعى ملتصقي الرؤوس والتنين الطائر والافاعي الملتفة على بعضها وجميعها غريبة عن الخيال المصري. ثم اليد العاجية للسكينة الصوانية التي عثر عليها في جبل العرق والموجودة الأن في متحف اللوفر بباريس. وهذه منحوتة من جانب بشكل لبطل بالطراز العراقي يصارع اسدين ويظهر نفس الموضوع في قبر جرزي متأخر في هيراكونبوليس (الكاب). وتبدو في

الوجه الثاني لمقبضه السكينية سفن تشبه القوارب العراقية. والتأثير العراقي الآخر في نهاية العصر الجرزي هو طراز العمارة حيث هجر الآن البناء بالقصب والبردي وسعف النخيل والقش واستخدم اللبن المعمول في قوالب خشبية والذي عرف في العراق من قبل. ثم بداية ظهور العلامات الهيروغليفية لأول مرة في الصلايات الاردوازية. وكانت الكتابة قد عرفت في العراق بعصر أسبق، ويتعاصر دخول الكتابة الى مصر مع دخول العنصر الجزري للبلاد. ويبدو ان هناك هجرة جنوباً تظهره بنية السكان فهناك ذوي الرؤوس الطويلة (جنس البحر المتوسط) والعريضة من بلاد الاناضول. وان خشب القوارب لابد انهم جلبوه من سورية - لبنان وبذلك فقد تطورت مواصلاتهم مع الشرق . وهناك مواقع في الفيوم اظهرت آثاراً جرزية مثل مقابر نقادة وبلاص قرب قفط. ويشمل فخارهم الجرار ذات الايدي المتوجة مشابهة لما وجد في فلسطين وهي عادة وردية او صفراء - برتقالية. وصارت حضارة جرزة تمثل مصر المتحدة باندماج الوجهين القبلي والبحري وجمعت بين حضارة غرب الدلتا وشرقها - وبعد التوحيد عمت اللغة المصرية وهي لغة ذات صبغة جززية تشير الى الاصل الجزريةللموحدين.

كان القادمون الجدد خلال العصر الجرزي متقدمين حضارياً وقد شهدت المدينة المصرية تحولاً في كافة الصناعات والمرافق. فقد حدث تغير في صناعة الصوان، فالشفرات مهمة وسميكه واستمرت الفؤوس وسنان السهام تعمل من الصوان واختفت الصلايات الطقوسية ورؤوس الصولجانات. وصل الينا سكينتين من الصوان الآن في متحف القاهره ثم الرحي والاصص الصوانية. وصارت تفصل من القطعة الصوانية بعض شفرات طويلة تحول الى سكاكين، وتلوى الشفرة عادة بقسمها الاسفل. كما تم استعمال شفرات المناجل. وعثر في بعض القبور على الكثير من الشفرات الحادة. والفؤوس الصوانيه كانت اما مستطيلة او بيضوية الشكل . كما صنعوا من الصوان اشكالاً لحيوانات كالغزلان والطيور والتماسيح بالاغراض سحرية. وان اسلحة نقادة الثانية كانت اكثر كفاءة مما يظهر حملتها كرجال حرب ويفسر تمكنهم من اخضاع مصر العليا عند دخولهم البلاد. وازداد استعمال المعادن وقد اكتشف لاذهب ولو بقلة وجلبوا الفضة لاول مرة من مسافات بعيدة. وكثر الطلب على النحاس لتحسن تعدينه وقد انتشر استعماله ممايدل على التوسع التجاري مع الصحراء الشرقية وربما مع سيناء. وقد عثر في جرزة على خرز ذهبية بشكل قلادة ووجد ايضاً قدوم فضي في بلاص وفي نقادة ورد شكل فضي لنسر ثم خنجر فضي وسكينة. كما عثر على ادوات نحاسية كثيراً مثل الصنارات، الخناجر، السكاكين، الخواتم، الابر، والخرز.

اختفت الاوعيــة ذات الخطــوط البيضــاء واستمرت الاوعيــة ذات الحــافــات الســوداء والصبغــه الحمراء. وان الفخــار الســائــد الآن هــو الاصفر - البرتقــالي البــاهت المزين بنماذج بــاللــون البني الاحمر والتي تسمى بــالاوعية المزينة وان شكلهــا يــدل على استنســاخهــا من الاوعية الحجرية. والكثير من الاصص مزينة بصور قوارب تحمل رايــات تــوازي رمــوز مقــاطعــات مصر في العصور التــاريخية. وهنــاك الجرار ذات الايــدي المتوجة واوعية بسيطة العمــل حمراء اللون ونهايــة مــدببــة واخرى بصنــابير وغيرهــا بــاشكال حيوانيــة - والجرار الطويلة كانت برقــاب او خــالية منهــا، ومن مواضيع زينة الفخار المرسومة بــاللــون الاحمر تــلالاً، طيــور البجع، المــاعز الــوحش ونبــاتــات وبشر وبعضهــا بعلامــات ترمــز الى آلهــة. وبــالتــدريج قــل الفخــار ذو الحــافــات الســوداء واستمرت الاوعيــة الســوداء والحمراء المصقــولــة وتبــدل اللــون الاحمر من احمر قــاتم الى احمر طــابــوقي. وهــذا يرجــع الى اختــلاف طين الاوعيــة. وقــد استعملوا للأولى طينــاً اكثر نقــاوة وجودة من طين النيــل اطلق عليــه مــايــرز اسم الاوعيــة الصحراوية لاعتقــاده بــانهم استحصلــوا مــادتــه من اسفــل الطبقــة الرمليــة في الصحراء عنــد مــواقــع معينــة. والفخــار الجــديــد كان بلــون افتــح يغــدو اصفراً - برتقــاليــاً او ورديــاً بعــد الحرق حسب درجــة حرارة الكورة. وانتــج الاحمر المصقــول بتغطيــة الطين بقطــع ثم صقلــه. وفي القسم الآخر من العصر حــل الفخــار الــذي يطلــق عليــه البعض نقش المكنســة لكونــه بــاعتقــادهم قــد انتج بمســاعــدة اداة تماثل المكنســة او المقشــة. وعلى هــذا الطين الاحسن رسم اهل نقــادة الثــانيــة رســومهم وهــو النــوع الــذي سماه بتري الاوعيــة الملــونــة. وصحب تغير لون الفخــار تبــدل في اشكالــه. فبــدلاً من الطــاســات المفتوحة ذات الــزينــة في داخلهــا حلت الاوعيــة ذات البطــون والاكتــاف والفم الضيــق والــزينــة الخــارجيــة. وان الاصص ذات الاكتــاف والثــلاثــة عرى هي من نــوع مــوجــود في جمــدة نصر بــالعراق. علمــاً بــان هــذين النــوعين من الفخــــار في مصر مفصــولان بــــالفخــــار ذو زينـــــة الحــزوز. ويظهر من الصــورالمرســومــة على الفخــار والاصص الحجرية ان الحيــاة في حضــارة نقــادة الثــانيــة تختلف عنهــا في العصر الســالفــ. فــالقــوارب بــالصــور تحمــل مزارات لآلهتهم لكل منهــا رايــة تسير في استعراض بــالنيــل. وفي قــارب نرى كابينين صغيرين الى جــانب صــور وادوات واشجــار ومنــاظر صيــد. وتقــدمت الصنــاعــة في الحجر حيث وردنــا اصص من حجر الــديــورايت، الاردواز، البريشة الحمراء والرخام السماقي بعضهــا بــاشكال جــديــدة كالحيــوانــات ونمــاذج الى لعبــة تشبــه الكرات الخشبيــة وكرات كلهــا من الحجر. وكان استعمال حجر الاردواز الاخضر

اكثر نسبياً لانه يجمع بين الليونة وتماسك الحبات. وصنعت منه الصلايات التي كانت تصور عليها اشكال الحيوانات. ثم الواح الاردواز التي حفرت عليها مناظر جنازية واخرى تخليد الحروب والصيد.

وكانت الاواني الحجرية مزخرفة ثم غدت خالية من الزخارف جيث حل التلوين والزخرفة في المعابد. وتحمل قطعة اردواز رمز الاله مين منحوتاً وأصيصة من الغرانيت بشكل طير وشضية صلاية اردوازية بها نحوت اسود ونسور تفترس اعداء الملك وشضية اخرى لاصيصة صور عليها رجل مسلح بفأس المعركة. علماً بان الواح الاردواز قد تطورت واصبحت تصنع للملوك وتزخرف برسوم مختلف الحيوانات بعضها في صفوف متراصة واخرى تمثلها في صيد. وصارت الواح الملوك اكبر حجماً. ثم دبابيس القتال المزخرفة بمناظر الحروب التي انتصر بها الملوك ويظهر بها الملك على شكل ثور يقضي على اعدائه او كاسد ينهش اجسادهم وصور لاسرى مكبلين بالاغلال او لحصون استولوا عليها داخلها اسماؤهم. وعثر على فأس حجري وادوات حجرية في قبر بجمرة دوم وجبل الطارف وقد زاد الآن استعمال الاوعية الحجرية فقد وردتنا طاسات واصص جميلة واوعية اسطوانية، برميلية ومزدوجة او باشكال طيور وحيوانات صنعت من صخور ملونة مثل الافعوانية، البرشيا الاحمر والابيض والبازلت والشست والحجر الجيري. وان تطور صناعتي النحاس والحجر الجيري زاد بتوفر المواد الخام من منطقة منفس الأمر الذي ادى الى،زيادة أهمية مصر العليا. ظهر ايضاً النحت الغائر على العاج والتماثيل العاجية منها تماثيل صغيرة لاقزام تعود الى نهاية العصر الجرزي واحدة لامرأة تحمل طفلاً نرى فيها الطبيعة في شكل الجسم وهي جزء من أدوات نذرية وجدت في المزار الاولي بهيراكونبوليس. وتقدم التماثيل العاجية من هذا الموقع اختلافاً في الوقفة، اللباس والقبعة. ولم تعد الأجزاء العليا من الامشاط العاجية على هيئة حيوانات بل صارت تزخرف على وجهيها برسوم مختلفة لحيوانات عدة ترسم بصفوف تحت بعضها البعض منها الفيل الافريقي، البجع، الاسد، الزرافة، الغزال، الثور الأفريقي والخنزير البري. وصنعت ايادي السكاكين الصوانية من العاج او صفائح الذهب وزخرفوا وجهيها برسوم حيوانات، او باخرى تشير الى حوادث معينة من الانتصار على الاعداء. وهناك ادوات منزلية مصنوعة من العاج او الطين ونماذج زوراق ومنازل. ونرى على بعض ايادي السكاكين رسوماً تمثل قصور او منازل عالية ذات طابقين على الاقل.

جاءت التماثيل المجسمة من هذه الفترة قليلة، فقطعة زجاجية تصور راس الالهة حاطحور. وكانت صناعة الدمى الطينية متقنة. وقد وصلت تماثيل لحيوانات وآلهة منها لثعلب من الحجر ربما له علاقة بانوبيس حامي الموتى واخرى لآلهة من الحجر الجيري منها

ثلاثة تماثيل للاله مين واقفاً في معبده عند قفط طوله ١٣ قدم تتوضح به المهارة وجاء الجسم على شكل اسطوانة طويلة . وصار المصريون الآن يستقرون على الاوصاف الفنية المميزة لهم في الرسم والنحت.

نلحظ في نهاية العصر الجرزي طرازاً بدائياً في التصوير تطور في العصور التاريخية. ففي قبر بموقع هيراكونبوليس مساحته ٥ر٢ × ٢ × ٥ر١ متراً مشيد من اللبن ثم كسيت جدرانه بطبقة من غرين النيل ثم غطيت بطبقة اخرى من الطفل الأصفر القاتم رسم عليها المناظر لقوارب: ثلاثة وامرأتين تبكيان مع شخص جالس تحت ملجأ والحيوانات متناثرة بين السفن. وعلى اليسار رجل يضرب ثلاثة سجناء بصولجان وهذا اول مثل لمثل هذا الشكل . وعلى اليمين رجل يمسك باسدين وحيوانات في مصيدة وزوجان من رجال مسلحين يتبارزان. والاشكال كلها تخطيطية ملونة اعطي اللون الأحمر للبشرة والابيض للمآزر والاسود والابيض للحيوانات وملئت القوارب بلون داخل تخطيط بالأحمر. ونصبت على القوارب اعلام، وهناك مناظر صيد وحرب وبعض الراقصات. ونجد فيها عدم الانسجام وقلة الوحدة في تأليف الرسوم وظهرت في هذا العصر لأول مرة رسوم المقاطعات منها لنسر على راية وهو اقدم تصوير لنسر الذي هو رمز حورس (حور). والصورة الجدارية السابقة تعود حسب مايظهر لمنظر جنازي حيث نرى امرأتين تبكيان فوق القارب العلوي. كما وردتنا صور على قطعة من نسيج ملون من جبلين موجودة في متحف تورين نرى فيها قوارب ذات جذافين وقادة مع كابين. كان تقدم المنحوتات كبيراً خلال الحضارة الجرزية نراها واضحة في منحوتات الصلايات الحجرية والصولجانات. ومن هذه منحوتة اسد يهاجم موتى دون شك يمثلون اعداء الملك الذين طرحهم هو ارضاً. ووضعت الاشكال في صولجان الملك العقرب وصلاية نعرمر على خطوط اساسية كونت بداية العادة المصرية في رسم صفوف فوق بعضها. وهناك الرايات ذات رموز آلهة الجنوب. وعلى صولجان هذا الملك نراه يشرف على فتح قناة ماسكاً بيده فأساً وبينما نرى موظف منحني وحملة المروحة ومرافق الملك. وان الكثير من الصفات التي تميز بها الفن المصري القديم قد وضعت الآن امثال كون الشخص الرئيسي كبيراً للغاية . ووصلت اشكال الاشخاص حجمها القياسي. وفوق راس نعرمر بين راسي بقرة ذات قرون للربة حاثور وضع اسمه في اطار يمثل واجهة وسياج القصر الملكي. ووضعت الكتابة الهيروغليفية الصورية الأولى كعلامات ايضاح فوق الاشكال الاخرى. ونرى فيها نسر حورس على حزمة من البردي وبيده البشرية طير وهو تعبير عن السيطرة على ارض الشمال من قبل اله الجنوب الذي يعتبر تجسمه على الارض هو حورس نعرمر. ويلبس الملك تاج الجنوب الابيض غير انه صور على الجانب الثاني من

الصلاية لابساً التاج الأحمر لمصر الشمالية عندما يذهب مع مرافقيه وحملة راياته لرؤية القتلى.

هناك سلسلة من المخربشات على الصخور من جنوب مصر العليا. وقد عزى البعض مخربشات الصحراء الشرقية لمصر الى جماعة اولية من الصيادين وسكان جبال محليين وغزاة شرقيين. وان كلاً من السكان المحليين والغزاة الشرقيين كانوا متعاصرين. ثم صور اخرى تعود الى مستوطنين اوائل لوادي النيل. ومن بين الصور واحد لبقرة بين قرنيها قرص وخمسة نسور حورس.

وضع حملة حضارة جرزة مع موتاهم الطعام والحاجيات وعدد من التمائم اكثرها على شكل فرس الماء مما قد يدل على تقديسهم الحيوانات. وقد وضع الميت منثني على جانبه الأيسر. وجاءت حفرة القبر مستطيلة وللفقراء دائرية حيث وجه الميت نحو الغرب وراسه نحو الجنوب. وان بعض القبور الجيدة مفروشة بالحصران او جذوع النخل. وفي نهاية العصر الجرزي حلت القبور ذات الغرفة والتي صارت قبراً لأهم فرد في العائلة. والغرفة عبارة عن خلوة كبيرة نحتت بجانب من القبر والحفرة عادة على الجانب الشرقي وبها وضعت الجثة وبقية القبر للاثاث الجنازي. وسقف القبر بجذوع الاشجار او الحصران. واخذت عادة لف الجسم في حصير تختفي لتحل محلها التوابيت الخشبية وفي قبر بنقادة عثر على اول قطعة معروفة من نسيج صوفي باللونين الابيض والبني، وزادت التمائم والخرز.

وجد في نقادة الثانية قرون البقرة ملونة في رايات السفن المرسومة على الفخار وتشير الى ربة الخصب. ويصحب الهة الخصب هذه الاله الشاب وهو ابنها وحبيبها (كاموتيف ومعناها ثور الام) في مصر التاريخية. ونجده في فخار نقادة الأولى لابساً الاغصان او الريش ويؤدي رقصة طقوسية بين جمع من النسوة او في رقصة عارمة تعود الى الربة البقرة مصورة على فخار نقادة الاولى الابيض. وان الرقص جزء من طقس الالهة البقرة ـ موجود على بعض اوعية نقادة الثانية. ونرى في احدى الاصص صورة زواج هذه الربة المقدسة حيث نرى صورة الاله في احدى المزارات بقارب وعلى نفس الاصيصة نجد اول مثال الى ثالوث مقدس (الالهة، حبيبها وابنتها). وجاء شكل الالهة الأكبر وبراس مدور كبير. ونجد ايضاً سهام الالهة نيث المتقاطعة ثم رمز الاله مين ونسر حورس كلها مرسومة على رايات امام المزارات. ثم صورة مزار صغير في قارب تحت انواع من الاشجار. كما زادت الآن التمائم وادوات السحر وصغر حجم الصلايات والانياب العاجية التي وردت في ازواج مجوفة ترمز للذكر و صلبة للانثى. واشكال لنساء ورجال ثم صور فرس ماء وتماسيح قد تكون مرتبطة بالسحر. واستمرت عادة وضع التماثيل في بعض القبور سواء تماثيل

رجال او نساء او لحيوانات كالاسود، الخنازير، الماشية، البقر. وقد يكون الخنزير حيوان الاله ستخ. وجاءت الخنازير والماشية والابقار احياناً في جموع. ورمز الاسد والنسر اللذان ظهرا في آخر العصر الى الملك.

وفي العمارة ظهر الأن الطابوق رغم انه لم يبق من آثارها الاالقليل مثل حشوة الغرفة المصورة في هيراكونبوليس ثم في واجهات المدافن الكبيرة للسلالة الأولى. وان السور بابراجه البارزة ذات الحنايا تحيط ببوابة القصر تمثل اكثر تفصيلاً في اسماء حورس لملوك السلالة الأولى ولكن اسسها ظهرت في العصر الجرزي. وان طرز الحنايا والطابوق هي ابتداعات عراقية عرفت هناك منذ العصر الشبه الكتابي. وهناك نموذج لدار ذات باب في احد جدرانه القصيرة وفي الجدار الامامي شباكين صغيرين. والبيوت في نقادة الثانية بسيطة مستطيلة ذات غرفة واحدة مسقفة وساحة امامية.

نلحظ في العصر الجرزي تقدماً بكل جانب. فهناك تقدم في الزراعة وحفر القنوات وقلما نجد اثراً ملكياً دون ان نرى عليه صورة الملك وهو يقوم بالتقليد المعروف وهو امساكه بالفأس يضرب به الأرض ايذاناً بالبدء في العمل. وزادت التجارة براً وبحراً والأولى ربما نتيجة زيادة استعمال الحمار.

فاصحاب حضارة نقادة ٢ سيطروا على مصر وتقدموا غرباً حيث اخضعوا سكان حضارة العمرة. ومن مواقع حضارة جرزة السماينة (مركز دشنا بمديرية قنا) ثم الحمامية وارمنت جنوب طيبة حيث عثر على جمجمة لاسيوي وقبرين اوضحا التأثير العراقي. ثم اخذوا ينتشرون شمالاً من اسيوط الى مصر السفلى حيث وجدنا في مقابر نقادة الثانية الفخار ذو الحافة السوداء مع فخار نقادة المتأخر. ويظهر ان منطقة الفيوم قد جذبت سكان نقادة الثانية حيث وجدت ثلاثة مقابر تعود الى جماعات مختلفة حيث الطريق الى الفيوم يترك وادي النيل.

هناك علامات لفعاليات سياسية مكثفة في نهاية العصر الجرزي (٣٤٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق. م.) والمنافسة من اجل السيطرة بين الشمال والجنوب. واعتقد البعض ان الري الاصطناعي بدأ في عصر نقادة الثانية وهذا ان صح فيدل على حكومة مركزية قوية وتقدم اجتماعي ولكن مثل هذا لم يتم بالواقع الابعد الوحدة والزعامة الموحدة ربما في نهاية الجرزي. فخزن الحبوب في كواير هي عبارة عن اوعية فخارية كبيرة يزيد ارتفاع كل منها عن نصف متر وضعت ضمن منطقة مسيجة تدل على وجود اقتصاد جماعي. فليس هناك اي دليل يثبت ان مصر في عصر ماقبل السلالات كانت منقسمة الى دول صغيرة ثم اتحدت تحت حاكم واحد. ومن المؤكد ان في نهاية العصر الجرزي بدأ غزو مصر السفلى ووضع اساس الوحدة. ولا نعرف ان كان لحملة حضارة

جرزة ملك واحد من بدء دخولهم او ان اتحاد مصر العليا قد تم قبل وحدة الارضين التي عزاها التقليد المصري الى منس. ولكن لوحة نعرمر والالواح الأخرى تدل بان الملك كان آنذاك هو السيد الأوحد. ويضع حجر بالرمو فوق السلالة الأولى بضع ملوك يلبسون التاج الأحمر.

ويذهب الكثيرون الى ان التقويم المصري كان من انجازات العصر الجرزي. فالسنة المصرية كانت تتكون من ثلاثة فصول مرتبطة بالزرع والنيل وهي فصل الفيضان (أخت) والزرع (پرت) ونزول النيل (شمو) لكل منها اربعة اشهر أعطيت لها ارقامٌ بادئ بدء ثم اطلق عليها خلال فترة الاحتلال الفارسي لمصر اسماءها المعروفة حتى الآن في التقويم القبطي. وقد سمي كل شهر باسم العيد الرئيسي المقدس لذلك الشهر. وايام الشهر ثلاثون واضافوا في نهاية السنة شهراً صغيراً بالايام الكبيسة. وقد بين سنسورينوس من القرن الثاني ان المصريين بدأوا تقويمهم عندما طابق يوم راس السنة ظهور نجم الشعريْ اليانية (سوپد ومعناها المجهز عند المصريين القدامى وسوثيس عند اليونان) والذي حدث زمانه يوم ١٩ تموز سنة ١٣٩. وبالاحتساب التراجعي (حيث ان ظهور سوپد يتأخر يوماً كل اربع سنوات) نرى ان التطابق بين سنة الشعرى اليانية (السنة المدنية) والسنة الشمسية يحدث كل ١٤٦٠ سنة وهو مانطلق عليه الدورة السوثيائية او الفترة الشعرية اي ان التطابق حصل في السنين ١٣٢١ ق. م. ، ٢٧٨١ق. م. و٤٢٤١ ق. م. واعتبر الكثير من علماء المصريات التاريخ الأخير بدء التقويم المصري (ماير، بريستد، هول الخ) في وقت عارضه آخرون (بيج، ليكَ وفوكارت) واعتبر آخر (ويغال) بان التقويم المصري قدادخله منس. ولكن اعتبار بدء التقويم في عصر ماقبل السلالات يصطدم بانعدام السند الأثاري. واعتبر آخرون بدء التقويم السوثيائي سنة ٢٧٨١ زمن الملك زوسر من السلالة الثالثة على اساس ان التقويم تحتاج تقدماً حضارياً وتنظيماً اقتصادياً. واعتقد آخرون ان التقويم المصري الأولي كان قمرياً منذ السلالة الأولى وسميت الاشهر باعيادها الرئيسية ولكن الدليل على وجود تقويم متقدم يستند على الاشهر القمرية ويحتسب الايام الكبيسة حل حوالي عصر المملكة القديمة المصرية او بعد ذلك. ولكن الأدلة المتوفرة تشير بان تقويماً سوثيائياً كان موجوداً بمصر خلال العصر الثيني (السلالتين الأولى والثانية) مع وجود احتفالات راس السنة لظهور الشعرى مما يدل على رسوخ عادة اتباع التقويم السوثيائي. فربما نشأ التقويم الأخير حوالي نهاية الفترة الجرزية نتيجة تأثير عراقي او جاء به الجرزيون أنفسهم من المنطقة التي هاجروا منها في غرب آسيا.(٧)

الفصل الثاني: العصور التاريخية

طلائع العصور التاريخية: يذكر مانيثو ان السلالة المصرية الأولى قد سبقتها سلالتان على الاقل الأولى كانت سلالة من الألهة لم يكن للزمن عندهم قياس ثابت عددهم ستة كان حكم هيفستوس (پتاح) أطولهم (ستمائة سنة) واقصرهم حكم ٣٥٩ سنة وكان مجموع حكم السلالة ١١٩٨٥ سنة. ثم سلالة انصاف الألهة حكم خلالها تسعة ملوك لمدة ٨٥٦ سنة كانت فترة حكم عاشرهم الذي لانعرف اسمه سنتين فقط. وتدل الارقام المبالغ فيها كثيراً وادخال الألهة فيها على ان المصريين قد نسوا الفترات الأولى من تاريخهم. ولكن الرموز والاعلام التي وصلتنا من عصور ماقبل السلالات لها اهمية قصوى لانها، كما تدل قرائن العصور التالية، تشير الى مقاطعات لابد أن كان لكل منها حكومة مدينة باله محلي. ويمكن الافتراض بان هذه الدويلات كانت تدخل في صراعات محلية فيما بينها او تشكل احلافاً او تعقد مصاهرات مع بعضها البعض. ثم قامت بعد ذلك حركة اتحاد في البلاد حيث تكونت في الدلتا مملكتان الاولى الكبيرة في الغرب وعاصمتها عند بحدت (ربما دمنهور الحالية) والهها حورس والثانية صغيرة في الشرق وعاصمتها بوصير (قرب سمنود الحالية) والهها عنزتي في البداية ثم حل محله اوزيريس ثم اندمج القسمان بمملكة كانت عاصمتها عند سايس (صاالحجر في الغربية مركز كفر الزيات) والهتها نيت وصارت العاصمة بعد ذلك بحدت وكانت تحت لواء حورس. كما توحد الصعيد في مملكة تحت لواء الاله ستخ عاصمتها ققط شمال الاقصر. والظاهر ان مملكة الدلتا كانت هي الاقوى مما يعلل غزوها للجنوب وانتصارها واتخاذها ايون (عين شمس) عاصمة لدولتها الموحدة ولاوزيريس عنزتي الها ووضعت التقويم الشمسي. ومما يدل على هذا الاتحاد التاج الذي لبسه اوزيريس وكان على شكل ريشتين ولما امتد سلطانه على الصعيد ضم الريشتين الى تاج الصعيد الابيض مكونماً التاج المزدوج، وكذلك التاج الذي لبسه الاله اتوم في هليوبوليس (عين شمس) مما يدل على ان المدينة الأخيرة قد سيطرت قديماً على جميع اقاليم مصر. ومن تلك العاصمة عبدت الشمس ورصدت الكواكب وتمت مراقبة النيل ويشير ترسخ وانتشار واستمرار عبادة حورس الى ذلك الاتحاد. فاذا صح افتراض هذه الوحدة والذي تدعمه الادلة فان حضارة جرزة لابد وأنها كانت مظهراً للاتحاد الأول وان ماعثر في جرزة من الآثار تؤكد على الصلات بين شطري الدلتا الشرقي والغربي من ناحية والصعيد

من ناحية اخرى. ويعلل باحثون قوة الدلتا بجهودهم ومثابرتهم ووحدتهم لمواجهة الطبيعة في بيئتهم من مستنقعات وفيضان الخ. وافتقار بيئتهم الى الصوان الذي يحتاجونه. وكانت حدود المملكة المتحدة جبل السلسلة (بين ادفو وكوم امبو) وشارتها الجديدة قرص الشمس ناشراً جناحيه ممثلاً لنصفي مصر. ويظهر ان بعض عبدة اوزيريس وحورس قد انتقلوا الى الجنوب حاملين معهم اسم محل عبادتهم وهذا يعلل وجود مدينتين باسم عين شمس واحدة في الشمال واخرى في الجنوب عند ارمنت.

ولكن مصر سرعان ما انقسمت ثانية الى مملكتين في الشمال والجنوب واللتين اطلق المصريون على ملوكها اتباع حورس. وكانت عاصمة كل مملكة في اقصى مكان منها ونهر النيل او احد فروعه يقسم كلا العاصمتين الى قسمين قسم حورس وقسم آخر لاله المقاطعة المحلي. فعاصمة المملكة الجنوبية قفط ثم نخب (الكاب شمال ادفو) على الضفة الشرقية حيث مقر الربة نخبت ويقابلها على الضفة الغربية نخن (الكوم الأحمر) حيث مقر الاله حورس. وعاصمة الشمال ديب وعلى الضفة الأخرى من النيل پي وسميت المدينتان (على الجانبين) سوية باسم پرواجيت او پرواتيت اي بيت الالهة واجيت ومنها اشتق بوتو (تل الفراعين شمال غرب الدلتا) وهي ابطو مركز دسوق. وكانت بوتو مقر الالهة ودجيت اما پي فمقر حورس. واتخذت مملكة الجنوب نباتاً من فصيلة الزنبق وقيل الحلفا (سوات بالمصرية القديمة) رمزاً لها. واتخذ ملوكها لقب اينسو ولبسوا التاج الابيض المخروطي. اما مملكة الشمال فرمزها نبات البردي وافعى الناشر المعروفة بانتفاخ العنق واتخذ ملوكها لقب بيتي ولبسوا التاج الأحمر. ولكل من الشمال والجنوب بيت ماله الخاص اللذان سميا بالبيت الأحمر والبيت الابيض على التوالي. وفعلاً نقرأ في حجر پالرمو اسماء بعض الملوك في تاج الوجه البحري (الشمال) وآخرين بتاج الوجه القبلي (الجنوب).

ظهر خلال هذه الفترة ملكان في الجنوب بذلا جهوداً في توحيد شطري مصر وهما العاهل المعروف باسم عقرب ثم نعرمر (ربما مري نار) الذي تمكن حسب ما يظهر من صلاياته من انجاز التوحيد خلال فترة حكمه. ويظهر عقرب في راس دبوس من الحجر الجيري عثر عليه في نخن ترينا مناظره بان ملكاً قد رمز اليه بعقرب حاول توحيد البلاد وحصل على نصر جزئي مكنه من تنظيم البلاد. ونرى حول الجزء الأعلى من راس الدبوس هذا صف من الاعلام تمثل مقاطعات الجنوب تدلى منها صور لطائر تمثل

الشعوب التي قهرها الجنوب وتحتها الملك يشق قناة وعلى راسه التاج الابيض وامامه رجل يحمل سلة يتلقي بها تراباً وآخر يحمل سنابل ترمز للخصب الحاصل من جهود الملك - واسفل صورة العقرب وخلف الملك يقف حاملا المروحتين. وفي طرف منظر احتفال به اناس في هوادج وبأسفل راقصات طويلات الشعر وتحت اسم الملك حاملو ألوية الجيش. ولا نعرف ان كان عقرب قد لقب نفسه بلقب كاايب الذي وجده پتري مدوناً على اناء عثر عليه في موقع طرخان والذي يدلل على تغلغله شمالاً حتى مصر الوسطى. او ان كلاً من كا ايب وعقرب هما شخصان مختلفان استطاع كل منهما حكم الجنوب حتى شمال مصر الوسطى حيث عثر في مقبرة طرة على كسرة فخار عليها اسم عقرب. فعقرب **اوكاايب** حكما الصعيد كله موحداً. اما وحدة مصر فقد حفظها نعرمر الذي تشكل لوحته التي عثر عليها في هيراكو نبوليس (نخن وهي الكوم الأحمر شمال ادفو) شاهداً مهماً لذلك. ونرى في اللوحة الملك يحتفل بعيد سد (وهو عيد قديم كانت مصر تحتفل به كل ثلاثين سنة لتجديد حيوية الملك وكان في بداية اتخاذ العيد يذبح فيه الملك حتى يحكم البلد رجل قوي على الدوام) وهو جالس تحت مظلة ترفرف فوقه الالهة النسر حامية الجنوب ورمزه وامامه العربة واسرى ملتحون. وتحته حملة المراوح وخلفه العلامات التي تشير الى اسمه والى تحت صفان من الموظفين يحمل احدهم نعلي الملك وفوق راس الملك التاج الاحمر وارقام بالاسرى والغنائم بارقام مبالغ فيها كثيراً (١٢٠ ألف اسير، ٤٠٠ الف ثور ومليون و٤٢٢ ألف راس ماعز) ويسجل انتصاره على الاقواس التسعة (الاقوام على حدود مصر) وعلى **أرخية** (ربما المقصود بهم اهل الشمال). وفي صلاية نعرمر الاردوازية من نفس الموقع نراه في وجه منها يعلوه رأسا الالهة حطحور بينهما اسم الملك بالهيروغليفية ثم صورته كبير الحجم لابساً التاج الابيض ويمسك بيسراه مقدمة شعر اسير راكع ويحمل في يمناه صولجاناً يهوي به على راس اسير يعلوها صورة حورس (الصقر) واقفاً على ستة عيدان بردي ويمسك برأس امرأة بحبل يمر من ثقب بانفها وخلف الملك رجل يحمل النعال وإناء وتحت قدميه رجلان يحاولان الهرب في هلع. اما وجه اللوح الآخر ففيه رأس حطحور ايضاً بينها اسم الملك والملك بالتاج الاحمر وامامه عشرة من اعدائه مذبوحين وراس كل واحد منهم ملقى بين ساقيه. ويسير امام نعرمر وزيره الذي صور بحجم صغير وامام الوزير اربعة من حملة الالوية والى الخلف حامل النعال. وتحت الموكب رجلان يمسكان بوحشين خرافيين وباسفل ثور يمثل الملك يطأ شمالياً ويقتحم بقرنيه سور قلعة.



هناك صلاية صلاية اخرى لاتحو اسماً وربما تعود الى نعرمر ايضا تصور صفوفاً من الماشية، الحمير، الاكباش والاشجار. وبين الاخيرة كلمة التحينو بالهيروغليفية الامر الذي رجح احتمال كون الحدث في ليبيا. فنعرمر لابد وان شن حملة ضد منطقتهم شمال غرب الدلتا وهي حقيقة اثبتتها الاسطوانة العاجية من نخن التي تحمل اسمي نعرمر وارض التحينو وترينا اسرى تم اسرهم في المعركة. وعلى وجه الصلاية الآخر مايمثل سبع مدن مسورة مع اسمائها وفوق كل اسم طير او حيوان ظل منها اربعة (اسد، عقرب، صقرين مزودجين). ويصعب معرفة مايقابل هذه المدن الآن ويعتقد البعض انها تقع ضمن منطقة التحينو وتمثل الحيوانات والاشجار الغنائم التي استحصلت منها كما يصعب معرفة اهمية الحيوانات التي تهاجم الاسوار والتي فسرها البعض كالقاب ملكية للملك العقرب وكرموز لانصار الملك سواء من الآلهة او البشر الذي تخلد الصلاية انتصاره. ويظهر ان الآلهة ترمز الى ملك نخن الصقر وهو نعرمر لان ليس هناك دليل قاطع على وصول الملك العقرب الى شمال غرب الدلتا وان رؤساء المقاطعات قد ساعدوا نعرمر في حملته ضد الشمال. ومن الاعلام التي نراها في صلايات الفترة تلك التي تظهر الاله - الذئب ويب واويت لاسيوط وطير ابو منجل الخاص بالمقاطعة الخامسة عشر لجنوب مصر ورمز مين اله اخيم وقفط واعلام المقاطعات الاخرى. وربما كان ملك نخن منس الحاكم المطلق للعصور التالية بل قائد حلف من المقاطعات يحارب عدواً مشتركاً(٨)

العصر الثيني: ويتألف من السلالتين الأولى والثانية الذي يسمى عهداها بالثيني او الطيني نسبة الى طينة (ثيني، ثينيس) قرب البلينا.

السلالة الأولى: ٣١١٠ - ٢٨٨٤ ق. م. وتؤكد قوائم تورين وابيدوس كون مؤسسها ملك مصر الموحدة الأول **(ميني، منس)**. وقد افترض البعض بان اسمه هذا قد ابتدع كبطل شبه اسطوري وحد شطري مصر وان الاسم منس معناه (المتحمل) في وقت ضاع به اسمه الأصلي. ويظهر ان اسماء الملك **العقرب، نعرمر** وعحا - مينا قد امتزجت في اذهان المصريين القدامى ونسبوها جميعاً الى منس. ولم يعثر على اسم منس الا مرة واحدة مدوناً على لوحة عاجية عثر عليها في نقادة والى جانب اسم منس ذكر الاسم الحورسي لعحا. فاعتقد البعض بان الاسم منس بناء على ذلك هو الاسم النبتي (ذو العلاقة بالالهتين الخاصتين بمصر العليا والسفلى) للملك عحا. وظن اخرون بان اللوحة تمثل تخليد عحا للحنية الجنازية لمنس المتوفي والذي لابد أن يكون سابقه. كما ان

هناك طبعة ختم طينية من ابيدوس تذكر اسم نعرمر متناوباً مع الرمز م ن الذي اعتبره البعض كبرهان على كون نعرمر هو نفسه منس. ولكن مين (منس) في طبعة الختم هذه قد يكون موظفاً له حق استعمال الختم الملكي. وقد طابق البعض منس مع عحا (ايمري) بينما اعتبره اخرون (بتري ويونكر) نعرمر بينما اكد غيرهم (فلنتيف) كونه شخصية اسطورية. ويجعل اخر منس خليفة لنعرمر واقتنع هول بان منس شخصية مركبة من نعرمر وعحا في وقت يتحمس ناقيل بكون منس اسم عرش استعمل خلال احتفالات عيد سد، وظن آخر ان عحا كان سلفاً لمنس.

يذكر هيردوتس بناء منس لمدينة منفس لان العواصم القديمة كانت بعيدة وجعلها تتفق ومطالب الادارة. ولم **يتعرض** مانيثو الى بناء منفس ولكنه ذكر بناء قصر أثوتيس خليفة منس لقصر في منفس في وقت نسب ديودورس الصقلي بناء منفس الى الملك الطيبي اوخوريوس المشابه لاسم اوخيريوس الذي هو ترجمة لاسم منس. وان اثبات ملوك انتزع من قبر يعود للسلالة التاسعة عشر في مقبرة شمال سقارة والآن في متحف القاهرة ينسب بناء منفس الى عدج ايب الملك السادس للسلالة. وان اسم منفس يعود الى هرم الملك پيپي من السلالة السادسة جنوب سقارة ولم يطلق على مدينة منفس الا متأخراً. وسميت منفس قديماً الجدار الابيض او الجدران البيضاء واحياناً تختصر الى الجدار او الجدران. ويظهر انها انشأت بادئ بدء لتكون حصناً لحماية حدود الوجه القبلي والوقوف بوجه الشماليين اذا ماخرجوا على الجنوبيين وهجموا عليهم. وتقع في افضل مكان بين الصعيد والوجه القبلي ولذا سماها المصريون بميزان الارضين لان اذا اختلت الامور فيها تدهورت امور البلاد.

عرف الفرعون المصري منذ السلالة الأولى باسماء عدة، **فلكل فرعون اسم شخصي يقصد** به الاسم النبقي المسبوق بلقب السيدتين (الالهتين وادجت ونخبت لمصر الشمالية والجنوبية) والاسم النوبيتي المسبوق بلقب ملك الوجهين القبلي والبحري. ثم الاسم الحوريسي وهو الاسم المدون داخل الخانة المستطيلة (السرخ) التي يرجح كونها بشكل واجهة القصر الملكي ويعلوها الصقر وهو شكل الاله حورس. فضلاً عن ان هناك اسماً يونانياً لكل ملك نراه في المصادر اليونانية والرومانية. واحياناً يتطابق الاسم الشخصي مع الحورسي مثل الفرعون برايب سن من السلالة الثانية وخع سخم وي من نفس السلالة. وقد يطلق على الملك اسمّ حِورسٌ الى جانب استعمال اسمه الشخصي كاسم حورسي مثل آخر ملوك السلالة الأولى قع الذي عرف بالاسماء الشخصية قع وسن.

ذهب البعض الى ان نعرمر قد عرف بالمؤسس (منس) والمقاتل (عحا) ولذلك فان منس ونعرمر وعحا اسماء مختلفة لشخص واحد. او ان يكون منس (٣١١٠ ـ ٣٠٥٦ ق.م.) خليفة لنعرمر ثبت الوحدة التي كونها الأخير فنسبت له. وظل المصريون يكتبون اسم منس على جعارينهم كما وجدت آثارٌ لمنس في معبد نخن. وان تأسيس منفس والمهارة في تخطيطها وحسن اختيار موقعها ربما يعود الى عج ايب خامس ملوك السلالة الاولى. ويقول هيردوتس ان منس حول مجرى النيل من الغرب الى مجراه الحالي حتى يهيئ مكاناً لعاصمته الجديدة وشيد سداً لحمايتها من الفيضان في شمال الفيوم ليمنع بحر يوسف من تغطية المنطقة الشمالية فاصبحت منفس بذلك صالحة للسكن والزراعة بعد ان كانت مستنقعات. وحفر قناة شمالها ويعتقد البعض ان السد الذي شيده منس هو المعروف الآن بجسر قشيشة. وكونه قد حفر بحيرة خارج المدينة من النهر الى الشمال والغرب لان النهر يربطها من الشرق.

نعرف من بعض اللوحات الصغيرة ان منس قد حارب الليبين وانتصر عليهم وهزم النوبيين. وان اسم زوجته نيت حتپ (الالهة نيت راضية) كانت من الشمال وقد تزوجها بعد التوحيد دون شك لدعم مركزه السياسي. وهناك مايدل على تشييده معبداً للالهة نيت في صا (صا الحجر) بالدلتا موطن زوجته. وقد وجد اسم زوجته على قطع كبيرة في نقادة مما ظن بانه قبرها.

وسواء أكان منس هو نفسه نعرمر او عحا فقد كان اول ملك وحد شطري مصر واتخذ اللقب الذي يمثله وجمع في شخصه الهة الجنوب والشمال واتخذ اللقب نيق (ملك الجنوب والشمال). وسرت رواية توحيده للبلاد حتى صار تمثال منس في عهد الرعامسة يتصدر تماثيل الملوك في حفلات التتويج ويضعه ستي الأول اول ملوك مصر الموحدة. وعثر من عهده على عدد من الألواح تذكر اعياداً كعيد انبو (انوبيس) وسوكر. وظلت حفلة التتويج الى نهاية التاريخ المصري ترمز الى هذا التوحيد. فنرى ضمن مراسيمه الملك وقد غطى راسه بالتاج الابيض يصعد على منصة يوضع عليها العرش ترمز الى ظهور ملك الوجه القبلي. ثم احتفال التوحيد حيث يثبت وتدفي الارض تلف حوله النباتات الرمزية لمصر العليا والسفلى يعقبه سباق حول جدار يعني ان ملوك طينة الاوائل شيدوا جداراً اقيمت بعد ذلك عنده منفس لحماية الجنوب ومادوران الملك حوله الارمز لانتصار الجنوب واكتمال وحدة الارضين.

حكم منس ٤٧ سنة ولو ان هناك من يذكر حكمه لفترة ٦٢ عاماً، ويذكر مانثو ان فرس نهر قتله في وقت يذكر ديودوروس مهاجمة كلابه له وانقاذه من قبل تمساح شيد على شرفه مدينة كريكوديلوپوليس والقصتان يغلب عليهما العنصر الاسطوري. هناك جدل حول المكان الذي دفن فيه ملوك السلالة الاولى. فالمعروف ان الملوك كانوا يدفنون قرب عواصمهم وعندما كشف امينيلو ثم پتري بضع مدافن في ابيدوس تحوي ادوات دونت عليها اسماء ملوك السلالة الأولى وملكة وبعض ملوك السلالة الثانية قوي احتمال كون مدافن السلالة الاولى قد تم كشفها. وفي سنة ١٩٣٨ كشفت مصطبة كبيرة تحوي طبعات اختام باسم عحا في شمال سقارة ومصاطب تعود الى ملوك السلالة الأولى المتأخرين وملكتين. وان فيها ستة قبور للملوك من السلالة الأولى، وفي مقبرة ابيدوس سلسلة متصلة من المدافن تعود الى ملوك هذه السلالة حتى ان بعض الملوك نصبين. وهناك اكثر من ثمانمائة قبر شيدت حول مدافن السلالة الأولى اعتباراً من قبر دجر فصاعداً وخمسمائة اخرى من زمن دجر، دجت ومريتينيث مرتبة في ثلاث صفوف على مسافة قصيرة من المقبرة الرئيسية لابد ان كانت لمرافقي وخدم الفراعنة. وان اكتشاف بضع آثار ثمينة من ذهب وحجر كريم يدل على ان ملكات ربما دفنت هناك. وعند الزاوية الشمالية الشرقية من سقارة كشفت اثنتي عشرة مصطبة كبيرة مشيدة من اللبن تعود للسلالة الاولى بعضها محاطه بقبور ملحقه حوت على غرف وجد بها هياكل بشرية. ولم يعثر في هذه على اي نصب ملكي وفي واحد منها عثر على نصب غير ملكي. ولانعرف من ام اصحاب هذه القبور ولكن محتوياتها وثرائها تشير الى كونهم من اصحاب المناصب الرفيعة. ولكن هل يقدر نبيل ان يشيد مصطبة تفوق ببنائها واثاثها الجنازي تلك للملوك؟ الجواب لا ولذلك فلابد وانها تعود للملوك والبقية لحاشيتهم. وتشير الادوات المدونة بأن مصطبتين منهما تعودان الى الملكتين مريت نيث وهرنيث وواحدة لكل من عحا، دجت دن وقع. ثلاثة الى دن، اثنان الى دجر وقع. وهناك مصاطب الى السلالة الأولى في مواقع نقادة، طرخان، الجيزة وابورواش. والمعتقد ان المصطبة الكبيرة في نقادة والتي كشفها ديمورغان سنة ١٨٩٧ كانت قبراً ملكياً لنعرمر او للملكة نيث حوطب او لموظف وجد اسمه مدوناً. وان المصطبتين المؤرختين لزمن قع بها ميزتان ربما تدلان على كونها ملكيتين. الاولى انها تحويان معبداً جنازياً يشبه في خطته واتجاهه الشمالي بالنسبة للقبر الهرم المدرج لزوسر. وفي هذا المعبد غرفة مبلطة بالحجر الجيري عثر فيها على

الاجزاء السفلى لتمثالين خشبيين في ثلاثة ارباع الحجم الطبيعي وهي آثار نادرة في تلك الفترة. والثاني القبر الفرعي الواقع بين المصطبة وجدارها الشرقي ويعود الى موظف كبير اسمه ميركا وجد نصبه على مقربة. فالمدفن ربما يعود الى ملك والالما دفن على مقربة منه في قبر بسيط موظف كبير ولم يكشف في مقبرة سقارة اي قبور الى الفرعونين برايب سن وخع سخم وي من السلالة الثانية اللذين عثر على قبورهما في ابيدوس. ولكن سخري وهو كاهن من السلالة الرابعة مدفون في سقارة يذكر في كتابه له بقبره بانه مراقب كهنة برايب سن. لما كان من الصعوبة تصور دفن هذا الكاهن بعيداً عن مركز عمله فلابد وان هناك قبر لبرايب سن في سقارة. كما اخبرنا سخري بانه تقلد نفس الوظيفة زمن سابقه الملك سند والذي لم يعثر هو الآخر على قبره في سقارة ولكن هناك قبرين تحت معبد الفرعون اوناس الجنازي ارجعا على اساس الطبعات الى الملكين الاولى للسلالة الثانية وهما رع نب وني نثر. ولم يكن لهذين الملكين او لسند قبور في ابيدوس. وتشير الادلة الى بناء الملوك لاكثر من قبر لهم في مقبرتين مختلفتين. وتحوي مقابر ابيدوس نصباً ذات قمم مدورة نعرف ان اصلها شمالي بينما يوجد في مقابر سقارة القبر ـ البيت وهو من طراز مصر السفلى. فربما كان للملك قبران واحد بمصر السفلى وآخر بالعليا بصفته ملك الارضين. وقيل ان مدافن ابيدوس قد شيدت لدفن الملوك الذين يمثلون الفراعنة الحاكين في عيد سد والتي نعرف عن انتشارها في المملكة الوسطى خاصه وان كثيراً من القبور التي عثر في ابيدوس تشير الى عيد سد وقليل من هذا النوع في مقبرة سقارة. وهناك قبر واحد لملكة في مقبرة ابيدوس يصعب تفسيره. واعتقد البعض ان المقابر الملكية هي في ابيدوس بينما مقابر سقارة خاصة بالاشراف. واقتنع آخرون ان مقابر سقارة الملكية هي لأجساد الملوك الحاكمين بينما قبور ابيدوس هي مقابر رمزية لهم. ولكن لماذا اختيرت ابيدوس لتكون موقع القبر الثاني خاصة اذا ارتبطت بعيد سد الذي كان يحتفل به في منفس. ولدينا ادلة عن دفن بعض ملوك مصر العليا في ابيدوس خلال عصر ماقبل السلالات او انهم تركوا قبوراً رمزية وبذلك يكون اختيارها من قبل ملوك السلالة الاولى مجرد استمرارية. ولكن لماذا تكون مقابرهم الرمزية او الحقيقية في ابيدوس في حين كانت عاصمتهم عند نخن. فاذا كان ماذكره مانيثو عن اصل ملوك السلالة الاولى من طينة (ثينيس) فهذا يفسر رغبتهم في الدفن قرب مسقط رأسهم. وربما كانت ابيدوس حتى في تلك العصور السحيقة مقدسة لأنها لم تتخذ مركزاً لطقس اوزيريس الا في المملكة

الوسطى وربما كانت خلال تلك العصور الأولى ذات علاقة بالاله المحلي خنتيا منتيو (رئيس الغربيين) حارس الموتى. فكون قبور ملوك السلالة الاولى في ابيدوس اكثر رجحاناً وذلك لوجود لوحات ملكية في مقابر ابيدوس لم يعثر على مايماثلها في سقارة ثم الحلي التي وجدت على ذراع بمقبرة جرفي ابيدوس ثم وجود القبور الفرعية الى جانب قبور ابيدوس بنسبة اكثر من تلك المحيطة بقبور سقارة والجيزة الخ (١٧٤ قبر حول مقبرة ادجو في ابيدوس بينما حوالي ٦٢ بجوار نظيرتها في سقارة).

وقد اثير جدل حول اصحاب هذه القبور الفرعية هل انهم من الحاشية او العبيد. علماً بان مقبرة نيت حوتب لاتوجد حولها مقابر فرعية وكذلك مقابر سقارة من عهد حور عحا مما آثار التساؤل عن احتمال انتشار عادة تضحية العبيد في الصعيد فقط. وان مقابر سقارة تحتمل حشد آثار جنازية اكثر مما تتسع له مقابر ابيدوس. فلذلك غدى احتمال كون قبور الملوك في ابيدوس اكثر رجحاناً.

واذا كانت مطابقة نعرمر مع منس صحيحة فان اسمه على صخرة بوادي القاش الى الشرق من طيبة تدل على ان منس او احد موظفيه قاد حملة الى الصحراء الشرقية لانعرف غرضها. وجاء في القوائم بعد منس-عحا الملك جر (دجر) الذي اكتشف له قبران في سقارة وابيدوس ويسميه مانيثو اثوثيس وينسب اليه كتاب في التشريح لانه كان طبيباً وقد حكم ٥٧ سنة وقرؤ اسمه في السابق خطئاً خنت واسمه كحاكم الى ثينيس كان اتيتي المشابه الى الاسم الذي اورده مانيثو. وكان ابناً لحظية اسمها جت. وتمتاز آثاره بالتقدم الفني. وسميت احدى سنوات حكمه (السنة التي دحر بها الستجيت) والتي قصد بها في تلك الفترة سيناء. كما وجد اسمه مدوناً على صخور جبل الشيخ سليمان قرب بوهن مقابل وادي حلفا كمنتصر على النوبيين مما يدل على اهتمامه بالمنطقة جنوب اسوان للتجارة وضمان امن الحدود الجنوبية ووصوله الشلال الثاني. وربما قاد حملة ضد الليبين. وفي زمن لاحق اعتبر قبره في ابيدوس مدفن الاله اوزيريس الامر الذي يعلل اصلاحه زمن الدولة الثامنة عشر. والغريب ان الزوار مازالوا يقصدون الموقع حتى الآن ويودعون جراراً ويسمون منطقته ام القعاب. ويحيط بقبر جر الرمزية في ابيدوس ٣٣٤ قبراً عثر فيها على سبعين لوحة جنازية غالبية اصحابها من النساء، حقيقة عللها البعض بذبح افرادها حاشيته عند دفنه كيما يقوموا بخدمته في القبر وهي عادة

مارسها المصريون القدامى لمدة طويلة. ونقرأ في بردية ابرز الطبية وصفة نسبت اليه لتقوية الشعر قيل انه وضعها لزوجته شيش من مركباتها مخلب كلب وحافر حمار وتمر مغلي. وتدل الاسورة الذهبية التي وجدت في مقبرته منها سوار مزين بافريز واجهة القصر فوقه مجموعة من صور الاله حورس (الصقر). ومن عهده بدأت عادة حلق الرجال لحاهم ولبسهم اللحى المستعارة بايام معينة. وقد وجدت في مقبرته بابيدوس ضفائر شعر.

تلاه الملك دجت (الثعبان) او ايتا (٣٠٠٧ - ٢٩٧٥ ق.م) الذي يفتقر عهده للتفصيلات التاريخية . ويمتاز عهده بالتقدم الفني نلاحظها في الآثار التي عثر عليها من عهده وخاصة اللوحة التي تحمل اسمه والموجودة الآن في متحف اللوفر وتدل على دقة الصنع. كما وجد اسمه منقوشاً على صخرة في الصحراء الغربية قرب ادفو مما يدل على ان المصريين كانوا يرسلون البعثات الى تلك المنطقة لاستغلال المحاجر والمناجم. وقد عثر على آثار من عهده في مقبرة عند نزلة البطران. وربما يعود الى عصره قبر المرأة مرينيث التي دفنت بقبر زود باثاث جنازي ثري ولايختلف قبرها في ابيدوس عن تلك للملك دجت او دجر. فقد دفن معها مرافقون وآخرون في مقبرة بجوار مقبرتها. وقد عثر على قطعة عاجية تحمل اسمها في قبر دجر بينما دون على طبعة جرة لها اسم كرمة دجت الأمر الذي قد يدل على ولادتها زمن دجر وقضائها فترة طويلة من حياتها زمن دجت وتوفت زمن خليفته دن. وقد اعتقد البعض كونها زوجة دجت وام دن او وصية رعت دن عندما كان قاصراً.

ان مقبرة جت (عنزتي، ادجو) اصغر من تلك لسابقه وعدد افراد حاشيته اقل. ونلحظ تقدماً في الكتابة الهيروغليفية زمانه. وكان بين الآثار التي وجدت في مقبرته مشط صور عليه حورس يعبر السماء (التي استندت على دعامتين) فوق قارب.

تلاه الملك دن (وعرف بالاسماء وديمو، زمتي، اوسافيس) : ومعنى الاسم زمتي الصحراوين والذي حرفه البعض الى حسيتي اي المقاطعتين الذي جعله مانيثو بشكل اوسافايس. ونعرف بانه قام بحملة ضد القبائل الرحل في سيناء الذين كانوا يغيرون على سكان الدلتا الغربية. ويظهر انه اول عاهل فكر في تنظيم مياه النيل وفيضانه في منطقة الفيوم، فقد فتح بلاده للتجارة الخارجية، وحصن المدن ونمى موارد البلاد وهو اول من حبس الاوقاف على المعابد. وكانت ارضية قبره في ابيدوس مكسوة بقطع من حجر الغرانيت وهي ظاهرة غريبة لان هذا الحجر لم ينتشر في مصر الابعد مدة طويلة من

عهده. وعزى اليه بعد موته بقرون تأليف فصل من كتاب الموتى وقيل انه اول ملك وضع قبل اسمه اللقب نيسوت بيتي (ملك الوجه القبلي والبحري). ووجدت له لوحة عاجية صور عليها تتويج الفرعون نراه الملك فيها وعليه التاج الابيض والأحمر. وباخرى صور جالساً على العرش فوق مقعد وباخرى يركض بين ست علامات موزعة في صفين عموديين. ومن عهده وصلنا لاول مرة الدليل عن عيد سد. وعثر على قبر ضخم في سقارة لزوجته مرت نيت (محبوبة الالهة نيت) الهة سايس بالوجه البحري وامامها لوحة جنازيه جميلة. ويعيد كوت هذه المرأة من الشمال الى ذاكرتنا اتخاذ منس لزوجة شمالية كاجراء سياسي لتوطيد العلاقة بين الارضين. وتوضح بعض الواحه غزواته فواحدة تصوره يقتحم حصناً ثم يجتاح مساكن الليبين وباخرى يهوى بصولجانه على رأس اسير وقد كتب عليها العبارة (اول مرة يضرب بها الشرق) ربما تدل على ضربه بدو الصحراء الشرقية بسبب تعرضهم للقوافل الذاهبة الى المناجم والمحاجر. وعثر في مقبرة ابيدوس على ختم ملكي دون عليه (الخاتم الذهبي لقضاء الملك دن) كان يستعمل دون شك لتصديق الاحكام. وان كثرة الموظفين في عهده يدل على تقدم النظام الاداري في البلاد.

كشفت سنة ١٩٣٦ في سقارة مقبره لموظفه حماكا وهي مصطبة كبيرة طولها حوالي ٥٧ متر عرضها ٢٦ متراً وارتفاعها ٣٫٥ متراً ومقسمه الى ٤٥ غرفة حوت الكثير من الآثار تدل على تقدم الفن كالاسلحة الصوانية واقراص حجرية ونحاسية وعاجية محلاة بالمناظر الجميلة وبعضها مطعم بقطع من المرمر والواح عاجية وخشبية منقوشة مع صناديق خشبية واكياس جلدية حوت اسلحة وسهام من الابنوس والعاج لها السنة من العظم والعقيق وانواع مختلفة من الاواني الفخارية مقفلة بسدادات طينية مختومة بختمي الملك دن وحماكا مع اواني مختلفة الاشكال. كما تعود لعهد دن مقبرة العمال التي عثر فيها على مجموعة من الاواني الحجرية تماثل ماوجد منها في مقبرتي دن ووزيره حماكا مع اسلحة صوانية ورؤوس سهام وادوات زينة. ومن زمانه صرنا نلحظ على الأدوات التاج المزدوج ثم اللقب (الذي يعود الى النحلة والبردي) ومعناه ملك مصر العليا والسفلى.

وكان دن ملكاً نشيطاً شجع الفنون والصناعات وطور الجهاز الاداري. ولنا خير امثلة من وزيريه حماكا وانخكا. وخلف دن على العرش ولده عدج ايب (عنز أيب ، عزب، مربيا پي، ميبيس، مربي بيا) من زوجة مرت نيت وربما تكون امه شمالية فدفعته الى

العرش مما يعلل بدء جدول سقارة باسمه. ونعرف ان الملك الذي خلفه (سمرخت) مسح اسمه واسم والده من آثار عدة ولهذا كانت مقبرته في ابيدوس فقيرة ومخلفاته قليلة. ولكن الملك الذي خلف سمرخت مسح آثار الأخير. واضاف عدج ايب الى القابه اللقب (الزعيان) الذي يطابق الفرعون مع الالهين حورس وستخ. وان وجود اسمه على راس اسماء الملوك في جدول سقارة جعل البعض يعتقد انه اول ملك سكن منفس. وربما دام حكم عدج ايب اربعة عشر عاماً وقد قام في السنة الثانية من حكمه بحملة ضد الايونتيو الذين يقال انهم سكان مصر الأصليين والذين هزموا على يد اتباع حورس فتفرقوا الى ثلاث جماعات الأولى قطنت سيناء والثانية الواحات الغربية والثالثة النوبة. ومن حكمه طبقت اول عملية احصاء في مصر. وجاء بعده في الحكم سمرخت (سميمپسيس، سمسم) الذي نراه في جدول ابيدوس بشكل كاهن ولقب بالضارب. وهو اول ملك يرد اسمه مدوناً على صخور سيناء مخلدة انتصاره على البدو في وادي مغارة وربما يكون الأول في سلسلة الملوك المصريين الذين ارسلوا بعثات تعدين النحاس في الصحراء. وفي صور وادي مغارة نراه ممثلاً في ثلاثة مناظر واحدٌ بالتاج الابيض يذبح اعداءه والثانية بالتاج الأحمر والابيض وامامه قائده الأعلى الأمر الذي يشير بان تلك البعثات كانت تأخذ صفة عسكرية

ان آخر ملوك السلالة هو الملك قع (قبح، سنمو) وقد عثر على آثار عدة له في قبر ابيدوس وسقارة وقد وردتنا الكثير من اسماء موظيفه وواجباتهم والتي القت ضوء على ادارة البلد آنذاك حيث عين موظفين لادارة شؤون الري وجباية الضرائب وحفظ السجلات الخ. وقد مسح اسم الملك الذي سبقه مما يدل على نزاع ضمن العائلة المالكة مما ادى الى ضعفها والقضاء عليها. وتوضح مقبرته في ابيدوس انهيار السلالة فحاشيته قليلة والمقابر المحيطة بقبره اقل من تلك لسابقيه. فعدد القبور المحيطة بمقبرته بلغت ٢٤ من نبلاءه في وقت كانت القبور المحيطة بمقابر الفراعنة عدج ايب، زمتي وجر ٦٤، ١٣٧، و١٧٤ على التوالي. ونعرف بان العمر قد امتد به ليحتفل بعيد سد الثاني في عهده.(٩)

السلالة الثانية ٢٨٨٣ ـ ٢٦٦٥ ق. م. : يقدم مانيثو تسعة ملوك الى هذه السلالة في الوقت الذي يبلغ عددهم احد عشر في قوائم الملوك **بينما نمتلك آثاراً لأربعة منهم** . واول ملوك السلالة حتب سخموي ومعنى اسمه (الأرضان في سلام) والذي قد يدل على

اضطراب ع في نهاية السلالة الاولى انتهى بقيام النظام الجديد. ولم يعثر على مقبرة هذا الملك بعد وربما يكون هو الملك الذي عرفه مانيثو باسم بويثوس وقال انه حكم ٣٨ سنة وذكر حدوث زلزال بتل البسطة زمانه مات نتيجته كثيرون ربما لقرب المكان من منطقة ابي زعبل البركانية. وقد عرف هذا الملك باسم حتپ الذي كتب بشكل بيدجو في قائمة ابيدوس.

فسر عدم العثور على مقابر بعض ملوك هذه السلالة باحتمال تفضيلهم مقبرة سقارة. وقد وردتنا لملوك السلالة اشارات لقصور شيدوها بعد السنة الرابعة من حكمهم ومعابد يشيدونها لالهتهم خاصة سوكر كبير آلهتهم. وترينا اختام موظفيهم التقدم الاداري. وهناك اختلاف حول ترتيب اسماء ملوك السلالة، فمثلاً هناك اتفاق حول الملوك الثلاثة الأوائل وهم (حتب سخموي، رعضب وني نتر) وهناك شبه اتفاق حول الثلاثة اللاحقين وهم پري ايب سن وخع وسخم وخع سخموي.

والملك الثاني هو رع نب (ومعنى اسمه رع الهي) والموجود نصب قبره في متحف المترو پوليتان والذي يقدم لنا اقدم مثال لاسم ملكي مرتبط باسم اله الشمس. ورع نب هو نفسه كاكاو في اثباتات المملكة الحديثة و كايخوس عند مانيثو، ويظهر اسمه تعلقه بالاله رع الذي ظهر الآن للمرة الأولى في اسماء الفراعنة. ويقول مانيثو ان عبادة العجول (ابيس في منفس ومنيفس في هليوبوليس وكبش منديس) بدأت في عهده. والواقع ان هذا النوع من العبادة بدأت، حسب معلوماتنا الحالية، في عهد زمني من السلالة الأولى. وقد عثر له على اختام في سقارة مما قد يدل بانه دفن فيها. وقد يكون هو او خليفته ني نتر قد حمل الاسم نينتجر الذي حرفه مانيثو الى بينتوثريس متتبعاً تحريف اثباتي ابيدوس وسقارة له حيث ورد على هيئته بنيتجرن وبنيتجرو. وجاء بعده نتر اين الذي عثر له على آثار قليلة ووجدت في الجيزة خمسة انواع مختلفة من اختامه. وتقرأ عن بنائه قصراً واحظاره لعجل أپيس في السنتين السادسة والرابعة عشر من حكمه. ويدعي مانيثو بان سمح بتخليف المرأة. وقد انتظمت الاعياد في عهده خاصة عيدي حورس وسوكر وصار الاحصاء العام يؤخذ كل سنتين. ويعني اسمه المنتسب الى الاله نتري مو. وقد عرف ايضاً باسم بانوت جرن. وتذكر حجر بالرمو بان سيطر على مدينتي شم رع وبيت الشمال.

وخلفه الملكان وينيكَ وسند اللذان لانعرف عنهما كثيراً. وقد عثر على بعض الاصص المدونة من عهد الأول تحت الهرم المدرج. اما سند فنعرف عنه اكثر من كتابة الكاهن سخري. وقد ذكر مانيثو الملكين بهيئة ودجنيس وسيثينوس، ويعني الاسم السابق (صاحب اللسان الأخضر) الذي ورد في القبطية ويت لاس. علماً بان وينيك هو اسم اله ورد اسمه كابن الى رع في نصوص الاهرام. ثم الملك برايب سن الذي حذف اسم حورس من القابه واستبدله بالاله ستخ. ويوضح ختم موظف اعتقاد الملك بان ستخ اله نوبت (اومبوس في محافظة قنا) اعطاه الحكم. وقد عثر على قبره في ابيدوس دونما قبور لحاشيته، وكلا الاجراءين متطرفين ولانعلم رد الفعل الذي تسبب في البلاد من جراء ذلك. وقد عرف باسم آخر هو أش وربما كان اسمه قبل ان يلي العرش سخم ايب پران ماعة. وربما كان هذا الملك من اسرة مالكة اخرى لاتمت لسابقيه وبالأصل من مقاطعة الاله ستخ مما يفسر تحوله لعبادة هذا الاله. وربما حكم الملكان برايب سنب وخع سخموي (خليفته) بوقت واحد الثاني في منطقة بين جبلين والشلال الأول فاذا كان هذا الافتراض صحيحاً فيدل على انفصام وقتي لوحدة مصر. علماً بان عثر في مقبرة بابيدوس على اسم ابنة الى برايب سنب حملت اسمه مع ابنة اخرى نقش عليها الاسم الحورسي (سخم ايب) يعلوه صقر حورس مما جعل البعض يفترضوا بان الاسمين لملك واحد حيث اتخذ في بداية حكمه الاسم الحورسي سخم ايب ثم غير اسمه الحورسي الى بر ايب سن بعد ان نبذ عبادة حورس واتخذ بدلها عبادة ستخ وغير اسمه الحورسي الى برايب سن يعلوه حيوان ستخ بدلاً من الصقر حورس. وقد ورد اسم سخم ايب على كسرات اناء حجري من منطقة سقارة وصف الملك بقاهر البلاد الأجنبية. ويرى البعض ان برايب سن قد اجبر على ترك الدلتا والعودة الى ابيدوس (أبجو) نتيجة ثورة الشمال ضده التي اخمدها خليفته.

وخلفه الملك خع سخم (ظهور القوة) ويعتقد البعض انه هو نفسه خع سخموي على اساس التماثل بين الاسمين وكونه قد اتخذ الاسم الثاني بعد ان اعاد وحدة مصر في عهد سابقه. وهذه النظرة لايمكن اخذها لانه عثر في نخن على آثار لكل من الملكين خع سخم وخع سخموي وعثر للأول على تمثالين في نخن مع ثلاثة اوان حجرية . ونراه بالتمثالين جالساً على عرش يرتدي تاج الجنوب ومزينة بصور لاعداء شماليين مذبوحين. وفي الانية

صور الالهة نخبت ربة الكاب تقدم رمز التوحيد الى خع سخم لابساً تاج الجنوب مع النص (عام ضرب الشماليين). مما يدل على استعادته للدلتا التي كانت خارجة عن سلطته حيث يظهر في آثاره السابقة لابساً تاج الجنوب فقط الى جانب عدم العثور على اي آثار له في سقارة. ونعرف بان خع سخموي قد اتخذ اللقب المزدوج حورس وستخ يعلو تمثيل الالهين الصقر حورس وحيوان ستخ خانة الاسم الحورسي للملك ويبدوان احياناً متقابلين وعلى كل منهما تاج الشمال والجنوب وغالباً مايتضمن السرخ الخاص بالملك اسمه الحورسي وهو نبوي حتب ايم اف (السيدان وهما حورس وستخ راضيان) وتوضح الادلة الاثارية انه سيطر على وجهي مصر. وجاءت مقبرته في ابيدوس على غاية من الضخامة لما حوت من اعمال النحت والبناء المتقدمة الصناعة والدالة على التقدم الحضاري زمانه وقد عثر في نخن على لوح حجري مهشم له تظهر منه ساق وركبة الملك وقد انغرست فوق اسير نوبي جاث على الارض وفوق راسه رمز النوبة واسفل المنظر العبارة (الذي يطأ على البلاد الأجنبية). ونعرف ان خع سخم قد غزى النوبة وقسم المنطقة التي كانت بيد ستخ بين اتباعه. يعتقد الكثيرون ان حپ ان ماعة زوجة خع سخموي هي والدة الملك زوسر مؤسس السلالة الثالثة الذي يستبعده آخرون بدليل ان لو كان ذلك صحيحاً لما كانت هناك حاجة لقيام سلالة جديدة الا اذا كانت حپ ان ماعة ليست بزوجة شرعية وان خليفة خع سخم كان ابن زوجة شرعية او غير شرعية اخرى . فضلاً عن وجود مايدل بان حپ ان ماعة كانت ابنة لخع سخم وبذلك ربما قد تزوجت من والد زوسر اضافة الى ذكر نخروفس الذي يؤمن البعض بكونه والد زوسر وزوج حب ان ماعة ابنة خع سخم. وعثر في جبيل بلبنان على قطعة من حجر البرشيا تذكر اسمه. وان مقبرته ذات الابعاد ٣٠ × ١٧ قدم وعمق ٧ قدم شيدت من الحجر الجيري الذي كان حسب مايظهر شائعاً في السلالتين الاولى والثانية كما يستدل من قبور بعض الافراد التي كشفت في الخمسينات بحلوان(١٠).

حضارة العصر الثيني: ان ماستحدث في عهد هذه السلالة من تقاليد ظل على ماهو عليه في كافة مراحل التاريخ المصري القديم امثال طرز الملابس والكتابة الهيروغليفية. وتدل مكتشفات المقابر الكثيرة على تقدم حضاري، علاقات قوية مع الخارج وثراء كبير. فالملك كان مقدس . فكل ملك كان يلقب بحورس عدا بربب سن وخع سخموي اللذين اتخذا لقباً مقدساً آخر. ومن الصعوبة معرفة بدء الوهية الملك المصري وربما ادرك المصريون عظم انجاز التوحيد الذي عجز الملوك السابقون عن تحقيقه فنظروا الى الملك الذي حققه نظرة مختلفة وجعلوه بمرتبة فوق تلك للبشر. وكان الحاجز بين الالهة والبشر ضعيفاً فسرعان ما اعتبر هذا الملك الهاً خاصة بعد ان رأوا ماجر عليهم التوحيد والسلام الذي اعقبه وربما كانت مياه النيل تفيض بانتظام الامر الذي جر على البلد الرخاء والثراء اللذين عزوها الى حكم البلاد من قبل اله بهيئه البشر.

وبدأ الاحتفال بعيد التوحيد الذي ذكرناه وكذلك بعيد سد الذي يظهر به الملك بعد مضي ثلاثين سنة كانه ملك جديد للشمال والجنوب. وربما كان الاحتفال بهذه الفترة اقل من ثلاثين سنة وكانت سنة الاحتفال تعتبر تاريخاً ثابتاً يؤرخ به. ثم عيد حورس الذي يمثل الاله فيه الملك (بجسم حورس) ويحتفل به كل عامين. ثم عيد ولادة الآلهة سكر اله سقارة ومين اله قفط وانوبيس والربه سشات الهة الكتابة. وكانت هناك احتفالات عند وضع اساس المعبد.

وصل الينا الكثير من اسماء ملكات كثيرات من هذه السلالة مثل نيت حوتب، مرت نيث، هرنيث، خنت هاب وبت رست والدتي (دجر وسمر خت. وان حقيقة ذكر اسماء الامهات ربما تدل على ان حق الخلاقة كان (في بداية التاريخ المصري) ينتقل من الملكة الام التي لقبت (موحدة الأرضين، التي ترى حورس وستخ، ام اطفال الملك). ونرى في الصور رسوم اميرات يصحبهن احياناً معلميهن.

عاش الفرعون في قصره الخاص المشيد من اللبن والذي لم يكتشف اي قصر منها حتى الآن وقد مثلت واجهة قصر على لوحة الملك الثعبان يتألف من

بابين ضخمين يدلان على مصر العليا والسفلى يحيط بها اعمدة خشبية عالية. والغالب ان واجهة القصر الاولي قد صورت في السرخ الذي يكتب داخله اسم الملك الحورسي. وجرت العادة ان يشيد كل ملك له قصراً في السنة الرابعة من حكمه (بعد عيد سد).

كان الملك يقوم على رعاية الآلهة ورعاية طقوسها واعيادها التي يحضرها كاله. وكثيراً ماكان يزور المعابد وعليه واجبات تجاه شعبه دنيوية واخروية. ففي الحياة الأخرى كان يعتبر الوسيط بين الناس والآلهة وهو الذي يحميهم. وكان رجال بلاطه وحاشيته يحرصون على ان يدفنوا قرب قبره ليكونوا على مقربة منه في الآخرة وملأوا مقبرته بكل غال ونفيس.

وكانت تقع على كاهله واجبات حماية البلد من كل معتد وطامع ويؤمن رفاهيته بحفر القنوات وتشييد القناطر ويحرص على تطبيق العدل. ويقال ان نماذج القوارب التي وجدت في المقابر وتدل على معرفتهم بالاله رع وحرصهم على التنقل معه في رحلته حينما ينزل الى العالم السفلي عند الغروب كان قاصر على الفراعنة.

كانت الملكية في العهد الثيني ثابتة الأساس فالملك اله وسمي بالاله الطيب وقصره البيت العظيم (برعا) التي اشتقت منها كلمة فرعون - يرأس موظفين مختلفين الدرجات وصلتنا الكثير من اختامهم التي تتضمن القابهم. ويعتقد ان منصب الوزير كان موجوداً في هذا العهد بدليل وجود شخصية صغيرة خلف الملك لابساً جلد فهد مع الكلمه وزيره والمعروف ان اول وزير نعرفه كان كانفر من عهد سنفرو احد فراعنة السلالة الرابعة. وكان يعاون الملك حاملا ختمي مصر العليا والسفلى يشرفان على الخزينة المشتركة للوجهين. والادارة كانت مزدوجة حيث هناك نائبين للملك في نخن وبوتو تلحق بها دوائر حفظ السجلات. ونستدل من الالواح العاجية ان الملوك كانوا يدونون الحوادث المهمة كتابة سنة بعد اخرى. ويبدو من لقب حاكم المقاطعة وكان في هذه الفترة (المشرف على الترع) انه كان موظفاً مسؤولاً عن شق الترع التي كثر شقها الآن وصيانتها. ونعرف عن الاحصاءات التي كانت تجرى كل سنتين واستخدمت لاحتساب سني حكم الملوك. كما كانوا يدونون ارتفاع النيل كل سنة وحوت كل عاصمة مقاطعة مجلس يدعى زازات مكلف بالقضاء مما قد يدل على احتمال وجود عرف قانوني. ووصلنا من نهاية السلالة لقب قائد مما

يشير الى وجود نوع من الجيش غير النظامي . وكان ساعد الملك الايمن (رئيس اسرار الاوامر الملكية) وجمع من الناسخين وحق حامل نعال الملك. ومن زمن خع سخموي جاء منصب ناظر البلاد الأجنبية . وكانت هناك مصلحة للحقول منذ بدء السلالة الثانية.

سكن صحراء ليبيا جماعة دعتهم المصادر المصرية تحينو والى الجنوب بلاد النوبة (تاستي) وكان سكانها طوال القامة بشعر مجعد او مرسل وهم منتظمون في قبائل عدة مثل واوات، ايرثت، يام ومازوي. ويظهر ان الليبين في العصر الثيني كانوا من رس مماثل لليبين. واستخدم المصريون النوبين في الجيش والحراسة . وكانت بلاد النوبة غنية بالذهب من ناحية والطريق الموصل الى الجنوب حيث العاج والأخشاب وجلود الحيوانات.. ودلت الآثار المكتشفة في جبيل بلبنان على وصول المنتجات المصرية الى هناك فقد عثر فيها على كسرة اصيصة حجرية تحمل اسم خع سخموي وتمثال لقرد وخرزة ذهبية وقطعتي لعب وصلاية بشكل طير جلبت كنذور الى سيدة جبيل (الالهة المحلية) من قبل تجار مصريين، ربما جاؤوا لاستحصال زيت الارز الذي نقرأ عنه في كتابات للملك عدج ايب. ثم اواع مختلفة تعرض صفات سورية في النقوش والشكل ربما جلبت فيها انواعاً من الزيت. وان الاكتشافات في جبيل تشير الى وجود تجارة بحرية. وفي سيناء كان هناك الحريوشع (ساكنوا الرمال) ومنهم العامّو والمنتيو الذين كثيراً مانقرأ عن اغارتهم على مصر ونعرف عن صد الملوك دجر ودن لهم.

ومن الناحية الدينية فان اختيار منفس كعاصمة رفع شأن الهها پتاح الأمر الذي يبرر مايقوله مانيثو عنه بانه اول حاكم الهي لمصر، وظلت ابيدوس (ابجو) مقدسة وصارت أيون مهمة حيث برع كهنتها في الفلك . فعند التوحيد كان لمصر نظام ديني متكامل . وربما كانت اعلام المقاطعات التي هي رموز لحيوانات ونباتات تمثل أقدم الألهة المصرية. وكان كل مدينة لها الهها الخاص الذي ينسبون اليه خلق الكون والبشر. ولما تم التوحيد صار اله العاصمة هو الرئيس وتبعه الألهة الباقون كافراد اسرة واحدة. وبدراسة الدين المصري نرى انه اتخذ شكلاً عاماً يتفق والحياة الهادئة والنمط البيئي الذي فرضته الطبيعة والمناخ. وكان للشمال والجنوب الهته التي تحميه. وان الحيوية في الدين المصري واضحة في تقديس عناصر الكون المختلفة والنيل الخ. والاساس الطوطمي نراه في الآلهة التي اظهرها المصري بشكل بشر برؤوس حيوانات والتي فسرها البعض بانها صارت كذلك عندما

تحولت الآلهة العامة الى محلية واخذت تتقرب الى الانسان بالشكل وان احتفظت برأس الحيوان اوبرمز يذكر بأصل المعبود. واخذت بعض الآلهة اشكالاً أدمية مثل أتوم في ايونو (الذي رأى كاتب فيه آدم الكتب المقدسة) وعمون في واسة وپتاح في منفس. وصارت بعض الآلهة المحلية عامة مثل حورس ذو الأصل الحيواني الذي صار ملك السماء وعيناه الشمس والقمر. ويظهر ان هذا التحول عاصر فترة توحيد وجهي مصر مما ادى الى بروز حورس الافق (رع حور اختي) في ايونو (هليوپوليس). وبقت آلهة اخرى محتفظة بعنصرها المحلي رغم تقديسها في جميع مصر وهي الآلهة ذات عالمية الوظيفة مثل خنوم خالق البشر على دولابه الفخاري وطحوط اله العلم وپتاح اله الفنون وسشات ربة الكتابة وحقات حامية الحوامل.

تركزت حول اومبوس عبادة الاله ستخ الذي وصل حداً من الرفعة خلال حكم بعض ملوك السلالة الثانية بحيث صار الاله الرسمي للملك. وان اكتشاف قوارب جنازية ملحقة بمقابر سقارة وحلوان اوضحت بان الاعتقاد | بمرافقة الموتى للآلهة في رحلتهم اليومية عبر السماء كانت ثابتة في عهد السلالة الأولى مما يدل على احتمال رجوعها الى عهد سابق. وكما ذكرنا فان اله ايونو (رع) رب الشمس برز له عند بدء التوحيد منافس قوي الا وهو الاله حورس اله نخن رب السماء. فحصل التوفيق بين الالهين الذي ادى الى ظهور الاله المركب رع حور اختي . ثم قرن الفرعون بالاله حورس وصار ابن رع بنفس الوقت، وقد حدثت هذه خلال فترة السلالة الثانية. وارتفع شأن پتاح بالتوحيد ويقول مانيثو ان منس شيد معبداً له في منفس ونقرأ في حجر پالرمو الى الاحتفال بعيد الاله سوكر رب مقبرة منفس وهو وجه آخر للاله پتاح.

عرفتنا مقابر حلوان عن ظهور عبادة الاله اوزيريس خلال العصر الأركي (الثيني) هذا، حيث وجدت الرمز المسمى دد الخاص به وعلى مايمثل عقدة العصابة لزوجته ايزيس (ايزة) في مدافن من السلالة الأولى. فهذه العبادة ترق الى عصور ماقبل السلالات حيث بدأت كعبادة لمظهر من مظاهر الطبيعة ثم تطورت الى عبادة ترمز للملك المتوفى. وربما تشير قصة صراع الالهين الأخوين اوزيريس وستخ الى منازعات قديمة محلية ربما بين الشمال والجنوب. ونعرف ان اوزيريس أخذ مكان الاله عنجتي في بوصير وصارت ريشتي تاج الأخير وعصاه رمزي اوزيريس. كما برزت عبادة انوبيس (اينوپو، الانسان برأس ابن آوى) رب الموتى وحامي المقبرة وذكرت اعياده منذ السلالة الأولى . اما پتاح فيصعب معرفة معني اسمه (فاتح، مشيد، ناحت) وربما يكون اسمه ذو جذر جزري.

ثم الهي منفس الآخرين العجل ابيس والصقر المحنط سوكر، اللذان وصلتنا احتفالاتهم منذ السلالة الأولى. وكان للالهة نيث خلال المملكة القديمة مزاراً في (منفس) سمي (شمال الحائط) تميزاً له عن مزار پتاح الذي اطلق عليه (جنوب حائطه) الذي يعزى تشييده الى منس. ولكن نيث مرتبطة في جميع العصور مع بلدة سيس في غرب الدلتا حيث معبدها المسمى (بيت النحلة) والتي تبنى تاجها الملوك ليرمز الى مصر السفلى، واتخذوا لقب (الذي يعود الى النحلة). وكل هذه مع دخول اسمها في اسماء بعض ملكات السلالة الأولى يدل بانها كانت ذات مركز محترم خلال الاسرتين الأولى والثانية وكان لها مركز رفيع في عصر ماقبل السلالات. ثم الاله ثوث اله المقاطعة الخامسة عشرة لجنوب مصر. والاله أكر الذي صور على شكل مقدمي اسدين متلاصقين من الخلف واعتقدوا ان رع يدخل فم احدهما مساء ويخرج من فم الآخر وهو الاله الحارس للافقين. وان عبادة عجل ابيس في منفس قديمة سبقت التوحيد مثل دون شك الخصب والقوة وصار تجسيداً للاله پتاح. وذكر كلوديوس ايليا نوس من القرن الثاني ان عبادته ظهرت في عهد منس وان تمثيل الملوك على هيئة ثيران قوية وارتباط هذا الثور مع پتاح يؤيد زعم هذا الكاتب. والاله حرشف (حرسافس) الكبش المقدس معبود هركليوپوليس قرب اهناسية. الذي ذكر في حجر پالرمو ضمن احداث السلالة الاولى. وكان اسمه (الذي فوق البحيرة) والتي ربما تدل على ان معبده كان عند المدخل المؤدي الى منطقة بحيرة الفيوم. ثم ربة السماء حاتحور التي زينوا رأسها الآدمي بقرون بقرة وعرفت بزوجة حورس في هذا العصر وصورت احياناً على شكل امرأة برأس بقرة مما يدل على تصوير المصريين للسماء على شكل بقرة. ولا نعرف السبب الذي مثلت بسببه بقرة السماء الشمس او عين الشمس التي تحملها هذه الربة بين قرنيها ولذلك سميت حاتحور نفسها بعين الشمس ثم صارت سيدة الالهات والهة الغرب (حيث تختفي الشمس) التي تقف خلف جبل عال وتسمح للشمس والموتى بدخول العالم السفلي. كما صارت ربة الحب والهة الطرب وصار النساء يحرصن على خدمتها واحياء الحفلات لها. كما صورت كالهة حرب ربما بسبب اسمها عين الشمس التي تكافح اعداء الاله رع وصوروا لها طفلاً سموه ايحي يجلس في حجرها وحتى اعتقد المصريون بالعصور اللاحقة أن لها اطفالاً كثاراً اسموهم الحاتحورات السبع اللاتي يفرحن حاتحور الالهة بالرقص والموسيقى ويحمين البشر ويتنبأن بكل مولود جديد. وكانت مصر العليا هي موطن حاتحور التي سميت في اطفيح (الاولى بين البقرات) وسميت في معبد جنوب معبد

بتاح في منفس باسم سيدة الجميزة مما قد يدل على كونها بالاصل شجرة مقدسة. وبلغ تقديس المصريين لها في العصور المتأخرة ان صاروا يطلقون اسمها على كل معبودة اجنبية.

كما اقترن اسم خنتي امنتي اله الموتى في ابيدوس بالاله اوزيريس. ومثلت الالهة ماتيت على شكل لبوة في اختتام السلالة الأولى وكانت الهة نخن وثيس. وذكر اسم مفدت ضمن احداث السلالة الاولى في حجر پالرمو وصورت في العصور المتأخرة بشكل امرأة بجلد قطة واعتبرت الحامية ضد لدغة الافعى. وعبد الاله مين في المنطقة بين اخميم وقفط في النهاية الغربية لطريق وادي الحمامات وبين طيبة وارمنت، وقد مثل واقفاً وفالوسه منتصب وفوق راسه ريشتان عاليتان، رافعاً يده اليمنى وممسكاً بسوط. واعتبر رب الاخصاب وتذكر اسطورة تخصيبته امه وهو اله خصوبة الارض واله البلاد الاجنبية الشرقية وعبد في المناطق التي يقترب النيل بها من البحر الأحمر. وهو اله المسافرين الذي يحمي القوافل الذاهبة الى الجنوب والشرق. وصار رب الصحراء الشرقية صاحب اللازورد والكحل والحناء وسيد كل البلاد الأجنبية وكان له مكانة سامية في بلاد النوبة. وقد عثر على تماثله في اساس معبد قفط من هذه الفترة صورت على حزامه اصداف وافيال وجبال وكلها مظاهر يتعرض لها المسافر في طريق قفط - البحر الأحمر. ثم الالهة نخبت ربة هيراكونپوليس ثم صارت حامية الصعيد وصورت على شكل امرأة برأس نسر على راسه التاج الابيض . وكان سد رب الموتى حيث ذكر في حجر پالرمو وربما له علاقة بوپ واوت حيث صور كابن آوى على شعار المقاطعة . ثم الاله طحوط حامي الكتاب واله القمر الذي يقسم الزمن وينظم التوقيت الذي يقف بجانب رع على سطح سفينته ليخبره باحوال الدولة وهو قاضي الالهة في السماء واله الفأل والكتابة اما سشات فهي في الأصل الربة نفتيس التي تسجل اعمال الملوك وتكتب اسماءهم على شجرة بمعبد هليوبوليس وهي ربة العلم والكتابة وغدت هي التي تسجل اعمال الرجال والالهة واعمارهم على اوراق شجرة السماء. ورمزها نجمة فوق عمود عليها مايشبه القرنين. وقد بدأت عبادتها في بداية العصر الثيني حيث مد كهنتها الخيط لقياس الارض من اجل التخطيط لخارطة معبد. ثم الالهة باستيت ذات راس القطة لمنطقة البسطة وسوپد لصفت الحنا في شرق الدلتا وسوبك الاله التمساح لمنطقة الفيوم. وهناك آلهة من المرتبة الثانية هم مفدت وخرتي الاله الكبش الخاص بليتوپوليس ونسر الاله السمكة واسخ برأس حيوان ستخ. اما عن وجود طقس الشمس في

هـذه الفترة فنجـده في اسم الملـك رع ـ نب الـذي يشتمـل على اسمي رع وستـخ ثم لقب كاهِن هليوپوليس الأعلى وهو (كبير المشرفين).

لم يعثر على اي نصـوص دينيـة من العصر الثيني الى حـد الآن وان معلـومـاتنـا عن الفترة مستمـدة من الكتـابـات التي جمعت من بين نصوص الأهرام من السـلالتين الخامسـة والسـادسـة عن ممـارسـات واحـوال لم تعـد مطبقـة ومتبعـة واللقب الكهنـوتي (نـاسـخ كتـاب الالـه) الـذي وجـد مـدونـاً على اصص بـدايـة هـذا العصر. ولكن الادلـة المـاديـة خـاصـة محتويـات القبـور امـدتنـا بـادلـة وافرة. فمقـابر هـذه الفترة كانت على نـوعين : حفر بـاحجـام مختلفـة والبنيـة الـداخليـة تعلوهـا اكـوام دائريـة أو بيضـويـة من الصخر او الحصى. ثم المصـاطب المشيـدة من اللبن ووضع فيها ماعتقـدوا بحـاجـة الميت اليـه من الأدوات المماثلـة للمستعملـة في الحيـاة. وفي غـالبيـة القبـور وضـع الميت بصـورة معقـوقـة ملفـوفـاً بحصيرة قصب أو في كتـان على جهتـه اليسرى مـواجهـاً الشرق. وقد كان الـدفن في السـابـق ان يـوضـع الميت على جهتـه اليسرى مـواجهـاً الغرب. وتـوضـح مـدافن الحفر الكبيرة بـانها شيـدت ربمـا على شكل بيوت. وربمـا اعتبرت المصـاطب في بـدايتهـا كبيوت للمـوتى وربمـا كانت هـذه تراثـاً لمصر السفلى كما يتضـح من مصـاطب السـلالـة الثـانيـة في سقـارة التي شملت على شقـق مثلت امـاكنـاً للحـاشيـة وحتى اصطبلات للمـاشيـة ومرافق. ووضـع الميت في غرفـة نـوم واحيـانـاً في تـابـوت خشبي على شكل دار وراقـداً مرات على فراش. وقرب الجسم وجبـة طعـام كاملـة في صحـون فخـاريـة تشمـل على حبـوب، لحم، سمـك، حلـويـات وفـواكـه وجرة خمر. وكميـات كبيرة من هـذه خـزنت في امـاكن اخرى من القبر في وقت تـوضـع فيـه مـايجليـه اهـل المتـوفي من الاطعمـة في الحنيتين الكبيرتين بـالجـانب الشرقي من القبر . وهنـاك عـادة وضـع رؤوس ثيران من الطين مـزودة بقرون حقيقيـة بمصطبـة حجريـة في اسـاس واجهـات القصر لبعض مصـاطب السـلالـة الأولى عنـد سقـارة. وفي نهـايـة السـلالـة الأولى ربمـا ادخلت النصب الى المصـاطب لتعـوض بـالطرق السحريـة التجهيزات المجلـوبـة وظـل راس الثـور وروؤس الطيـور والغـزلان على رأس قـائمـة العطـايـا الجنـازيـة. وان وجـود القـارب الخشبي مـدفـونـة في حفرة قرب بعض مصـاطب سقـارة وحلـوان وابـورواش تـدل بـانهم اعتقـدوا برحلات يقوم بهـا الموتى لحضور الحفلات. واذا كانت المقـابر الملكيـة في سقـارة رمـزيـة فـلابـد وانهم اعتقدوا بان ارواح اصحابها لها القـدرة على الـذهـاب الى هنـاك من سقـارة وهي مسـافـة تقدر بحوالي ثلاثمائة ميل.

صارت الأقبية في القبور منذ عهد السلالة الثانيه على عمق اكبر ربما لتوفير الامن والدوام ونحتت في الصخور الصلبة وتؤدي اليها بسلالم. ومدخل القبو يوضح احياناً داخل البناء العلوي او في داخله وآنذاك يوصل للسلالم من بئر محفورة في البناء العلوي. وكانت مقابر الملوك والوجهاء محاطة بجدران خارجية ذات دخلات وطلعات ربما شيدت لحماية الميت من قوى الشر. وظهرت اللوحة الدينية في مقابر ابيدوس الرمزية ابتداء من السلالة الاولى ثم تسربت الى المدافن الاهلية حيث وضعت على واجهة المصطبة الشرقية وجانبي باب الدخول. وكان يحفر فيها بالاصل اسم الميت والقابه ثم اضيفت لها فيما بعد صيغة ورسوم القرابين وصوراً بشرية تمثل المتوفي واسرته.

لقد اعتقد المصريون بان دوام البقاء يعتمد على بقاء الجسم او على الاقل تمثال الميت الصخري او الخشبي الذي تحل به الروح عن طريق السحر عندما يتلف الجسم. وفي السلالة الثانية عرف المصريون طريقة حفظ الشكل الخارجي للجسم بوضع تحت اللفائف التي تلف بها الأعضاء المختلفة للميت، لفائف تخينه من الكتان منقعة في مادة راتنجية ومعمولة على اشكال مناسبة. ولابد أن كانوا يتلون الصيغ السحرية لبقاء هذه الأعضاء الى جانب وضع التماثيل الخشبية بحجم الانسان الطبيعي احياناً ضمن الأثاث الجنازي. ولكن مثل هذه لم يصل الينا منها الآن الاالقليل مما جعل البعض يعتقد بانها كانت امتيازاً خاصاً بالملوك. وقد سبق ان تحدثنا عن دفن النبلاء والحاشية حوالي قبر الملوك.

لقد حصل المصريون منذ اقدم عصورهم على صخور الحجر الجيري الابيض من محاجر الجبال الشرقية عبر النهر من منفس. وفي المقبرة الأولية من حلوان استعملت القطع الصخرية الكبيرة المصقولة في غرف الدفن بالنصف الثاني من السلالة الأولى. وعثر في سقارة على حفر واسعة في الصخر حوت اماكن الدفن تعود احداها الى الملك جر استعمل فيها الصخر وسقفت بقطع صخرية. وادخل السلم في عهد الملك ويديمو حيث حفرت حفرة الشقة المركزية الكبيرة عميقاً في الصخر ونحتت جهات الغرف الثلاث في الصخر. وردمت الباب بقطع الصخور الكبيرة حتى احدى الغرف الجانبية. واستعملت قطع الغرانيت في تبليط غرفة دفن الملك ويديمو في ابيدوس. واتقن الصناع الآن قطع الحجر الصلب الى اوان مثل الطاسة من حجر الشست التي عثر عليها في قبر سابو - بسقارة من زمن عنزيب. ومن زمن خع سخموي وصلتنا المنحوتات الغرانييته والذي يذكر حجر پالرمو تشييد معبد صخري زمانه. ومن زمن جت ورد نصباً مدور القمة من ابيدوس. وان غرفة دفن خع سخموي من ابيدوس محاطة ومبلطة بالحجر

الجيري. وعثر في ابيدوس على بنايتين لبرب سن وخع سخموي محاطة بجدران خارجية وبنايات في الداخل اطلق عليها قلاع وقد تكون تقليداً لمقر الملك ربما كان الفرعون يسكنها عند زيارته للمقبرة مع حاشيته ان لم تكن لاستعمال الملك في الحياة الاخرى. والى الشرق منها قبور مستطيلة كبيرة للملوك جر وجت والملكة مرنيث.

يعتبر معبد خنتيمنتيو (المقدم بين الغربيين) اهم مزار في العصر الثيني يتم اكتشافه لحد الآن. وهناك افتراض بان العقادة المشيدة بالطابوق قد ابتدعت في الدلتا خلال عصر ماقبل السلالات - وبالواقع ان العقادة الطنفية عرفت في مصر العليا خلال السلالة الثانية. وان القوس والعقادة البرميلية عرفت بمصر خلال السلالة الثانية ايضاً. وقد شيدت فوق حفرة دفن بسقارة زمن عنزيب بناء مدرجّ مستطيل من الطابوق. ثم اضيفت مصاطب حول هذا البناء المدرج الذي غطي كله أخيراً بالرمل والحصى مكوناً مصطبة ارتفاعها سبعة اقدام. وقيل ان المصاطب من هذا النوع في سقارة يصل ارتفاعها الى ١٧ قدم. وربما ان جميع او بعض العمل على المصطبة ذات القطع البارزة وغرف الخزن العليا قد شيدت بعد الدفن بنفس الوقت الذي بنيت به القبور الفرعية للحاشية. ثم القبر المنسوب الى الملكة هرنيث في سقارة الذي يحوي على سلماً في حفرة القبر بالممر المنحدر من الشرق. وشيد فوق الحفرة ركاماً مستطيلاً منحدر الجوانب مغطى بالطابوق. واول تغطية لحفرة الدفن محاطة بمصطبة ومخازن فوقها.

وتظهر مهارة الصناع في الأثاث المكتشف والحلي والاصص الحجرية. ففي قطعة مدورة نرى كلبين يهاجمان ثلاثة غزلان تمكن احدهما من الامساك بفريسته. ثم قطع الاسرة، الكراسي والدواليب من ابيدوس وسقارة التي تدل على ترسخ الاشكال والزينة. وان قطعة من غطاء صندوق صغير من ابيدوس هي خير مثال لنماذج القصب المتشابكة المستعملة في العمارة والأثاث. وعثر في قبر الملك جر على اربعة أسورة على ذراع يحتمل كونها لزوجته. ووجد في قبر بنجع الدير في ابيدوس طوقاً ذهبياً على راس جسم مع اساور ذهبية وخرز وتمائم ذهبية.

وفي النحت وردتنا امثلة عدة فهناك شاهد الملك جت الذي نرى فيه الصقر فوق اسم الملك الذي كتب بعلامة الثعبان فوق مايسمى بواجهة القصر هي عبارة ثلاثة اعمدة. ورغم قلة الصور التي وصلتنا من العصر الأركي فان قواعد الرسم المصري حسب مايظهر قد استقرت خلال هذا العصر امثال حرص الفنان على اظهار الشخص الرئيس وابرازه في

حشمة ثم تقديم الذراع والساق البعيدتين عن الناظر حتى لاتتقاطع اعضاء الجسم في شكل غير مناسب، الى جانب تصوير الاشخاص من أهم صفاتها البارزة. ومن هذه تمثيل الشخص جانبياً ولكن بعين وكتفين من الامام وبقدمين من جانبها او رسم الثور جانبياً وقرنيه من امام.

وصلت الينا من العهد الاركي تماثيل صغيرة عاجية تدل على كفاءة عالية في تمثيل ملامح الاشخاص، فقد مثلت النساء بملامح دقيقة وشعور متموجة وقامات رشيقة. الى جانب تماثيل صغيرة عاجية لاسد وكلب لاتقل روعة عن سابقاتها. وعثر على تماثيل من الحجر تدل على ماوصل اليه الفنان من مهارة في نحت الاحجار سواء الرخوة او الصلدة. ومن هذه تمثالان كبيران للملك خع سخموي في متحف القاهرة يمثلان الملك برداء طويل وقد اجاد الفنان في ابراز ملامح الوجه وبعض التفاصيل الدقيقة مثل مؤق العين والخد وتظهر على الوجه الجدية وهو جالس بوقار ويده اليمنى على ركبته واليسرى على بطنه وهو بتاج الجنوب الابيض الذي تبرز منه الاذن. والتمثالان نصباً في مزار قديم بنخن لتخليد انتصار على ثوار شماليين نظراً لوجود صور رجال مذبوحين وحزمة بردي تخرج من راس احدهم وارقام تؤشر عدد القتلى. وان هذين التمثالين هما احسن منتجات العصر الاركي في النحت. وفي متحف برلين تمثال مرمري لقرد صنع راسه بكل مهارة وهو منسجم الاجزاء. وهناك تمثال من نخن يتميز بان ساقه اليسرى تتقدم اليمنى قليلاً قد يدل على اسلوب مستحدث ظل مستعملاً في النحوت المصرية. وهناك تماثيل الاسود الفخارية الجيلة الصنع الموجودة في اكسفورد وتمثال فرس الماء المرمري المحفوظ في كوينهاغن وكلها توضح مهارة الصنع. ونرى فرقاً بين تماثيل الافراد وتلك الخاصة بالملوك. ويرجع الفرق الى الاختلاف في العمل والذوق الفني والصفة الاستعراضية التي تتصف بها تماثيل الملوك ومرافقيهم. فتماثيل الافراد كانت ذات صلابة راسخة وصنعت تماثيل الملوك لغايات معمارية وتعمل على ابراز سمة البساطة والعظمة التي تبدو عليها المعابد وشخصية الملوك.(١١)

ان اهم انجازات العصر الثيني هو الكتابة الهيروغليفية التي نظر اليها المصريون بقدسية واعتبروها من ابتداع الاله طحوط وبذلك دخلنا العصور التاريخية وصارت الكتابات هي مصدر معلوماتنا الأساسي المهم. وهي في الأصل كتابة تصويرية. وتمثل علامات الكتابة الهيروغليفية حيوانات ونباتات مصر وادوات سكانه ومنشآتهم مما جعل البعض

يعتقد بانها لابد ان كانت مصرية غير ان غالبية الباحثين يميلون بانها نتيجة تأثير عراقي. وقد بدأت بسيطة سهلة واستبدلت الكلمة الصعبة الكتابة كلمة اخرى يمكن تصويرها تشابهها في النطق. فاذا اراد مثلاً ان يقول عظيم (ور) رسم عصفور الجنة الذي اسمه (ور) وكلمة خبر (حشرة) تشابه خبر (الفعل يصير). ثم استعمل المصريون كلمات قصيرة لاتتضمن على اكثر من حرف واحد ساكن فمثلاً الرمز الذي معناه فم استعمل لكتابة حرف الراء وزت (افعى) استعملت لكتابة حرف الزاي، ش (بحيرة) لكتابة حرف الشين الخ.

ويدل ماورد من السلالة الأولى بان الكتابة الهيروغليفية قد اكتملت خصائصها الاساسية في هذا الوقت وقد لازمتها طوال العصور اللاحقة. وفي عهد السلالة الثانية بدأ الخط الهيروغليفي يتخذ شكله الأخير ونظام علاماته. وتتألف الرموز الهيروغليفية من رموز تصويرية تعني الشيء المرسوم او مايتعلق به. ثم علامات صوتية الغرض منها التلفظ والنطق. وأخيراً علامات مفسرة كانت ترفق بنهاية الرموز الصوتية لتعيين المعنى بالضبط او بصورة عامة. ومنذ عهد السلالة الأولى كان يستخدم في الحياة اليومية خط هيروغليفي سريع يكتب به على بعض الاواني وربما على البردي. وتطور منه الخط الهيراطيقي الذي يمتاز بصلاحيته للكتابة السريعة نظراً لاستدارة علاماته واختصارها بما يتناسب والقلم الذي كان يستخدم في كتابته لان الخط الهيروغليفي اقتصرت كتابته على جدران المعابد والمدافن. وحوالي القرن السابع ق. م. نشأ خط اكثر بساطة واسرع في الكتابة سماه اليونانيون الديموطيقي. وكان الخط الهيروغليفي في البداية يستخدم في كتابة كافة الاغراض ثم اقتصر استعماله في الكتابة على الحجر والخشب. وكانت الكتابات على البردي تدون بالخط الهيراطيقي. وفي الفترة الهلنستية شاع استخدام الخط الديموطيقي في تدوين كل ماله علاقة بالحياة اليومية. ومنذ القرن الثاني اخذ المصريون يستخدمون الكتابة القبطية وهي حروف يونانية مضافاً اليها سبعة حروف من الرموز الديموطيقية. وقد حل رموزها في البداية جان فرانسوا شامپليون (١٧٩٠ ـ ١٨٣٢) سنة ١٨٢٢. فقد اختفت الكتابة الهيروغليفية منذ اواخر القرن الرابع. وذكر كليمنس الاسكندراني من اواخر القرن الثاني انه رأى اناساً يتكلمون اللغة المصرية ويدونوها بالهيروغليفية. ويذكر هيردوتس ان بمصر نوعين من الكتابة هما الكتابة المقدسة التي يعرفها الكهنة ثم الديموطيقية وهي لغة عامة الناس. وقد اطلق العرب الفاتحون على الكتابة الهيروغليفية لغة العصافير. وظلت اسرار الكتابة غير معروفة

حتى اكتشف ضابط المدفعية الفرنسي بوسار سنة ١٧٩٩ حجر رشيد اثناء حفره في قلعة رشيد. وهذا الحجر مدون باللغات اليونانية (السفلى) والهيروغليفية والديموطيقية. وكانت جهود توماس يونك وسلفستر دي ساسي غير مفلحة كلياً ثم عمل عليه جان فرانسوا شامبليون (١٧٩٠ ـ ١٨٣٢). وقد لاحظ الأخير ان الرموز الهيروغليفية على هذا الحجر اكثر عدداً من كلمات النص اليوناني فاستنتج بان كل رمز هيروغليفي لايمثل فكرة ولا كلمة. وفي سنة ١٨٢٢ حصل على نسخة لخرطوشين رسما على مسلة عثر عليها في فيلة وبرهن شامبليون ان الخرطوش الاول يعود لبطليموس لمشابهته خرطوش حجر رشيد والثاني لكيلوباترة لوجود خمسة حروف مشتركة في الاسمين (ب، ت، ل، و، ي). وليس هناك حرف س باسم الملكة واشارات غير موجودة باسم بطليموس هي ق، ا، ر. فهناك اشارات متماثلة بالاسمين وتعبر في كل منهما عن نفس الصوت فلابد وان تكون حروفاً صوتية. ثم تمكن ان يقرأ ٧٩ خرطوشاً باسماء الملوك اليونانيين والرومان وبخراطيش اخرى قرأ اسم رعمسيس واستنتج بان اللغة الهيروغليفية تحتوي على اشارات رمزية او تصويرية مثل رع وطحوط ثم اشارات صوتية مركبة من مقطع مثل مس او حروف ابجدية مثل س. وجاء بعد شامبليون باحثون كثار امثال عمانوئيل دي روجيه، مارييت، ماسپرو، لبسيوس، هنري بروكش الذي نجح سنة ١٨٤٩ في حل رموز الكتابة الديموطيقية ثم ادولف ارمان الذي وضع قواعد اللغة الهيروغليفية التي جاء بعدها كتاب الين جاردنر.[١٢]

المملكة القديمة:

السلالة الثالثة (٢٧٧٨ ـ ٢٧٢٣ ق. م.) :

هناك خلاف حول اسماء ملوك هذه السلالة في الاثباتات التي وردتنا، وفي الوقت الذي يقدم مانيثو اسماء تسعة ملوك لهذه السلالة حكموا ٢١٤ سنة تقدم تورين خمسة وخمسين سنة كحكم لها والمتفق ان عدد ملوكها ستة ، والاختلاف قائم بين الباحثين حول ترتيب الملوك.

ان اول ملوك ومؤسس السلالة هو زوسر (چسر) واسمه احورسي نتري خه وهو ابن خع سخموي آخر ملوك السلالة الثانية وربما خليفته. وربما يكون تقدم مصر الكبير زمانه في مختلف الميادين هو السبب الذي حدا بمانيثو ان يبدأ به سلالة جديدة. ويعتقد كثيرون الآن بان سن أختي كان مللك السلالة الثالثة الأول وربما يكون الأخ الأكبر لزوسر وانه هو الذي شيد الصرح المسطح القمة الذي تطور فيما بعد الى الهرم المدرج. وقد طابق البعض سن اختي مع نبكا الذي يتقدم اسم زوسر في قائمة تورين واثبات ابيدوس. والمعروف ان هناك فرق زمني طويل نسبياً بين خع سخموي وصعود زوسر. وقد ذكر نبكا في مصلى اخيتع من نهاية السلالة الثالثة وسميت باسمه مقاطعة في معبد ني اوسررع الجنازي من السلالة الخامسة الى جانب ذكره في بردية وستكار كملك تلى زوسر في الحكم. ووجد اسمي سن اختي، وزوسر عند بيت خلاف على مسافة قليلة شمال ابيدوس بمصر العليا اضافة الى وجود طبعات اسمه على فخار عثر عليه شمال معبد زوسر الجنازي. كما عثر على اسماء سن اختي، زوسر وخليفته سخم خي منقوشة على صخور وادي مغارة في صحراء سيناء وكل منهم رسم رافعاً صولجانه فوق بدوي راكع وهناك واحدة الى سن اختي واقفاً امام مزار نقلت الى متحف القاهرة. ويظهر وجه سن اختي تشابهاً مع رأس زوسر المرسومة في اروقة الهرم المدرج.

يظهر ان زوسر كان يقيم في اول حكمه في ابيدوس وشيد له قبراً عثر عليه في بيت خلاف قرب ابيدوس وفي وقت لاحق لانعرف تحديده انتقل الى منطقة منفس وشيد في مكان بالصحراء وراء منفس مصطبة حجرية له من اللبن (٩٥ متراً بالطول × ٥٠ متراً بالعرض وعشرة امتار في الارتفاع). ثم وسعت قاعدة هذه المصطبة وشيد فوقها خمس مصاطب على بعضها كل واحدة اصغر من التي تحتها عرفت الآن باسم الهرم المدرج. وتبلغ ارتفاع الأخير ٦٠ متراً ومساحته ٣٩٦ × ٣٥٢ قدماً مربعاً واقيم حوله مباني حجرية هي معبد سد والمعبد الجنازي وغرفة التمثال (السرداب) بين الشمال والجنوب ثم المقبرة الجنوبية واحيطت كلها بسور ينوف طوله عن نصف كيلو متر وعرضه عن ربع كيلومتر. وتعتبر هذه اقدم بناية حجرية تكتشف بمصر الى الآن حيث بنيت من الحجر الابيض الذي كانوا يجلبونه من محاجر طرة والمعصرة شرق النيل.

لقد امتاز عهد زوسر بالتقدم في جميع مظاهر المدنية بمصر وعلى رأسها البناء ويظهر من نصين يرقيان الى فترة الاحتلال البطلومي ان شهرته قد بقيت حتى عصور متأخرة

ان اول ملوك ومؤسس السلالة هو زوسر (چسر) واسمه الحورسي نتري خه وهو ابن خع سخموي آخر ملوك السلالة الثانية وربما خليفته. وربما يكون تقدم مصر الكبير زمانه في مختلف الميادين هو السبب الذي حدا بمانيثو ان يبدأ به سلالة جديدة. ويعتقد كثيرون الآن بان سن أختي كان مللك السلالة الثالثة الأول وربما يكون الأخ الأكبر لزوسر وانه هو الذي شيد الصرح المسطح القمة الذي تطور فيما بعد الى الهرم المدرج. وقد طابق البعض سن اختي مع نبكا الذي يتقدم اسم زوسر في قائمة تورين واثبات ابيدوس. والمعروف ان هناك فرق زمني طويل نسبياً بين خع سخموي وصعود زوسر. وقد ذكر نبكا في مصلى اخيتع من نهاية السلالة الثالثة وسميت باسمه مقاطعة في معبد ني اوسررع الجنازي من السلالة الخامسة الى جانب ذكره في بردية وستكار كملك تلى زوسر في الحكم. ووجد اسمي سن اختي، وزوسر عند بيت خلاف على مسافة قليلة شمال ابيدوس بمصر العليا اضافة الى وجود طبعات اسمه على فخار عثر عليه شمال معبد زوسر الجنازي. كما عثر على اسماء سن اختي، زوسر وخليفته سخم خي منقوشة على صخور وادي مغارة في صحراء سيناء وكل منهم رسم رافعاً صولجانه فوق بدوي راكع وهناك واحدة الى سن اختي واقفاً امام مزار نقلت الى متحف القاهرة. ويظهر وجه سن اختي تشابهاً مع رأس زوسر المرسومة في اروقة الهرم المدرج.

يظهر ان زوسر كان يقيم في اول حكمه في ابيدوس وشيد له قبراً عثر عليه في بيت خلاف قرب ابيدوس وفي وقت لاحق لانعرف تحديده انتقل الى منطقة منفس وشيد في مكان بالصحراء وراء منفس مصطبة حجرية له من اللبن (٩٥ متراً بالطول × ٥٠ متراً بالعرض وعشرة امتار في الارتفاع). ثم وسعت قاعدة هذه المصطبة وشيد فوقها خمس مصاطب على بعضها كل واحدة اصغر من التي تحتها عرفت الآن باسم الهرم المدرج. وتبلغ ارتفاع الأخير ٦٠ متراً ومساحته ٣٩٦ × ٣٥٢ قدماً مربعاً واقيم حوله مباني حجرية هي معبد سد والمعبد الجنازي وغرفة التمثال (السرداب) بين الشمال والجنوب ثم المقبرة الجنوبية واحيطت كلها بسور ينوف طوله عن نصف كيلو متر وعرضه عن ربع كيلومتر. وتعتبر هذه اقدم بناية حجرية تكتشف بمصر الى الآن حيث بنيت من الحجر الابيض الذي كانوا يجلبونه من محاجر طرة والمعصرة شرق النيل.

لقد امتاز عهد زوسر بالتقدم في جميع مظاهر المدنية بمصر وعلى رأسها البناء ويظهر من نصين يرقيان الى فترة الاحتلال البطلومي ان شهرته قد بقيت حتى عصو...

بمصر. فقد ادعى كهنة معبد ايزيس في فيله وكهنة معبد خنوم فيها ملكية جميع اقليم النوبة ابتداء من اسوان حتى تاكمپسو (دوديكا سخينوس وهي جزيرة ضرار وربما جزيرة قرته) وبرر كل طرف ادعاءه بوثيقة تجعل زوسر هو مانح المنطقة لكل منها عندما حدثت مجاعة زمانه. وقد وجد زوسر خير عون له في شخص رجل عبقري هو امحوتب الذي كان مستشاره واعتبر في عصور متأخرة الة ووصلت الينا دمى برونزية له تمثله جالساً برأس حليق وثوب طويل مع ورقة بردي على ركبتيه. وقد اقرنه المصريون المتأخرون مع اسكلبيوس اله الطب اليوناني واعتبروه ابناً للاله پتاح. ورغم ان هناك من يعتبره شخصية اسطورية الا ان الشواهد لاتبقى مجالاً للشك بكونه شخصية تاريخية ذاعت شهرته كمهندس ورجل دولة وحكيم وطبيب وفلكي. له معبد قرب الهرم المدرج بسقارة. كما ورد اسم والده (كانفر) ولافراد من عائلته في بعض نقوش وادي الحمامات مارسوا كلهم لأجيال كثيرة متعاقبة البناء. ويتضح من القابه انه كان كبير كهنة عين شمس وكاتم سر الملك لشؤون مصر السفلى ويسميه مانيثون ايموش.

يقع مدخل هرم زوسر المدرج في الجنوب الشرقي ويؤدي الى بهو اعمدة عددها اربعون من الحجر الجيري باعمدة دورية وشبه دورية تتضح فيها الاساطين المقناة او بشكل حزمة القصب. وقد عثر في ممرات الهرم على الكثير من الاثاث الجنازي من مختلف انواع الحجارة كالاواني التي يزيد عددها عن ٣٠ ألف وجدت غالبيتها مهشمة وربما هشمت في طقوس جنازية. ويتميز تمثال زوسر في متحف القاهرة. وما نقش عليه من صور بالدقة والجمال والتوازن في العمل. وجاءت الكتابة الهيروغليفية عليه انيقة ومتقنة.

حكم زوسر تسعة عشر سنة (يجعلها مانيثون ٢٩) لم تردنا خلالها اخبارٌ كثيرة عن منجزاته خلا تشييده معابد عثر على واحد منها قرب هربيط في الشرقية وارسل حملة لتأديب بدو سيناء. ولم يخلفه عند موته ملكٌ يضارعه في القوة ذكر مانيثون كونهم ثمانية في وقت لجد اسماء ستة منهم فقط في ثبت ابيدوس.

جاء بعد زوسر ابنه سخم خت (زوسر الثاني ويسمى احياناً سمرخت خطأ) وقد بدأ في تشييد هرم مدرج له في سقارة جنوب غرب هرم والده لم يكمله عند موته وكان ينوي بناءه مثل هرم ابيه وربما كانت حاجته الى المال السبب في ايقافه العمل. وقد بقي منه القاعدة والصرح الأول وجزء من الثاني بسور عام يبلغ حوالي ٥٥٠ × ٢٢٠ ياردة. وقد عثر فيه على اواني فخارية وطبعات اختام باسم الملك و ٢١ سوراً ذهبياً من مختلف

الأحجام وقلادة وصندوق ذهبي الخ وكان التابوت الذي وجد فارغاً ربما له. واكد هذا الهرم للباحثين طريقة بناء المصريين للاهرام بواسطة عمل طريق طويل صاعد يسحبون عليه الصخور يصل الى الطبقة التي يعملون فيها ويزيلوه من محله عند اكتمال الهرم. وربما حكم سخم خت ست سنوات وعثر له على نقش في وادي مغارة قرب نقش والده. وجاء بعده سنخت الذي قد يكون هو نبكا الذي وجد اسمه هو الآخر منقوشاً على صخور وادي مغارة. وإذا كانت المقبرة عند بيت خلاف قرب ابيدوس تعود له فتدل الى انتقاله الى الجنوب ربما لارضاء اهل الجنوب ويشير عدم اكمالها ربما الى قصر فترة حكمه. وربما خلفه الملك نفركا الذي ربما هو نفر كارع الذي يضعه ثيت ابيدوس قبل حوني وينسب اليه بناء هرم لم يكتمل بعد عثر منه على الجزء المحفور داخل الارض فقط. ثم الملك خع باالذي عثر له على هرم متهدم في زاوية العريان اتبع في تشييده نظام الطبقات.

ان آخر فراعنة السلالة الثالثة هو حوني (حو ومعنى اسمه الضارب). وينسب اليه هرم دهشور الشبيه بالمصطبه الى منتصف ارتفاعه يعلوها مايشبه الهرم مستطيل القاعدة. كما ينسب اليه هرم ميدوم الذي توفي دون اتمامه. ويقع هذا الهرم جنوب سقارة بقليل قرب مدخل الفيوم. وقد اكمل سنفرو مؤسس السلالة الرابعة بناءه. ويبدو هذا الهرم بهيئة البرج ذي الجوانب المنحدرة ومدخله في الجانب الشمالي يقود الى ممر تصل الى غرفة الدفن. وعثر على قرب هذا الهرم على عدد من المصاطب الكبيرة التي زينت جدرانها بالنقوش ووجد باحدها تمثالي الامير رع حوتب بن سنفرو وزوجته نفرت. وتعود الى عصره ايضاً قطعة مخروطية من الغرانيت الاحمر نقش عليها اسمه مرتين. ويرجح ان الملكة مراس عنخ ام سنفرو كانت زوجته. ونسبت الى عصر حوني نصائح كاجني الذي يعتقد انه كان وزيراً. وقد حكم حوني اربعة وعشرين عاماً ومن الشخصيات المخضرمة التي عاشت زمانه وبداية السلالة الرابعة الموظف متن الذي نقلت نقوش مقبرته الى متحف برلين ويذكر فيها الوظائف المختلفة التي تدرج فيها والاقاليم التي اشرف على ادارتها تدل كلها على التنظيم الاداري لمصر زمانه.

يعود الى اوائل السلالة الثالثة مقبرة حسي رع المزينه بنماذج السلال وامام ممرها الطويل صور اثاثه الجنازي. وان ماتبقى من صور سيقان الرجال والماشيه والتمساح في الماء التي زين بها الممر الخارجي توضح اقدم المناظر التي في حوزتنا للبيئة الطبيعية. وان نقوش حسي رع الخشبية (الآن في متحف القاهرة) تضاهي في الاناقة والضبط تلك

لزوسر. وقـد مثـل بهـا حسي رع ممشوق القـوام واجـاد الفنـان في ابراز عضلات الـوجـه وتفاصيله.(١٣)

السلالة الرابعة : ٢٧٢٣ ـ ٢٥٦٣ ق. م:

تبدأ السلالة بالملك سنفرو (ربما سوريس عند مانيثون) الذي تعطيه قائمة تورين اربعاً وعشرين سنة لحكمه وهي فترة تكاد تتفق مع عدد مرات الاحصاء الشامل الذي كان يجري كل سنتين وصار الآن يشمل المواشي (كانت تتم بجولة نهرية ملكية سميت بالمصادر المصرية اتباع حورس). وفي الوقت الذي ليس هناك اي جدل بين الباحثين حول كونه مؤسس السلاله ولا عن خليفته خوفو او آخر (سادس) ملوك السلالة شبسكاف فانهم مختلفون حول تسلسل الملوك من الثالث حتى السادس. ومن عهد سنفرو صرنا نرى تركز الاهرامات في الشمال فقط. وقد عثر في الجيزه شرق منطقه الاهرامات على مقبرة زوجته حتب حرس ام خليفته خوفو وكانت على شكل حفره عمقها ثلاثون متراً شيدت فوقها الابنية التي عثر بها على سريرها ومحفتها وعدد من الحلي موجودة الآن في متحف القاهرة. وان لقبها ابنة الاله يدل على انها من دم ملكي وهي ابنة حوني آخر ملوك السلالة الثالثة اعطت احقيتها بالملك الى زوجها. وربما اراد ان يقلد جده زوسر فشيد له مقبرتين على شكل هرمي في دهشور وميدوم (الهرم الكاذب لعدم ا نتظام شكله) ولانعرف باي منهما دفن سنفرو. وكان الهرم الأخير وهو الاقدم بقاعدة مربعة طولها ١٨٨٫٦ متر وارتفاعه ١٠١ متراً وهو الهرم الوحيد الذي يحوي مدخلين شمالي وغربي. ويؤدي المدخل الشمالي الى ممر طويل ينحدر الى اسفل ينتهي بآخر تؤدي الى غرفة الدفن. وتلحظ في هذا الهرم تغير بزاوية البناء على ارتفاع ٤٨ متر ربما سببه (حوالي ٤٣ درجة بدلاً من ٥٤) الخوف من سلامة بنائه لتقديرهم له ارتفاع اكثر من الاهرامات السابقة. وبنى في شرقه معبداً صغيراً يتصل به معبد آخر في حافة الوادي كشف فيه عن نقوش مهمة تمثل الملك يقوم بطقوس دينية او يزور معابد عواصم الشمال والجنوب ونساء يحملن القرابين ويمثلن الضياع الجنازي للملك. اما هرم دهشور . **فارتفاعه ٩٠٩ متراً وطول قاعدته** ٢٢٠ متراً. وربما دفن سنفرو في ميدوم لوجود مسابر الامراء حواليه مثل مقبرة ولده رع حوتپ وزوجته نوفره ثم مقبرة ولده نفرماعت وزوجته أتت، الى جانب الكثير من مدافن موظفيه وكهنته. ولم يعثر في اي هرم قبل السلالة الرابعة على معبد للوادي. ورغم اختلاف المعابد الجنازية عن بعضها الا انها خلال المملكة

القديمة تشترك بكونها ذات مدخل ثم قاعدة فساحة مكشوفة، خمسة محاريب لتاثيل الملك ـ غرف خزن ثم الهيكل . ويعتقد البعض ان التماثيل الخمسة تمثل اسماء الفرعون الرئيسية . اما غرف الخزن فتوضح بها الانية واحتياطي الاطعمة التي يستعملها الملك الميت اذا ما اغفل كهنته وضع القرابين له على المائدة عند الباب الوهمي للهيكل . وكانت عملية تطهير جسم الملك المتوفي والتي تسبق التحنيط تجرى في معبد الوادي وكذلك عملية فتح الفم التي يقوم بها الكهنة بصحبة احد ابناء الملك على الاقل يصبوا خلالها الماء على تماثيل الملك. ويبخروها بالبخور ويقدموا لها القرابين ويحكوا فم كل تمثال باداة خاصة ثم يدلكونها باللبن والغاية من الطقس تمكين التمثال من تناول طعام القرابين المقدمة له. وفي معبد الوادي ايضاً كانت تقوم عملية اعداد جثمان الملك قبل دفنه في مقبرته الدائمة .

ذكر حجر بالرمو له حملة على نوبيا جلب منها غنائم كثيرة (٧٠٠٠ أسيراً) ولانعرف مكان الحملة بالضبط في نوبة وحملة على ليبيا جلب منها ١١ الف اسير وعدد اكبر من الماشية. كما ترك في وادي مغارة بسيناء ثلاثة نقوش نراه فيها وهو يقتل بدوياً ربما تشير الى معركة هناك. وكذلك بناؤه سفناً ضخمة من خشب الارز ووصول ٤٠ سفينة من جبيل محملة بخشب يسمى مرو (ربما الارز). ونعرف انه استغل مناجم النحاس في سيناء وقد اطلق اسمه في عصر تال على احد مناجمها كما اعتبر من الهتها وربما هو الذي شيد معبد حتحور في سرابيط الخادم بسيناء حيث مناجم الشذر والنحاس. ويذكر حجر بالرمو ان في كل سنة كان سنفرو يقوم ببناء المعابد والقلاع والمنازل وفعلاً خلدت حصون بالحدود الشرقية شيدها دون شك لوقف تسرب البدو الى الدلتا اسمه اقرون تلت. وفي عهده كان لكل مقاطعة مصرية حاكم يسمى الأول بعد الملك يرتبطون به مباشرة تحت كل واحد منهم موظفون للمالية والقضاء والادارة.

استخدمت نصوص العصور اللاحقة الكثير من الاوصاف المحببة لسنفرو امثال (الرحيم) (الملك المحسن المحبوب) ونقرأ في بردية وستكار من المملكة الوسطى ما يظهر حلمه وحسن اخلاقه ورقة احاديثه وعطفه على الناس.

المعروف الآن ان اسم والـدة سنفرو هي مرسي عنـخ. وكان لسنفرو اولاداً كثـار ويظهر ان خليفتـه هـو الابن الأكبر لـزوجتـه الرئيسيـة ذات الأصـل الملكي. امـا اولاده الـذين نقرأ عن كـون كل منهم الأكبر فهم كـذلـك لامهـاتهم امثـال اولاده كانفر الـذي كان وزيراً عنـده ثم نفرمعـات الـذي لقب بوزير وابن الملك الاكبر وعنـخ هـاف صـاحب ثـاني اكبر مصطبـة في الجيزة والتمثـال الأحمر النصفي في متحف بـوسطن للفن. وهذه تدل على تعيين سنفرو لاولاده لادارة البلاد.

خوفو : اعتقـد البعض ان مسقـط راسـه منعت خوفو (بني حسن) في الجنوب مقر عبادة خنوم او ان مرضعته من هناك وهو مايؤكده مانيثو والواقع ان خوفو كانت لـديـه مقاطعة هناك سميت باسمه كما كانت واحده بـاسم والـده من قبل (منعت سنفرو). وخوفو ابن سنفرو من زوجته الملكـة حتپ حرس. ونقل خوفو عـاصمتـه الى الشمال سـد منفس قرب الجيزه الحاليه حيث بنى هرماً له **وشيد خليفتيه اهراماً** لهم هناك عند حافـة الصحراء . واطلق على عهده**وعهد خليفتيه** عصر بناة الاهرام واحيطت قبورهم بمدافن افراد اسرتهم وكبار رجال دولتهم. وربما يعود سبب اختياره الجيزة الى قربها من عين شمس مقر عبادة رع ولسعتها وارتفاعها مما تجعل هرمه يشرف على ماحوله ولصلابة احجـار المنطقـه. وعثر في كثير من انحاء مصر على آثار له منها لوحتان منقوشتـان بـاسمـه وصورتـه يهوي بقمعـه على راس بدوي في وادي مغارة بسيناء ممايدل على ضربه للبدو فيها . ووجدت في دسوق احجار تدل على اعمال عمارية له فيهـا كما استثمر تل البسطـة ومحـاجر مرمر حتنوب قرب العمارنة. وشيد هرمه في الجيزة نرىفيه التكامل والروعة الفنيـة وقـد حوى على مـالايقل عن مليونين وثلثمائة الف قطعة حجريـة تتراوح اوزانهـا بين ٨ ـ ١ طنـاً. وارتفـاع هرمـه ١٤٦ متراً وطول ضلع قاعدتـه ٢٣٠ متراً يعرض الاتقـان بـالعمل موضحـة بضبـط الزوايـا والابعـاد . وكسي من الخـارج بكسـاء من الحجر الابيض مـع معبـد جنـازي بـالشرق. وتوضح اهرامات هذا العصر استعمال المصريين للبكرات في رفع الاحجـار عثر على بكرتين واحدة قرب الهرم والآخرى في بيت بمدن الأهرام. ونعرف بـان الهرم كانت تتبعـه ملاحق عده. وكانت توجد احياناً بابان بالجهة الشمالية في الصفوف السفلى والثـاني فوقـه توصلان الى غرفة الدفن وغالبـاً هنـاك محراب صغير للعبـادة امـام البـاب . وفي شرق الهرم يشيـد المعبد الجنازي المتصل بمعبد الوادي بطريق مرصوف بالاحجـار الضخمـة يصل عرضـه ٢٥ متراً يتوسطه ممر ضيق مسقوف لمرور الكهنـة اثنـاء المراسيم الـدينيـة للملـك. وهو طـريق طويل يصـل الى ٦٠٠ متر للهرم الثـاني نحت في وسطـه نفـق تحت الارض لمرور النـاس. وكان المعبد الجنازي يقام عادة شرق الهرم بقسمين الأول خاص بالشمال والثـاني بـالجنوب.

وعلى جانب المعبد الثاني كان الملك يحفر لنفسه قاربين لرحلته اليومية مع الشمس الأولى لسياحته النهارية والثانية لرحلته الليلية وطول الأولى ٢٩ متراً والثانية ٣١ متراً. وقد عثر على ثلاثة اماكن شرق الهرم لهذه القوارب ووجدت اثنتان أخريان جنوب الهرم سقفوا مكان القارب الليلي بالصخور الضخمة وهي بحالة جيدة مصنوعة من خشب الارز بكامل معداتها (عشرة مجاذيف، حبال، ومقصورة جلوس) طولها ٤٣٫٥ متراً وارتفاع مقدمتها خمسة امتار ومؤخرتها سبعة. وتحاط كل هذه الابنية والهرم بسور ضخم من الحجر او اللبن حتى لايقرب منه غير الكهنة. وقرب كل هرم كانت تشيد مدينة خاصة بكهنة وخدم الملك المتوفي.

لانعرف صحة ماذكره هيردوتس من ان بناء الهرم استغرق عشرين سنة عمل فيه مائة الف عامل يعملون ثلاثة اشهر من السنة. واوضح المهندسون المعماريون بان تقديرات هيرودتس مقاربة للواقع. وقيل ان العمال كانوا يستخدمون في وقت الفيضان ليساعدوا العاطلين في ايجاد عمل لهم. ويزيد هيردوتس في التحدث عن قوة خوفو وكره شعبه له لتسخيره اياهم بلا رأفة وانه طاغية مستبد. ولكن انجازاته الضخمة لابد وان تطلبت موارد ثروة ضخمة وطاقات بشرية هائلة وانها تدل على ثراء الدولة وقوة مركز الملك وسعة سلطته.

يقع مدخل هرم خوفو في الجانب الشمالي على ارتفاع حوالي ٥٥ قدماً من سطح الارض يؤدي الى ممر الى داخل الارض يصل الى حجرة متروكة ربما شيدت لتكون غرفة دفن ثم استغني عنها. وهناك ممر فرعي من الممر النازل هذا يبعد ٦٠ قدماً عن المدخل يسمى الممر الصاعد يؤدي الى قاعة كبيرة توصل الى غرفة الدفن ذات السقف الغرانيتي المسطح وحيث التابوت. وتحت غرفة الدفن هناك غرفة اخرى يؤدى لها ممر خاص تسمى خطئا غرفة الملكة ربما اعدت لوضع تمثال الملك او اريد بها ان تكون غرفة دفن. وبعد وضع جثمان الملك في التابوت سد مابين غرفة الدفن ونهاية القاعة الكبيرة بمتاريس حجرية كما سد الممر الصاعد بكتل غرانيتية ضخمة. وعلى مقربة من المعبد الجنازي (لم يكتشف بعد معبد الوادي) هناك ثلاثة اهرام صغيرة لثلاثة من زوجاته ثم مقابر اخوته واولاده وافراد اسرته. وان قبور بعض اخوته وكبار موظفيه ورجال بلاطه مدفونين غرب هرمه، ليكونوا حوله في الآخرة ويحضون بخدمته كما خدموه في هذا العالم حتى يضمنوا لانفسهم الخلود.

المعروف ان خوفو حرم على الناس بناء الأبواب الوهمية والتماثيل ونقش غرفة القرابين بالمناظر وجعل هذه حكراً على الآلهة والملوك حتى يبقى الفرق شاسعاً بين العائلة المالكة والشعب لزيادة هيبة الملك. غير انه سمح لافراد الأسرة المالكة بعمل التماثيل وحفظها في مدافنهم وسمح لآخرين اقامة رؤوس البديل حتى تقدم لها الطقوس الجنازية. علماً بان تحريمات خوفو هذه قد سمح بها خليفته. وعثر على رأس لتمثال خوفو في معبد ابيدوس وآخر لخليفته في معبد منفس مما يدل على احترامه لمعابد الآلهة. كان لخوفو (خنوم خوفوئي) اولاد كثار كان وعب اكبرهم وربما مات في عهد والده او قتله اخيه جدف رع ثم حورددف الذي يوصف بالحكمة وقدسه الناس في عصور لاحقة ورع ودف الذي خلف خوفو وخع اف رع خليفة خوفو الثاني ثم باواف رع. ونعرف ان خوفو قد تزوج من نساء كثيرات رزق منهن باولاد. ويظهر ان الصراع بين اولاده تساندهم امهاتهم وبعض رجال البلاط للاستحواذ على العرش. وربما كانت زوجته مرسعنخ ليبية لانها تبدو في مقبرتها بملابس غير مصرية وبشعر اشقر ضارب الى الحمرة وعيون زرقاء. فربما قتل جدف رع اخاه كاوعب ونعرف ان الأول قد اختفى وخلف خوفو ولده خفرع الذي تزوج من ابنة كاوعب. وربما كان مصير رع ددف القتل بعد ان حكم ثمانية سنين. ونعرف ان بعد وفاة خوفو توقف العمل في مصاطب بضع من الامراء ومسح البعض نقوش مزار حورددف بصورة مقصوده.

خلف خوفو ولده حورددف (رع ددف) الذي هجر الجيزة واقام في ابورواش بمنطقة اوسيم وكان عهده قصيراً وغامضاً. ونظر البعض اليه كمغتصب وهو امر يصعب قبوله وربما يكون ابناً لخوفو من زوجته الملكية العظمى وبذلك كان صاحب الحق الشرعي في الملك. علماً بانه اقام المراسيم الجنازية لوالده الامر الذي يعزز كونه ابناً وخلفاً لخوفو. وقد شيد هرماً له في ابي رواش شمال الجيزة بحوالي خمسة اميال بقيت منه مايشير الى غرف الدفن في داخل الارض كما عثر الى الشرق من هرمه هذا على آثار معبد من الاجر وكسرة عمود غرانيتي دون عليه اسم الملك. وعثر في جنوب المعبد على كسرات عدة لتماثيل هذا الملك واعضاء اسرته. وقد غطي هرمه من الخارج بالواح الغرانيت. ونعرف ان لديه اولاداً عدة ويظهر ان له زوجات اخر الى جانب خنتيت انكاو حتب حرس الثانية

خفرع : (اوسيريب، خفرن باليونانية) وقد جاء ربما بعد مقتل اخيه رع ددف وربما حكم بين ٢٥ ـ ٢٩ سنة. ويرجع له الهرم الثاني في الجيزة الذي اطلق عليه اسم (عظيم هو خفرع) وهو اصغر من هرم والده خوفو (خيوپس باليونانية) ولم يشيد اهراماً لزوجاته. وعثر على تماثيل كثيرة له في معبد هرمه الجنازي منها تمثال يصوره على عرشه وخلف راسه صقر حورس. وان تمثال ابو الهول هو تمثال لخفرع وهو لاسد رابض برأس بشرية (راس خفرع) ويعني تمثيله بشكل ابي الهول حمايته للمقبرة التي خلفه . وطول ابي الهول ٤٦ متراً وارتفاعه ٢١ متراً الى الشمال من الطريق بين المعبد الجنازي ومعبد الوادي. ومن اسماء ابي الهول شسب عنخ (معناها التمثال الحي) التي حورت باليونانية الى سفينكس. ولانعرف تاريخ نحته او سر اقامته في مكانه او مايرمز اليه بالضبط. وقد قدس في الدولة الحديثة وفترة الاحتلال الروماني. وقد اعتبره المصريون في عهد الدولة الحديثة حور ام اخت (حورس الافق الذي يمثل الميت بعد وفاته). وجاء في نص انه يمثل الاله اتوم. وربما لتسمية ابو الهول اساساً حيثياً حيث نعرف ان الملك اي اقطع لحورون معبود جماعة حيثية ضيعة في هذا المكان فسموه پر حول التي حورت بمضي الزمن الى ابي الهول. ويرى البعض ان صخرة ابي الهول كانت بالأصل جزأ من محجر ظلت باقية بعد ان اخذ عمال هرم خوفو خير الحجر. ولما ارتأى خفرع تشييد هرمه بقت صخرة ابي الهول حجر عثرة بين المعبدين الجنازي وللوادي فجعل الطريق الموصل بينهما منحرفاً ونحتوا من الصخرة تمثالا له بهذا الشكل.

شيد هرم خفرع على ارض مرتفعة مما يجعله يبدو اكثر علواً من هرم والده خوفو، وله مدخلان الاول في الجانب الشمالي والثاني اسفل المدخل السابق يؤديان الى غرفة الدفن حوت تابوتاً وجد فارغاً. وقد دفنت زوجاته وابناؤه في مقابر منحوتة في الصخور شرق هرمه.

من كاورع : وهو ابن خفرع وتزوج من اخته خع مرر نبتي وشيد هرماً له في الجيزة قرب هرم جده ووالده اسماه (الهي هو من كاورع). وهرمه اصغر حجماً من سابقيه يقع في الركن الجنوبي الغربي من الهضبة ويظهر انه لم يكمله بل اتمه خليفته شپسكاف الذي شيد معبد الوادي والجنازي. ولهرمه مدخلان

وآخر عند ارضية الهرم يؤديان الى غرفة الدفن التي تقع غرفتان اخريان تحتها الأولى للخزن والأخرى غرفة دفن اخرى ترتبط بغرفة الدفن الأولى بطريق منحدر. وفي غرفة الدفن الثانية وجد تابوت بازلتي ربما حوى جثمان من كاورع. وقد غرق التابوت سنة ١٨٣٩ عند نقله الى انكلترة عند ساحل البرتغال وانتشلت الجثة وهي الآن في المتحف البريطاني. وعثر في حجرة الدفن العليا على عظام بشرية وغطاء تابوت خشبي عليه اسم من كاورع ولانعرف ان كانت تعود الى هذا الملك خاصة وان هذا النوع من التوابيت لم يستخدم قبل العهد الصاوي. والى جنوب هرم من كاورع هناك ثلاثة اهرامات صغيرة ربما يعود اكبرها لزوجته الملكية. وعثر في هرم من كاورع على مجموعة من التماثيل واحد له وزوجته معروض في متحف بوستون واخرى تمثله بين حتحور وآلهة المقاطعات. ويظهر من بعض النقوش ان من كاورع قد زار منطقة البناء في المقبرة فارسل خمسين عاملاً ليعملوا في مقبرة موظفه دبحن واهدى له الملك بابين وهميين وتمثال بالحجم الطبيعي سجلها دبحن في مقبرته اعترافاً بجميل سيده.

شبس كا اف (شبسسكاف) : وهو ابن من كاورع من زوجة ثانوية، حكم اربعة سنوات وشيد له مقبرة تعرف بمصطبة فرعون وسط المسافة بين سقارة ودهشور بشكل مصطبة ضخمة تعلوها مصطبة ثانية على شكل تابوت وارفقها بكل الملاحق الخاصة بالهرم. وبذلك فقد عدل هذا الملك عن سنة بناء الاهرام. والهرم كا نعرف رمز لعبادة الشمس في بلدة عين شمس وفي اقامة المقبرة على شكل الهرم اعتراف بالوهية الشمس وسلطانها ووضع المتوفى تحت حمايتها ليصل العالم الآخر. فمنذ عهد رع ددف دخل (الشمس) رع في اسم الملك ومن اوائل السلالة الخامسة اعتبر الفراعنة انفسهم اولاد رع وخلفاءه في الارض. وشبس كاف اول من ترك عقيدة عين شمس واوضحها في تركيب قبره وهي ان يخلد في القبر بدلاً من السماء فبنى له قبراً بشكل تابوت. والحركة هذه موجهة ضد كهنة عين شمس الذي اخذوا في التعاظم. وقد زوج شبس كاف ابنته خع ماعة لرجل من العامة اسمه يتاح شپس المعمر الذي عاش زمن ستة فراعنة تقلد في عهودهم مناصب لفترة تزيد على ثمانين عاماً. ولم يرزق من ابنة الملك بولد واخبرنا بانه تربى مع اولاد الملك وافتخر بان الفرعون نفر ايركارع (ثالث ملوك السلالة الخامسة) منحه شرف تقبيل قدمه بدلاً من تقبيل الأرض امامه. وان تزويج شپس كاف لابنته

من پتاح شپس وهو من العامة يدل على خروج واضح على التقاليد الدينية وربما اراد التقرب من العامة لاضعاف نفوذ الكهنة. وقد يكون انتقاله الى سقارة حيث نفوذ پتاح هو ضربة لكهنة عين شمس.

يورد مانيثو اسم الملك احوتب كخليفة الى شپس كاف الذي ورد اسمه في محاجر وادي الحمامات. فربما يكون احوتب قد اتبع سياسة والده ضد كهنة الاله رع فتخلصوا منه ونصبوا بدله خنت كاواس التي قد تكون ابنة كبيرهم. واذا كانت خنت كاواس ابنة لمن كاورع فلماذا لم تتزوج اخيها شپس كاف كما جرت العادة ؟ وربما كانت خنت كاواس قد اخذت العرش بعد موت شپس كاف لعدم وجود خليفة له. ويظهر انها تزوجت من احد النبلاء رزقت منه باوسركاف مؤسس السلالة الخامسة. وقد كشفت مقبرتها سنة ۱۹۳۱ وهي التي اطلق عليها اسم الهرم الرابع آلذي شيد بطراز يشبه مقبرة شپس كاف ونحتت معبدها الجنازي في الصخر وغطته بالغرانيت ورسمت فوقه مناظر دينية. ويظهر ان هذه الملكة كانت اصل الاساطير التي نقرأها في الكتابات الكلاسيكية. فمانيثون يذكر ان بانية الهرم الثالث امرأة اسماها نيتوكريس كانت اجمل نساء عصره في وقت يجعل هيردوتس اسمها رودوپيس (معناه وردية الخدين) وربما كانت خنت كاواس بيضاء البشرة شقراء الشعر. لكن خنت كاواس لم تجلس على العرش وان كانت قد دونت على قبرها العبارة (ملك الوجهين القبلي والبحري، الام الملكية وبنت الاله وكل شئ تأمر به ينفذ لأجلها.(١٤)

السلالة الخامسة (٢٥٦٠ ـ ٢٤٢٠ ق. م.)

تمتاز بايمان فراعنتها بعبادة رع الذي أثر نظامه الديني وأدبه على الفكر الديني المصري القديم بكل عصوره. وقد ازداد نفوذ كهنة عين شمس خلالها. وظهرت الآن بنايات خاصة كهياكل للشمس اذ وجد بجانب هرم الفرعون معابد اطلق عليها الآثاريون اسم معابد الشمس يحوي كل واحد منها في ساحته مسلة ونقشت على جدرانه قوارب رحلتي الاله الشمس واعتبر حجر بن بن الهرمي الشكل رمزاً للاله الشمس وعلى شكله شيدت الاهرامات. ونقرأ في بردية وستكار ان ساحراً اسمه ددي قد تنبأ لخوفو بان كاهناً لمعبد اله الشمس اسمه اوسررع وان زوجته رددت ستكون ام ثلاثة ابناء لاله الشمس نفسه سيكون اكبرهم كاهن الاله ويحكم مع اخويه مصر بالتناوب بعد ابن وحفيد خوفو. وكما اسلفنا فقد تكون خنت كاواس متزوجة من

احد كهنة معبد الشمس فرزقت منه بوسر كاف مؤسس السلالة الخامسة. وتذكر بردية وستكار كونه كاهناً اعلى لمعبد الشمس قبل استيلائه على الملك. والمعروف ان خنت كاواس اماً لخليفتي اوسر كاف وهما ساحورع ونفر ار كارع وبذلك يكون اوسر كاف زوجها وليس ابنها. وقد شيد اوسر كاف (٢٥٦٠ - ٢٥٥٣ ق. م.)هرمه المعروف باسم الهرم الخربش قرب الهرم المدرج. وذكر مانيثو ان السلالة الخامسة قد نشأت في الفنتيني الأمر الذي يعلل سر اهتمام ملوك السلالة بذلك الصقع وهو أمر يرفضه بعض المؤرخين المحدثين. والمعروف ان ليس هناك حد فاصل بين السلالتين الرابعة والخامسة فبعض الموظفين مثل پتاح شپس قد خدم بالاثنين. وعثر على اسم اوسر كاف في مقبرة ني كا عنخ كاهن الالهة حتحور في مقابر طهنا الجبل في محافظة المنيا حيث عهد اليه اوسر كاف بالاشراف على وقف شخص اسمه خنوكا. ونقرأ في حجر بالرمو عن تقديمه بعض اراضيه الى معبد الاله رع وعمر بعض المعابد وخصص مقاطعات زراعية للربة حتحور لانها ام الاله رع وشيد معبدها لـلاله سب (الصقر الناشر جناحيه) واوقف له اوقافاً. وهناك ختم اسطواني منقوش بلقب هذا الملك هو محبوب الالهة تنم عن اهتمامه بكل الألهة. وعثر على اناء من المرمر الابيض مدون عليه اسم معبده في سريكو بشبه جزيرة المورة باليونان يدل على علاقات له مع جزر ايجة. وان القاب ني كا عنخ وهو مدير القصر وحاكم المدن الجديدة وسمير الملك يدل على تقريبه كهنة الاله الشمس (هنا امه) وبنائه لمدن جديدة في البلاد. وعثر في معبد هرمه الذي شيده جنوب الهرم على تمثال غرانيقي ضخم له. والمتفق عليه تقريباً انه اول من شيد معبداً للاله رع في ابو صير والذي لابد وان يكون المعبد الذي نقب سنة ١٩٥٧ وعثر فيه على راس تمثال يرجح كونه لأوسر كاف. وقد عثر على عمود غرانيقي مربع مقام في معبد الطود (جنوب الاقصر) عليه اسمه.

ساحورع : (٢٥٥٣ - ٢٥٣٩ ق. م.) : ولانعرف علاقته بالضبط مع الملك السابق فربما كان اخاه. وهو ملك محارب فقد حارب في مختلف الجهات. وقد عثر له في سيناء على لوحة تمثله وعلى راسه تاج الوجه القبلي وهو يضرب باسيوي. وفي الجدار الغربي لقاعة معبده الجنازي الكبيرة صور الربه سشات تسجل غنائمه من غارة على قبائل ليبيه بالصحراء الغربية نرى فيها صور ابناءه وزوجة زعيمهم. ثم صورة لسفن في البحر بها مصريين واسيويين ربما تشير الى بعثه تجارية الى مصر من لبنان واستقبال الملك ورجاله لها بعد ان احضرت منتجات من هناك اهمها خشب الارز. وذكر حجر بالرمو ارساله

حملة الى پونت في اواخر حكمه عادت محملة بالعطور والذهب والخشب. وربما تعود المناظر الحزبية بين مصريين واسيويين في مقبرة انتا بدشاشه في محافظه بني سويف الى عهد هذا الملك. وهذه مناظر مهمة نشاهد فيها المصريين يغزون موقعاً في اسيا اسمه نديا لانعرف موقعه الآن لابد وان يكون في فلسطين وهي توضح القتال ابتداء من المناوشات الفردية التي انتصر بها المصريون ثم تحصن الاسيويون داخل قلعة نديا التي حاصرها المصريون وثقبوا جدارها بخوابير خشبية مدببة واخيراً استعمل المصريون السلالم للهجوم الأخير على القلعة والهاربون يعلمون رئيسهم بالنتيجة ونساء ينقلن القتلى ويسعفن الجرحى والمصريون يقودون الاسرى من الرجال والنساء والاطفال. كما عثر لساحورع على نقش في توماس بالنوبة مما يدل على وصوله الجندل الأول، وعثر على لوح حجري يحمل اسمه في محاجر الديورايت بالصحراء غربي توشكي.

من الشخصيات المهمة في عهده ني عنخ سخمت الذي سجل في قبره المتواضع بسقارة تكريم الملك له بان اعطاه باباً وهمياً من محاجر طرة (وهي خاصة بالاسرة المالكة لجودة احجارها) وتقريبه اياه وتعيينه له رئيساً لاطبائه. وقد شيد ساحورع هرمه في ابو صير ويعتبر معبده الشمسي نموذجاً لمعابد الفترة الخاصة بالشمس اذ ادخل فيه الاعمدة ذات تيجان السعف المنحوتة من الغرانيت الأحمر. وشاع زمانه النقش البارز على الجدران وظهر قرص الشمس الذي تحرسه حيتان لاول مرة. وابتداء من عهد ساحورع فقدت الاهرامات صلابة البناء والخامات الثقيلة كالسابق فكان هرمه صغيراً ولكنه اهتم بمعبده الذي استخدم فيه اثمن المواد البنائية وزين قاعدته وعملوا ميازيبه على شكل راس اسد تسقط مياه المطر من افواهها الى قنوات صغيرة حفروها في الارضية ثم تنحدر الى الخارج. اما المياه الأسنة فقد اجروها في مواسير نحاسية ملحومة الى بعضها بالرصاص تسير الى خارج المعبد وتصب في مكان منخفض بعيد.

نفر اير كارع : (كاكاو) : لم يبق اي شيء من هرمه الذي اسماه (نفر اير كارع طاهر) ومعبده(مقر رع المحبب). ويذكر حجر بالرمو ايقافه الاملاك باسم التاسوع ولارواح عين شمس (ذات الاعياد الخاصة) في الوجه البحري وللربة حتحور. واصدر مرسوماً يمنع تسخير اي كاهن في غير معبده والمحافظة على المعابد بواسطة كهنتها واعفى فلاحي ضياع المعبد من السخرة. وكان حسن العلاقة مع رجال بلاطه. وكثرت في زمانه منح المعابد من ضياع وهبات وقرابين الأمر الذي أدى الى قوة نفوذهم على حساب تلك للفرعون. ومن الموظفين زمانه رع ور الذي كان يحمل اكثر من ثلاثين من القاب الدولة وكشفت

مقبرته قرب ابي الهول حوت على خمسين غرفة و١٢٠ تمثالاً. واخبرنا في نقش بقبره بانه كان يفتتح احتفال عيد جر سفينة الوجه البحري وكان مقرباً عند الملك ومرة اصابته ضربة من عصا الملك صدفة فاعتذر منه الملك قائلاً (انت احب رجل عندي وأخص الناس بعطفي) وأمر الملك ان تدون الحادثة على حجر يوضع في قبر رع ور وهذه القصص تدل على نزول الملك من مكانته العليا ربما كانت نتيجة رغبة الملك في التقرب من ابناء الشعب. ثم الموظفين وش پتاح رئيس القضاة وكبير المهندسين الذي تدل اخباره عن كثرة الاعباء والمسؤوليات التي عهد بها اليه مليكه. وتي مهندس الملك باني هرمه وهو صاحب المقبرة الكبيرة في سقارة. وكانت وفاة وش پتاح صعبة على المليك فاستدعى لانقاذه (عندما وقع ارضاً وهو في معية جلالته) كبار الأطباء ولما توفي حزن عليه الملك واعتكف في غرفته وامر ان يصنع له تابوتاً من الابنوس ويعطر امامه وامر ولده ببناء قبره منحة من الملك.

ني اوسررع : وقد سبقه اثنان يظهر انهم اخوته شپس كارع (ايزي) ورع نو فراف. وقد حكم ني اوسررع ثلاثين سنة وشيّد هرماً ومعبداً له في ابي صير صور فيه اقدم رسم لاحتفال عيد سد. وتدل النقوش انه بعث بحملة الى سيناء سجلت في وادي مغارة صور فيها وهو يضرب الاسيويين كما ارسل حملة لتأديب اعداء في سوريا وثالثة ضد الليبين في الصحراء الغربية. ونعرف اثنين من زوجاته (ختي خوي ونبت) وابنتين له. ومن موظفيه الذين كشفت مقابرهم حتب حرى أخت نائب الملك في نخن والقاضي. ويعترف في نقوش مدفنه بانه لم يسرق مقبرة احد ويحذر من التعدى على قبره وهذه اول اشارة نعرفها الى سرقة القبور التي تدل على ضعف السلطة وزعزعة الايمان والضائقة الاقتصادية في البلد. وجاء بعده ني اوسررع الذي حكم حوالي ثمانية اعوام ولانعرف الاالقليل من اخباره منها ارساله حملة الى سيناء نجدها مدونة في نقوش وادي مغارة ذكرت (ام مسحت) اسم قائد الحملة وهو تقليد جديد لم يعرف من قبل. وقد عثر في معبده الجنازي على تمثال لأسير مقيد يدل على نشاط حربي له، وقد مثل على جدران الممر بين المعبد الجنازي ومعبد الوادي بشكل ابي الهول يطأ اعدائه (١). وأهم آثاره معبده الشمسي في ابي صير وهو من طراز خاص يتفق وعبادة الشمس نهاراً اراد من بنائه الى ابراز طاقة الشمس الكلية بان تغمر كل مكان العبادة وقد شيد على مرتفع لحمايته من الغرق. يرقى له بممر صاعد مسقوف طوله حوالي مائة متر يدخل نور الشمس له من فتحات بالسقف على ابعاد منتظمة. ويؤدي

الى مدخل المعبد المقام على مرتفع ويؤدي الى ساحة مفتوحة في نهايتها قاعدة ضخمة ارتفاعها حوالي عشرين متراً تعلوها مسلة كبيرة ارتفاعها حوالي ٣٦ متراً بقمة هرمية وامام قاعدتها مائدة قرابين ضخمة. والى يمين الساحةمذبح مرتفع قليلاً يتصل بعشرةاواني تسير فيها دماء الاضاحي لتصب خارج المعبد بحفرة كبيرة. كما حفرت في الصخر خارج المعبد جنوباً حفرة لقارب الشمس طولها حوالي ثلاثين متراً.

جد كارع اسيسي (٢٤٧٦ ـ ٢٤٤٨ ق. م.). وقد اهتم بسلامة الحدود واستغل مناجم ومحاجر النوبة ووادي الحمامات وسيناء. وفي الأخيرة ترك اربعة نقوش في وادي مغارة مع اسم القائد وهو ني عنخ خنتي خت وفي نقش كان اسمه مسبوقاً بلقب سارع (ابن الشمس). كما سجلت حملة في النوبة على صخرة عند وادي توماس. وقد ارسل الى بونت مستشاره باوردد الذي عاد مصطحباً قزم الحق باقزام القصر ورقص مع الاميرات والكاهنات. ويظهر ان فرح الملك بالقزم كان كبيراً فاغدق على موظفه الهدايا. وهذا امر مهم تدل على قوة الاتصال بالجنوب والارتباط التجاري معها. وله هرم يسمى هرم الشواف في منطقة سقارة فوق الهضبة وظهرت في معبده الفخم الجميل المنقوش عناصر عمارية جديدة مثل تزيين بعض المداخل باعمدة في شكل علامة ذات علاقة بعبادة اوزيريس. وعثر فيه على تماثيل لاسود وثيران اخرى لاسرى اجانب. وفي الجهة الشمالية الشرقية في الغالب هرم ومعبد زوجته الملكة.

وعاش في زمانه رجالات خلدها التاريخ المصري مثل اپنتي المسمى سنزم ايب وكان رجلا مؤثراً في البلاط كان كبير القضاة ووزيراً ومهندساً معمارياً ويذكر علاقته بالملك وتسلمه رسالتين من سيده الفرعون يشكره في واحدة على بحيرة صممها طولها ١٢٠٠ ذراع التي فرح بها. ثم پتاح حوتب مربي الملك الذي املى وصيته وخبرته في الحياة الى ولده. وربما كان پتاح حوتب من افراد الاسرة المالكة وحتى عماً للملك. ومن تعاليمه (لاتحاول ان تخدع الناس لان ذلك لانتيجة له. ان ماقررته الآلهة سيحدث. اذا كنت في منصب ويتقرب لك الناس فكن مؤدباً واصغ الى شكاة الشاكي ولاتعترض لكلماته حتى يخرج كل مافي قلبه وكل ماجاء ليقوله. الرجل المهموم يحب الموظف الذي يتقبل شكواه...الكلمة اللطيفة تضئ قلبه... اوصيك بامك التي حملتك. ارسلتك الى المدرسة حتى تتعلم الكتب وهي تشغل نفسها بك طول النهار...لاتدع لها فرصة توبيخك... حين يأتي الموت

يأخذ الطفل على ثدي امه والرجل المسن... حين يأتي الرسول ليحملك... دعه يجدك مستعداً لذلك)

اوناس (ونيس) : وهو آخر ملوك السلالة الخامسة واعتبره البعض اول ملك للسلالة السادسة على اساس حدوث تغيرات اساسية زمانه واتمام اول ملك من السلالة السادسة لآثاره التي لم يكتمل بناؤها. وعلى جدران حجرات هرمه الداخلية كتبت نصوص الأهرام التي أخذت تدون فيما بعد في اهرامات الملوك وبعض الملكات والقت اضواء على المعتقدات المصرية القديمة. كما نقشت على جانبي الطريق بين المعبد الجنازي ومعبد الوادي مناظراً تصوره يؤدي طقوساً دينية او مناظر تمثل زراعة وحصاد او الملك يدحر اعداء له او صيد بري او مائي الخ. والطريق مشيد ومسقوف بالحجر الجيري مع منافذ لاضاءة الطريق. وتوضح مناظره جوانب من الحياة المصرية امثال الصناع الذين يصقلون المعادن او الفلاحين الذين يجنون عسل النحل وصيد الاسد والنمر والذئب وحيوانات نادرة في مصر كالزرافة. واكثر المناظر اهمية منظر المجاعة التي تصور اجساد الضحايا أشبه بهياكل ويعتقد البعض بكونهم ليسوا مصريين. وان نصوص الأهرام التي وجدت مدونة على جدران الردهة وغرفة الدفن تهدف الى ضمان حياة سعيدة للملك او الملكة في العالم الآخر عن طريق القوة السحرية للكلمات المدونة وهي خلاصة لمعتقدات المصريين منذ اقدم العصور. وهناك نقش لاوناس في جزيرة الفنتيني تشير الى زيارته الجنوب. وشيد اوناس له هرمين ربما للجسد والروح إو لارضاء الشمال والجنوب ولا يزال هرمه الثاني مجهولاً. وعرفنا عن هرميه من لوحة بمدفن احد كهنة اوناس اسمه اخت حتب يذكر كونه كاهناً لقبري اوناس المعروفان نفر ايسوت وايسي ايسوت. وهرمه الذي اكتشف جنوب غرب هرم زوسر قد سرقه اللصوص وحطموا تابوته ويؤدي مدخله الى ممر ثم لغرفة مربعة بعد ثلاثة ابواب.

زادت سلطات حكام المقاطعات خاصة بعد حكم اوناس واخذوا يورثون مناصبهم لاولادهم ويحملون القاباً كالقائد العظيم او السيد العظيم للمقاطعة وظل ولاؤهم للسلطة المركزية باقياً بصورة اسميه لانهم صاروا مستقلين بادارتهم فلم يعودوا يشيدون مقابرهم حوالي قبر الفرعون. وفي نهاية السلالة الخامسة عين محافظاً للجنوب ليشرف على حكام المقاطعات الجنوبية ولانسمع عن محافظ للشمال ربما لانهم كانوا اكثر طاعة وولاء للسلطة المركزية واقرب الى العاصمة حيث الفرعون. (١٥)

السلالة السادسة : (٢٤٢٠ - ٢٢٨٠ ق٠ م٠) ومؤسسها تتي سحتب تاوي الذي لانعرف ان كان قد وصل العرش بحق الوراثة او الاغتصاب٠ والغالب ان ونـاس لم يترك خلفاً وان تتي قد جعل حكمه شرعياً بزواجه من أميرة للاسرة السابقة وبذلك تم الانتقال من السلالة الخامسة الى السادسة دونما اضطراب ونعرف عن موظفين خدموا السلالتين٠

تتي سحتب تاوي : وقد حمل لقب سارع الذي حمله جد كارع واونـاس من ملوك السلالة السابقة الأمر الذي قد يدل على علاقته بهم٠ وقد تكون زوجته من العائلة المالكة السابقة فاعطته الاحقية في الملك٠ ولكن عدم ورود ذكر اسم الاله رع في اسمه وكذلك في اسم اونـاس اخذه البعض للدلالة بان انتقال الحكم الى السلالة السادسة كان للتخلص من نفوذ كهنة رع٠ ولكن ليس هناك مايدل على ذلك وربما تكون زوجة تتي هي ابنة اوناس٠ وان بعض الموظفين استمروا في خدمة السلالة الجديدة بعد ان خدموا السابقة مثل سابو ابيبي كبير كهنة منفس٠ ويظهر ان ملوك السلالة السادسة توجهوا لعبادة الاله پتاح في منفس٠ ووصلتنا وثيقتان صادرتان عن كبير كهنة پتاح في منفس تدلان بان تيتي اراد تنظيم كهنوت پتاح٠ وهناك نص يرجع لهذه السلالة ينسب كل شيْ خفي وظاهر الى پتاح الواحد الخالق لكل شيْ٠ واخبرنا سابو ابيبي عن خدمته لاوناس وتقريب تتي له٠ ووجد تمثال لتتي مدون عليه العبارة (محبوب پتاح)٠ وربما يكون تتي بالأصل من منفس ولهذا اهتم بالاله پتاح وكهنته٠ ومن موظفي تتي كان مرروكا حاكم العاصمة وزوج ابنة الملك وصاحب اجمل واضخم مقبرة في سقارة ذات الجدران المنقوشة بالصور اللطيفة من الحياة اليومية وحجرات تزيد عن اثنين وثلاثين٠ وشيد تتي هرمه في سقارة وقربه هرمين لزوجتيه الملكية واخرى ثانوية٠ وقد وجد هرمه مسروقاً ومابقى من الجثة يدل على انها دفنت بسرعة مما قد يدل بانه مات ميتة عنيفة والذي يطابق مايقوله مانيثو بانه قتل من قبل حراسه٠ وذكر اسمه مدوناً على كسرات انية حجرية وجدت في جبيل بلبنان كا عثر على تسجيل بعثة له على صخور توماس في النوبة على شاطئ النيل الغربي بين الشلالين الاول والثاني٠ ومن الموظفين الذين خدموا زمانه ايسيسي خع كاهن مدينة الشمس الأعلى ونفر سشم پتاح الذي شيد قبراً له شمال هرم تتي واتخذ اسماً ثانياً ادخل فيه اسم تتي٠ ثم وزيره كاكمني الذي خدم الملكين أوناس وتتي٠ وان

تسجيل احصاء الماشية السادس من عهده على صخور محاجر المرمر في حت نوب (دير الجبراوي على شاطئ النيل الشرقي في شمال اسيوط) يدل بانه قد حكم مالايقل عن ست سنوات. وفي عهد تتي بدأ وني حياته وهو من اكابر موظفي هذا العهد ودفن في ابيدوس وترك على احد جدران مدفنه اطول نقش من حياته وترقياته الى مرتبة أمير وحاكم الجنوب ونائب الملك في نخن وسيد نخن والسمير الوحيد.

جاء بعده وسر كارع. وقد عثر على نقش في وادي الحمامات من هذه الفترة للملك يدعى ايتي ظن البعض انه هو نفسه وسر كارع ولكن يصعب تقبل ذلك. وليس هناك اية ادلة معاصرة له ويعتقد البعض انه ربما حكم نيابة عن الملكة او الوصية ايپوت عن ابنها القاصر. ولا نعرف عدد سني حكمه. وترك نقوشاً بوادي الحمامات.

پيپي الأول : ٢٤٠٢ ـ ٢٣٧٧ ق. م. (پيپي مري رع، پيوپي)

وكان اسمه بالسابق نفرساحور. وهناك خلاف في سني حكمه يعود الى اعتبار البعض حكمه ابتداء من وفاة او مقتل والده تتي سحتب تاوي اي انهم اعتبروا حكم وسركارع غير شرعيٌ. واراد ان يوفق بين كهنتي پتاح ورع، وان وضعه لاسم رع الى اسمه ماهو الا ارضاء لكهنة ايون. وزوجته الأولى يامتس والثانية مري رع عنخنس ابنة الأمير خوي لمنطقة ابيدوس. والأخيرة هي والدة خليفته مرى ان رع ويظهر ان امه ماتت في الوضع فتزوج من اختها التوأم التي تحمل نفس الاسم فانجبت منه پيپي الثاني الذي مات عنه ابيه وهو في الثانية من عمره. وقد ورد اسمه السابق نفرساحور في ثلاثة نقوش بصخور توماس بالنوبة. وشيد هرمه (اسماه الحسن التأسيس) في سقارة وغطيت جدرانه الداخلية بنصوص الاهرام. وحكم پيپي الأول حوالي خمسين عاماً. ويظهر من القاب ملكتيه الأولى والثانية واختها بانهن لم يكونوا من العائلة المالكة بل من نبلاء اقليم طينة تزوجهن ربما لضمان ولاء عائلتيها القويتين. واخبرنا موظفه وني في كتاباته بان الملك أمر بمحاكمة زوجته يامتس امام محكمة خاصة ومع الأسف ليس لدينا سوى هذا التنويه وربما كان السبب تآمرها عليه مدفوعة بغيرتها لزواجه من اثنتين غيرها. وكان وني مكلفاً بهذه المحاكمة رسمياً. وكان للزوجتين الأختين أخ اسمه زوي تقلد مناصب عدة زمن ابن اخته پيپي الثاني وحمل القاب الحاكم وكبير القضاة ومسؤول الملابس الملكية وحافظ

ختم الملك. وقد زاد زمن پيي الأول نفوذ النبلاء وان سرقة قبره وتمزيق جثته وازالة الخراطيش الملكية في الممر المؤدي الى غرفة الدفن ربما تشير الى ثورة ضده. وعثر على تمثال في نخن في الغالب له صنع من النحاس كان ارتفاعه ستة اقدام ومعه تمثال آخر صغير الحجم لطفل ربما يمثل طفله الأول. وكان پيي الأول بناءً عظيماً فقد عثر له في صان الحجر وبوبسطة (تل بسطة) وابيدوس ودندرة وقفط على آثار دون عليها اسمه. الى جانب اخرى من الفنتين وحتنوب ووادي الحمامات وسيناء وسلسلة ونخن .

عاش في عهد هذا الملك وني الذي ترك في مدفنه كتابات مفصلة بالوظائف التي تقلدها في حياته. فكان رئيساً لبيت الزراعة وكبير امناء پيي وصار قاضي وفم نخن (رئيس مجلس محكمة الستة) وناظر الخاصة في املاك جلالته. ويذكر ذهابه لتأديب بدو عامو الاسيوين رؤساء الرمال بجيش كبير وقضى على الثوار. وقد ارسله الملك خمس مرات لاخماد عصيان ارض البدو. ثم اخمد ثورة في بلاد انف الغزال (جهة الكرمل في فلسطين). ثم ارسله الملك ليحفر خمس قنوات في الجنوب عند الشلال الأول لتسهيل سير السفن التي تعترضها الصخور وليحضر حمولة ثلاثة قوارب واربع سفن بخشب اللبخ من واوات في النوبة.

يرجح ان پيي الأول قد اشرك معه في الحكم ابنه مري ان رع ولنا على ذلك دليلان اثريان في متحف القاهرة هي قطعة اثرية ذهبية عليها اسمي والقاب الملكين سوية والآخر التمثال السالف الذكر لپيي الأول وبداخله تمثال صغير لطفل في السابعة من عمره يرجح كونه مري ان رع.

مري ان رع - عنتي ام ساف : وجاء بعد پيي الأول وهو اكبر ولديه وقد حكم حوالي عشر سنين وتوفى وهو شابٌ لم يبلغ الحلم بعد اذ هناك خصلة من الشعر تتدلى على جانب راس مومياءه التي وجدت سليمة في هرمه رغم سرقة الهرم. وقد خدمه وني ايضاً وتدل كتابات الأخير على اهتمام سيده في بلاد النوبة اذ ارسله الى محاجر ابهات لاحضار تابوت (صندوق الأحياء). وقد زارمرى ان رع الحدود الجنوبية في سنته الخامسة خلدها بنقشين عند الشلال الأول قدم الطاعة له خلالها رؤساء المكا وواوات (منطقة كورسكو) وارثت (حول بلدة توماس في النوبة). ونتيجة لفتح الطريق الى

الجنـوب بـدأت رحـلات التـوغـل في هـذه الجهـات واعظم الجـوابين المصريين في هـذا الـوقت كان حرخـوف الـذي لايـزال قبره على الضفـة الغربيـة من شـلال اسـوان. وكان يحمـل لقب مـدير القـوافـل وقـام بثـلاث رحـلات قبـل وفـاة سيـده الملـك مرن رع وقـد سجـل رحـلاتـه هـذه على جـدران قبره. فـاخبرنـا عن ذهـابـه بـأمر الملـك مري ان رع الى يـام بصحبـة والـده ايري للكشف عن طريـق لهـذه البـلاد وقـد اكـل العمـل في سبعـة اشهر. والرحلـة الثـانيـة كانت في عهـد نفس الفرعـون الى نوب (يام) وكانت السفرة عن طريق وحات عـاد منهـا محملاً بمنتجات تلـك البلاد من بخور وابنوس وحبوب وتوابل وعـاج وجلـد فهـد. وتقع بلاد يـام بين الشلالين الأول والثـاني (بحيرة الغزال). وكانت رحلته الثالثة عن طريق وحات (الواحات الخارجة) وهو الطريق البري الـذي يخرج بـالقرب من نجـع حمـادي بـاتجـاه دارفـور عن طريـق وادي الملـك (قرب الشـلال الثالث حتى جبال النوبة)

ببي الثـاني - نفر كارع (ببـوبي) : تـولى العرش وهـو في السـادسـة من عمره وقـد ايـده الامراء ربمـا لنفـوذ خـالـه زعـو الأمر الـذي يفسر استتـاب الأمن زمـانـه. ويظهر ان امـه الملكـة كانت تتـولى السلطـة في بـدايـة حكمـه. وقـد عثر في محـاجر سينـاء على لـوحـة من سنـة ببي الثـانيـة عليهـا صـورتـه واسمـه ثم اسم الملكـة والقـابهـا (ام الملـك المتصلـة بهرمـه... زوجـة المبرر... محبـوبتـه المتصلـة بهرمـه... التي تحبهـا كل الالهـة). ويظهر ان رحلـة حرخـوف الرابعـة كانت في عهـده والتي احضر بهـا قـزمـاً وطلب الملـك اليـه الحضـور فـوراً الى منفس. وكان فرح الملـك بـالقـزم لايـدانى بحيث اخبره جـلالتـه بمـا نصـه (ارجـع الى البـلاط نـازلاً في النهر واترك كل شيً آخر ولتحضر معـك هـذا القـزم الـذي جلبتـه معـك من بـلاد الارواح حيـاً وسليمـاً... وعنـدمـا ينزل معـك في السفينـة اجعـل ان يكـون رجـالـك اليقظـون حـولـه من نـاحيتي السفينـة واعمـل ان لايسقـط في المـاء وعنـدمـا ينـام في الليـل اعمـل ان يكـون رجـالـك اليقظـون نـائمين حـولـه في حجرتـه وفتش عليـه عشر مرات كل ليلـة لان جـلالتي يريـد ان يرى هـذا القزم اكثر من محصولات بلاد بونت وكنوزها).

هناك الرحالة سبسنى الذي ذهب لاحضار جثة والده نحو الذي قتله الزنوج في واوات وايريته وفعلاً احضر جثة والده الذي دفنه قرب قبر حرخوف ودفن قربها هو نفسه بعد موته - وهناك حركتي الكشف التي قام بها بيبي نخت الذي قام برحلتين الى بلاد النوبة وشمال البحر الأحمر واخمد ثورة في بلاد ارثت ثم رحلة عنخت نيني الذي ارسل الى سواحل البحر الأحمر مع حملة وكان يريد اولاً بناء سفينة والسفر بها الى بلاد پويني (الصومال التي اعتبرها المصريون شبه مقدسة واعتقدوا انهم بالأصل منها).

كان زعو خال پيي الثاني هو وزيره وخلفه ابنه ايبي الذي كان اول الأمر حاكماً لمقاطعة نخن ثم لمقاطعة طينة ثم عين حاكماً للجنوب ومقبرته بدير الجبراوي مليئة بالتهديدات (اذا دخل اي انسان هذا القبر فاني سانقض عليه كالنسر واني روح فائقة اعرف كل التعاويذ...). وجاء بعد ايبي ابنه زعوشمع الذي حكم المقاطعتين في أواسط حكم پيي الثاني. وجاء بعده ابنه زعو الذي سبقه في حكم المقاطعتين وذكر لنا انه التمس الملك عند موت والده ان يرث هو الامارة مما يوحي بوجود اخ منافس له وان الملك ايده في طلبه. وقد وجدت مقابرهم منحوتة في الصخر بمنطقة القصر والصياد قرب نجع حمادي بمحافظة قنا. تقدر بردية تورين مدة حكم پيي الثاني باكثر من تسعين سنة ويجعلها مانيثو ٩٤ عاماً اي انه مات وله من العمر المائة عام. وجاءت جدران هرمه مغطاة بنصوص الاهرام اكثر من اسلافه، ووجد تابوته الغرانيتي سليماً بينما لم يبق من جثته سوى اللفائف. وهرمه في جنوب منطقة سقارة والى قربه اهرام زوجاته الثلاثة.

ان مدة حكم پيي الثاني الطويلة ادت الى نهاية المملكة القديمة اذ وضح ضعف السلطة الملكية في نهاية عهده الراجعة الى انهاك موارد الثروة الملكية لكثرة المصروفات الباهضة في تشييد الابنية والهبات الخيرية الكثيرة والمعفاة من الضرائب الى جانب اراضي التاج التي اعطيت لحكام الاقاليم لخدماتهم كملك لهم يورثوها لاولادهم الذي اوضح ضعفت السلطة المركزية وازداد نفوذ حكام الاقاليم على حساب قوة الفرعون. الامر الذي ادى، الى ازدياد الاعباء على عاتق الدولة فتعطلت المشروعات العامة.

ارسل پيي الثاني البعثات الى مناجم سيناء والمحاجر واخمد ثورات في النوبة. ويظهر انه بلغ من الشيخوخة حداً لايقو به على حكم البلاد. وخلفه في الحكم مر ان رع (عنتي ام ساف) الذي لانعرف شيئاً عن حكمه وحكم سنة واحدة ثم جلست على العرش امرأة هي نيت ايقرت التي يسميها مانيثو نيتوكريس لم تبق الا عامين ثم عمت الفوضى وانتهت السلالة السادسة. ومصادرنا عن تلك الثورة الجامحة التي انهت السلالة برديتي ايپوور ونفرتي. ودونت الأولى على لسان رجل حكيم تمكن من الوصول الى الفرعون وطلبه منه انقاذ البلاد ويصف ماوصلت اليه الحالة من السوء والاخطار التي حاقت بالبلاد وثورة الناس على الموظفين والاغنياء وعصيان الجنود المرتزقة من الاجانب قادة البلاد الى جانب تهديد الاسيويين للحدود الشرقية وتغلغلهم في البلاد. والملك الذي كان يخاطبه ايپو ور مسناً فلابد وانه پيي الثاني. ويصف البؤس الذي حل بالبلاد من سرقة وقتل وتخريب وقحط وتشريد الموظفين وتفكك الادارة وموت التجارة الخارجية وتولي الغوغاء مراكز الطبقات العليا وتركت الحقول دول زرع واخذت عصابات البدو تندفع الى البلاد وتعيث فيها نهباً.(١٦)

حضارة المملكة القديمة :

الحكومة : ان الميزات التي اكتسبتها مصر والتقدم والثراء خلال السلالات الاربع الأولى رسخت عقيدة الوهية الفرعون. فربما كان النيل يفيض بانتظام الأمر الذي عزاه المواطنون الى الاله الحاكم. وقد طرأ تبدل في العقيدة الخاصة بالملك خلال السلالة الخامسة. فالملك الآن هو اله الشمس العظيم (أحر أختي) الذي ولد كل الآلهة الفراعنة واضاف الفرعون الى القابه الآن ابن رع. فهو ابن حورس المرتبط مع جميع الآلهة ونسل اوزيريس كما تذكر بردية تورين. ويظهر من وثيقة متأخرة باحتمال اعتقاد الكثير من المصريين حتى خلال السلالتين الثالثة والرابعة بعدم رضى الآلهة عن ملوك السلالة الثالثة حيث ورد (ان رع غير راضٍ عن خوفو...وعندما سمح لولده وحفيده بالحكم فان ذلك لانهم كانوا يريدون ان تحكم مصر بعد ذلك بملوك يزيد احترامهم وتقديسهم الآلهة عن بنائهم قبوراً لهم، ملوك يشيدون المعابد ويقدمون الاضاحي الكثيرة على المذابح). ورغم ان هذه العبارة توضح حجة ملوك السلالة الخامسة عند اخذهم

السلطة ولكنها دون شك تبين بعدم الرضا وبكونهم يستغلون الشعب لمنفعتهم الخاصة. فالفرعون وطقسه الآن راسخ الاساس، فهو اله وتؤكد النصوص والمناظر مسؤوليته. فترتيله تذكرْ (ليس هناك من يعلم عداك، انت الملك الذي شيد المعابد، المدن وانتصر بالمعارك ويجمع الضرائب). هو الاله الوحيد الذي يعيش بين الناس ويمكنه ان يتصل بهم ويصبح اي واحد منهم. ويطابقه نص مع الكثير من الآلهة، فهو سيا (اله الادراك) وهو رع وهو خنوم وبستت الالهة الحامية وسخمت . والملك هو كاهن جميع الآلهة. وكانت النصوص الجنازية الخاصة به خلال المملكة القديمة تختلف عن تلك للنبلاء. فالأهرام تمثل رفعة الملك وتمثل مدافن النبلاء حول قبره مركزية الدولة وحرصهم على خدمة الملك في العالم الآخر كما خدموه في هذا العالم. وقد اطلق على الفرعون لقب (الاله الطيب) وكانت املاك التاج واسعة وصار ينعم على مقربيه بالضياع. وكان اسمه مقدساً لايجوز الاكثار من ذكره بل يستعمل بدله عبارات تقديسية امثال جلالته، حورس الذي في القصر، البيت العظيم. وكثيراً ماكان يتخذ شارات الآلهة وملابسهم. وكانت للفرعون اعياده الخاصة التي يحتفل بها الشعب مثل عيد التتويج. وعلى الملك ان يتعبد لاسلافه من الملوك الآلهة فيشيد لهم المعابد ويقيم الطقوس ويحتفل باعيادهم وهو الوسيط بين الناس والآلهة، حاكم الدنيا والآخرة. فهو الذي يحمي البلاد ويضمن العدل ويؤمن للناس وسائل عيشهم ويشرف على مشاريع البلد ويحمي مدنهم من كل غائلة. وكان امراء البيت المالك يعملون في الدولة وحتى توكل اليهم وظائف دينية ويشغلون وابناءهم المناصب المهمة ولهم ادارة خاصة بوثائقهم.

كانت اعداد الموظفين كثيرة ومن الصعب معرفة اعمالهم بالضبط، وكانوا يختارون من بين المثقفين ويعينون بمرسوم يبدء الواحد منهم بوظيفة كاتب ثم يتدرج في المناصب الادارية المحددة قانوناً ثم يعهد اليه بمرسوم جديد عمل اداري مهم يحق له به حمل العصا ويطلق عليه نائب الملك في القرية ثم المدينة يشغل بعدهما مناصب عالية (حاكم منطقة، مدير مصلحة عامة الخ). وقد تصل القاب الملك الى الاربعين وهي اما ألقاب فخرية لاقامة الشعائر الدينية كرئيس المرتلين، الكاتب الالهي. ومنذ السلالة الثالثة كان كهنة الملك يمنحون اللقب قريب الملك او المعروف لدى الملك. وفي زمن السلالة الرابعة كان المرتلون الأول يلقب كل منهم امير(ايري بعت)والذي كان : يطلق في عهد السلالة السابقة على كاهن الاله رع الكبير وهو ثاني شخصية في البلاد. ثم اطلق الملك على احد اولاده اللقب المرتل الأعظم. ثم صار كاتب الملك الالهي الخاص

مساوياً للكاهن الاعظم للاله رع وطحوط والملك. ثم لقب السمير الوحيد، امير (حاتي عا) ولقب قريب الملك التي كانت في البداية مقتصرة على افراد قليلين. ثم الالقاب الخاصة بالملك وقصره كمدير القصر، حارس التاج، حاكم القصر، مدير مالية القصر. ومنذ السلالة الخامسة اطلق على القصر اسم الداخل وكان خاصاً ببيت الملك الخاص حيث يربي اولاد الملك مع اولاد امراء بعض المقاطعات. وكان للملك حامل نعال، منظم شعر وطبيب، غسال ومنظف اظافر. ثم القاب كهنوتية، وكان قصر الملك والهرم ومعبد الشمس هي الاماكن الرئيسية لاقامة الطقوس الدينية تقام الشعائر في الأول للملك الحاكم وفي الثانية للفرعون المتوفي وفي الثالث للاله رع. وان تطابق الملك مع اله الشمس جعله مرتبطاً بطقوس التاسوع في معبدي عين شمس (بر سنوت). وكان الملك يعبد في معبدي مصر العليا في نخن (المعبد العظيم، برور) ومصر السفلى في بوتو (معبد النار، بر نسر). ثم صارت شعائر الملك اهم الطقوس وتتم في المعابد كلها برعاية كهنة يشرف عليها موظفو دولة.

وكان رئيس كهنة الملك الاعظم اعلى الجميع مقاماً ويحمل لقب امير و (الذي في القلب) اي قلب الملك. وفي السلالة الرابعة كان لقبي رئيس كهنة نخن ورئيس المرتلين حكراً على اولاد الملوك. وفي السلالة الخامسة ظهر بجانب الكهنة المرتلين (الخرحب) كهنة آخرون(**خك نيسوت)لتقديم** قرابين الملك. علماً بان كبار كهنة پتاح يحملون نفس اللقب مما يدل على ارتباطهما. ويراسهم احد الكهنة ويتم اختيارهم من بين اكابر رجالات البلد خاصة البلاط. ثم الكهنة المطهرون لاقامة الشعائر اليومية ولهم ادارة خاصة (بيت التطهير المزدوج) يرأسه مدير. وهؤلاء الكهنة يتم **اختيارهم** من بين رجال القصر وكبار الكهنة في السلالة الرابعة واضيف لهم جماعة من كبار الموظفين في السلالة الخامسة. وهناك الكهنة المعروفون باسم حم كا (خدام الروح المادية) الذين يقيمون الشعائر الملكية في القصر ومعابد الهرم والمعابد الأخرى التي فيها مذبح للملك.

استحدث في السلالة الرابعة منصب الوزير التي شغلها احد اولاد الملك الذي كان بنفسالوقت كاهناً لطحوط رب القانون. ومن الوزراء المعروفين في السلالة الرابعة كانفر ونفر معات اولاد سنفرو وحفيده ثم حميون بن نفرمعات وني كاورع بن خفرع. وكان الوزير راس الادارة الاعلى يشرف على جميع الاعمال العامة يساعده رئيس البعوث التي ينقل اوامره ويوافيه بالتقارير الخاصة بالمقاطعات. وبيد الوزير السجلات الملكية حيث المراسيم والعقود والوصايا وهو رئيس القضاة ورئيس محكمة الستة العليا. وفي نهاية السلالة الخامسة الحقت به الخزانه والزراعة وجميع المنشآت الملكية.

ومن الوظائف الاخرى حاملي اختام ملك الوجه البحري والقبلي· وكانوا رؤساء بعثات الى المناجم ويقيمون الرحلات التجارية الى الخارج فغالباً ماكانت عندهم جيوش واساطيل ويحملون لقب قائد الجيش او امير الاسطول وربما اداروا الاوقاف الملكية· وكان للحكومة ادارات عدة تسمى بيوت الملك ولكل منها كتبه كثيرون· ولم يكن الموظفون متخصصين في عمل معين بل يجمعون بين الوظائف المدنية والعسكرية والقضائية والدينية ويتقاضون اجورهم عيناً من الضرائب او من منتجات املاك الملك· وكان للملك عماله الكثيرون الذين يقومون بعمل الخبز وانتاج الجعة والخمر والمنسوجات التي يقدمها الملك للامراء وكبار الموظفين الذين تذكر النصوص كونهم يعيشون من مائدة الفرعون· وكانوا يتسلمون من الملك ايضاً الضياع بفلاحيها· وكثيراً مانقرأ عن منح الملك لموظفيه المقربين تابوتاً او باباً وهمياً او مائدة قربان او يسمح له بشرف تقبيل قدمه او يمنح ارضاً تغطي وارداتها مصاريف طقوس مقبرته· وزاد الموظفون ابتداء من السلالة الرابعة وصاروا يطمعون في توريث وظائفهم لابناءهم وحتى منصب الوزارة صار وراثياً في بعض الاسر· وصار لكل عمل لقب خاص وشاع انتحال الألقاب مما حمل اصحاب الوظائف الحقيقية الى اضافة الكلمة حقيقي الى القابهم لمنع الشك· واثرى الموظفون وتملكوا الضياع الواسعة وشيدوا المقابر الكبيرة ذات الاثاث الفاخر من اموالهم الخاصة·

وفي العاصمة كان المقر الرئيسي لادارة البلاد يسمى بيت الملك وهو غير القصر الملكي (برعا) ويتضمن ادارة القيود برئاسة الوزير وادارة المحفوظات وبيت عقود الوجهين القبلي والبحري وبيت رئيس الضرائب· وهناك مصلحة للحقول تقسم الى ادارات للاراضي الزراعية، المراعي، حيوانات الانتاج والبرية· اما مصلحة المالية والتي سميت (البيت الابيض المزدوج) فكانت بيد الوزير· وكانت مكلفة بحفظ المعادن الثمينة ودفع الرواتب· وفي السلالة الخامسة استحدث بيت الذهب لخزن احتياطي الحكومة من الذهب· ويظهر ان الذهب زادت اهميته في السلالتين الرابعة والخامسة في تكوين مالية الدولة (جمعه من الضرائب والمناجم والجزية) الأمر الذي يفسر ثراء الدولة · وتشير الادلة ان المحصولات التي كانت تجلب الى مصر كان يفرض عليها ضرائب· ومنذ السلالة الاولى كان حامل الخاتم مديراً للقوافل وربما يشرف على مرور القوافل التجارية· وحمل اهل الواحات منتوجاتهم بالقوافل الى وادي النيل· وكان الملوك الاغنياء يصدرون الحبوب· وكان في الدلتا مدن تعتبر مراكز تجارية مهمة لوقوعها عند ملتقى الطرق وارتباطها بالخارج· ونعرف عن علاقات الدولة مع پونت، جبيل والنوبة·

وكانت الاشغال العامة بيد مصلحة خاصة زادت اهميتها منذ السلالة الرابعة باقامة الاهرامات وملحقاتها من معابد ومدن. وكثرت اشغالها منذ السلالة الخامسة نتيجة انشاء الملوك لمعابد عظيمة للشمس. وكان رئيس المعماريين الملكيين منذ السلالة الثالثة من شخصيات الدولة المهمة ويحمله غالباً الوزير واولاد الملوك واعضاء مجلس العشرة العظيم. وارسلت الحملات لاستغلال مناجم سيناء ومحاجر الحمامات بحثاً عن الاحجار الكريمة والدهنج واحجار البناء وكانت تديرها مصلحة الاشغال العمومية. واعتنوا بقياس ارتفاع النيل في موسم الفيضان حتى يتم تقدير المحصولات، فاذا وجد ان مياه الفيضان ليست كافية بحاجة الزراعة اتخذوا الاحتياطات اللازمة قبل تفشي القحط في البلد.

كانت مصر مقسمة الى مقاطعات عدة وسمى حاكم المقاطعة رئيس حفر الترع ثم عرف بحاكم المقاطعة او حاكم القصر ومرشد الارض. وفي السلالة الرابعة كان حاكم المقاطعة موظفاً يعين بمرسوم ملكي ويتم اختياره من بين الكتاب وكان ينقل من مكان لآخر. وكان يشرف على القضاء والسجلات والجباية. وكان كلاً منهم يأمل ان يرقى الى وظيفة مهمة في العاصمة او عضواً في محكمة الستة العليا او نائباً للملك في نخن الخ. وهناك الى جانب حاكم المقاطعة هذا (زاب عدج مر) حكام آخرون يحملون لقب حاتي عا يختارون من وجهاء البلد يهبهم الملك حكومة المقاطعة ويعينهم بمرسوم تكون بموجبه ريع المقاطعة لهم ويوزعون الادارة فيها بين افراد اسرهم. وبالتدريج قويت الصلة بين الحكام ومقاطعاتهم ووهنت ارتباطاتهم بالحكومة المركزية فصارت مناصبهم وراثية واخذوا يشعرون بالقوة والاستغلال فشيدوا لهم قبور في مقاطعاتهم بعيداً عن هرم الفرعون دون ان يكترث الملك بذلك. فصار لبعضهم سلطة واسعة مثل حكام الفنتيني الذين تمتعوا بكل سلطان الفرعون في مقاطعتهم. ويظهر ان الفراعنة قد ادركوا خطر ذلك فعينوا حاكماً للجنوب مرتبطاً بالحكومة المركزية ولكن وجود اكثر من حاكم للجنوب في وقت واحد اضعف قيمته ثم صار لقباً يحمله حكام المقاطعات الاقوياء الأمر الذي ادى الى اضعاف الحكومة المركزية. هذا ومنح كبار الموظفين اراضي شاسعة اعفيت من الضرائب مما قلل دخل الدولة .

القضاء : حرص المصريون على تطبيق الاعراف والقضاء. فكان رع هو اله العدالة وعرفوا تحوت باسم القاضي الاول واعتبروه رب القوانين وماعت الهة العدل. والملك هو القاضي الأول وكلمته هي القانون التي عهد بها عملياً الى القضاة. ونسمع عن عقود ومستندات منذ

المملكة القديمة. وان خوف المصري من عقبى الآخرة ووجود الملك الاله جعله متقيداً بالحق. وكان امراء المقاطعات في السلالة الرابعة يحملون لقب قاضي وكان نائب الملك منذ السلالة الثالثة يرأس محكمة المقاطعة. وكان لمدن الوجه البحري نظامها القضائي الخاص. ونقرأ عن القاضي رئيس الشرطة والقاضي الجابي الذي يفصل في الخصومات بين الجباة والمولين. وكانت الاجراءات القضائية تتركز على وثائق ويمكن عرض المتخاصمين على هيئة تحكيم من الكهنة الذين يمثلون الوقف المتنازع عليه. ومن كتابات السلالة الرابعة نقرأ عن قضاة مختلفي الدرجة (قاضي كاتب، قاضي كاتب اول، قاضي مدير مكتبة) مما يدل على كثرة وتشعب مصلحة العدالة ، كما كانت هناك محكمة عليا للدولة تسمى المحكمة الكبيرة والتي عرفت باسم محكمة الستة العليا في السلالة الخامسة. وكان للوزير سلطة قضائية ولقبه قاضي باب الثعبان وهو ممثل الفرعون المباشر وراس السلطة القضائية. وكان حاكم المقاطعة رئيس محكمة مقاطعته. وفي بداية المملكة القديمة كان هناك قاضي المدنيين خاصاً بسكان الوجه البحري مما يدل على ان سكان المدن كانت لهم امتيازاتهم القضائية السابقة. وصار منذ السلالة الخامسة قضاة من هذا النوع في الوجه القبلي الأمر الذي يدل على ان هذه السلالة قد وحدت الوجهين قضائياً. وكان اعضاء محكمة الستة العليا ينتخبون من اعضاء مجلس العشرة العظيم. وهي محكمة البلد العليا تحت سلطة الوزير. ويلحق بها قضاة يحمل كل منهم لقب قاض فم (نخن) ولقضاتها مستشارون للتحقيق السري وآخرون لتهيئة الاحكام. وكان القضاة المحققون يؤلفون طبقة خاصة منفصلة عن قضاة الجلسة. وبعد انتهاء التحقيق تقدم القضية امام احدى جلسات محكمة الستة. وكانت كل قضية تقدم للمحكمة بعريضة مع موظفين مكلفين بهذه العرائض لهم رئيس. واذا لم تقتنع المحكمة بالمستندات فتأمر باجراء تحقيق جديد او سماع شهود واصدار الحكم ونستنتج من نقوش الوزير مرا والامير بيبي عنخ ان هناك عقوبات بالضرب والحبس وقطع الرقبة وربما كانت هذه خاصة بالمجرمين السياسيين. ونقرأ في بردية وستكار باسطورة خوفو والسحرة عن مجرم حبس حتى ينفذ به حكم الاعدام بضرب رقبته. وتخبرنا الورقة بان الزانية كانت تحرق حية(١٧)

الدين والمعتقدات : ادى الدين دوراً اساسياً في حياة المصريين حتى عرف عنهم في عصور متأخرة انهم اكثر الامم تديناً وكانت الدولة ذات طابع ديني قوي. ولم يكن

للمصريين دين معين فهناك الرسمي والممارسات الشعبية وجمع دينهم بين عبادة الطبيعة و التماثيل و مذهب الحلول. وكان لمصر نظامٌ دينيّ متكاملٌ في عصور ماقبل السلالات. فالمقاطعات التي انقسمت لها مصر آنذاك كانت لها اعلام خاصة هي رموز لحيوانات او نباتات ربما مثلت اقدم المعبودات المصرية. وربما كان لكل مدينة الهها الحامي الخاص الذي يعتبروه خالق الكون والبشر. ولما اتحد الوجهان اصبح اله المدينة العاصمة هو اله المقاطعة الرسمي وتبعه آلهة المدن المغلوبة. علماً بان للظروف الطبيعية التي تسود مصر تأثيرها على الدين. وظلت الالهة التي تمثل العناصر الطبيعة محترمة في مصر حتى عصورها المتأخرة وكذلك عبادات مختلف المدن المحلية حيث كان اله كل مدينة يسمى باسمها ويلقب بسيدها والمدينة بيته. ودون الكهنة المحليون اسطورة الهية ومذهباً عن خلق الكائنات وتاريخاً مقدساً ورأياً في طبيعة الهم، وعلى قدر شهرة معبدهم ينتشر مذهبهم. وامتاز المصريون بالمحافظة والامتناع عن التجديد دينياً وعدم نبذ الصيغ العتيقة لذا بقيت القديمة والحديثة جنباً الى جنب رغم كونها احياناً متناقضة او عديمة النفع.

فلما كانت تنقلات المصري نهراً بالنيل فقد تصور الشمس والقمر والكواكب تنتقل في السماء كالسفن والسماء بحرٍ حيث يأتي المطر. وان هيمنة النيل على حياته جعلته يقدسه ويقدم القرابين له ويؤلف التراتيل حتى لقبوه بها (ابي الالهة) واعطوه بعض صفات الاله اوزيريس وصوروره في مناظرهم كخادم للآلهة او صياد سمك.

فالحيوية واضحة في الدين المصري بعبادة السماء والارض والنيل الخ. والطلسمية (الفيتشية) نراها في تقديس المصري للأشجار وبعض الاحجار وحتى اعتباره التماثيل كادوات حلت بها روح المعبود والنار الخ. والطوطمية في تقديسه الحيوانات. وقد ظلت كل هذه في الدين المصري خلال جميع ادوار تاريخه القديم. وعند توحيد الوجهين لابد وان ربطوا معبوداتهم بعلاقات قربى، ففي دندرة صار ايحي ابناً الى حتحور يجلس في حجرها. وتقبلت الالهة نايت في سايس الاله التمساح سوبك ابناً لها واتخذ پتاح الربة سخمت حبيبة له. واندمجت في ايزيس آلهات مختلفة واندماج عدد كبير من الالهة في رع مثل اتوم اله نخن. ومنذ هذا العهد انتشرت عبادة الشمس وربما لكون ملوك السلالة الخامسة كهنة. فصار منذ السلالة الخامسة اكثر الآلهة قدسية واضاف الناس اسم رع على

اسماء الآلهة القديمة مثل سوبك ـ رع، مونت رع، خنوم رع. كما اثر توحيد مصر في صياغة الاسس الدينية. وقد مثل المصريون منذ بدء السلالات اكثر الهتهم بجسم انسان وراس الحيوان المعبود او بشكل انسان وظلت بعض الحيوانات المقدسة تمثل باشكالها الحيوانية التامة مثل عجل منفس المقدس (أپيس). وكما تحولت بعض الالهة العامة الى آلهة محلية وقع العكس حيث صارت آلهة محلية معبودات عامة ومن ذلك صيرورة الاله حورس ذي الأصل الحيواني ملك السماء بعينين عظيمتين هما الشمس والقمر.

ومن الآلهة المصرية اتوم اله اون (هليوبوليس، عين شمس) الذي اعتبر من بعد شمس المساء وصور كملك بالتاج المزدوج لوجهي مصر وحيواناته المقدسة الأسد وابن عرس والافعى. وميز المصري بين شمس الصباح التي صورها كجعل كبير ونراه في صورة يدفع قرص الشمس امامه على وجه السماء، وشمس الظهر (رع) وشمس المساء (اتوم). وتخيل الشمس على شكل صقر او كاله براس نسر (حوريس ومعناه البعيد). واعتقد بوجود ثعبان يلتف حول قرص الشمس لحراستها ولهذا السبب نراه يزين جبين الفرعون. واشد اعداء الشمس الثعبان ابوفيس الذي اعتبر رمزاً لكل مكروه. ولكن ليس من عدو للشمس (ابوفيس، السحب، المطر، البرد) يقدر ان يتمكن منه حيث تدافع عنه الآلهة الأخرى وتصطحبه بسفينته السماوية السمكة ابدو التي تبلغ سائقي قاربه باي خطر. وتصل الشمس عند المساء الى الغرب حيث تكون آلهة الغرب في استقبالها عند الجبال التي تعين حدود العالم السفلى فتركب الشمس آنذاك القارب الليلي لتجوب العالم السفلى حتى نهاية الليل ثم تخرج لتستقل قارب النهار عند حدود العالم الارضي. وفي العالم السفلى يفرح الجميع باتوم ويقدموا له شكاواهم وقبل ان يترك العالم السفلى على اتوم ان يغتسل في بحيرة ايارو ليزيل عنه اللون القاتم الذي اكتسبه في الليل ويرتدي ملابسه الحمراء ويظهر عند جبل بش فتفرح جميع المخلوقات لظهوره فتغرد الاطيار وتقفز الاسماك وتصيح القردة لان جميعها تردد اناشيد تمجد الشمس. واعتقد المصريون بوجود قصر خاص للشمس في حقول ايارو او بالمنطقة الباردة سموها قاعة اتوم او دار حورس واعتبروه قصر الحاكم العادل.

كان الاله امون (عمون) خلال هذه الفترة الهاً ليس له شأن لمعبد صغير في مقاطعة الصولجان وعاصمتها ارمنت (پرمنتو) ولم يتعاظم الا في بداية المملكة الوسطى. ثم انوبيس اله مدينة كاسا (كينوپوليس، القيس) في مصر الوسطى وهو احد آلهة الموتى ومثلوه بشكل

رجل براس ابن آوى واعتبروه احياناً اخاً لاوزيريس وحتى ولداً غير شرعي له من نفتيس (نبت حت) او ولداً للأخيرة من ا ستخ ونقرأ عنه مرة كابن للاله رع. واعتبره المصريون اله كل مقبرة وسموه سيد الغرب (حيث تقع مدافنهم) وسبب اتخاذهم رأس ابن آوى يعود دون شك الى كون الثعلب يجوب الصحاري ليلاً حيث تقع المقابر. ومثل المصريون اله آخر بشكل ابن آوى اطلقوا عليه اسم اوب وات صوروه ساعياً على ارجله كان في الغالب الهاً حربياً وله زميل يحمل نفس الاسم صور كل منهما بدبوس حربي وقوس. وهناك اله آخر بشكل ابن آوى اسمه خنتي امنتيو رب مقبرة ابيدوس الذي اندمج مع الاله اوزيريس فيما بعد. ثم الاله انوريس (ان حرت) اله طينة في الجنوب وسمنود (ثب نثر) بالشمال ومعنى اسمه الذي يحضر البعيد وربما كان وجهاً للاله شو وتذكر الاسطورة ذهابه لاحضار شو من عين شمس. وصور على شكل رجل بثوب طويل مزركش وفوق راسه ريشتان طويلتان ويسحب حبلاً متدلياً من السماء وبصحبته محيت (صورة من تفنوت) وربما كان الهاً دخيلاً فرض نفسه وحل محل الاله شو الذي صار يعرف باسم اونوريس. والربة ايزيس (است) ومعنى اسمها الكرسي وفي الاصل الهة سماء من الدلتا وربما من بوتو (ابطو) بالتحديد وادمجت في قصة اوزيريس كزوجة له واعتبرت ام حورس ومثلت كامرأة حاملة كرسي فوق راسها او قرنين مثنين بشكل قيثارة بينهما قرص شمس. والاله اوزيريس (اوزير) اله جدو (ثر اوزير - ابو صير بنا) في الدلتا حيث حل حسب مايظهر محل اله اقدم منه هو عنجتي. وقد صارت لديانته شعبية بالغة منذ اقدم العصور. فمثل في منفس بالاله سكر وفي ابيدوس بالاله خنتي امنتيو وكلاهما آلهة موتى لذا صار اله الآخرة. والالهة باخت ربة كهف ارتميس قرب منعت خوفو وصوروها بشكل قطة واعتقدوا بسكناها الصحراء الشرقية وتجول في وديانها وترسل السيول الى الصحراء. والالهة تفنوت ربة پرمجد (اوكسير هينخوس - البهنسا التي اعتبرت ربة خصب وزوجة شو اله الهواء الذي يحمل السماء وصورت بشكل لبوة او امرأة براس لبوه وعبدت مع زوجها في ليونتوپوليس بالدلتا. والالهة باست ربة باستت (بوبسطة - الزقازيق) التي مثلت كامرأة براس قطة تحمل بيدها سستروم واعتبرت الهة المرح. والربه سخمت في منفس التي مثلت بشكل لبوة واعتبرت ربة المعارك وهي زبه رحو بمقاطعة خم (ليتوبوليس - اوسيم) في الشمال. والالهة نفتيس اخت ايزيس ومعنى اسمها (سيدة المنزل) وسميت احياناً بالهة الكتابة. والربة نيت الهة صا الحجر التي صورت كامرأة بتاج الجنوب تحمل قوساً وسهمين. وحتحور وشبت (ساتيس) الهة آبو (الفنتين - جزيرة اسوان) ومثلت كامرأة على

راسها تاج الجنوب ومعه قرنان بشكل قيثارة وهي زوجة خنمو الثانية. وسرقت (سلكيس) التي صورت على هيئة عقرب او على شكل امراة براس عقرب او امراة تحمل عقربا على راسها **وتصورها** بعض الاساطير اما للاله حر اختي أو زوجة لحورس وانوكيس ربة جزيرة سهيل (سثيت) ومنطقة الشلال الاول وصورت كامرأة فوق راسها قلنسوة اسطوانية عالية مضلعة. وقد عرفنا الالهتين نخبت وواجت الهتي الشمال والجنوب. وكانت الالهة موت ليست بذات مركز رفيع في المملكة القديمة كالذي حصلته في الدولة الحديثة. والالهة المهمة كانت نوت ربة السماء التي صورت كامرأة ضخمة بجسم مقوس على شكل قبة فوق الارض وفمها وفرجها بمستوى الافق وهي زوجة اله السماء وسميت فيما بعد حتحور. والالهة سشات الآنفة الذكر. ومن الآلهة الأخرى تحوت (جحوتي) اله دمى نخر (هرموپوليس پرڤا ـ دمنهور) بالدلتا وبعد ذلك في (هرموپوليس ماكَنا ـ الاشمونين)، ومثل بشكل رجل وراس الطائر المائي ابو منجل مع قرص القمر احياناً وبقرد وهو اله القمر والكتابة والتقويم وعبد فيما بعد بطيبة تحت اسم **خونسو وكانت زوجته في** الاشمونين الربة سشات التي صورت كامرأة على راسها عود ينتهي بنجمة ذات سبعة اشعة. واعتبروه المشرف على نظام العالم ومحاسب وكاتب الالهة. والاله حورس اله الشمس الذي صوروه كباز او رجل براس باز حاملاً على راسه قرص الشمس. وهو حامي الدولة وعبد في جميع مصر وعرف باسماء محلية كثيرة امثال حورس خنتي ارتي (حورس المفضل على العينين)، حورس أختي (حورس الافق)، حورس م اخت (حورس في الافق) والمنتقم لوالده، وابن ايزيس وجامع الأرضين الخ. وفي ادفو كان الاله الاب **والابن بنفس الوقت.وقد تمثل** في عصور قديمة بالاله خنتي ختي لمدينة حت تاحر اب (اتريب قرب بنها) جنوب الدلتا. والاله حرى شفيت على شكل كبش او برأس كبش وعبد في حت نن ني سوت **(اهناسية ،** هيراكليوپوليس) في مدخل الفيوم واعتبر زوجاً لحتحور. والاله خنوم (خنمو، خنوفيس باليونانية) رب مقاطعة شاس حتب **(هيپسيليس، شطب)وسنى (لاتوپوليس بالجنوب)واشتهر كاله** لالفنتين وصور بشكل كبش او برأس كبش، وهو الذي تجعله اسطورة خالق البشر على دولابه الفخاري واعتبر وزمرته في الجنوب الهة المياه الباردة التي تنبثق من هناك. والاله سوبك (سوخوس باليونانية) رب شدت (الفيوم) ونبت (كوم امبو) حيث اعتاد الناس الاحتفال فيها بظهور الفيضان كل سنة. كما عبد في سايس حيث قيل عنه (الذي يعطي الحياة للنباتات على الشاطئ) واعتبر فيها ابن نيت الهة المياه وصورت ترضع تمساحاً من ثدييها. وقد اطلق عليه اسم صاحب الوجه الجميل مما يدل بكون عبادته نتيجة الخوف

منه. والاله ستخ رب بنت (اومبوس) في الجنوب قرب نقادة وصور على شكل حيوان او انسان برأس ذلك الحيوان الذي لاتعرف هويته قيل انه الخنزير البري، الكلب السلوقي، الحمار الخ. وكانت عبادته شائعة في الجنوب ثم صار عدواً لاخيه اوزيريس وحورس. وقد مثل كائناً يخافه الناس وكان بادئ الأمر اله عواصف واشترك في قصة اوزيريس. وقد لقبت الملكات المصريات بلقب (التي ترى حوريس وستخ) مما قد يعني ان الالهين قد احتفظا بزوجة واحدة. واعتبروا لونه الاحمر الذي يمقته المصريون. والاله سوكر (سوكاريس) وصور كانسان برأس نسر واعتبر اله موتى واله مقبرة منفس تمثل اولاً في پتاح ثم امتزج مع اوزيريس وكانت منطقته المقدسة تسمى رستاو (باب الممرات) اي العالم السفلي. ثم الاله شو رب ليونتوپوليس وصور كرجل تعلو راسه ريشة وقام بدور في لاهوت عين شمس وحيوانه المقدس الاسد وزوجته تفنوت. وهو رب الهواء موقعه بين نوت (السماء) وغيب (الارض) ويحمل نوت الهواء على ذراعيه. والاله كاموت ف (كامفيس) ومعناها فحل امه ويظهر انه صورة اقدم من الاله مين رب كوبتوس (قفط، اخميم) حامي المنطقة الصحراوية والقوافل التي تمر منها الى البحر الاحمر. كما كان اله خنت من (اخيم، پانوپوليس) وصور كاله تناسل يلبس على راسه طاقيه بريشتين وربما كان بالأصل اله سماء. **وغيب كانت الهةالارض ابنة شوواخت نو** .
اما نون فهو الماء الازلي الذي اعتبره المصريون اصل كل شي وكان يحيط بالعالم ومثل الهوة الازلية والمحيط الكبير.

شغل خلق الكون المصري القديم ووصلتنا منه جملة اساطير تمثل مدارس فكرية مرتبطة مع المدن العواصم التي تريد التاكيد على اهميتها السياسية بالاستناد على تفسير كوني . فالخالق في مصر قد برز من الهوة الازلية والمحيط الكبير (نون) واخذ في خلق الالهة التي هي تجسيم لعناصر الكون . فالفم الالهي صنع اجزاء الكون بواسطة ماعت (تجسيم الحق والعدالة والصدق والنظام) من الماء الازلي . وانبعثت من الأخير الارض التي نمت الاشياء عليها ومن بيضة طير مائي جاء مخلوق حي (بقرة) . ثم خرج برعم لوتس من الماء وفيه اله طفل ركب على ظهر البقرة التي تسبح في الماء (الطفل هو اتوم (الشمس) والبقرة هي السماء). وتذكر قصة اخرى ان اتوم لما خرج من الماء الازلي لم يجد ما يقف عليه فطلب ماعت من نون فكانت على شكل حجر بن بن التي رمز لها بالمسلة حيث يقف اتوم وصار اعظم من ابيه نون . فخلق العالم ثم اخصب اتوم رع نفسه فخرج شو وروجته تفنوت (الهواء والرطوبة) . وكانت نوت (السماء) ترقد فوق غيب (الارض) وررزق الاخيران باربعة هم اوزيريس ، ايزيس ،

ستخ ، ونبت حت وهكذا تشكل التاسوع الالهي برئاسة اتوم . وقد انبثقت من اللاهوت الخاص بالشمس هذا عقيدتان فلكية وأرضية وهي :

١. الفلكية وتصف احداثا وقعت في فترة حكم تاسوع عين شمس (ايون) الالهي . فنذكر ان رع سيد العالم واجه اكثر من عدو فقضى عليهم جميعا ثم ثار الناس عليه لشدة حرارة الشمس صيفا ولكنه انتصر في النهاية . وفي اسطورة نقرأ رواية اخرى بكون رع بشكل قطة ضخمة قضى على اعدائه وانه لما تقدم به السن جمع اهم اعضاء تاسوعه الالهي (شو ، تفنوت ، نوت، غيب) وطلبوا منه ان يوجه عينه نحو المتآمرين عليه ففعل وهرب الاخرين الى الصحراء فامر عينه وهي الاهه حتحور ان تلاحقهم ففعلت وارتوت من دمائهم ثم عطف عليهم فاسكر حتحور بجعة بلون الدم فثملت وانقذ العصاة . وقد حزت الخيانة في نفس رع فترك العالم. ورفعته نوت الى السماء على ظهرهاواصيبت بدوار شديد عندما نظرت الارض فشكت المها الى رع الذي امر شو ان يسندها من تحت بطنها . ونقرأ في نصوص الاهرام ان غيب قد خلفت والدها رع ولكنها لقت ما لقى والده وانتصر بفضل رع حور اختي ونظم البلد . ونقرأ في قصة خليقة اخرى ان الاله رع ارسل العين للقضاء على البشر ولكنها لم ترجع فارسل شو وتفنوت للبحث عنها ولكن العين بكت ومن دموعها جاء البشر .

ب . الارضية وسميت كذلك لان لاساطيرها صدى في الكتابات التاريخية اللاحقة . وقدم لنا بلو تارخ رواية تستند دون شك غلى كتابات مصرية لان نصوص الاهرام تحوى شيئا من تفاصيلها ذات صيغة يونانية رومانية . فبعد ان لعن رع الالهة نوت امر ان تظل عاقرا طيلة ايام السنة ولكن طحوط رأف بحالها فخلقت الايام الكبيسة الخمسة فولدت بها اوزيريس ، حورور ، ستخ ، ايزيس ، وبنت حت . واعتلى اوزيريس العرش بعد ابيه غيب وكان عاهلا طيبا رعى البلاد والناس . وكان اوزيريس موسيقارا بارعا فحقد عليه اخوه ستخ فتامر عليه مع اخرين ووضعوه في صندوق احكموا سده والقوه في النيل . واخذت ايزيس تبحث عن جثة زوجها اوزيريس حتى وجدتها في شجرة ارز بجبيل كان الملك قد قطعها واقامها كعود ودعامة في قصره . وعملت ايزيس كمربية في قصر ملك جبيل وفي احدى الليالي رأتها ملكة جبيل تحوم حول العمود بشكل طائر فما كان من ايزيس الا ان تعترف فأعطوها الصندوق المخفي في العمود وعادت به الى مصر حيث اخفته في مستنقعات شميس . ثم ولدت

حورس ورعته في بوتو وكان ستخ خلال تلك المدة قد وجد الصندوق وقطع جسد اوزيريس المخفي فيه الى قطع عددها اربع عشرة بعثرها في اماكن عدة . واخيرا تمكنت ايزيس من العثور على اجزاء جسم زوجها ودفنت كل قطعة في مكانها وصار اوزيريس ملك الموتى . واعتزل هذه المملكة فترة ليهيئ ولدة حورس لحرب ستخ , وفعلا تم له ما اراد وانتصر حورس وقيد عمه ستخ وجاء به الى امه ايزيس التي اشفقت عليه وفكت قيوده الامر الذي اغضب حورس, فالقى بتاج امه ارضا فعوضها طحوط عنه بما يماثل راس البقرة . وعندما تحرر ستخ اتهم حورس بانه غير شرعي .

ونقرأ في احدى برديات چستر بيتي عن هذا الصراع الذي دام ثمانين سنة ظهر فيه حورس كابن غير شرعي وستخ كشرير وايزيس ماهرة . وتحول ستخ وحورس الى فرسي ماء وتصارعا على التاج الابيض الخاص بالجنوب وتدخلت ايزيس فدفعت حربة في جسد ستخ ثم اطلقت سراحه مما اغاض حورس فقطع راسها . وهنا ارادت الالهة معاقبته فهرب ولكن ستخ عثر عليه فاقلع عينه ودفنها . ورآته حتحور فرقت لحاله وسقته حليب غزالة امسكت بها فشفت عينه . واستدعى رع الالهين حورس وستخ بالكف عن الحرب واقترح ان يصنع كل منهما قاربا حجريا يتسابقان في النهر بهما . وصنع حورس قاربه من الخشب وغرق قارب ستخ فتحول الى عجل بحر واغرق قارب حورس فطعنه حورس بحربة وذهب في قاربه الى الربه نيت طالبا منها المساعدة ثم طلبها من اوزيريس الذي حذر الالهة من عاقبة وضع العراقيل امام ولده وهددهم بقدرته على خلق المتاعب بصفته رب حنطة وسخر رع من التهديد ولكنه لما قرأ خطاب اوزيريس امام الهة التاسوع وافقوا عليه واصدروا حكمهم لصالح حورس واحضروا ستخ مكبلا بالقيود وتنازل عن حقوقه وجلس حورس على عرش والده ووضع التاج الابيض على راسه وقدمت ايزيس الطاعة وطلب رع ان يكون ستخ ابنا له ثم منحه الصحراء.

وهناك رواية اخرى تمثل الصراع بين حورس وستخ مدونه على جدران معبد ادفو تعود الى العصر البطلومي انتصر في نهايتها حورس ومنحة رع قرص الشمس المجنح كشعار.

٢- لاهوت هيرموپوليس : ولم يخلق اله الشمس نفسه في هذا اللاهوت بل انحدر من ثامون متالف من اربعه ارواج بشكل ضفادع اوحيات خلقت بيضة وضعتها فوق مرتفع على سطح نون هيرموپوليس خرجت منها الشمس .وبذلك ينتهي هذا اللاهوت بالشمس التي ولدت بموجبة في هيرموپوليس والزوج الاول من الالهة هم نون ونونت اللذان يمثلان

المحيط الازلي ثم حوح وحوحت ويمثلان المياه المتدفقة ثم كوك وكوكت ويمثلان الظلام الخيم قبل خلق الشمس في الفضاءالازلي ثم امون وامونيت .

٣- **لاهوت منفس :** فعندما صارت منفس عاصمة الدولة الموحدة حاول كهتها **أن** يجعلوا من پتاح الاله الاكثر اهمية وراس التاسوع المكون من تاتنن (الارض البارزة فوق وجه الماء) ثم اتوم ، نون ،نوت،حورس ،طحوط ،نفرتوم والثعبان . فپتاح قد ادرك العالم بعقله قبل ان يخلقه بالكلمة ثم القرائن والقوى التي تعمل على استمرار الحياة . اما اتوم فهو العقل الدي يعتلي عرش القلب (وشكله الالهي حورس)**وهو الارادة التي تبين عن** طريق اللسان (تحوت)· ثم خلق پتاح بعد ذلك المدن والامصار وما فيها فهو الاصل في خلق الانسان والعالم .

قدس المصريون الى جانب**الآلهة** انصاف الالهة لم يشيدوا لها معابد مثل حعپي (نهر النيل) مثلوه مرة كصياد سمك واخرى كشخص بجسم ناصح يرتدي حزام الملاحين وفوق راسه حزمة من ورق البردي . وسخت الارض الزراعية وعلى جبهتها زهرة **السوسن**، نفري ,**رب الحبوب، رنوت، المة الحصاد**، حقت ذات راس الضفدعة التي تنفح المولود روح الحياة ، مسخنت المشرفة على الولادة ، تاورت حامية الحاملات صورت بجسم فرس الماء وفم تمساح وارجل اسد وايدي امرأة وبس القزم المشوه ذو اللحية المنفوشه واللسان البارز والبطن المنتفخ والسيقان المقوسة وذنب الفهد والذي يشرف على الموسيقى والرقص والزينة .

المعابد : المعبد كما يستدل من اسمه (پر) هو منزل الاله، وكانت المعابد المصرية تبنى من الحجر عكس منازل الاحياء التي كانت تشيد من اللبن· ومع الأسف نظراً للتجديدات الكثيرة، لم يبق من معابد المملكة القديمة الابقايا معبد الشمس من السلالة الخامسة والذي شرحنا نظامه·

كان الفرعون هو كاهن الآلهة الاعلى الذي له **فقط نظرياً حق اداء الطقوس الدينية** لجميع الآلهة· وهو الذي يعين رؤساء الكهنة من ابنائه وافراد الطبقات العليا ليقوموا نيابة عنه بخدمة الآلهة في معابدها· وهناك اصناف عدة من الكهنة منهم من يقوم بالاعمال المادية في المعبد كالخدمة وسموا بالطاهرين (وعبو)· ثم رجال الدين الحقيقين الذين

يقومون بالوظائف المقدسة مثل اطعام الاله بتقديم القربان له وحرق البخور، اكساء وتزيين تمثال الاله واطلق عليهم اسم عبيد الاله. ثم حملة الأدوات المقدسة وذابحو القرابين ومفسروا الاحلام وقراءة التراتيل الدينية (خرهب). وكان يشترط بكل الكهنة النظافة والطهارة

الافكار الاخروية : المصريون القدماء منفردون في آثارهم الجنازية الضخمة التي تدل على اهتمامهم بالموت والحياة بعد الموت. فالبنايات الضخمة (الاهرام، المدافن، المصاطب الخ) والاثاث الجنازي الفاخر والطقوس المعقدة الباهضة الثمن كلها مؤشرات واضحة. واقدم الادلة الكتابية عن الافكار الآخروية بمصر وردت في نصوص الأهرام. وهي صيغ سحرية تحمي عند تلاوتها روح الفرعون وتساعده في مباشرة حكمه في العالم الثاني. فنقرأ بها عن عدم موت الملك واتحاده مع اله الشمس. وتوضح لغتها وموضوعاتها وعدم ترتيبها بانها تعود الى عهود اكثر قدماً من المملكة القديمة. ورغم كونها مركزة على عبادة الشمس الا ان بعضها ذات علاقة بطقوس اوزيريس الذي يمثل الطبيعة وحتى النيل واله الخصب وكونه، حسب ذكر الاساطير، ملك مؤله علم المصريين الزراعة والتدجين ثم قتل وبعث حياً واعترفت الالهة بخلافة ولده حورس له. فوجود العبادتين (اله الشمس واوزيريس) في نصوص الأهرام وعملها على التقريب بينهما يدل على ان تبلور هذه النصوص استغرق زمناً طويلاً. فهي تكشف التغير في شخصية الفرعون وتعمل على تسجيل مروره من منزلته كملك في هذا العالم الى منزلة مساوية او اعظم في الحياة الأخرى. وان كثرة مصادر النصوص تفسر التناقض الذي نلاحظه فيها. ففي الوقت التي تؤكد بان الفرعون قد ولده اله الشمس قبل خلق الكون والموت ولذلك فانه لايموت. نراها تحاول تأمين المتوفى بمختلف الطرق بان جسمه لم يتفسخ (ان عظامك لم تتحطم، لحمك لم يتفسخ، لم تتساقط اعضاء جسمك منك، انت احد الآلهة). وضمنها نصوص تخص حفظ الجثة الامر الذي تشير الى معرفة المصريين للتحنيط ولو في شكل أولي وقد وضعت هذه بشكل اسطورة اوزيريس الذي طوبق معه الفرعون الميت، وهذا اقدم ذكر نعرفه حالياً عن طقس اوزيريس. وتعكس نصوص الأهرام الرعب الذي شعر به المصري من ظاهرة الموت والاعتقاد الراسخ بان مخاوفه يمكن التغلب عليها بالوسائل العملية التي توصل الى حياة سعيدة خالدة مع الآلهة. وتظهر فيها العناصر الرئيسية النفسانية وهي كا، با، اخ وايب (القلب) والتي تمثل محاولات لتحديد عناصر خبرة مختلفة وكل واحدة لها ارتباط اساسي بالجسد. وقد اعطيت قائمة من الآلهة التي تصحب الكا في نصوص الاهرام

وتخاطب عبارة الفرعون الميت (اسرع حتى تسترح مع قرينك (كا)· ولانعرف ان كانت الكا موجودة على الارض خلال الحياة حيث ان بعض عبارات نصوص الاهرام تشير الى سكناها في السماء· ورغم ان البعض فسر كا بكونها القرين (الصورة غير المادية للجسم) اعتبرها آخرون روحاً حارساً يولد مع الانسان ويعي به بعد الموت· فالموت عند المصريين القدامى انفصال العنصر الجسدي عن العناصر الروحية· وهناك با التي فسرت بالروح ومثلها المصريون في شكل طائر برأس انسان واعتقدوا بانها حرة يمكن ان تعرج الى السماء او تزور الجسد في القبر· اما الاخ الذي صوروه في شكل طائر ابو منجل فهي شبيهة بالبا حيث نقرأ في نصوص الأهرام ايضاً (الأخ تعرج الى السماء والجسم ينزل الى الارض) وهناك مايشير الى ان المصري القديم اعتقد ان الميت يتصل بالأحياء ويتدخل في شؤونهم· فقد كتب شخص في قبره (اي رجل يدخل قبري··· سوف امسك به كنسر واقاضيه امام الاله الاعظم)· ونعرف ان المصريين ابتداء من نهاية المملكة القديمة مارسوا عادة مخاطبة موتاهم (ماتسمى بالرسائل الى الميت) وتوضع باماكن بارزه في قبورهم فيلاحظها الميت وله القدرة على الاستجابة لها· وهذه المخاطبات على انواع شتى· ففي واحدة تسأل ارملة زوجها المتوفى ان **يرعى مصالح ورثته · وباخرى يطلب** زوج من زوجته المتوفية ان تتوقف عن انزال الاذى به· اعتقد المصري ان الروح وان انفصلت عن الجسد فانها بحاجة اليه لكي تعيش فاذا باد الجسم هلكت الروح لذا عملوا على حفظ الجسد· وفي بادئ بدء دفنوا الجثة ملفوفة في الجلود برمل الصحراء الذي يجففها ويحفظها وقد تطور الحفظ الى التحنيط الذي رأينا بدايته في مقابر حوت على اجسام مكفنة بلفائف في عناية وكل عضو مدفون على حدة وكانت اولى تجاربه بوضع النطرون على الاجسام وهي مكفنة او بلف الجسم في لفائف منقعة بالراتنج وماوصلنا من مومياء هذه الفترة كانت في حالة سيئة ، ولكن التحنيط لم يصل الى تكامله الا في المملكة الحديثة· فالمصري كان مقتنعاً بان اذا ماعادت الروح الى الجسم فانه يحيا حياة جديدة في قبره مشابهة لتلك على الارض وتمكن ان يتمتع بما وضع له في قبره من الاثاث والمواد ومايحضره له الأحياء·

اعتقد المصري بالبعث الذي جاءتنا غالبية ادلتنا المدونة حوله من العصور اللاحقة· وتصور الميت يعيش في قبره الذي هو المدخل لعالم الموتى داخل الارض تضيئه الشمس بعد الغروب لذا صار عالم الموتى في الغرب· وان الكثير من الموتى المجدين لم يرتضوا بعالم تحت الارض مسكناً فصاروا نجوماً في السماء ومنها موتاهم من الملوك· وطابقوا فرعونهم

مـديري بحـارة السفن العظيـمة ٠ وكان الاسطـول، مقسما الى نـوعين من السفن سميـا الاسطـولين البحرين وهنـاك رتبـة ضـابـط ممتـاز بـالاسطـول ربمـا يكـون مستشـار قيــادة ٠ وكان الامير رع حوطب بـالسلالـة الثـالثـة هـو قـائـد الجيش وامير الاسطـول وحمـل اخرون نفس اللقب ٠ وكان الفرعـون هـو القـائـد الاعلى للجيش عهـد بـه في السـلالـة الخـامسـة الى قـائــد اعلى هـو عضـو في مجلس العشرة العظيم مثـل رع حتب من السـلالـة الثـالثـة ٠ وفي السلالـة الخـامسـة فصلت الادارة المـدنيـة عن العسكريـة وقسم الاثنـان الى قسمين خاصين بمصر العليـا والسفلى ٠ وكان بيت الاسلحـــة تحت امرة امير ملكي او زوج اميرة ملكيــــة ٠ وحمــل كل قائد اعلى للجيش لقب مــدير اشغـال الفرعـون كانت تبني الحصــون والسفن وتهي المــوونـه والســلاح واللبـاس٠ وكان حكام المقــاطعــات مكلفين بفحص المجنــدين وتهيئـة قـوائم بهم ٠ وتظهر انــه كان بمصر جيش من المرتـزقــة (نحسي) شمـل نـوبيين وربمـا ليبين ٠ وكان الملوك في الســلالــة السـادسـة يمنحـوهم اراضي وله نظــام خــاص يطلـق عليـه الجيش المنظم الى جـانب جيش المرتـزقـة ٠ وكان النحسي تحت امرة مـدير النحسي حملـه حــاكم المقــاطعـة المتنفـذ ٠ وحرس كل هرم ومقبرة ملكيـــة جنـودا من النحسي والجيش هـو المكلف بحراســة البعـوث الى سينــاء ومحـاجر طرة ووادي الحمـامـات٠ ويظهر ان ملوك السلالـة السـادسـة حـاولوا جعل القيـادة في رجـال اسرتهم بـدليل وجود قـائـدين في اوائل السلالـة من اقربـاء الملـك٠ وفي نهـايـة السـلالـة السـادسـة صـار لقب القـائـد العـام للجيش يختفي ثم وصار تجنيد الجنـود بـاشراف الفرعـون مستحيـلاً بظهـور الامـارات الاقطـاعيـة٠ ونستـدل من نص وني بـان تغيراً اســاسيــاً طرأ على الجيش في السـلالـة السـادسـة حيث صـار جيشـاً اقطــاعيــاً وقسم الجيش الى فصــائـل حسب الاقـاليم وعلى رأس كل منهــا امير المقــاطعــة ونـائب الحصن او الكاهن الكبير وظـل النحسـو تحت قيـادة رؤسـاء مختصين٠ وبـذلـك صـار للجيش طـابـع اقطـاعي ولـو انـه صـوريــاً كان برئـاسـة الفرعـون الـذي يعين رئيسـه٠ وافتخر وني بـانـه وضـع خطــط الحملـة وان جنـوده لم يسرقوا احداً او نعلاً او ملابس من ايـة بلـدة٠ وكانت الخـدمـة العسكريـة في المملكـة القـديمـة اجبـاريـة فكل مقـاطعـة ومعبـد تقــدم الجنـود للعمـل في قطـع الاحجـار او الغـزو ولانعرف القـاعـدة التي يقوم على اسـاسهـا التجنيـد٠ ونقرأ في لـوحـة ان الابن الاكبر كان كاتبـاً للجنـود ٠٠٠٠ وكان يـأخـذ المجنــدين بنسبــة $\frac{1}{100}$ من الرجــال٠ ونلحــظ في رسـوم جــدران طريـق معبـد ونـاس الجنـازي ان كل فصيـل كان تحت امرة ظـابـط فهنـاك ظــابــط الخمســة والعشرة٠ (٢١)

الأدب : لم تردنا قطع ادبية كثيرة من هذه الفترة تمكننا من الخروج بتقييم شامل للأدب وسوف نخوضه كلياً في نهاية بحثنا عن مصر. ومن القطع التي وردتنا من المملكة القديمة نصوص الأهرام التي تعتبر خير نموذج للادب الديني نقرأ منها (لم يمت الملك، لقد اصبح واحداً يشرق كشمس الصباح في الافق الشرقي ويستريح من الحياة كالشمس الغاربة في الغرب ولكنه سيعيد اشراقة في الشرق. هل قال احد انه مات ؟ كلا هو الشمس هو حي الى الابد. ايها العالي بين النجوم التي لاتختفي .. سوف لاتهلك ابداً، الرجال يسقطون وتنتهي اسماؤهم ولكن رع يمسك بهذا الملك بيديه ويقوده الى السماء حتى لايموت على الارض بين الناس. انه ابن سفينة الصباح التي قد ولدته على وجه الارض ولادة سليمة..).

وهناك القطعة الخاصة بالسنين السبع العجاف المدونة على صخرة في جزيرة سهيل قرب الشلال الاول (السنة ١٨ لحورس : نيتجر ايرخت، ملك مصر العليا والسفلى نيتجر ايرخت الالهتين، نيتجر ايرخت، حورس الذهبي زوسر.... احيطك علماً كنت في كرب حول العرش العظيم والذين في القصر كانوا متأثري القلب من الشر الكبير جداً. ومنذ ان توقف النيل عن المجيء زماني لمدة سبع سنوات. الحبوب قليلة، الفواكه جفت وكل شيء يأكلونه قد نقص وكل رجل سرق اخاه. يتحركون دون سير، الطفل يصرخ والشاب ينتظر وقلب الرجل العجوز في حزن، تقوست سيقانهم ..الخ).

ومن هرم اوناس وببي الاول وردتنا شعيرة قربان الطعام المسماة عين حورس نقرأ فيها (ياوزيريس-الملك نفر كارع، خذ لنفسك عين حورس، ارفعها لرأسك، رفعة خبز وجعة. ارفع رأسك ياوزيريس ارفع وجهك ايها الملك نفر كارع الذي رحل مجده...). ولدينا اغنية حاملي المحفة وردت من قبر ايبي في دهشور : (ادخل المحفة، انها سليمة، ادخل المحفة انها طيبة. ان اعواد الحمل على اكتاف الحمالين، يامحفة ايبي كوني ثقيلة كما اريدك، انها مسرة وهي مليئة اكثر من كونها فارغة).

ومن السلالة السادسة وصلنا لاول مرة ادب التراجم والرحلات متمثلة في كتابتي وني وحرخوف. ففي كتابة الاول نقرأ (انزلتهم (الجيش الذي رافقه) في الجزيرة الشمالية عند بوابة ايمحتب في ناحية حورس رب الحق سنفرو، ...وفتحت هذه الجيوش الطريق مما لم

مع الشمس وفي السماء يدخل الملك حقل ايا رو (الأسل) فيزدهر الزرع ويحكم هناك بين رعاية شعبة الذين من بينهم حاشيته وجماعته والطيبين.

كانت تجرى للميت طقوس جنازية عدة عند وفاته وفي اوقات معلومة فيا بعد، ومن هذه الطقوس الدفنية : **وطقس فتح الفم**. وكان الأخير يتم بادوات واشارات خاصة على جثة المتوفى او تمثاله حتى يستعيد حواسه ويقدر على الكلام والأكل والتمتع بما في قبره. ثم طقس تقديم القربان الذي كان بسيطاً في البداية كوضع رغيف في صحن على حصير ثم يسكب عليه الماء. وكانت هذه القرابين تقدم بكثرة للملك وافراد اسرته وحاشيته. وقد بدأت القرابين في الزيادة والتنوع منذ المملكة القديمة تصطحبها شعائر. وسمي القربان عين حورس التي عرفنا من الاسطورة عن انتزاع ستخ لها وارجعها حورس الى والده اوزيريس. واعتبر المصريون الطقوس الجنازية واجباً مقدساً يقع على عاتق ابناء المتوفى خاصة الابن اكبر وتؤدى باستمرار خاصة في الاعياد. وعين الملوك في البداية كهنة جنازيين للقيام بالطقوس المطلوبة في معابدهم ومنحوهم الاوقاف لتغطية مصاريفهم الباهضة. ثم سرت العادة الى النبلاء، وحتى نقرأ عن عقود ابرمت مع الكهنة حددت بها واجباتهم والاراضي المخصصة لهم(١٨)

الحياة الاقتصادية : كانت الزراعة مهنة غالبية الشعب، وكانت الغالبية من الفلاحين مرتبطين بالارض يتبعون الارض. وكانوا يقومون بالزرع ومتعلقاته وبحفر القنوات ودره الفيضانات ووصلتنا الكثير من المناظر الفلاحية تصورهم اثناء العمل او يرقصون على انغام المزمار. وقد زرع الفلاح المصري الحبوب منذ اقدم الازمنة. وتذكر اسطورة ان اوزيريس وجد الشعير بين النباتات البرية فدرس صفاته وصنعت منه ايزيس الخبز لذلك صارت سنابل القمح والشعير مقدسة ترمز لاوزيريس. وعثر على سنابل شعير في مقابر من السلالة الخامسة واستخرجوا منه الجعة. ويظهر ان الذرة لم تزرع في المملكة القديمة. كما عرف زراعة الكثير من الخضروات والفواكه، العدس والحمص والكراث (منذ السلالة الخامسة) والكرفس والبطيخ والخس والبصل الذي ظهرت صوره على موائد القرابين في السلالة الخامسة والثوم والعنب (اقدم ذكر له في السلالة الثالثة) وعثر على رسم عصارة عنب من السلالة الاولى مما يدل على معرفتهم بالعنب قبل السلالة الثالثة بكثير. وزرعوا الكتان وصنعوا منه المنسوجات فاسطورة تذكر ان اوزيريس قد كفن في الكتان

بعد موته. ووصلتنا بقايا من اقمشة كتانية منذ عصر البداري ومرمدة بني سلامة. وتدل النماذج المكتشفة من بذور الكتان انه من نوع آخر لايزرع بمصر الآن. ومن اكفان بعض ملوك المملكة القديمة مايدل على ان صنع الكتان وصل حداً من الكمال تدل عليه الدقة والطراوة. ويظهر انهم عرفوا اربعة انواع مختلفة من نسيج الكتان ربما على اساس عدد خيوطها. وعرفوا نباتات استخرجوا منها الاصباغ مثل النيلة والعصفر (من زهر خاص) والحناء. واول ذكر لشجرة الزيتون كان في السلالة الثالثة. وزرع الاشجار الكبيرة التي استعمل خشبها ايضاً فجلب خشب السنط التي عثر على اجزاء من خشبها من عصور ماقبل السلالات والمملكة القديمة وقبله وكان يحضره من حنتوب وواوات وبنى منه سفنه الحربية وقواربه. ثم النخل التي عرفها منذ اقدم الازمنة واستعمل جذوعها في البناء واليافها في صنع الحبال، فحبال سفن ساحورع التي يبلغ طول الحبل ٣٠٠ ذراع كانت من ليف النخل الذي صنع منه ايضاً اشياء شتى. وشجر الجميز التي عثر على قطع من خشبها منذ عصور ماقبل السلالات وقدس شجرته واعتقد ان تابوت اوزيريس صنع من خشبها الذي صنع منه التماثيل والتوابيت، كما اكل ثمره وقدمها قرابيناً. ثم شجرة النبق التي عرفها واستعمل خشبها منذ عصور ماقبل السلالات وكذلك الأثل التي كانت شجرتها مقدسة عند اوزيريس لذا زرعوها على بعض القبور واستعملوا خشبها لصنع ادوات الفلاحة. والصفصاف الذي هو الآخر عرف، منذ عصور ماقبل السلالات. ثم نبات البردي الذي استخدم المصريون سيقانه في صنع القوارب والنعال والحبال والحصران والصناديق. وصنعوا منه ورق الكتابة وذلك بقطع سيقانه الى قطع صغيرة ينزع عنها لحاؤها وتوضع جنب بعضها ثم طرقها وضغطها حتى تلتئم وتصبح قطعة واحدة وقد تصل اطوالها الى مايقارب الاربعين متراً.

وعرف المصري منذ عصور ماقبل السلالات الفأس والمنجل. وعرف الفأس باسم مر بالمصرية الذي سميت عليه كل مصر الزراعية (تامري ومعناها ارض الفأس). ثم المحراث الذي تذكر الاساطير ادخال اوزيريس له. وعثر عليه لاول مرة تجره ثيران في آثار ميدوم من السلالة الثالثة. وكان ذاسكة واحدة بادئ الامر ثم صار بسكتين. كما استعمل المصري السكينة والمشط لتمشيط الياف الكتان وكذلك المجارف والمناخل والواح التذرية.

ان اهم الحيوانات التي عرفها المصري هي الثور ذو القرنين الكبيرين الذي يختلف عن الوحشي القصير القامه وذي القرون القصيرة. وانواع عدة من الغزلان والماعز التي عرفوا منها نوعين : الكبير والاهلي الصغير الحجم ذو الاذنين الطويلتين والقرن الصغير. واصطادوا الزرافة للاستئناس والفهد الذي استعملوا جلده لصنع الابسطة وغطاء الكراسي وكلباس للكهنة في الشعائر الدينية. وفرس النهر الذي استعملوا اسنانه منذ عصور ماقبل السلالات في صنع مقابض الخناجر والملابس من جلده السميك والفيل والذئب ووحيد القرن الذي اصطيد في عصور ماقبل السلالات واختفى منذ بدء العصور التاريخية. واصطادوا الاسود في المملكة القديمة واجتهدوا على استئناسه.

تدل الكتابات القديمة بان المصريين تملكوا قطعان الماشية الكثيرة واستحصلوا على اعداد ضخمة منها كغنائم. ويذكر سنب في مقبرته بالجيزة بانه امتلك ٢٠٠ الف ثور ومثلها ماعز وهي ارقام مبالغ فيها كثيراً ولكنها تدل على اهمية الماشية وكثرة المراعي والاهتمام بها. وكان هناك نوع من الاغنام شائعاً انقرض حوالي بدء المملكة الوسطى وهو النوع الطويل القدمين والذيل وللذكر منه قرنان ملتويان حلزونياً وصوفه قصير لذلك لم يستغل في صناعة الملابس. ودخل حوالي سنة ٢٠٠٠ ق. م. الاغنام ذات القامة الاعتيادية وذيل طويل والية ضخمة وصوفه قصير لذا لم يستعمل صوفه هو الآخر بصنع الملابس. وكان الحمار هو واسطة النقل خلال المملكة القديمة وهو المعول عليه في بعوث سيناء وعندما ذهب حرخوف برحلة كان معه ٣٠٠ حمار. وتدل الصور بان المصري استأنس نوعين من القردة الاول اخضر اللون براس كلب والآخر اصفر اللون. وفي مقبرة تسن من السلالة الخامسة كان القرد يصطحب سيده مع كلاب الصيد. كما عرفوا الخنزير منذ عصور ماقبل السلالات واحتفظوا بالضبع لاستعماله بالصيد ونراه في قبور العصر من الحيوانات التي تقدم قرابيناً

اصطاد المصري انواعاً عدة من السمك بالشص والشبكة والسلال والخطاف والمغرفة، وكانت بعض انواع منه محرمة عليه. كما اصطاد المصري الطيور بعصا الرماية الخشبية المنحنية النهاية وبالشباك التي تثبت في الارض باوتاد وتترك مفتوحة وتغلق عند دخول الطيور. وشباك الحقل التي يمسك بها اربعة اشخاص ويغلقونها عند دخول الطيور ثم الفخاخ التي صنعوها من الخشب او الجلد او الليف الخ. اضافة الى القوس والنشاب. وفي

المواصلات كان للنقل النهري بالنيل اهمية عظمى وصنعوا السفن المختلفة كالصغيرة من البردي التي تسع لشخصين والكبيرة التي تحمل شحنات كثيرة. واخبرنا وني انه احضر مائدة قربان ضخمة في سفينة صنعت من خشب السنط طولها ٦٠ ذراع × ٣٠ عرض صنعها في سبعة عشر يوماً وهي مدة قياسية في السرعة. ولنا من اسطول سنفرو الذي جلب به خشب الارز من لبنان خير مثل. وكانت لهم موانئ منذ عصر ماقبل السلالات على شاطئ الدلتا مثل متليس (فوه). وكان اساس التجارة عندهم المقايضة. ولاحظ البعض ان المتبادلين في السوق كانوا يحملون صناديق صغيرة تحوى على سلع لانعرفها لابد وان استعملت وسيلة للتبادل ربما بينها قطع معدنية. وقد وصلنا من عهد خوفو وثيقة بيع باع الكاهن تينتي بموجبها داراً الى الكاهن كامابو مقابل قطعتي اثاث وسرير خشبي وقد حددت الوثيقة قيمة كل قطعة منها بالشعت مما يدل على معرفتهم بمعيار ذي وزن معين ربما مختوم رسمياً. ونعرف ان منذ بداية المملكة القديمة كان نظام معيار الوزن يستعمل حلقة وزنها عشرة غرامات.

كانت موانئ مصر القديمة على مصبات فروع النيل قرب البحر المتوسط مثل متليس، صاالحجر، وابو صير تتاجر مع داخل البلاد وسورية. وقد وجدت آثار مصرية من عصر ماقبل السلالات في جبيل بلبنان. ونعرف عن حصول سنفرو على خشب الارز. ووجد في اساس معبد جبيل على قطع اثرية تحمل اسماء ملوك السلالة الرابعة منها اناء من حجر الديورايت وقطع عليها خرطوش خوفو، قدح مهشم من المرمر الصخري باسم منكاورع واخرى مرمرية عليها اسم مريت اتسي زوجه سنفرو ثم زوجة خوفو واناء مرمري عليه اسم وناس التي تسند صور السفن البحرية التي وجدت في طريق معبد وناس الجنازي بسقارة ورسوم معبد ساحورع (اسطول مصري عائد يحمل اسيويين) ودبتين مقيدتين في القيود من غابات لبنان. وفي متحف بيروت منحوتة عليها منظرين تصور ببي الاول او الثاني يقدم قرباناً الى اله او الهة مكتوب عليها (محبوب حطحور سيدة جبيل). ثم القطعة المنحوتة في اللوفر عليها الفرعون يقدم اضحية الى الهه بملابس مصرية. وصور حاكم مقاطعة اينتا من السلالة الخامسة في **مقبرته بدشاشة الاستيلاء** على مدينة نديا وحصنها بسورية. وقد اطلق المصريون على منطقة جبيل الاسم بلاد نجا واستحصلوا من سورية اخشاب الارز والصنوبر والبان والسرو وتلك الطيبة الرائحة.

وذكر وني كروم فلسطين وعثر في كنوسوس بكريت على اجزاء انية من الديورايت تماثل اوان من زمن سنفرو. كما وجدت في كريت اختام بشكل ازرار لها مايقابلها من مصر. وان الآثار المصنوعة من الحجر البركاني الاسود تدل على حصولهم على هذا الحجر من جزر بحر ايجة والحبشة. وكانت معظم ملاحة المصريين في البحر المتوسط (اسموه الاخضر جداً) اذ كان استخدامهم للبحر الاحمر قليلاً لكثرة شعبه المرجانية. **قمحولة شواطئه**. وجلب المصريون شذر ونحاس سيناء بطريقين الاول شمالي حتى خليج **السويس** ثم الى وادي طميلات. والثاني بحراً حتى القصير على البحر الاحمر ومنها **الى الييس عن طريق** وادي الحمامات. كما تاجروا مع پونت واول رحلاتهم المعروفة لها زمن **ساحورع** حيث جلبوا المر والالكتروم والاخشاب. وجلبوا من ليبيا الزيت الليبي الذي استعملوه لدلك الاجسام. اما علاقاتهم التجارية مع النوبة (تاستت = ارض النوبيين) فقد تعرضنا **لها**. ويظهر ان التجارة معها كانت مزدهرة (اسوان = سونت ومعناها التجارة) وكان اقليم النوبة السفلى كبيراً لانه يوصل الى الصحراء الغنية بمناجم الذهب (الواقعة الى الشرق) والى المناطق الخصبة في اعالي النيل. وعرفنا كيف ان ملوك المملكة القديمة ارسلوا الحملات المسلحة والبعثات لاستكشافها ولتأمين احسن الوسائل لضمان امن الطرق المؤدية الى اسوان.

صنع المصري انواع الاثاث سواء من الاخشاب المحلية الرديئة او المستوردة من غرب آسيا كالارز والسرو او المستحصلة من بلاد النوبة وپونت كالابنوس. وقد صنع انواع الأسرة التي شدت على بعضها السيور من الجلد طولاً وعرضاً او وضعت العوارض من الخشب كي يستقر عليها النائم. ومنها ماصنعت ارجله على شكل ارجل الثور الوحشي او من العاج او الابنوس وصنعوا انواع الصناديق الخشبية او الحجرية او العاجية لحفظ العطور والحلي رصعوها احياناً بالعاج او العظم باشكال هندسية. كما صنع المقاعد ومساند الرأس باحجام مختلفة والمحفات وصنع الاثاث الفاخر بالذهب وحلاه بزخارف جميلة كما في اثاث الملكة حتپ حرس ام خوفو. وصنع من النحاس مختلف الادوات والاواني ومن الذهب انواع الحلي وكذلك الفضة ولنا من حلي **حتپ حرس(الذهبية والفضية)والمرصعة** بأحجار ملونة تمثل فراشات باسطة جناحيها خير امثلة. وعرف المصري صناعة الاواني الحجرية منذ العصور الاولى من شق الاحجار كالمرمر المصري الابيض والشست والافعواني والديورايت والسماقى الخ. وقد اخرجها بسطح مصقول وجمال رائع . ثم الفخار وجاء

فخار العصر الثيني خال من الرسوم والزينة محتفظاً باشكاله السابقة وغالبه مصنوع باليد وقليل بالدولاب الفخاري. وعرف صناعة القاشاني منذ عصور ماقبل التاريخ وهو عجينة من مسحوق الكوارتز او الرمل ذات طلاء زجاجي. وقد صنع المصريون منه الخرز والخواتم والاساور والتمائم والأواني والتماثيل الصغيرة وزخرفوا به الاثاث والجعلان. وعرفوا دبغ جلود البقر والغنم والماعز وصنعوا منها الاحذية والتروس والجعاب واستوردوا جلود النمر من النوبة. ثم صناعات السفن والمنسوج الكتاني والورق.(١٩)

الاسرة : ان اقدم وثيقة شرعية وصلتنا ذات علاقة بحقوق الاسرة هي ترجمة حياة النبيل متن من اواخر السلالة الثالثة نقرأ فيها عن وصية كتبتها امه التي تمتعت بكامل حريتها في التصرف باملاكها الخاصة . ثم وصية الامير ني كاورع ابن خوفو التي تثبت حق وراثة الذكور والاناث سوية لاملاك ابيهم . وقد اوصى هذا بشيء من ممتلكاته لزوجته. ونعرف ان عقد الزواج كان اساسيا وان لم تصلنا عقود من المملكة القديمة . وكانت المراة مساوية للرجل في الحقوق ولا وجود لسلطة الاب على الاولاد البالغين او الاناث . وكان عقار الزوجين منفصلا ولا يرث اي منهما الاخر بل يرثها اولادهما الشرعين . وكانت حصص الذكور والاناث في الارث متساوية الا اذا كانت هناك وصية لان الوصية على غاية من الاهمية ولو ان متن قد استولى على عقار والده دون وصية . ويحق للشخص ان يورث افرادا ليسوا بوارثين كزوجته ويمكنه ان يميز احد اولاده عن اخوته او يحرم احدهم من ارثه. وربما كانت الاسرة في اصلها وحدة متماسكة لاقامة الشعائر الدينية للجد الاكبر البعيد . ومن السلالة الاولى عبدت احدى الملكات في نوبت (نقادة) ودفنت مع اجدادها وليس مع زوجها نظرا لا ضمحلال وحدة الاسرة ولم تعد ملزمة باقامة شعائر زوجها ولذا دفنت في مقبرة اسرتها . واحدث تفكك الاسرة تطورا في الطقوس الدينية حيث ظهرت الفردية (التي نلحظها في السلالات الثالثة والرابعة حيث نرى قبورا منفصلة للملكات ولابناء الملك وبناته ولكل منهم شعائره الدينية الخاصة. حرص المتقون من المصرين على استمرار اقامة الشعائر الجنازية لهم بعد موتهم فخصصوا لهم وقفا دائما.

وكانت الدولة ترعى هذا العمل في البداية فتمنح موظفيها مرتبات ضخمة. وتضمن لهم اقامة شعائرهم بتخصيص دخل جنائزي يكون على شكل ضيعة يوقفها الملك تغطي تادية شعائره بعد موته . ولدينا نصوص من السلالة السادسة تدل على قيام الدولة

بتادية شعائر المتوفين الذين انقطع نسلهم . فاخبرنا كارابيبي نفر حاكم ادفو انه دفن كل رجل لم يعقب ولدا في مقاطعته وجهزه باكفان من الاوقاف العامة . وكان من نتائج اقامة الشعائر الدينية الباهظة الثمن للملوك في السلالة الرابعة ان تالفت طائفة من الكهنة الملكين صارت قوية وثرية ولهم حق دفن جثثهم في المقبرة الملكية بصفتهم مقربين ويهبهم الملك دخلا جنائزيا . والف المقربون من الملك طبقة خاصة لها امتيازاتها وحصلوا منه على مدافن واوقاف جنازية.وكان الابن الاكبر يحصل عادة على حصة الاسد في ارث والده . ونرى في وصية تكعنخ ان الابن الا كبر قد ورث كل املاك والديه . وعين آخر لابنه الاكبر جزء من املاكه الجنازية..

كانت الزوجة خاضعة لسلطان زوجها وتخول لها صفتها الزوجية حق الاشتراك في اقامة شعائر زوجها . وتشير وصية وب ام نفرت ان للمرأة الحق في ميراث زوجها في غير ما اوصى به واحيانا كان الزوج يمنح زوجته هبة كمؤخر صداق. ومنذ السلالة الخامسة صار للاشراف محظيات مما قد يدل بان المرأة لم تعد السيدة المطاعة الجانب المستقلة الحقوق كما كانت قبلاً وان كانت اعرق منه نسباً. ولم تكن المحظيات زوجات شرعيات. وبعد وفاة الزوج تصبح الزوجة تحت سلطة الابن الاكبر او تحت رعاية وصي يعينه الزوج قبل مماته بوصية. ونعرف من رسالة ان الام لم يكن لها حق الوصاية على اولادها او بناتها بعد وفاة زوجها. ولايمكن للزوجة ان تمثل في المحاكم دون موافقة زوجها او الوصي. وفي السلالة السادسة كانت حصص وحقوق الذكور اكثر من الاناث. وظهرت في السلالة الرابعة اول سلسلة نسب يعود الى تكون طبقة نبيلة جديدة.[20]

الجيش : لمصر حدود طبيعية من جهاتها الاربع ويظهر ان الاهتمام بالجيش بدا منذ زمن زوسر الذي ظهرت في عهده مصلحة خاصة لادارة شوون الجيش . علما بان الجيش الثابت لم يشكل في مصر الا في المملكة الحديثة . وقد قسم زوسر البلاد الى مناطق لحمايتها اطلق عليها (ابواب المملكة) جعل لكل منها حامية وحاكم بيده ادارة الشرطة . ووضعت حاميات ثابتة للمحافظة على الحدود مرتبطة بحكام المقاطعات وشيدت لهم الحصون ولكل حصن ادارة غسكرية خاصة وله مؤونته التي تمكنه من المقاومة خلال اى حصار . واقام سنفرو قلاعا في الوجه القبلي والبحري لحماية البلاد . ويظهر ان مصر كانت تحصن النقاط الضعيفة في حدودها باقامة اسوار ضخمة طويلة . فزوسر اقام سورا

من اسوان الى الفنتايني طوله ١٢كم لحماية الحدود الجنوبية · وخلد سنفرو اسمه في اسماء قلاع عدة في منطقة خليج السويس · وكانت الاسلحة المقلاع والقوس والنشاب والحراب والسيوف الخشبية او العصي والحجارة والفؤوس · وحموا رؤوسهم بقبعة محشوة بالقش ووقوا الجسم بدرع صغير للمشاة وعريض لجنود الصف · ونسمع عن مبارزات فردية · وكان الجيش في المملكة القديمة ملكياً، وكانت الفرق في عهد سلالات منفس تتالف من شباب يقودهم رئيس · وكان رئيس فرقة الشباب المجندين يطلق عليه لقب قائد فرقة الجنود · ومن مجموع هذه الفرق كان يتالف الجيش · ولقب قائد الجيش كان في الاصل لقبا اداريا ويظهران الجيش كان مولف من عدة فيالق على كل منها قائد جيش وكلها تحت رئيس اعلى هو قائد الجيوش العامة الذي يعهد الى رجل من اكابر موظفي الدولة· · وفي السلالة الثالثة حمله احد اولاد الملك وامير ملكي · ويبدوا ان الادارة الحربية كانت موكلة الى دائرة تدعى (بيت الاسلحة) وظيفتها تسليح الجيش ·

كان للاسطول اهمية ايضا· وفي السلالة الرابعة كان هناك لقب حاكم الاسطول · وهناك قواعد لصنع الاسطول تحت ادارة موظف رفيع المركز لقبه باني السفن·وكان لفرق الجيش كتبتها · وفي السلالة الخامسة نقرأ عن تكون الجيش من مجندين يسمى الواحد منهم الشاب الجميل تتالف منهم وحدات كل منها تحت امرة ضابط لقبه رئيس الوحدة ومن هذه الفرق تتالف كتائب الجيش برئاسة قائد الجيش · ولقصر الفرعون حراسه الذين يتالفون من فرق عدة برئاسة قائد فرق المجندين ، ولكل فرقة اسم مثل (كم مقدار حب ساحورع) و(ما اجمل ساحور رع امام القصر) · وهناك حاميات ثابتة في البلاد · وكان الجنود يتلقون دروسا في القتال وحمل قائد اعلى للجيش لقب مدير تعليم الجنود مما يدل على وجود دائرة خاصة بها ·وكان افراد كل فرقة يلبسون زيا واحدا ويتسلحون بسلاح واحد نراها في صور معبد ساحورع الجنازي · وحمل القائد سشمو لقب قائد العسكرين الحربين للاله (الملك) ربما قصد بها جيوش مصر العليا والسفلى · وحمل كل الضباط الكبار لقب حامل الخاتم الالهي (الملكي) مما يدل بعلاقته بادارة الجيش والحرب ·

يظهر ان بحارة الاسطول كانوا جنودا محترفين وكل سفينة تحت امرة ضابط يراسه ضابط اعلى يلقب الضابط المدير العظيم ربما يكون هو رئيس الاسطول · ويظهر ان الاسطول الحربي كان مولف من سفن ضخمة وحمل كبار رجال الاسطول الحربي لقب

يحدث من قبل مع مثلي وعاد هذا الجيش في سلام بعد ان حطم ارض البدو ووطىء اراضي سكان الرمل ودمر قلاعهم... وارسلني جلالته لاقود الجيش خمس مرات في ارض البدو... وارسلني الى ايب حات لاحضار التابوت المسمى صندوق الحي مع غطائه والشكل الهرمي الذي تكلف كثيراً). وفي الثانية (ارسلني مولاي الملك مران رع مع ابي ايري الى بام للكشف عن طريق لهذه البلاد واتمت هذا العمل في سبعة شهور... وارسلني مرة ثانية وحدي فذهبت عن طريق آبو وعدت من ايرتيه... وحين نزلت. احضرت معي هدايا في كميات كبيرة لم يسبق احضار مثلها الى هذه الارض ونزلت بعد ان كشفت هذه البلاد... وارسلني مرة ثالثة الى يام وذهبت عن طريق وحات...).

عزيت الى نهاية المملكة القديمة نصائح بتاح حوطب الذي سمي بوزير الملك ايسيسي للسلالة الخامسة ثم نصائح الوزير كاكمني التي عزيت الى زمن الملك حوني من نهاية السلالة الثالثة. وكلاهما عبارة عن قطع نصحية عن السلوك في الحياة والتصرف امام الاعليين والادنى ومدح بتاح حوطب هبة البلاغة عند الانسان ويتكلم عن ادب الضيافة ويوصي بالامانة وكيفية معاملة الوالدين وحذر من النساء و الشراهة والغرور وكثرة الكلام الخ. ثم تعاليم خيتي لابنه مري كارع التي تؤكد على قيمة حسن الكلام والحكمة. ثم الوسائل التي منها رسالة ربما من زمن ببي الثاني كتبها مسؤول عن جماعات العمال في محاجر طرة يعارض فيها التفريط بالوقت في استحضار عماله من منفس. ونذكر هنا رسائل للملوك دونها اصحاب القبور افتخاراً في قبورهم. ويمكن ان ندخل هنا ايضاً الكتابات التاريخية التي زادت في السلالة الخامسة ثم الحوليات الملكية خاصة لملوك السلالتين الخامسة والسادسة.(٢٢)

العلوم : عزى المصريون المعارف الى الاله طحوط وعلى الاخص الفلك والحساب والطب. وكان الكهنة هم الطبقة المتعلمة. وان التقدم الكبير في اعمال الري. المباني الضخمة كالأهرام والمعابد والمسلات والتماثيل تدل على تعمقهم في الهندسة والعلوم الرياضية. ومنذ بدء العصور التاريخية نقرأ عن استعمال المصري للمقاييس امثال الذراع، الشبر، القبضة الاصبع والقيراط. فهناك الذراع الملكي (٥٢٥ سم) والذراع العادي (٤٥٠ سم) والانثرو (سونيوس اليوناني) ومقداره ٥٠٠٠ ذراع تقريباً والستا (٥٦ ٢٧ متراً مربعاً) والهنو (٤٥ سم) وفي الوزن (الدبن = ٩٢ غم) كما عرفوا الميزان.

عرف المصري الارقام منذ عصر ماقبل السلالات كما رأينا في لوح نعرمر شمل حتى الرقم الف. وتلقي بردية رند التي يؤرخها كثيرون الى المملكة القديمة ضوء على بداية الرياضيات. وحوت البردية على جداول كل الكسور التي بسطها اثنان والباقي ثلاثة كتب الاول عن الحساب والثاني عن المقاييس. كذلك الاحجام والاحجام المكعبة والمسطحات وزوايا الميل الهندسية. وحتى نقرأ بعض مسائل حسابية والمبادلات مستعملاً العمليات الاربعة (الجمع والطرح والضرب والقسمة) الاانه استخدم في الضرب والقسمة طريقة الجمع والطرح. وكان حساب الكسور بسيطاً هو الآخر حيث استعمل البسط ١ فاذ اراد ان يكتب الكسر $\frac{٥}{٦}$ كرر $\frac{١}{٦}$ خمس مرات، ونجدهم يستعملون في كسورهم $\frac{٢}{٣}$ و $\frac{٣}{٤}$ فاذ اراد ان يكتب ٢٤ من الشهر نراه يكتب احياناً $\frac{٢}{٣}$ $\frac{١}{١٠}$ $\frac{١}{٣٠}$ اي $\frac{٢}{٣}$ من الشهر تساوي ٢٠ يوم و $\frac{١}{٣}$ ثلاثة ايام والعشر من الشهر يوماً واحداً فالحاصل ٢٤.

لكن نلحظ اهتماماً في علم الفلك. ففي هليوبوليس كان كاهناً يراقب سير الشمس يسمى الرائي العظيم وفي المعابد كهنة يراقبون حركات النجوم. وان تقسيم السنة الى اثنى عشر شهراً قمرياً يدل على معرفتهم بمنازل القمر. وقسمت نصوص الأهرام النجوم الى ظاهرة في السماء على الدوام واخرى لاتتعب (السيارة) شخص منها خمسة وهي المشتري، زحل، عطارد، المريخ والزهرة. ومن الاولى (الثوابت)؛ شخص ٣٦. وربما عرفوا تقسيم النهار الى ١٢ ساعة والليل الى ١٢ ساعة خلال المملكة القديمة.

وصلت الينا ثلاث برديات من المملكة القديمة تتضمن ايام السنة وتذكر السبب الذي تراه للسعد والنحس كتبت الاولى بالحبر الأحمر لون الاله ستخ. فنقرا مثلا يوم ٢٦ توت يلزم ان لايعمل فيه لانه يوم حرب حورس مع ستخ عكس يوم ٢٧ هاتور الذي هو يوم الصلح بين هذين الالهين

عثر في منطقة الجيزة على قبر طبيب القصر ايري المختص بامراض العيون والباطنية **ولقبه**(الذي يفهم السوائل الداخلية وحارس الدبر) مما يدل على تخصصه بالطب الباطني والهضمي. كما نعرف عن اطباء اسنان للقصر. وعثر من السلالة الرابعة على مايوضح تقدم

طب الاسنان اذ وجد فك في مقبرة اجريت فيه عملية في النتوءات السنخية بثقبها لاخراج القيح من دمل تحت الضرس الاول. ويظهر ان مهنة الطب كانت وراثية، والطبيب في المصرية سنو (ربما معناها الشافي او المصلح) كان يقوم بها كهنة خاصين مرتبطين في البداية بمعابد الالهات سلكت او نيت. وهناك مايدل على ان الطب قد نشأ في الشمال حيث معابد هليوبوليس ونيت في طانيس وانوبيس في ليتوبوليس والالهة باست في البسطه وكان كاهن تلك الجهة يحمل لقب كبير الاطباء. وذكرنا ان اقدم وثيقة طبية يعتقد برجوعها الى زمن الملك دن من السلالة الاولى. ونقرأ بان الملك نفر ايركارع احضر المخطوطات الطبية لمعالجة مهندسه الذي كان يحتضر مما يدل على وجود وثائق طبية منذ السلالة الخامسة لم تصلنا بعد. وان البردية المعروفة باسم ادوين سميث تعود للمملكة القديمة رغم ان النسخة المتوفرة ترجع لعصر الهكسوس. وحوى ماتبقى من هذه البردية على بحث في الجراحة والتداوي ومعالجة الامراض الظاهرة والتشريح مع تعويذتين الاولى لطرد الهواء في سنة الطاعون والثانية لارجاع الشيخ الى صباه. كما كتب مؤلف البردية عن جسم الانسان وجراحة العظام والصدر ومقدمة العمود الفقري. وقسم الامراض الى مرض يمكن معالجته، يمكن محاربته وآخر لا اعالجه ثم يقدم العلاج.(٢٣)

الفن : شيد المصريون بيوتهم من اللبن الذي شاع منذ السلالتين الاولى والثانية وعرفوه قبل ذلك. وقطع النبيل رع ور مائدة قربان مقبرته من المرمر واحاطها بقوالب من اللبن حتى لا يتفتت حجرها من حرارة الشمس. ومن عهد خوفو بدأ استعمال الغرانيت بدلاً من الحجر الجيري في اقامة الجدران وكسوتها. وقد عالجنا القبور والمصاطب ذات الجدران المائلة قليلاً والحلاة بحنايا بشكل ابواب تسمى الابواب الوهمية التي الغيت في المصاطب الصغيرة من الناحية الغربية او من جهتين اخريين. ورأينا كيف ان القرابين كانت توضع اولاً حول جثة المتوفى بغرفة دفنه ثم صارت توضع في حجرات صغيرة حول غرفة الدفن. وحوت مقبرة حماكا وزير ودمو على ٤٢ حجرة لادواته الجنازية وزينت جدرانها الخارجية بالابواب الوهمية. واعتقد المصري ان لكل محتويات هذه الغرف قرين او روح مادية يتقمصه كما يتقمص القرين جسم المتوفى في حياته ولهذا السبب وضعت الابواب الوهمية لارشاد القرين الى مكان الجسم حتى يرجع اليه ويحيا الميت حياته الثانية. وخلف الباب الوهمي كانت البئر المؤدية الى غرفة الدفن التي يصل عمقها الى

حوالي ٤٠ متراً شيد الجزء الاعلى منها بالاحجار ثم نحتت بالصخر الى العمق المطلوب ثم نحتت اخيراً على جانب منها غرفة الدفن بابعاد حوالي ٦ × ٧ متراً حيث يدفن الميت اما على الحجرة او في تابوت من الحجر الجيري او الفرانيت وحوله جميع الاثاث. واحياناً لايوضعوا اي اثاث جنازي ربما لسلامة القبر او لمعتقد المتوفى الخاص. وكانت البئر تردم بعد الدفن بالاحجار والمخلفات ويسد باب القبر باحجار ضخمة. واحياناً كان يستعاض عن حفر بئر عمودي في قلب المصطبة بحفر منزلق في جانب المصطبة يؤدي الى حجرة الدفن ربما الغرض منه تسهيل ادخال التابوت في غرفة الدفن او لتضليل اللصوص. وكان المنزلق يسد باحجار ضخمة. اما التمثال فكانوا يخفوه لان اذا ما تلفت الجثة فان المعول في خلود الميت يتركز في التمثال الذي يعين تهشيمه موت المتوفي النهائي.

اما التماثيل فان الغرض منها دينياً في الغالب، وجرت العادة على تلوينها ـ فاجسام الرجال والاطفال لونت بالبني والنساء بالاصفر الفاتح والشعر والحواجب والشوارب بالاسود ومآقي العيون بالاحمر وفتحات الانف بالاسود واظافر اليد بالابيض او الاحمر او البني. والتماثيل اما فردية او بمجموعات تمثل الزوجة والزوج ومعهما الاطفال احياناً. وهي اما واقفة او جالسة على كرسي وهناك تماثيل كتبة. وتعتبر تماثيل خع اف رع القمة من ناحية الدقة والصنع. وهناك تماثيل ملكية من السلالة الرابعة ولكن تماثيل الافراد نادرة . وفي السلالة الخامسة كثرت تماثيل الافراد وقلت تماثيل الملوك ربما سببه الضعف الذي اصاب الملكية. وشاعت في النصف الثاني من هذه السلالة تماثل المجموعات التي برز فيها الرجل كأهم شخصية وتليه الزوجة التي مثلت جالسه او واقفة قربه تطوقه بذراعها او تركع في حجم اصغر من حجمه قرب احد ساقيه مطوقة اياه بذراعها. وحرصت تماثيل الاسرة السادسة على جعل الملامح جميلة وظهرت اوضاع مستحدثة كالجلوس على الارض ورفع احد الساقين في وضع رأسي وثني الاخرى تحتها او تجلس القرفصاء. واستهدف التمثال ان يكون دليل الروح لمقبرة صاحبها وان يمثل الصورة التي يرغب الميت ان يبدو فيها بالحياة الاخرى

اما التصوير فقد خدم الغاية الدينية حيث وضعها الميت في قبره بما تلائم معتقداته ومايبغيه في الحياة الاخرى. فجمعت الصورة بين مظهر صاحبها الحقيقي ومايتمنى ان يكون عليه في الآخرة. وهناك مناظر اشخاص واخرى تصور الحياة اليومية. فمن مقبرة متن من السلالة الثالثة وصلتنا بداية فن التصوير. وفي مناظر بعض القرابين بمصطبة رع

حتب صــور حرث الارض وبــذرهــا وذبــح الحيــوانــات والصيــد في الصحراء والتي صرنــا نشهدها اكثر في السلالتين الخامسة والسادسة ٠

وهنــاك النقش الغــائر والبــارز ويملأ الاول بعجينــة ملــونــة كما في جــدران مقبرة نفر مــاعت وربمــا كان سقــوط العجينـــة بمرور الــزمن السبب في هجر النقش الغــائر٠ ثم هجر النقش خــلال النصف الاول من الســلالــة الرابعــة ليعــود ثــانيــة خــلال النصف الثــاني منهــا حيث بــدأت تظهر على جدران المقــابر صــور الحيــاة اليــوميــة كالصيــد والصنــاعــات المتنــوعــة كالتجــارة وصــور السفن والرحــلات الـخ تنقش على الجــدار الغربيّ فــوق البــاب الــوهمي معهــا اسماء والقــاب الميت وافراد اسرتــه وخــدمــه٠ وكثر عــدد الغرف بــالمقبرة منــذ النصف الثــاني من السلالــة الخــامســة الامر الــذي استــدعى زيــادة المنــاظر واختلاف تــوزيعهــا ودخلت مناظر جنازية واخرى تمثل حياة الاسرة وحفلاتها٠(٢٤)

العصر الانتقالي: (عهد الفوضى الاول، المحنة الاولى) ٢٢٨٠ ـ ٢٠٥٢ ق٠ م٠

تطلق هذه التسمية على الفترة من نهــايــة السلالــة الســادســة حتى بــدايــة المملكــة الوسطى وتشمــل الســلالات ٧ـ١٠ وامتــاز العصر بــالفــوضى والاضطرابــات التي قلبت الــوضــع الاجتماعي نظرا لانهيــار الحكــومــة المركــزيــة ويصعب معرفة بـدا الفترة بــالضبــط والتي تعكس احــوالهــا النصــوص الكثيرة المتــوفرة ٠ وقــد ازداد نفــوذ حكام المقــاطعــات خــاصــة اقــاليم اهنــاسيــة ، الاشمونين ، اسيوط ، طيبة ، دندرة وقفط ٠

اصطلــح ويلســون على تسميــة الفترة بــالمرض الاول حيث تم بهــا تحــدي سلطــة الفرعــون لاول مرة في تــاريــخ مصر ٠ فقــد انهــارت مصر كقــوة سيــاسيــة قــويــة وانقلب النظــام الاجتماعي راســا على عقب ولم يكن هنــاك نبــلاء او وجهــاء ٠ والبلــد في فــوضى شــاملــة وشعــور بعــدم امــان م الجميع حتى فكر الكثيرون بــان المــوت هــو خير حــل للتخلص من المــآسي العــدة ٠ واستحــوذت العنــاصر الاجنبيــة في البــلاد على اليــد الارفــع وانكسرت قــوة الملك وضعفت ان لم يكن قــد تــلاشت هيبتــه وانعدم الخــوف منــه ٠ وبلــغ الملــك من الضعف بحيث لم يكن باستطاعتــه مســاعــدة ذلــك الفلاح الفقير الــذي جــاء بلاطــه مستنجــداً وشــاكيــا

العدالة من سرقة موظف لحصوله اكثر من أمره موظفيه بتقديم الطعام له وتسجيل شكواه · وذكر تقليد لا حق ان السلالتين السابعة والثامنة حوت على سبعين ملكا حكموا في سبعين يوم مما يدل على الفوض التي عمت البلاد وشملت الوجهين · وقل احترام الشعب لفرعونه لانهم راوه مكفوف اليد عديم القوة غير قادر على حفظ النظام في البلد وازالة الخطر وحفظ الامن · فبدات حركة منظمة لنهب مقابرهم · وان امتيازات الفرعون تجاه الحياة الخالدة صارت الآن مفتوحة امام الجميع وغدت نصوص الاهرام تسجل على جدران مدافن نبلاء السلالة التاسعة· وصارت الطقوس الجنازية الخاصة بالملك في العصر الماضي تقام لكل شحص طيب · وتظهر صور المدافن ان رقصات خاصة كانت بالأصل حكرا للملوك اخذت تصور في مدافن النبلاء · فليس هناك فرق الان بين حياة الملك الاخرى واى فرد من العامة · وصار النبلاء والموظفون الكبار الذين حرصوا على حفر قبورهم حوالي هرم الملك او مدفنه حتى يشاركوه نصيبه في الاخرى ويخدموه فيها كا خدموه في الدنيا يشيدون مقابرهم في اقاليم ·

تلقي تحذيرات ايبو وير الى الملك ضوء على مجمل الاوضاع ، فقد اخبره عن الفوضى الضارية اطنابها في البلاد والحدود المهددة وخوف الناس وغضب الالهة وضياع الثروات وتحول سعادة الناس الى حزن · وجاء فيها (ان القيادة والفطنة والصدق معك ولكنك لا تنتفع بها فالفوضى ضاربة اطنابها بكل مكان من البلاد ولكنك مع ذلك تغذى بالاكاذيب التي تتلى عليك فالبلاد قش ملتهب والانسانية منحلة ···ليتك تتذوق بعض هذا البؤس بنفسك) وقوله (تدور البلاد كا تدور رحى الفخار · حقا ان النيل لا يزال يفيض ومع ذلك لا يقوم بحراثة الارض احد من الفلاحين لان كل شخص يقول (لا نعلم ما سوف يحل بالبلاد) ، لقد حزنت البلاد وخيم عليها الحزن مقرونا بالعويل ··· ان النبلاء ليزيد بؤسهم والادنياء تفيض نفوسهم سرورا ··· اصبحت الحرائق تسرى في البلاد ··· لم يعد موظف يشغل الوظيفة اللائقة به واصبح الناس كقطيع دون راع قد استبد به الروع · فمن كان يرتدى الملابس الجميلة اصبح يغدو في أسمال بالية ··· لقد انتشر الاسيويون في البلاد ودخل الاجانب ··· لقد غدا كل قلب شجاع حزينا بسبب ما صاب البلاد ، واصبح الاجانب هم المواطنين في كل البلاد ··· يرى في كل مكان كيف يقتل الاخ اخاه حتى لقد ضج الجميع وصاح الاطفال ليتنا لم نولد

رغم ان نبوءات نفرتي تعود الى بداية العصر اللاحق الا انها تلقي ضوءاً كبيراً على الاوضاع في العصر الانتقالي الاول حيث نقرأ مانصه (انصت ياقلبي وانع تلك الارض التي منها نشأت، لاتركن الى الراحة ... لقد اصبحت البلاد خراباً وليس من يذرف الدمع عليها... انني اشهدك الارض في عويل وشقاء ... لقد جف النيل حتى ليسير المرء فيه... كل خير ولى والبلاد طريحة الشقاء بسبب البدو والغزاة والأعداء بين ظهرانينا والاسيويون ينحدرون الى مصر. ساريك البلاد مغزوة تتألم... الرجل يجلس في داره مولياً ظهره حين يذبح الآخر الى جانبه... صار الابن خصماً لابيه والأخ عدواً لاخيه... الفتى يذبح اباه والمرء لايكترث بغير ذاته ... ضحكات الرجال مغتصبة ، املاك الرجال تغتصب وتعطى للأجنبي... المالك اصبح محتاجاً يسأل الناس والاجنبي اضحى غنياً... الحياة غدت شحيحة... وجباة الضرائب يكيلون حتى يطفح الكيل. سأريك البلاد تئن من الغزو ... ان ايون لن تصبح بعد اليوم مكان ولادة كل اله). وماورد في الاثنين توضح انهيار الدولة والقانون وانتشار الاسيويين والأجانب في البلاد وانعدام السلطة المركزية. ولم تسلم المعتقدات الدينية من التشكك نتيجة لهذا الانهيار والذي يجد تعبيراً صادقاً في انشودة الضارب على القيثار وردت في مقبرة اينوتف حاكم اقليم طيبة في اواخر العصر الانتقالي الاول منها (الموت حق ولانعلم شيئاً عما يقع وراءه. بعض الاجيال لاتزال في مسيرة بينما دخلت اجيال اخرى في الابدية ولم يعد احد مما وراء القبر ليخبرنا كيف يكونون وبما يحتاجون وليريح قلوبنا حتى نرحل نحن الى هناك). وتلقي القطعة المعروفة باسم حوار بين شخص سئم الحياة ويريد الانتحار مع نفسه. فلم يجد في الحياة حواليه مايدفعه الى الاستمرار في الحياة. (مع من سأتحدث ولم يبق احد من الابرار ؟ مع من سأتحدث اليوم وقد اصبحت الارض مقر الأشرار ؟ ومع من سأتحدث اليوم وانا مثقل بالأسى والهم ؟ مع من سأتحدث اليوم وقد ابتلى الشر الارض ؟ ترى ماستكون النهاية ؟ اليوم يرحب بي الموت كدواء لمرضي مثل الخروج في نزهة بعد كرب).

حكمت منفس خلال هذه الفترة السلالتان السابعة والثامنة. ومالدينا من اخبارهم قليلة عدا بعض الجعارين للملك نفر كارع اول ملوك السلالة السابعة الذي نقش اسمه على كسرات لوح جيري عثر عليه عند هرم الملكة نايت زوجة پيپي الثاني. وأسطوانه من حجر اليشب الاخضر نسبت الى الملك خندو ربما من صناعة سورية. وعثر على جعران لفرعون اسمه رع ان كاحوت على اشارات مصرية ورسم يدل على اصل جزري. ونعرف ان مصر قد غزيت من الشمال

الشرقي دلت عليه ظهور الازرار التي اتخذت شارات منذ نهاية السلالة السادسة واختفت في السلالتين ٩-١٠ والتي يتوضح بها الطابع الاجنبي رغم احتوائها على شارات مصرية مثل العنخ والصقر واسماء جزرية مثل شاتي، نيبي وترور، عنو، وحوى جعل في كارع عناصر اسيوية مثل اسطوانة خندو، ووصف نفر كارع تررو نفسه في خاتمه بسيد الشمال. ويشكر نفر كارع حور موظفه شمع عن رعايته لاوقاف في مصر العليا كل هذه الاسماء جزرية تشير الى تغلغل الاسيويين الى مصر. يظهر ان مصر قد تعرضت الى غزوة اخرى من الجنوب تفسر الدم النوبي الذي نراه في ملوك المملكة الوسطى. كل هذه تشير الى فوضى حقه في البلاد وانهيار نظام الحكم. وربما قدمت هجرة ثالثة من الغرب دفعت عناصر ليبية للارستقرار في مدخل الفيوم حيث المنطقه ذات اهناسية كعاصمة لها والى هذا الاقليم ينتسب الملوك الذين يحملون اسم خنتي وهي السلالة التاسعة. ومعلوماتنا عن السلالة العاشرة قليلة جداً سوى جعول باسم الملك شنس.

السلالة السابعة : ومانعرف عنها قليل جداً فيذكر مانيثو ان سبعين ملكاً حكموا سبعين عاماً بينما بردية تورين تقدم خمسة ملوك لها حكموا ٧٥ سنة. وحكمت هذه الاسرة في منفس ويتفق غالبية الباحثين ان حكمها لم يزد عن عدة شهور تلتها في منفس سلالة جديدة، حكمت في منفس من احد فروع العائلة المالكة السابقة وهي السلالة الثامنة ولم تحكم في قفط او في ابيدوس اسمها نترى كارع. وبدأت عائلة اخرى هي السلالة التاسعة ومؤسسها خيتي (اختوي) الاول في اهناسية. وكانت البلاد في فوضى والوجه البحري خاصة تحت رحمة عصابات البدو التي اذاعت بين سكانه الهلع ولم يدره خطرهم احد. واستقل في مصر الوسطى والصعيد الحكام في مقاطعاتهم وصار القوي منهم يحاول التوسع على حساب جاره او يخضعه له الامر الذي اشاع الحرب ومادت اليه من التخريب والنهب وشل الحياة العامة.

السلالة الثامنة : اعتمدوا في الغالب على مناصرة البيوت القوية في الاقاليم فصاهروهم ومنحوهم بعض الامتيازات ووصلتنا من معبد قفط بعض مراسيم منحها آخر ثلاثة ملوك من هذه السلالة لاعضاء هذا البيت فوضعوها منقوشة في المعبد واكثرها لمصلحة اثنين من هذا البيت هما شماي امير الاقليم وابنه ايدي. وآخر باسم (واج كارع)(خع باوو) واربعة من ايام (نترى باوو) (نفر كارع) خليفته وقد اصدر الملك هذه المراسيم الاربعة في يوم واحد باول سنة حكمه لتحديد القاب ابنته الكبرى بنيت زوجة الوزير شماي ويعين ضابطاً كرئيس حراس لها

ويأمر ببناء سفينة مقدسة للاله مين. وفي مرسوم آخر يعين ايدي ليخلف والده في حكم الصعيد وان يشرف على الاقاليم السبعة الجنوبية من النوبة الى مدينة هو (قرب نجع حمادي). وان فراعنة السلالة الثامنة حافظوا على اسماء اسلافهم حيث نرى بين اسماءهم خمسة فراعنة باسم نفر كارع وواحد باسم ددف رع. ويرجح ان حكم هذه السلالة دام اربعين سنة وحفظت لفراعنتها آثار في قفط تدل على ان فراعنتها كانوا يحملون كل الالقاب الفرعونية ومن نقاط ضعفهم انهم كانوا يغمرون وزرائهم الذين ينتخبون من اسرة خاصة سلطة واسعة . وقد ذكرنا مراسيماً للملك نفر كاوحور وله مراسيم اخرى منها واحد بوقف تمثال لفرعون ارسل الى رئيس كتيبة الحقول للمقاطعات الخمس (٥-٩) من الوجه البحري لحبس الحقول الفرعونية فيها على هذا التمثال. وعثر على مرسوم من هذه السلالة في قفط لفرعون اسمه دمزاب تاوي الذي لم يذكر في اثبات الفراعنة هدد به بالعقاب الصارم كل من يعتدي على الاوقاف او يحطموا النحوت، الموائد او موائد القربان او تمثال الوزير ايدي التي توجد في المعابد. ومن المدهش ان نرى للوزير ايدي تماثيل وقرابين في كل معابد الجنوب وان يحافظ عليها. وقول الفرعون في مرسومه بان المعتدين سوف لايجمعهم الاله مع الملائكة المطهرون بل سيكبلون ويساقون اسرى للاله اوزيريس ولالهة مدنهم. اي انه اعتبر اوزيريس والالهة المحلية قضاة وهي مكانة كانت خاصة لرع حتى هذا العصر ممايدل على حدوث ثورة دينية ضد عبادة هليوبوليس. كما عثر على مقبرة لاحد حكام مقاطعة ادفو في بلدة المعلة (منتصف الطريق بين اسنا وارمنت على ضفة النيل الايمن).

يظهر ان هناك صلة بين السلالة الثامنة والتاسعة التي حكمت في هرقليوبوليس (اهناسية) حيث ان ملكاً كتب الى وزيره الاول عند تعيينه يقول له ان هناك قول اعتاد الملك ذكره الى وزيره الاول في منفس يحثه فيه على الاعتدال فيقول له خذ العبرة مما قيل عن الوزير الاول خيتي اذ يقال انه حابى بعض الاغراب ضد معارفه خوفاً من ان يقال انه حابى اقاربه... ولما شكاه البعض استمر في عناده.. ان هذا اكثر من عدالة). واسم خيتي مذكور ضمن ملوك السلالة التاسعة ونعرف من هذا ان هناك وزيراً باسم خيتي احد فراعنة منفس. ولانعرف من خيتي هذا هل هو من السلالة الثامنة؟ ام انه وزير تعالى شأنه في نهاية السلالة الثامنة؟ ام هو احد الاشخاص الذين اسسوا السلالة التاسعة. وان حكام الاقاليم صارت لهم جيوشهم الخاصة وحتى اساطيلهم احياناً وادارتهم الحكومية المستقلة ويتمتع بالالقاب. ونرى حياتهم في تصورهم مصورة في قبورهم وفيها

البذخ والترف. واخذوا يؤرخون الاحداث بسني حكمهم وارفقوا اسماءهم بالصيغ التي كان يضعها الملك من قبل مثل عنخ - اودجا - سنب وهو دعاء بالعافية والتوفيق. واحتفظوا بحاشية خاصة ويفتخرون بحسن ادارتهم ومعاملتهم الطيبة لرعاياهم ويشيدون بولائهم للملك. ويجب ان نأخذ مادونوه في مقابرهم عن استتباب الامن في مقاطعاتهم بحذر شديد لانه بعيد عن الواقع. فمثلاً كتب خيتي بن تف ايب من امراء اسيوط على جدران مقبرته من ان كل موظف كان في عمله يقوم بواجبه ولم يقتل احداً والكل سعداء. وقد تعكس هذه رغبة هذا الحاكم وغيره في حفظ الامن والنظام. وتؤيد الحالة المأساوية في البلاد نهب مقابر النبلاء والملوك وتحطيم التاثيل الفخمة وابوابهم الوهمية. وكثر المدعون بانهم ابناء الشمس الامر الذي ساعد على نشر الفوضى والاعتداءات على الاهرامات وسلب مافيها وعدم عقوبة المعتدين. وقد وضحت سوء الحالة في القطعة التي ذكرناها وهي محاولة رجل اسمه نسو الانتحار تخلصاً مما يحيط به من مآسي غير ان روحه تحاول ان تثنيه عن محاولته فيدور بينه وبين نفسه حوار يستعرض فيه تعاسته ومصائبه ومشكلة الحياة. وان الامه الشخصيه هي ماتلم بالمجتمع الذي يحل فيه من مآسي حيث يقول بان البلاد قد تسلط عليها الظالمون الذين اجرموا في حق كل مقدس ووطئوا القانون ولايريد ان يعيش بمثل هذا الجو. وقدم لنا نسو في محاورته نظرة جديدة فحواها ان الحياة الاخرى المثالية الشبيه بحياة الالهة هي ليس في تقديم القرابين واداء الطقوس بل بعمل الفضيلة والخير ولو لم يدفن في مقبرة او تقدم له طقوس جنازية. وانتشر في هذا العهد الاعتقاد بان ليس الملك فقط بل كل شخص يتخذ شخصية الاله اوزيريس في الحياة الاخرى ويتولى الاله انبو حفظ جثته وتحنوا عليه نوت وتبكيه ايزيس ويدافع عنه حورس ضد اعدائه ويقوده الى مكان الشرف في السماء ولذلك اضافوا كلمة المبرر الى لقب الميت.

بدأت في عهد السلالة السادسة عادة اقامة نماذج خشبية في حجرة الدفن فوق سطح الارض لتحل محل التاثيل التي كانت توضع في السراديب قبلا تمثل صاحب المقبرة وافراد اسرته وخدمه واتباعه . وقد انتشرت هذا العادة في العصر الانتقالي الاول وصارت توضع فوق تابوت الميت وقربه نماذج خشبية لشتى اصحاب الحرف ونمادج من زرائب الابقار ودور النسيج او قوارب شراعية. كا شاعت الى جانب عبادة اوزيريس عبادة رع واخذ كهنة الالهة المحلية يشبهون هذه الارباب برع مثل الالهة خنوم وسوبك . ونجد ذلك في الاسماء الشائعة مثل خنوم رع الخالق وسوبك رع الخ . وصارت الالهات العظيمات

امهات الى رع ٠ واصبحت المعتقدات الدينية خليطاً بين معتقدات الشمس والالهة المحلية والعقائد الخاصة ٠ وتدل القطع الادبية التي وصلتنا مثل قصة الفلاح الفصيح ونصائح خيتي الى ابنه مري كارع (التي ينبهه فيها الى اهمية الدين في حياة الملك الشخصية وارشاد رعيته) ومحاورة نسو مع نفسه عن شعور بين الطبقة المثقفة بتنديد المساوئ الاجتماعية المتفشية وتقوي الشعور الديني ٠

السلالة التاسعة : وقد اتخذت هذه السلالة اهناس عاصمة ويعتقد البعض ان ملوكها من اصل ليبي وانهم دخلوا مصر عن طريق الفيوم حتى اهناس التي اتخذوها عاصمة لماضيها الديني وتاريخها العريق. فقد كانت هيراكليوبوليس عاصمة الجنوب قبل التوحيد ومقدسة حيث تذكر اسطورة ان الاله شو رفع عندها السماء عن الارض. ونقرأ باسطورة ثانية ان رع ارسل لهذه المدينة الالهة سخمت لتهلك البشر لذنبهم بحقه. وباسطورة ثالثة ان اوزيريس وابنه حورس قد توجا فيها كملكين على مصر. وتضم السلالة ثلاثة عشر ملكاً حكموا حوالي (٢١٦٠ ـ ٢١٣٠ ق٠ م٠) ولانعرف ترتيب ملوك السلالة ولو هناك اختلاف بين المصادر المتوفرة حول عدد الملوك ومدد حكمهم. وقد حكمت هذه السلالة في مصر الوسطى في وقت تسلط فيه الاسيويون بالدلتا وحكمت في طيبة اسرتا انيوتف. ومؤسس السلالة هو خيتي واح كارع الذي يذكر مانيثو وايراتوسثنيس بان سام المصريين العذاب ثم اصابه الجنون وافترسه اخيراً تمساح -وهي اخبار لاتسندها المصادر التاريخية. وقد عرف باسم خيتي الاول وهو نفسه مري ايب رع وربما هو نفسه كاورع خيتي الذي ذكر في قصة الفلاح الفصيح والمعروف بحبه للنكتة. ويظهر انه اعترف به ملك في مصر عدا شرق الدلتا.

ظل امراء الاقاليم اقوياء ونعرف الآن عن قوة امراء اسيوط الذين كان ولاؤهم الى ملوك اهناسية مع امراء آخرون بارمنت. وملك السلالة الثاني هو مري ايب رع (ولو ان هناك مؤرخون يجعلوه الملك الاول). وجاء بعده نفركارع ويرجح كونه الملك كانفررع الذي ذكر في مقبرة المعلا (بين الاقصر واسنا) للحاكم عنخ تي في حاكم الفنتين وادفو وارمنت المخلص لحكام اهناسية الذي قاد اقليمي هيراكونبوليس وادفو ضد اهل طيبة عندما حاول هؤلاء بمعاونة قفط السيطرة على اقليم طيبة.

نب كاورع خيتي (الثاني) رابع ملوك السلالة الذي ورد اسمه على وزن عثر عليه في وادي رتابة قرب وادي طميلات والذي ذكر في قصة الفلاح الفصيح وهي من الآداب الشعبية للفترة التي وردت في اربع برديات من العصر التالي تتعلق بفلاح من وادي النطرون سلبه ملاك ثري ماليه عند مروره في ارضه فتوجه بشكواه الى كبير موظفي الملك في هركليوبولس وقد كرر الفلاح شكواه مرات عدة لتباطئ الموظف في سماع شكواه حتى يتمتع ببلاغة حديثه.

السلالة العاشرة : تضم خمسة ملوك حكموا من حوالي ٢١٣٠ ـ ٢٠٤٠ ق. م. وتحفظ النصوص اسماء الاربعة الاوائل وهم مري حتحور اول ملوك السلالة الذي نعرفه من نقش مهشم في محاجر المرمر بحتنوب. خلفه واح كارع خيتي الثالث (نفركارع) وهو اهم ملوك السلالة صاحب الوصية لولده مرى كارع التي حوت باسلوب ادبي رفيع معلومات قيمة عن تاريخ الفترة. فقد اخبر ولده بان بمساعدته نجح ملوك الدلتا في مصارعة الاسيوين ولكنهم تمتعوا باستقلال وجمعوا الضرائب لهم. وفي الجنوب نجح الطيبيون في انهاء المقاومة في المقاطعات الثلاثة الجنوبية ومدوا سيطرتهم شمالاً الى ثيس وابيدوس مما دفع واح كارع وحليفه امير اسيوط تيفيبي بأخذ اقليم ثيس ولكنهم سمحوا لجنودهم بنهب المقابر وهو امر يتأسف له لانه اساء الى الجنوبين. ودفع ذلك امير طيبة بتأييد الجنوبين للقيام بهجوم مضاد نجح في طرد حكام هراكليوبوليس من كل اقليم طينة. ومن هنا اتبع حكام هيراكليوبوليس سياسة التعايش مع المملكى الجنوبية والتي يحث ولده على اتباعها.

خلف واح كارع بعد حكمه الذي دام خمسين عاماً تقريباً ولده مري كارع، الذي حضر حفل تتويج ملك اسيوط الجديد في اسطول من السفن. ويظهر ان في هذا الوقت تمكن الهيراكليوبوليتانين من الحصول على الغرانيت الاحمر من محاجر اسوان. وهو الملك الذي وجه الملك السابق نصيحته اليه والتي حوت خلاصة تجاربه في الحياة. وبعد مقدمة ضاعت ينصحه بان يطرد ويقتل اي تابع له يكثر من الكلام وورا،ه ـ اتباع. ثم يوصيه من ان يكون فناناً في الحديث لان (اللسان كالسيف للانسان) وينصحه بالسير في طريق اباءه واجداده وان يكثر الموروثات في الحكمة وان لايفعل الشر ويتحلى بالصبر واحسن ذكرى هي حب الناس. ويحذره من الطمع وان يعلي من شأن رجاله ويتبع الحق ويقيم العدل ويثبت الحدود وعدم ظلم الرعية والاكثار من المنشآت الدينية وتقديم القرابين.

يبدو ان الجانبين قد حافظا على السلامة حتى السنة الرابعة عشرة من حكم منتو حوتب الثاني ملك طيبة بدأ الجنوب بالحرب وتقدمت جيوشها مجتاحة اسيوط ثم هرموبوليس. وقد مات مرى كارع قبل ان تصل جيوش طيبة عاصمته هركليوبوليس وبعد موته باشهر قليلة وفي عهد خلف له لانعرف اسمه احرز الطيبيون النصر النهائي واعادوا توحيد الارضين تحت زعامة ملكهم منتوحوتب الثاني من السلالة الحادية عشرة. اشارت نصوص امراء اسيوط الى اهتمامهم بالشؤون الداخلية ويذكر احدهم انه قام باصلاح وشق قنوات ري في اقليمه وجعل الارض الصحراوية صالحة للزراعة. وفي سنة كان النيل فيها منخفض والمجاعة عمت الاقاليم المجاورة اغلق هذا الامير حدوده ووزع القمح على شعبه من خزائن حبوبه. وتحدث هذا الامير عن شجاعته وكونه مهاباً من قبل جيرانه والسلام والامن مستتب في مقاطعته. ويظهر ان امراء اقليم الارنب (عاصمته عند هرموبوليس) نهج امراؤها نفس سياسة الامراء اسيوط في تأييد بيت اهناسية واصلاح احوال اقليمهم الداخلية ونتعرف على اسماء هؤلاء الأمراء من مقابر الشيخ سعيد والبرشا وسلسلة ونقوش محاجر المرمر في حتنوب واهمهم الأمير نهري الذي امدتنا نصوصه ببيانات مهمة عن احداث هذا العصر منها أن نهري كان يقود احد اقسام الجيش الاهناسي وواجه منتوحوتب الثاني في اغارته على اقليم الارنب وان نهري كرس جهوده لانقاذ شعبه من عنف الجيشين المتحاربين. اما طيبة (واست، ويسة) او ديوسپوليس عند اليونانيين فكانت في نهاية المملكة القديمة عبارة عن مستقرات صغيرة قرب الاقصر على ضفة النيل الشرقية وصارت في زمن ملوك اهناسية عاصمة الاقليم الرابع لمصر العليا ومركز الاله المحلي مونت. وتقع مقبرة طيبة عبر النهر عند موقع قرية القرنه الحالية. وان تل الخوخة اظهر مقابراً عدة من نهاية السلالة السادسة منها مقبرة الملك ايهي ولكن مقبرة عصر ملوك اهناسية تقع عند منحدرات ذراع ابو النجا مقابل معابد مونت وممون في الكرنك. وهنا قبور الملوك الذين حكموا طيبة من السلالة السادسة حتى العاشرة وخلفاءهم ملوك بداية السلالة الحادية عشرة ومن هؤلاء الملوك ريهوي ثم الامير اينوتيف الذي يعتبره ملوك المملكة الوسطى مؤسس سلالتهم. ويظهر ان بعد ظهور السلالة التاسعة في الشمال كونت طيبة حلفاً مع قفط. ومن حكام قفط الذين ساعدوا طيبة في توسعها كان دجفي ووالده دافي وابنه اخيتي وشخص آخر باسم اوسر. وفي دندرة حكم ملكان هما ميرير وابنوقر بين نهاية السلالة الثامنة ونهاية العاشرة حملا اللقب الرئيس الكبير لمصر العليا.

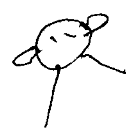
ونجد في نجع الدير مقابل طينة قرب شيخ فرج ودير الغرباوي قبوراً وآثار اخرى لسلسلة رؤساء لمقاطعة طينة حكموا بين السلالات ٦ و ١١.

من الظواهر المهمة لهذا العصر الجمارين وكان الجزء العلوي منها يرسم به الجمل وحيوانات مختلفة وباسفله يدونوا مايبغون اويكتفون برسم زخرفي اوهندسي، وقد عثر على كثير من النقوش في جدران مقابر العصر في سقارة وعثر ايضاً على لوحات جنازية لافراد كانت في مقابرهم التي شيدت من اللبن والقبر على شكل حجرة صغيرة تلون جدرانها ويدفن بها صاحب القبر داخل تابوت خشبي زينت بالرسوم والكتابة. وقد عثر على كثير من هذه التوابيت بانحاء متفرقة في مصر عرفتنا على مظاهر العصر الدينية والاجتماعية. وقد كثر وضع نماذج خشبية للخدم او العمال او الجنود في القبور وهم يؤدون اعمالهم. كما وصلتنا الكثير من شواهد القبور خاصة من مقابر الصعيد اكثرها يمجد فضائل المتوفى الشخصية وصفاته التي مكنته من التقدم في حياته.

من قطع هذا العصر الادبية المهمة تلك المعروفة بالفلاح الفصيح التي تتحدث عن فلاح اسمه خوابن انوب من وادي النطرون ذهب ليبيع غلته التي وضعها على حماره في اهناسية. واثناء سيره رآه شخص اسمه تحوتي نخت من اتباع رئيس مديري قصر الملك. فلما رآه الأخير عزم على اغتصاب مامعه فأمر احد اتباعه ان يحضر له قطعة قماش فغطى بها الطريق. ولما جاء الفلاح حذره تحوتي من ان تطأ حميره القماش فسار الفلاح في حقل الشعير حيث أكل احد حميره من الحقل. فصرخ تحوتي بوجه الفلاح وقال له بانه سيأخذ منه الحمار الذي اكل من غلته. فاعترض الفلاح وقال له انه يعرف بان الحقل يعود لرئيس مديري القصر الذي يدرق البلاد من اللصوص فكيف يسرق هو في حقله ؟ وهنا اخذ تحوتي غصناً وصار يضرب بالفلاح وسرق منه حميره وأخذ الفلاح يبكي وينهره تحوتي ويأمره بالسكوت لانه قريب من معبد اله السكون (اوزيريس). وظل الفلاح يستعطف تحوتي لمدة عشرة ايام دون جدوى فلما يئس سار الى رنسي رئيس مديري قصر الملك في العاصمة ليرفع شكواه. ورأى رنسي وكان يهم بالنزول الى سفينة ليعقد فيها جلسة محكمة فأخبره بان يرسل اليه تابعاً من اتباعه حتى يتلو عليه شكواه ففعل رنسي وشرح الفلاح له شكواه. ثم رفع قضية ضد تحوتي امام الحكام ولكن القضاة قالوا ان الفلاح لابد أن

يكـون فـلاحـاً لـدى تحـوتي ترك عمله فعـاقبـه سيـده ولـذا فقـد حصـل مـااستحـق ورفضـوا معـاقبــة تحـوتي وطلبـوا ان يـؤمر تحـوتي بتعـويض الفـلاح ولكن رنسي لم يرد على القضـاة او على الفلاح. ثم جـاء الفلاح ثـانيـة يشكو طـالبـاً من رنسي اقـامـة العـدل قـائلاً لـه (انـك ابـو اليتيم، وزوج الارملــة، وزوج المرأة المهجــورة، ودثــار من لاام لــه). وذهب رنسي الى نبكا وورع واخبره بما حـدث للفلاح فـأمره الملـك ان يطيـل اقـامـة الفـلاح كي يستمر في الشكـوى وان يـدون شكواه ويعتني بزوجتـه واطفـالـه. وظل الفلاح يـأتي كل يـوم ليرفـع شكـواه حتى بلغت شكاواه تسعـة ويئس الفـلاح و صمم على الانتحار وغادر فارسل عليه رنسي اثنين من رجـالـه فـاعـاداه. واعتقـد الفـلاح انهم سيعـاقبـوه فقـال (اني تـواق الى المـوت كما يتـوق الظمآن الى المـاء والرضيــع الى لبن امــه) فــاقعـــده رنسي وقرأ عليــه شكاواه التي ارسلت الى الملـك الـذي امر رنسي ان يحكم في القضيــة فــارسـل شرطيين لاحضــار تحوتي وارض القروى ثم اعطاه كل مايمتلكه تحوتي).(٢٥)





١٠سليم حسن، مصر القديمة (القاهرة، ١٩٤٠) الجزء الاول ص ١ ـ ١٢، دكتور نجيب ميخائيل ابراهيم، مصر الجزء الاول (القاهرة، ١٩٦٥) ص ٢ ـ ٥، الدكتور احمد رزقانه وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم (القاهرة، بلا) ص ٣ ـ ١٨، ٣٤ ـ ٣٨

I. E.S.Edweards and Others, eds. The Cambridge Ancient History, CAH, VIL. IPart I, (Cambrdge, 1970), PP. 465 – 467.

٠٢ دكتور نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر ص ١

Sir Alan Gardiner, Egypt of the Pharoahs, (Oxford, 1962), PP. 27.

٠٣ احمد فخري، مصر الفرعونية، (القاهرة، ١٩٦٠) ص ٥٧ ـ ٦٢، نجيب ابراهيم، السالف الذكر ص ٤٣ ـ ٥٠.

٠٤ رزقانه وآخرون، السالف الذكر ص ٣٩ ـ ٤٥، سليم حسن، السالف الذكر ص ٢٧ ـ ٦٢ احمد فخري، السالف الذكر ص ٣٥ ـ ٣٩

Cyril Aldred, Egypt to the End of the Old Kingdom, (New York, 1965), PP. 12 – 20.

٠٥احمد فخري السالف الذكر ص ٣٩ ـ ٤٨

Aldred, ibid, PP. 21 – 24,CAH, PP. 265 – 273.

نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر ص ٣٠ ـ ٣١، سليم حسن، السالف الذكر ص ٧١ ـ ٧٣

٠٦ سليم حسن، السالف الذكر، ص ٧٤ ـ ٧٥

Gardiner, Op. cit. PP. 389 – 392.

Aldred, Op. cit. PP. 25 – 30, CAH, PP. 473 – 480

٠٧ كريستيان ديروش نوبلكور، ترجمة محمود خليل النحاس واحمد محمد رضا (القاهرة ، ١٩٦٦) ص ٥٥ ـ ٦٦

W. Stevenson Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt, (Baltimore, 1958), PP. 11 – 19, Aldred, Op. cit. PP. 31 – 42, Gardiner, Op. cit. PP. 391 – 396, CAH, P. 481 – 497

٠٨ احمد فخري، السالف الذكر ص ٤٨ ـ ٥٦، نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر ص ٥٦ ـ ٦٧

Aldred, Op. cit. PP. 43 – 51, Gardiner, Op. cit. PP. 396 – 398, CAH, Vol. I, Part 2, (Cambridge, 1971), PP. 1 – 11.

٠٩ سليم حسن، السالف الذكر ص ٢٦٩ ـ ٢٧٦، نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر ص ٩٧ ـ ١١٨، احمد فخري ص ٧٣ ـ ٨٤

Smith, Op. cit. PP. 20 – 29, CAH, PP. 11 – 30.

١٠ احمد فخري، السالف الذكر، ص ٨٢ ـ ٨٨، نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر ص ١١٩ ـ ١٢٦

CAH, Vol L, Part 2, PP. 30 – 35.

٠١١ نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر، ص ١٢٦ ـ ١٤٣

Aldred, op. cit. PP. 31 – 42, CAH, Vol. I, Part 2, PP. 35 – 70.

٠١٢ رزقانه، السالف الذكر، ص ٧١ ـ ٧٤

Gardiner, Op. cit. PP. 19 – 26.

٠١٣ احمد فخري، السالف الذكر ، ص ٩٠ ـ ٩٨، نجيب ميخائيل ابراهيم ص ١٤٤ ـ ١٥٧

Gardiner, Op. PP. 72 – 77, Aldred, Op. cit PP. 65 – 80, Smith, Op. cit. PP. 30 – 38, CAH, Vol. I, Part 2, PP. 145 – 160.

٠١٤ نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر ص ١٥٨ ـ ١٨١، احمد فخري، السالف الذكر، ص ٩٩ ـ ١٢٧، سليم حسن، السالف الذكر، ص ٢٨٣ ـ ٣٢٧

CAH, ibid, PP. 160 – 179.

٠١٥ سليم حسن، نفسه، ص ٣٢٨ ـ ٣٥٢ احمد فخري، السالف الذكر ص ١٢٨ ـ ١٤٥، نجيب ميخائيل ابراهيم ص ١٨٢ ـ ٢٠٠

CAH, ibid, PP. 179 – 189.

٠١٦ سليم حسن، السالف الذكر، ص ٣٥٥ ـ ٤٠٥، نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر، ص ٢٠١ ـ ٢٢٣ احمد فخري، السالف الذكر، ص ١٤٦ ـ ١٦١

CAH, ibid, PP. 189 – 197.

٠١٧ سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الثاني ص ١ ـ ٦٧، رزقانه، السالف الذكر ص ١٠٨ ـ ١١٤، نجيب ميخائيل ابراهيم ص ٢٢٤ ـ ٢٣٧.

٠١٨ رزقانة، السالف الذكر، ص ٨٢ ـ ١٠٧، نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر، ص ٦٨ ـ ٩٢ أدولف ارمان، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ود. محمد انور شكري، ديانة مصر القديمة (القاهرة، بلا)

٠١٩ سليم حسن، الجزء الثاني، السالف الذكر ص ٦٨ ـ ٢٧٠، رزقانه، السالف الذكر ص ١٢١ ـ ١٣٩

٠٢٠ سليم حسن، نفسه، ص ٥١٠ ـ ٥٤٥، رزقانه، نفسه ص ١١٥ ـ ١٢١

٠٢١ سليم حسن، نفسه ٤٣٠ ـ ٤٥١

CAH, Vol. I, PART 2, PP. 200 – 204.

٢٣. سليم حسن، الجزء الثاني، ص ٢٥٥ ـ ٣٦٨.

٢٤. سليم حسن، نفسه، ص ٢٨٠ ـ ٣٠٥، نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٩ ، كريستيان ديروش نوبلكور، السالف الذكر، ص ٦٧ ـ ١٠٤، رزقانه، السالف الذكر ص ١٣٩ـ١٥٥،

Aldred, Op. cit. PP. 81 – 132, Smith, Op cit. PP. 9 – 132, CAH, Vol. I,Part 2, PP. 205 – 207

٢٥. سليم حسن، الجزء الاول، السالف الذكر ص ٤١٤ ـ ٤٣١ ، نوبلكور، السالف الذكر ص ١٠٥ ـ ١٠٨، نجيب ميخائيل ابراهيم، السالف الذكر، ص ٢٥٥ ـ ٢٩٧، احمد فخري، السالف الذكر، ص ١٩٢ ـ ١٨٢

Smith, Op. cit. PP. 83 – 87

الفصل الثالث

المملكة الوسطى

واحتلال الهكسوس

لمصر

المملكة الوسطى واحتلال الهكسوس

الاسرة الحادية عشرة

منذ الوقت الذي تربع فيه ملوك الاسرة العاشرة على العرش المصري في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد، ظهر في طيبة [1] اسرة قوية هيمن افرادها على المقاطعات المجاورة لاقليهم واصبحوا مناوئين لحكام اسرة اهناسية [2] ثم حكموا المناطق الجنوبية وورثتهم فيما بعد بعد الاسرة الحادية عشرة التي نشأت في طيبة حيث كان لها دورٌ متميزٌ في توحيد اقليمي الدلتا والصعيد. وبذلك بدأت دورة تأريخية جديدة في مصر بفتحها لعهد اشتهر بعهد المملكة الوسطى (او الدولة الوسطى) تخلل الفترات فيما بعد ٢١٣٤ ـ ١٧٧٨ ق. م.

حيث قدر لمصر فيها ان تستعيد مجدها وان تمر بعهد زاهر بعدما تم توحيد شطري القطر باتخاذ سياسة الشدة مع حكام الاقاليم الذين لم يخضعوا لملوك تلك الاسرة مع ممالاة بعض الحكام الآخرين الذين تقدموا بمساعدة الاسرة الطيبية في كفاحها، تلك الاسرة التي اشتهر حكامها باسم (إنتف)[3] تارة وباسم (منتوحوتب) تارة اخرى.[4] وكانت مصر في اوائل عصر هذه الاسرة منقسمة الى ثلاثة اقسام :

١. الدلتا ـ وكان يحكمها بعض الحكام المحليين ومن بينهم اجانب جاؤا الى مصر من غربي آسيا.

٢. مصر الوسطى حتى سقوط اسيوط ـ وكان يحكمها ملوك الاسرة العاشرة الاهناسية.

٣. مصر العليا ـ من اسيوط الى أسوان ويحكمها افراد اسرة انتف.[5]

على الرغم من عدم وضوح امور كثيرة تتعلق بالاسرة الحادية عشرة وتسلسل حكم ملوكها[6] فقد خلدت لنا بعض الآثار الكفاح الطويل الذي قام بين حكم طيبة وحكام اهناسيا، ودلتنا هذه الآثار على ان الحرب ظلت سجالاً بين الطرفين طول حكم اربعة من حكام طيبة اسمهم (انتف) وواحد اسمه (منتوحوتب) ثم استطاع (منتوحوتب الثاني) اخضاع الشمال وارجع الى مصر وحدتها وجعل منها امة واحدة.[7] وقد ارسل كل من (سعنخ كارع ونبت حبت رع) اللذان تلقبا ايضاً ب(منتوحوتب) بعثات نحو بلاد البونت في الجنوب، مخترقين وادي الحمامات الى باب المندب وذلك لتمتين العلاقات الاقتصادية بواسطة التجارة مع هذه البلاد : ويقول جيمس هنري برستد في هذا الصدد

«بأن الملوك بدؤوا فيما بعد بتأسيس قواعد في هذه الطرق للوصول الى تلك البلاد عن طريق الأنهار والبحار وحتى انهم بدأوا الاتصال بالجزر الايجية بهينتهم على جزيرة كريت، فضلاً عن توصيل نهر النيل بالبحر الأحمر عن طريق فتح قنوات بينهما لتسهيل مرور السفن التجارية فيها وقد استطاعت السفن الابحار من جهات الدلتا مباشرة نحو بلاد اليونت والى المحيط الهندي».[8] وعلى كل حال يمكن ان يكون (منتوحوتب الاول) هو الذي حقق الانتصار واسس تلك الدولة بتوحيده المقاطعات المصرية المتفككة اداريا [9] واستمرت الى عهد الاسرة الثانية عشرة.

ومن المرجح ان ولي عهد منتوحوتب الاول الذي كان يدعى (انتف) مات في حياة والده فتولى من بعده ولده الثاني (منتوحوتب الثاني) الذي اتبع سياسة والده في التعمير. وقد ارسل بعثة الى وادي حمامات ثم الى بلاد پونت حيث احضروا معهم بعض الاحجار الممتازة في صناعة التماثيل اللازمة للمعابد. ويبدو انه لم يعمر طويلاً وترك من بعد موته فترة من عدم الاستقرار حتى وصل الى اغتصاب بعض الحكام للعرش المصري لعدة سنين، وتولى من بعدهم (منتوحوتب الثالث) الحكم الذي يحتمل انه كان هو الآخر مغتصباً للعرش لمدة قصيرة لاتزيد عن عامين لكنه سلك نفس سلوك سابقه وقد ارسل بعثتين كانت احداهما الى وادي حمامات بقيادة وزيره امنحات الذي تولى العرش من بعده وعرف في التأريخ باسم (امنحات الاول) مؤسس الاسرة الثانية عشرة.

الاسرة الثانية عشرة

حدثت بعض الاضطرابات والقلاقل في اواخر عصر الاسرة الحادية عشرة، اذ أراد نفر من المصريين ان يجلسوا على عرش مصر دون ان يكون لهم الحق الشرعي في ذلك. حدث هذا مباشرة بعد موت الملك منتوحوتب الثالث كما ذكر، واستمرت هذه الاضطرابات خمس سنوات حكم خلالها عدة اشخاص، وبعد هذه السنين الخمسة المضطربة نرى على العرش الملك (منتوحوتب الرابع) الا أن فترة حكمه لم تزد عن عامين فقط. لقد اشتهر هؤلاء الملوك في طيبة بأعمالهم وماخلفوه من نتائجها، وقد تحدثت الاوراق وكذلك اللوحات الكتابية عن الحكم الطويل للملوك الثانية الذين ينتمون الى هذه الأسرة[10]، ومع ذلك فقد كان الزعماء الاقطاعيون يهتمون بتقوية نفوذهم ومراكزهم ويحاولون توسيع حدود مقاطعاتهم في هذا العصر وهذا ماتظهره الاضرحة والقبور الفنية الكبيرة وخاصة ماوجدت

منها في وسط مصر في بني حسن، البرشة، اسيوط ودير ريفه، وعلى مايظهر فان هؤلاء كانوا يخضعون لسلطة امراء يحكمون في قصور ملكية. وبعد فترة حكم منتوحوتب الرابع (الثالث ؟) ظهر في افق السياسة المصرية اسم الوزير (امنحات) [11] الذي اصطحب معه عدداً غفيراً من الجند الى وادي الحمامات لقطع الأحجار ضمن البعثات التي تحدثنا عنها. لكن امنحات هذا جمع الجيش في الواقع توطئة لعمل آخر هو الاستيلاء على العرش لنفسه ووضع حد لعدم الاستقرار الذي ينتشر في البلاد منذ وفاة منتوحوتب الثالث.

هكذا انتقل العرش الى الاسرة الجديدة وتولى اول ملوكها (امنحات الأول) الحكم وسط عاصفة من التذمر والتنافس الشديد على العرش، بل اكثر من هذا صادفت هذا الملك عقبات كثيرة اقامها أمراء الاقاليم اللذين ودوا استعادة استقلالهم الداخلي وانفرادهم بالحكم في اقطاعاتهم، ويظهر ان هذه الحالة ادت بالفرعون ان يبث دعايات مفادها «أنه ظهر لأفراد شعبه كالمنقذ المنتظر وان العناية الالهية خيرته منذ الازل ... وهو من اقرباء الاسرة الحادية عشرة السابقة له، وانه لم يقبل العرش اغتصاباً من ورثتها ... والخ».(١٢)

لكنه مع ذلك اضطر ان يقابل عنادهم بقسوة كبيرة فشن عليهم حرباً لاهوادة فيها، وعندما استتبت الامور له اعترف بحكم من والاه منهم وتركهم في مناصبهم بعد ان عين الحدود بينهم وبين جيرانهم، وبعد ذلك أسس عاصمة جديدة لاسرته في نقطة تتوسط مصر وتقع عند مدخل منطقة الفيوم قرب اللشت وسماها (ايثت ثاوى) على بعد ٢٥ ميلاً جنوب ممفيس، ويظهر من آثاره هنا انه حارب في صحراء سيناء وكذلك قام بحملة حربية ضد النوبيين . وهكذا او ماكادت الأحوال تهدأ ويشعر هذا الفرعون بأن حكام الأقاليم قد هادنوه، حتى وجه عنايته نحو الجنوب فحارب اهل النوبه واخضعهم وتوغل في بلادهم الى منطقة (دنقلة) واقام الحصون على شاطيء النيل لتأمين حدود مصر الجنوبية.(١٣)

اشرك امنحات الأول ابنه الأكبر سنوسرت الأول [14] في ادارة شؤون الدولة مدة حياته، وذلك ليتدرب على مواجهة الصعاب وليطلع على خبايا الأمور، وهذه السنة الجديدة سار عليها كل ملوك الاسرة الثانية عشرة تقريباً. وفي أواخر ايامه دبر لامنحات الأول مؤامرة من قبل افراد حاشيته وراح ضحية تلك المؤامرة، حيث تقلد ابنه سنوسرت الاول الحكم بعد موته.

قام سنوسرت الأول في بداية حكمه بحملة على بلاد (كوش) فيما وراء الشلال الثاني، وكانت هذه أول مرة يرافق فيها ملك مصرى حملة حربية، وبعد انتصاراته التي حققها هناك، ترك حاكما لها وجعل مقره قلعة (كة) ثم اتجهت انظاره بعد ذلك الى الواحات فنظمها وعين حاكماً عليها ... كما شملت عنايته كذلك منطقه الفيوم.[15] تولى الحكم بعد هذا الفرعون كل من (امنمحات الثاني وسنوسرت الثاني) اللذان تمتعت مصر طوال حكمها (١٩٣٠ ـ ١٨٧٩ ق. م.) بالرخاء والرفاهية، وتوثقت العلاقات التجارية مع بلاد (پونت).

اما الملك (سنوسرت الثالث ١٨٧٩ ـ ١٨٤١ ق. م.) فهو الوحيد الذي تسنح له الفرصة للتدريب على شئون الحكم في عصر أبيه على مايبدو. ومع ذلك تمكن من ان يحكم مصر حكماً عادلاً، مظهر من الحنكة والقدرة مالم يظهره اى ملك من ملوك هذه الاسرة، فوجه عنايته الكبرى نحو بلاد السودان مقرراً ضمها نهائيا الى مصر، فحفر ترعة توصل الى مابعد الشلال الأول، فيسهل عليه نقل الجيوش اللازمة لفتح هذه المنطقة ، وبعد ان تم له هذا النصر، أقام لوحاً حجرياً عند اقصى الحدود الجنوبية فيما وراء الشلال الثالث، مبيناً حد الدولة المصرية، مهددا كل انسان يريد ان يتعداه الى الشمال بالقتل اذا لم يكن قد حصل على اذن بذلك سواء أكان مسافراً على الأرض او على النهر، بمفرده او مع قطعانه مستثنيا كل رجل ينوي التجارة في اقصى ارض مصر او يحمل رسالة اليها، وأمر حرس الحدود أن يعاملوه بالحسنى.[16] كما اهتم سنوسرت الثالث ببلاد سوريا فأرسل اليها بعض الحملات، وبجانب هذه الحملات الخارجية فقد استطاع ان يتغلب على حكام الاقاليم وان يقضى عليهم قضاءً تاماً على ماكان لهم من نفوذ.

ورث (امنمحات الرابع ١٧٩٢ ـ ١٧٨٢ ق. م.) أمة غنية وكنوزا لاعداد لها وحالة سلام، فلم يقابله من الصعاب مايشحذ عزيمته، كما لم تتوفر فيه مزايا اسلافه، فتهاون وترك الامور تجرى لحالها، فضعف شأنه. مات هذا الملك دون ان يترك وليا للعهد، لذا تولت العرش أخته (سوبك نفرو رع ١٧٨٢ ـ ١٧٧٨ ق. م.) فضعفت الملكية ضعفاً ادى الى انتهاء هذه الاسرة التي بلغ فيها العصر الذهبي للدولة الوسطى اعلى مرتبة له. وتختلف الأسباب التي دعت الى اضمحلال الدولة الوسطى عن تلك التي أدت الى سقوط الدولة القديمة، اذ اعتمد ملوك الاسرة الثانية عشرة على الموظفين الذين عينوا في الاقاليم لمنافسة حكامها في سلطتهم ونجحت هذه السياسة وقضى هؤلاء الموظفون على كل

ماكان من سلطة لحكام الاقاليم بعكس ماكان الحال في الدولة القديمة التي اعتمدت على سلطة الزعماء الاقليمين. ومن ناحية اخرى اعتمد الملوك في حكمهم على الجيوش القائمة وكانت هذه الجيوش غير معروفة من قبل اذ اعتاد ملوك الدولة القديمة استدعاء الرجال في ساعات الخطر وتدريبهم بسرعة على النظام وتكوين فرق منهم يرسلونها للحرب ثم لاتلبث هذه الفرق ان تسرح اذا ماانتهت المهمة التي جندت من اجلها. ومن هذه الحالة تكون فئتان كبيرتان لها خطرها، وهما فئة الموظفين وفئة الجيش. وعندما اعتلى عرش مصر كل من امنحات الرابع وسوبك نفرورع، وكان كلاهما ضعيفين، لم يعرفا كيف يسيطران على كلا الفئتين ويمنعا تصادمها الذي ادى في النهاية الى سقوط حكم تلك الاسرة من المملكة الوسطى.

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في عهد المملكة الوسطى

عندما اصرت طيبة على استرجاع ماتفرق من وحدة البلاد، كان ذلك بشيراً لمصر بأنها تستطيع ان تبدأ دورة تأريخية جديدة. فبدأ الملوك الاوائل الملقبون ب(انتف) برفع شأن الرب (آمون) ومعبده وأقاموا مقابرهم الملكية في غربة حيث حدد مهندسوهم منطقة صخرية لذلك الفرض ومهدوا فيها مسطحات منسقة تشبه الشرفات ظهرت في جملها على هيئة ابهاء طبيعية ذات عمد في صخر الجبل. ومن بين هؤلاء الملوك استمتع نب حپت رع (منتوحوتب الثاني) بشئ من التقديس والاكبار عند معاصريه وخلفائه، فرددوا شهرته بعد وفاته بقرون طويلة ، سواء بشهرة معبده الفخم في غرب طيبة او تقدير لجهوده في اعادة وحدة البلاد. وذكروا اسمه بناءً على هذا الاعتبار في صف واحد مع اسم الفرعون (منس) من المملكة القديمة واسم الفرعون (احمس الأول) من المملكة الحديثة.(١٧)

نهج الفرعون منتوحوتب الثاني في سياسة حكمه الداخلية منهاجاً مرسوماً اتبعه بعض خلفائه من بعده وحاول في هذا المنهاج ان يركز سلطان الحكم في عاصمته، وان يحد من سلطات حكام الاقاليم كلما تيسر الحد منها، وقد نجح في ذلك ، واختفى بذلك لقب (حاكم الاقليم العظيم) وغيره من النعوت الفخمة التي انتحلها حكام الاقاليم لأنفسهم وكأنهم فراعنة صغار يقيمون في قصور شاهقة اقل شمخاً من قصور الفراعنة الكبار. وحاول رجال

الهيئة الادارية في هذه الاقاليم المعينون من قبل الملك ان يشرفوا على تطبيق القانون والادارة مباشرة.

اما في السياسة الخارجية فقد استطاع ملوك الاسرة الحادية عشرة ان يوسعوا علاقاتهم السياسية والاقتصادية خارج حدود بلادهم، فاخترقوا وادي الحمامات في الجنوب ووصلوا بلاد البونت، كما اتصلوا ببلاد آسيوية وحتى انهم ارسلوا بعثات تجارية الى ليبيا لجلب الاحجار والى لبنان وسوريا لجلب الاخشاب والى الجنوب لجلب الذهب وكونوا علاقة مع سكان جزر ايجه ومنها كريت. لابد ان هذا الانطلاق وسع بدوره قاعدة البناء الاقتصادي للدولة الوسطى منذ بداية تأسيسها.

اما الاسرة الثانية عشرة فقد قدمت الى مصر ملوكا حازمين استمروا على اظهار اهتمامهم بطيبة ، بتشييد المباني فيها ولكنهم نقلوا عاصمة البلاد الى الفيوم، في مكان يقال له (اللشت) على مقربة من نقطة التقاء الدلتا بالصعيد، وأقاموا في تلك المنطقة مشروعات ري كبيرة ليزيدوا من رخاء مصر كلها. كما كان هذا العصر عصر انتعاش التجارة والثقافة والنشاط الاقتصادي بشكل عام، ولعل اوضح مايذكر لذلك النشاط الاقتصادي هو استعادة الاستثمار الواسع لموارد الصحراوين الشرقية والغربية والاتصال ببلاد النوبة والبونت (الصومال). وبدأ هذا الاتجاه بمحاولة توطيد الأمن في المناطق التي تؤدى الى البحر عبر الصحراء الشرقية ومحاولة تعميرها واستغلال محاصلها ومناجمها لصالح الدولة والملك. وبذا استغلوا مناجم وادي الحمامات بعد ان اخضعوا بدو الصحراء الشرقية، وقد ادى هذا النشاط الاقتصادي على العموم بظهور طبقة وسطى في المجتمع وهم ارباب المهن والملاكين.

اهتم الملك امنمحات الاول بتحصين حدود مصر من الشرق والغرب فمنع غارات البدو الذين يسكنون الصحراء الشرقية وصحراء ليبيا. وحكم مصر مدة تقرب من الثلاثين عام... (١٨) واشرك ابنه في الحكم، فبذلك| استن سنة جديدة في تاريخ مصر، كما اخذ بالسياسة والحسنى مع امراء المقاطعات فسمح لهم بقسط من الاستقلال لكنه ابقى عليهم من الالتزامات والواجبات كدفع الضرائب وامداده بالجيوش عند الحاجة وعين لكل من حدود ارضه حتى لايتنافسوا ، وبذلك استمالهم اليه وضمن ولاءهم اليه.(١٩)

وبعد اغتيال امنمحات الاول عاد سنوسرت الأول من حملته على القبائل الليبية الى مصر وتمكن من اعادة الامور الى نصابها، وبدأ سياسة توسع خارجي لم تكن معتادة من

قبل، كما توسع في استغلال مناجم الذهب في بلاد النوبة، واتبع سياسة نشطة في آسيا مما زاد من نفوذ مصر في سوريا وفلسطين، وكذلك استغل المناجم والمحاجر على نطاق واسع، وبنى ووسع ورمم في الكثير من المعابد في اماكن مختلفة من مصر [٢٠] ومن آثاره اقامة المسلتين امام معبد الشمس للاله (رع) في مدينة هليوبوليس.[٢١]

اما (امنحات الثاني) فقد شارك ابيه في الحكم لمدة ثلاث سنوات كما شاركه ابنه سنوسرت الثاني لثلاث سنوات فيما بعد ايام شيخوخته، وكانت علاقته مع حكام سوريا وفلسطين طيبة وقد تبادلوا الهدايا فيما بينهم. عنى هذا الملك ايضاً باستغلال المناجم في سيناء والصحراء الشرقية واضطر الى ارسال البعثات لتأمين مقاطعاتها من عبث البدو. كما استمر ابنه (سنوسرت الثاني ١٨٩٨ ـ ١٨٧٩ ق. م.) بدعم النشاط الاقتصادي وهو اول من بدأ بمشروع اصلاح الارض بمنطقة الفيوم الذي اتمه حفيده (امنحات الثالث).[٢٢]

وبعد هذا الفرعون استطاع سنوسرت الثالث ١٨٧٩ ـ ١٨٤١ ق. م.) خامس ملوك الاسرة الثانية عشرة من القضاء نهائيا على قوة حكام الاقاليم التي ازدادت خلال عصر الفترة الأولى، واستمرت حتى بداية الدولة الوسطى. كما اشتهر بشقه قناة في صخور الشلال الاول، تمهيداً لحملات اربع، على الاقل، شنها على النوبة السفلى، وانتهت بضمها نهائيا الى مصر، بحيث غدت بلدة (سمنة جنوبي الشلال الثاني تمثل الحدود الجنوبية للمملكة[٢٣]

يعتبر عصر امنحات الثالث (١٨٤١ ـ ١٧٩٢ ق. م.) من ازهى عصور الدولة الوسطى ونعمت فيه مصر بسلام داخلي ونشاط ملحوظ في المشروعات الانشائية حيث اكمل مشروع جده، ثم اقام الجسور العظيمة وبدأ بتجفيف الاراضي لزراعتها كما نظم بعض المناطق لتخزين مياه الفيضان فيها ثم تصريفها في النيل عند الحاجة ، كما بنى هرما لنفسه ومعبداً ضخماً في شرقه وقد دام حكمه لنحو خمسين عام.

اما عصر (امنحات الرابع ١٧٩٢ ـ ١٧٨٢ ق. م.) فيعتبر النهاية الحزينة لاسرة عظيمة تمكنت من ان تعيد لمصر عظمتها وقوتها وازدهارها، وعاد امراء الاقاليم الى تقوية نفوذهم ولما مات دون ان يترك ولى عهد ورثته اخته (سوبك نفرو / سوبك ـ كارع) التي حكمت فيما بين اعوام ١٧٨٢ ـ ١٧٧٨ ق. م. تقريبا.[٢٤] ويرجح ان تكون هذه الملكة ابنة امنحات الثالث وقد ورد اسمها في قائمتي الكرنك وسقارة وفي بردية تورين. وبموتها انتهى عصر الاسرة الثانية عشرة.

يتبين ان الحياة الرغدة المتنوعة التي عاشها الناس في عصر الدولة الوسطى لها الفضل في تقدم الآداب والعلوم كما يرجع هذا الفضل الى ما احرزته البلاد المصرية من تقدم اقتصادي بزعامة اسرة امنمحات التي قامت بأعمال رفعت كثيراً من مقدرة مصر في الانتاج الى حد لم تعرفه من قبل. فبأعمالهم العمرانية في الري والزراعة زاد دخل الأراضي وعم الرخاء. كما اظهر الملوك همه وقوة في تنظيم الحكومة لأن ذلك كان ضرورياً للحد من سلطة حكام الأقليم واخضاعهم لنفوذ الملوك. واعدوا كذلك كشوف التعداد للمساعدة في جباية الضرائب وبدؤوا تنظيم الجيش وان كان صغيراً ولكنه قام بدور مهم في الحروب، وادت تلك الحروب الى بناء حصون دائمية للجنود. وبذل ملوك ذلك العهد مجهوداً كبيراً لانماء ثروة البلاد، فحفروا قناة بدأت عند الطريق الشمالي للبحر الأحمر متجهة نحو الغرب الى ان وصلت الى اقرب فرع من فروع النيل في شرق الدلتا وتيسر للسفن المصرية ان تدخل من البحر المتوسط الى النيل.

اما الفن فما يقال عنه في عهد الاسرة الثانية عشرة انه وصل الذروة ولاسيما في العهد الأخير من ايامها، وامتاز بالواقعية ومحاكاة الطبيعة وقد وصل هذا النهج في الفن ايام اخناتون في عهد الامبراطورية اوج تطوره كما يستبين وبلغ الفنانون مهارة ودقة وذوقاً راقياً. كما امتاز عهد المملكة الوسطى بظهور بعض الآلهة الجديدة منهم (آمون) الاله الحامي الخاص لطيبة وقد طوبق مع الاله (رع) (٢٦) في بداية عهد السلالة الثانية عشرة وهو الاله القديم الخاص بملوك منفس في عهد المملكة القديمة وكذلك عبدوا الاله (سوبك) الذي يمثل بالتمساح وهو الاله الخاص بالفيوم، كما شاعت عبادة الاله اوزيريس (أوسيريس) وعظم شأنه وصار اله عالم الاموات.

اما في فن البناء، فقد ظهرت تجديدات العمارة بأجلى معانيها في آثار (نب حبت رع) من الاسرة الحادية عشرة، وشاء مهندسه ان يشيد له ضريحاً يليق بمكانة وسمعته فاستوحى هيئه اهرام الدولة القديمة وهيئه مقابر عصره وخرج منها باسلوب مبتكر وجديد. وجمع لاول مرة بين هرم الفرعون ومعبده في بناء واحد قائم متصل. وضم ضريح منتوحوتب عددا من مقابر نساء اسرته وكان لكل اميرة منهن مقصورة خاصة ولكل مقصورة بئر تؤدى الى حجرة دفنها.

وبدأت بواكير النجاح النسبي لفن النحت حينذاك في تماثيل منتوحوتب (نب حيت رع) وقد اصاب هذا النجاح النسبي تماثيل الجواري والاتباع الصغيرة ايضاً فبلغت حدا لابأس به من سلامة النسب ورقة التفاصيل، وان تفاوتت فيما بينها من حيث الحيوية ودقة الصناعة.

اما ملوك الاسرة الثانية عشرة فقد بنى اغلبهم اهراما خاصه بهم، حيث توجد اهرامات كل من امنحات الاول وابنه سنوسرت الاول في اللشت قرب العاصمه طيبة، اما اهرامات كل من امنحات الثالث فقد بنى اهراماته في الدهشور وفي الدواره قرب الفيوم.(٢٨)

اما من ناحية الادب والعلم، فكما يقول جيمس هنري برستد، فان «هذه الفترة في تأريخ مصر كانت من العصور الزاخرة بالآثار الأدبية... وكانت على هيئة ملفات من البردي تلف بعناية وتختم ثم توضع داخل اواني من الفخار،... ويمكن ان يرى بينها أقدم القصص في تأريخ العالم، مثل قصة اسفار ومغامرات (سنوهى) او قصة البحار الغريق الذي غرقت سفينته».(٢٩)

لقد طرأ كثير من التغييرات الأساسية في عصر الاهرام على الحضارة المصرية بشكل عام. فكانت من مميزات هذا العصر الازدهار الكبير في البناء والفنون.

وحاول المفكرون الاجتماعيون ان يجعلوا من الضمير سبباً في جعل الاخلاق قوة اجتماعية، وكان لهذا التقدم في التفكير اثر كبير على الديانة. لذا بدأ المصريون يعتقدون ان كل انسان مسؤول امام الآلهة عن تصرفاته وان روح الانسان ستسأل في الحياة الاخرى عما فعلته في الحياة الدنيا، وبهذا اخذ المصري يرتفع بنفسه ويتقدم نحو مثل خلقية عالية وهذا ماتؤكده الآثار الأدبية لقصة اوزيريس.

لقد وصلت الينا برديات وملفات تحوى اغنيات وقصائد شعرية القيت بعضها ايام الاحتفالات الكبرى في البلاط كما يحوى بعض هذه البرديات بعض المواضيع في مبادئ العلوم، واهم هذه البرديات بردية ادوين سميث Edwin Smith Papyrus وهي نسخة نقلها كاتب في القرن السابع عشر قبل الميلاد عن نسخة اقدم منها... فهي دراسة عن الجراحة وعن الطب الظاهري تبدأ من اعلى الرأس ثم تتناول الجسم جزءً جزءاً. وكما يقول برستد «فان هذا الموضوع ينتهي عند الحالات التي تتناول الصدر واعلى السلسلة الفقرية ...وقد تمكن ذلك الجراح المصري الذي ألف هذه الوثيقة من معرفة ان المخ هو

الذي يتحكم في اعصاب الاعضاء المختلفة، واوضح لنا نوعاً من التحقيق العلمي عن وظيفة المخ... واكتشف ذلك الطبيب ايضاً ان القلب هو القوة المحركة للنظام في الجسم، وهو في الوقت ذاته مركز هذا النظام» ويضيف برستد بأن «هناك ملفات فيها قواعد الحساب قائمة على الاساس العشري الذي مازلنا نستعمله... فيها مبادئ الجبر والهندسة... كما تمكن المصريون من عمل ارصاد للأجرام السماوية بآلآت بسيطة وميّزوا بين الكواكب وبين النجوم الثوابت ولكنهم لم يصلوا الى معرفة نظام سير الكواكب في السماء.»(٣٠)

عصر الاضمحلال الثاني
وقيام دولة الهكسوس
١٧٧٨ ـ ١٥٧٠ ق. م.

الاسرة الثالثة عشرة
وانهيار المملكة الوسطى

كان المرجع الاساسي لسقوط الأسرة الثانية عشرة كما ذكر هو الصراع الذي دار بين فئة الموظفين وفئة الجيش، ويبدو ان ملوك الاسرة الثالثة عشرة انحدروا من هاتين الفئتين وكانوا لايزالون في صراع مستمر، فكل فئة تناضل قدر جهدها ليكون ملك مصر من بينها ، حتى اذا نجحت تصدت لها الفئة الأخرى وناوأت الملك حتى تسقطه وتعين ملكاً آخر من بينها. وهذا هو السبب في تعدد ملوك الاسرة الثالثة عشرة وفي اختلاف اسمائهم، بل في ظهور لقب جديد هو (قائد الجيش) الذي اضافه بعض ملوك هذه الاسرة الى ألقابه الملكية. وتدل شواهد الاحوال (٣١) على ان نظام الحكومة في عهد الأسرة الثالثة عشرة بقي على حاله كما كان في زمن الاسرة الثانية عشرة وقد عمروا بعض مابناه ملوك الاسرة الثانية عشرة. ولكن يمكن ان نلمس حقيقة اضطراب علاقات البيت المالك حيث كان افراده ضعافاً مما ادى بالأمراء المحليين ان يعودوا بالانفراد في السلطة فتفكك الدولة.(٣٢) فما يكاد الفرعون يستقر في عرشه حتى يغتصب منه الملك ويطرد ثم يتلوه غيره، وتتجدد معه المأساة، مما يدل على ان البلاد كانت منحدرة نحو الخراب والتدهور المشين، والسبب في هذا يرجع، على اغلب الاحتمال، الى ان كبار الموظفين، وخاصة الضباط منهم الذين كانوا وقتئذ يغتصبون العرش، كانوا يتشاحنون فيما بينهم، وكان كل

منهم يطمح الى ان يكون الفائز. لذا من العبث حقاً سرد اسماء ملوك هذه الاسرة، فهم على كثرتهم لم يخلدوا في تأريخ مصر اي أثر، ولم يسهموا مطلقاً في تقدمها، بل انهم على العكس اسدلوا ستاراً كثيفاً من الغموض على عصرهم وسهلوا للآسيويين النزوح الى مصر حيث اقاموا فيها دولة عمرت فيها اكثر من قرن ونصف اشتهروا فيها باسم الهكسوس.

ـ الهكسوس ـ

لم تعبّر تسمية الهكسوس في اصلها عن شعب معين بقدر ماعبّرت عن صفة لمجموعة من الحكام اطلق المصريون عليهم اسم حقا وخاسوت (هيكا ـ خاسوت) بمعنى حكام البراري او الحكام الاجانب [٣٤] ثم حور الاغريق هذه التسمية الى (هكسوس) وترجمها مانيتون بمعنى (ملوك الرعاة) ثم ترجمها عنه يوسيفوس اليهودي بمعنى (الاسرى الرعاة) [٣٥] وزعم ان من بينهم كانت عناصر سامية اللغة وقد حمل احد ملوكهم اسم يعقوب، حيث جلبوا معهم معداة جديدة والعربة والحصان الى مصر.[٣٦]

كانت هجرة هؤلاء من بلادهم نحو الجنوب بطيئة دون شك، وانضم اليهم كثير من العناصر غير المستقرة او التي اضطرت الى ترك بلادها في اسيا الغربية ولكن يمكن تمييز الساميين والحوريين من بينهم وعلى العموم فأن اسماء الهكسوس، تنبئ عن انها خليط من عناصر من اجناس مختلفة.[٣٧] اما دوافع انسيابهم الى مصر بمجموعات قبلية رحالة فترجع الى ماأصابت غربي آسيا من تغييرات سياسية وتحركت اقوامها من بلادها الاصلية تحت ظروف غير طبيعية تدفعهم القبائل الرعوية ذات اللغات الهندية ـ الاوربية من الشمال نحو الجنوب ويمكن ايجازها بما يأتي :

اظهرت التحريات الاثرية واللغوية بأن التحركات الاولية للوحدات القبلية الرحالة التي تداولت لهجات متقاربة وعرفت في عصرنا بـ(الهنود ـ الأوربيين)[٣٨] كانت من المناطق الواقعة فيا بين بحر البلطيق والبحر الاسود، وخاصة سهول روسيا الجنوبية، اى السهول الممتدة بين بحيرة آرال في الشرق ونهر الدانوب في الغرب، ثم انسابت هذه القبائل بفرعيها الشرقي والغربي نحو الجنوب من الجهات الشرقية والغربية لبحر الأسود ودخلت البلاد البلقانية وآسيا الصغرى بعد ان اجتازت أنهاراً مثل الدون والدنيبر والدنيستر والدانوب في اوربا او نهر الكر وآراس في الجهات القفقاسية، كما وصلت طلائعها الى شمال

بلاد مابين النهرين وجبال زاكروس في نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد،(٣٩) وغدوا يكونون الطبقات العليا في مجتمعات هذه البلدان كافة بارضاخهم لسكانها الاصليين من الخالتيين والحوريين وغيرهم. لذا يعتقد «بأن هذه الشعوب لم تشكل في الأصل مجموعات بشرية متكاملة بل كانت وحدات نشأت تدريجياً من اتحاد فئات بشرية متباينة ».(٤٠) فمثلا بنيت الامبراطورية الحثية في آسيا الصغرى، والتي توسعت نحو الشرق والجنوب، على اتحاد دويلات عديدة محلية في هذه المناطق سيطر عليها المهاجرون من القبائل الهندية اوربية. وهذا هو نفس ماحدث بالنسبة للحوريين وغيرهم من سكان بلاد مابين النهرين وجبال زاكروس عندما غدوا تابعين لطبقة ارستقراطية سياسية تداولت لغة هندية اوربية واصبحت هذه اللغة بعد اللغة الرسمية للدولة المتباينة. وقد استمر فلول هذه القبائل في هجرتها، على مايظهر، متجهة نحو الجنوب اكثر فأكثر مخترقة سوريا وفلسطين اختلطت بهم سكان هذه المناطق المتباينين لغاتاً واديانا وعند اجتياحهم بلاد مصر عرفوا فيها مجتمعين بتسمية عامة وهي الهكسوس.(٤١)

هاجمت جحافل الهكسوس ارض مصر في اواخر عصر الدولة الوسطى (٤٢) وكانت قد اخذت للمرة الثانية تضمحل تحت حكم ملوك الاسرة الثالثة عشرة وبداية الرابعة عشرة (٤٣) وقد انقسمت مصر فيما بعد الى ثلاثة اقسام :

١ ـ قسم حكمه ملوك من الاسرة الرابعة عشرة، استقلوا بغرب الدلتا مع جزء من وسطها.
٢ ـ اقام الهكسوس دولتهم في منطقة امتدت وشملت شرق الدلتا ثم مصر الوسطى حتى اسيوط.
٣ ـ بقيت مصر العليا من اسيوط جنوباً متمتعة باستقلال ذاتي تحت امرة حكام مدينة طيبة، لكنهم في الوقت ذاته يؤدون الجزية لملك الهكسوس، ولهؤلاء الأمراء يرجع الفضل في تحرير مصر وتأسيس الدولة الحديثة.

لقد حكم هؤلاء الآسيويون مصر مدة تقرب من قرنين اي من عام ١٧٨٨ق.م. حتى ١٥٨٠ ق. م. (٤٤) وكانوا دون اهل البلاد المصرية التي فتحوها حضارة فاقتبسوا منها الشئ الكثير وقد أسسوا الاسرة الخامسة عشرة في بلدة (اواريس) (٤٥) التي قامت على حساب الأسرة الرابعة عشرة. وقد شملت دولة الهكسوس كذلك الاسرات السادسة عشرة ثم السابعة عشرة في الشمال. اما في الجنوب فتكونت اسرة من حكام طيبة يطلق عليها ايضاً الأسرة السابعة عشرة.

بلغت الاسماء التي وردت على الآثار التي خلفها لنا ملوك الهكسوس في مصر ٢٣ اسماً ومما يؤسف له ان هذه الاسماء وردت متفرقة وقد قسم (مانيتون) ملوك مصر هذا العهد الى ثلاث أسر فذكر اولاً ستة ملوك يتألف منهم عهد الاسرة الخامسة عشرة. بعد ذلك جاء في مختصر (افريكانوس) الأسرة السادسة عشرة وعدد ملوكها اثنان وثلاثون ملكاً، ثم جاء الاسرة السابعة عشرة، وقد حكم فيها ثلاثة واربعون ملكا من الهكسوس. (٤٦) ويبدو ان الثلاثة ملوك الاخيرين في المجموعة الأولى وهم (ابوفيس، خيان، شيشي اوسيسى) قد حكموا مصر كلها والنوبة السفلى لأن آثارهم موزعة فيها. (٤٧) وان اهم الملوك الذين تركوا لنا آثاراً من هذا العصر هو الملك (خيان)، ولم نعثر عليها في مصر وحدها، بل في كل البلاد المجاورة مثل فلسطين وسوريا والعراق وجزيرة كريت.(٤٨) وفي نهاية عهد الهكسوس يظهر ان مصر والنوبة كانتا تنقسمان الى الاقسام الآتية :

١ـ مملكة طيبة (الاسرة السابعة عشرة المصرية) التي كانت تمتد من اقليم الشلال الاول جنوبا الى القوصية شمالاً.

٢ـ مملكة الهكسوس وكانت تحكم الدلتا ومصر الوسطى.

٣ ـ مملكة النوبة التي يحكمها امير نوبي وكانت تمتد شمالاً الى اقليم الشلال الاول(٤٩)

نهاية حكم الهكسوس

لم تشمل سلطة الهكسوس مصر جميعاً وبصورة دائمية كما ظهر وانما انحصرت بالدرجة الأولى في الدلتا وكانت مصر العليا على شيئ من الاستقلال فقد حكم في العاصمة المقدسة (طيبة) امراء مصريون مستقلون كانوا ينتهزون الفرص بالقضاء على حكم الهكسوس لمدة طويلة وان حكموا بعض الوقت تحت نفوذ الهكسوس، ولكنهم بدؤوا النضال لأجل الاستقلال منذ البداية. وتدل شواهد الاحوال على ان الفرعون (تاعا الثاني) هو اول ملك بدأ النزاع بينه وبين ملك الهكسوس.(٥٠) وما (تاعا) هذا الا الملك (سقنن رع) الملقب بالشجاع الذي يتضح من جثته المحنطة انه قد لقى حتفه في الحرب.(٥١) ثم تولى امارة طيبة بعده ابنه (كامس) الذي حاول جهده اضرام نار الثورة بين مواطنيه ورجال بلاطه. وقد حكم فيما بين ١٥٧٨ ق. م. (؟) ـ ١٥٧٠ ق. م. وهو اخر ملوك الاسرة السابعة عشرة وقد سجل معاركه مع الهكسوس على نصبين تذكاريين اقامهما بالكرنك يشيران الى انه

واصـل تقـدمـه في الـدلتـا ليحـارب الهكسـوس حتى وصـل فيا يحتمـل الى مشـارف (اواريس) عـاصمة الهكسـوس ولكن مـوتـه المفاجئ منعـه من الاستيـلاء عليهـا، وبقي هـذا العمـل ليتمـه أخـوه أحمس الأول (١٥٧٠ ـ ١٥٤٦ ق٠ م٠) الـذي تم طرد الهكسـوس من مصر على يـديـه بعـد حصـار مـدينـة شـاروهين (جنوبي مـدينـة غزة) آخر معقل احتمى بـه هـؤلاء وقد طاردهم الى فلسطين وشتت شملهم تماماً٠

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في عهد الهكسوس

هنـاك عـدة اسبـاب تـدل على ان الهكسوس كانـوا قـوة ثقـافيـة في وادي النيـل قبـل ان يكـونـوا قـوة سيـاسيـة منـذ عهـد الملـك سنـوسرت الثـاني (١٩٠٦ ـ ١٨٨٧ ق٠ م٠) اي في منتصف عهـد الـدولـة الـوسطى، وكما يحتمـل انهم حكـموا مصر قبـل عـام ١٧٣٠ ق٠ م٠ لأن غـزوهم لمصر لم يتم دفعـة واحـدة ولايتحـدث اي مصـدر حـول هـذا النـوع من الغـزو لأنـه تم تـدريجيا على مـايظهر، ثم لانجـد في سقـوط الأسرة الثـانيـة عشرة الـذي ادى الى ضعف مصر سببـاً يسـاعـد على حركـة قـامت لأي سبب تـؤدى الى تـوطيـد اول أسرة للهكسـوس في ارض الـدلتـا حـوالي عـام ١٧٣٠ ق٠ م٠ لـذا فيمكن القـول بـأنهم وفـدوا الى مصر جمـاعـات صغيرة متفرقـة وكانت هـذه الجماعـات تـزداد في عـددهـا الى ان اصبـح لهم سلطـان عظيم في البـلاد بتسربهم بهذه الكيفيـة، حتى ان هـذه العنـاصر المختلفـة الجنسيـة قـد اصبحت فيا بعـد عـاملاً سيـاسيـاً قـويـاً في مصر ادى الى جعـل البـلاد تحت سلطـانهم، وعلى هـذا الأسـاس ظهرت الاسرة الخـامسـة عشرة في مصر٠ والـواقـع ان الهكسـوس عنـدمـا قضى عليهم سيـاسيـاً لايعني انـه قـد قضى على نفـوذهم الثقـافي، لأن هـذه النفـوذ لابـد قـد استمرت تطبـع الحيـاة المصريـة بطـابعهـا الخـاص الى مـدة لايستهـان بهـا في عهـد الأسرة الثـامنـة عشرة٠ واذا كنـا نرى ان كثيراً من نجـاح الهكسـوس يعـزى الى أسلحتهم المتفـوقـة وحصـونهم الممتـازة وقـد قـامت العربـات والخيـول التي جلبـوهـا معهم بـدور كبير في أقـدارهم، فـان هـذه الظـواهر الحضـاريـة ظلت كسمـة من سمات المملكـة الحـديثـة فيا بعـد٠ وقـد بقيت آثـار بعض معسكرات الهكسوس لحد الآن اضـافـة الى مـانعرفـه من المواد التي تتصل بحيـاة هؤلاء في مصر كالمشـابـك

والحلى والاسلحة والدروع التي تلبس فوق الجسم ونوع خاص من الفخار وبعض العناصر في تخطيط الزخارف.(٥٢) وقد تمكن الأثريون من دراسة آثار الهكسوس بتقسيمها الى نوعين، احدهما مبكر والآخر متأخر ، فالنوع المبكر تغلب عليه الطبيعة الأجنبية، اما المتأخر، فذو صلة وثيقة بالحضارة الحورية التي كانت قد انبثقت في شمال بلاد مابين النهرين. وهناك دليل اكيد على استعمال كلمة (خارو) في عهد الامبراطورية المصرية لتدل على سوريا وفلسطين (٥٣) وذلك لانتشار الحوريين فيها، لذا نجد ان مملكة ميتاني كانت تطمع في هذه الأقطار التي تواجد فيها الحوريين لأن تلك المملكة قامت على اكتاف هؤلاء سيطرت عليها طبقة هندية اورّبية كما ذكر. لم يبق من آثار الهكسوس الاالنزر اليسير منها ترجع الى الملك عاوسررع (ابو فيس) وهي لوحة كاتب مصنوعة من الخشب وجدت في الفيوم، كما عثر في (الجبلين) على قطعة مكتوبة من الحجر ترجع الى زمن هذا الملك، وفي مقبرة امنحوتب الاول وجدت قطعة من آنية من الجرانيت باسم هذا الملك.(٥٤)

وهناك بعض آثار تنسب للملوك الثلاثة الذين تسموا باسم (أبو فيس) غير انه لايمكننا ان نميز اي (ابو فيس) كان المقصود. ولكن آثار (خيان) لمنتشرة في جهات مختلفة منها سوريا وفلسطين والعراق وكريت. ويدل بعض ألقابه انه حكم مناطق واسعة لذا سمي ب(حاكم البلاد الأجنبية) وحمل لقب (ضام الأرضين) اي مصر السفلى ومصر العليا. ولعل احسن طراز معروف بعصر الهكسوس هو مايسمى طراز (تل اليهودية) جنوبي الدلتا حيث وجد في هذا الموقع على نوع من الفخار بكثرة سمي باسم الموقع. كما يوجد طرازان آخران خاصان بعهد الهكسوس كبير الحجم نسبياً ولكل واحد منها مقبض مثبت عند كتف الاناء. ولكن الفخار ذا اللونيين الذي كان يرسم عليه غالباً اشكال طير او شجرة او سمكة، هو الذي كان يستعمله هؤلاء القوم في فلسطين، هذا فضلاً عن أختامهم الاسطوانية الشكل ذات الطابع الخاص الشبيه بما صنعه الحوريون، وقد ظهر هذا التغيير في الفن الهكسوسى قبل طردهم من مصر. وفي الوقت نفسه نجد اواني من صناعة الهكسوس في قبرص مما يوحى بتبادل تجاري بين البلدين (٥٥) مما يدل على وجود نشاط تجاري بحري مصرى في البحر الابيض المتوسط في ذلك العهد.

وقد كان الهكسوس اصحاب نشاط كذلك في ميدان صناعة المعادن، وكان النحاس هو المعدن الهام المستعمل في العهود التي قبل عصر الهكسوس ، لكن عند وفود هؤلاء نرى بداية حلول عصر استعمال البرنز في صورة راقية. وقد ادخلوا الى مصر السيف المقوس المصنوع من الحديد والقوس المركب.

كا استعمل في هذا العصر الاواني المصنوعة من المرمر والمطعمة بالعظم ومواد اخرى عثر عليها في مدافن تنسب الى الهكسوس.

من جهة اخرى ان طراز تحصين المدن الذي كان من اعظم مخصصات الهكسوس يتألف من طوار منحدر او استحكام يبنى فوقه جدار البلدة نفسها، وزيادة في التحصين كان يحاط بحفر خندق او حفرة في غالب الاحيان، وكان يستعمل في اقامة مثل هذا الطوار غالباً المواد الموجودة في البيئة التي اقيم فيها هذا المبنى مثل الرمل والطين واللبن والأحجار والجص. وكان تصميم بناء مدن الهكسوس يمليه الى حد التكوين الطبيعي للارض التي ستقام عليها المدينة. ومن خصائص بعض تحصينات الهكسوس انها تميل الى الشكل المستطيل او المربع حيثما تسمح بذلك طبيعة الأرض التي سيقام عليها المبنى.

اما في العلاقات الروحية، فقد لعب الاله ستخ الذي عبده سكان غرب آسيا دوراً بارزاً في ديانة الهكسوس وكان الاله المفضل لديهم، وكان يصور في هيئة رجل ذي لحية يلبس رداءا آسيوياً. وفي مصر وحدّوا بين هذا الاله وبين (ست) الاله المصري وصوره في صورته واصبح كل منها يعرف باسم الآخر، وكان المركز الرئيسي لعبادته في عاصمتهم (اواريس) ثم انتقلت عبادته الى واحات الصحراء الغربية، حيث كانت له فيها مكانة كبيرة حتى العصور المتأخرة.

وفي رواية (مانيثون) يظهر بأن ملك الهكسوس قد رفع الاله (ست) الى مرتبة السيادة على ملكه وجعله اله الدولة الأعظم، وقام له على حسب التقاليد المصرية بأعظم آيات التجلة والاحترام.(٥٦) كا قام هؤلاء الملوك دون ريب بتقديس آلهة اخرى من أوطانهم الأصلية بجانب الآلهات المصرية في بداية تواجدهم في مصر، ولكنهم تشبهوا بالفراعنة المصريين فيا بعد في القابهم وملابسهم وهيئات تماثيلهم وادعوا القربى من الارباب المصريين وسجلوا اسماءهم على معابدهم. وهكذا وكا يقول الاستاذ طه باقر «ان شر الهكسوس في مصر مبالغ، لأن بالاضافة الى الأشياء الجديدة التي أدخلوها الى مصر ترجع الى عهدهم طائفة مهمة من التآليف العلمية التي كانت نسخاً عن أصول اقدم، ولكنها

دونت في هذا الوجه، كما ان جزءاً مهما من معرفتنا بالرياضيات المصرية مستمد من نصوص عهد الهكسوس في مصر [٥٧]

المملكة الحديثة والامبراطورية
الاسرات من الثامنة عشرة الى آخر العشرين
عهد الامبراطورية
١٥٧٠ - ١٠٨٠ ق. م.

الاسرة الثامنة عشرة

يعتبر الفرعون (احمس الاول) مؤسساً للأسرة الثامنة عشرة من المملكة الحديثة في مصر. وقد كافح هذا الملك الظروف القاسية التي احاطت به بجعله للجندية المقام الأسمى في البلاد [٥٨] لكي يتابع محاربة الهكسوس حتى يجليهم عن مصر، ثم بدأ يوجه همه الى بلاد النوبة واسترجع المناطق التي حكمتها مصر في عصر الدولة الوسطى، وقضى على الثورات التي اندلع لهيبها في داخل البلاد. وفي النهاية أخذ هذا الفرعون في تنظيم الحكومة واصلاح ماخرب فيها خلال حروب الهكسوس مما استنفذ الجزء الأكبر من مدة حكمه. وقد نحا بعده ابنه (آمنحوتب الأول) نحو ابيه في توطيد أركان المملكة، ويبدو ان الجيوش المصرية وصلت وقتئذ الى نهر الفرات مع انه لم يكن قد قام بأي حركة حربية. وفي الواقع فقد خلف أحمس الأول اولاداً كثيرين عندما لقى حتفه وكان ابنه هذا لايزال حديث السن وقد حكم فيما بين ١٥٥٧ - ١٥٣٥ ق. م.[٥٩]

قام امنحوتب بأول حملة على بلاد (كوش) [٦٠] وهزّم أهلها وعاد الي مصر مظفراً. ويحتمل أنه تابع سياسة والده في الحفاظ على المستعمرات المصرية في آسيا، لذا من الممكن ان يعزى بداية الامبراطورية المصرية الى حكم امنحوتب الاول الذي دام طويلاً نسبياً.[٦١]

عقب هذه الحروب كانت البلاد المصرية في حاجة الى فترة من الراحة، فقام هذا الملك بتحقيقها، لذا فلا غرابة في ان نرى المدن في هذا العهد قد استعادت حياتها العادية، ونمت فيها الزراعة، وازدهرت التجارة مما زاد في ثروة مصر وجعلها على استعداد تام للقيام بفتوحها المقبلة فيما بعد.

خلف امنحوتب الأول على عرش مصر (تحوتمس الأول) دون ان يجري في عروقه الدم الملكي وأن موضوع قرابته بالعائلة الفرعونية لايزال يحيطه الشك والابهام. ولعله توصل الى هذا بزواجه من ارملة امنحوتب الاول (٦٣) ويظهر انه توج ملكا على البلاد حوالى عام ١٥٣٥ ق. م. اي بعد وفاة امنحوتب مباشرة. ولم يكن النصف الجنوبي من السودان حين تولى هادئا، لذلك عزم تحوتمس على ان يقوم بنفسه بحملة عليهم لاخضاعهم قبل ان يولي وجهه شطر آسيا مطمح انظاره ومعقد آماله، فارسل حملة قوية توغلت الى الشلال الرابع ووصلت الى (نپاتا) (٦٤) واصبحت هذه المنطقة هي الحدود الجنوبية للبلاد فترة طويلة بلغت خمسة قرون. وعين تحوتمس الاول هناك حاكما عاماً اشبه بمندوب سام مع أن هذا الحاكم لم يمت في الحقيقة للبيت المالك بصلة القرابة.

وبعد ان فرغ تحوتمس من حروبه في السودان ووطد اركان ملكه هناك اخذ يفكر في المشروع العظيم الذي قام بتنفيذ جزء منه الفراعنة الذين سبقوه، وذلك هو القضاء على الهكسوس في آسيا بعد ان قضى عليهم في مصر، فضلاً عن ذلك أنه كان يريد تأسيس امبراطورية واسعة النطاق كان قد وضع أساسها في عهد الأسرة الثانية عشرة. ونستدل على حروبه التي قام بها في آسيا من نص لضابط يدعى (أحمس بن نختب) الذي وصل مع الملك الى منحنى الفرات قرب قرقميش وان الملك اقام هناك لوحاً حجرياً سجل عليه ان ذلك المكان سيبقى الحد الأقصى لممتلكات مصر في آسيا. وعلى الرغم من ان هذه المعلومات مقتضبة عن هذه الحروب لكنها تحدثنا عن أعظم المخاطرات الحربية التي حدثت في تأريخ فراعنة مصر، ويظهر ان تحوتمس الثالث قد شاهد اللوحة التذكارية لجده المقامة على نهر الفرات عندما وصل الى هذه النقطة في حملته الثامنة، وأقام هو بدوره لوحة أخرى على الجانب الأيمن لنهر الفرات. في الواقع تعتبر حملات تحوتمس الأول في هذه الأصقاع بداية التقاء ليس لقوة مصر العسكرية مع القوى الآسيوية فحسب وانما كانت بداية لقاء الحضارة المصرية مع المراكز الحضارية لآسيا الغربية التي فتحت باباً لغزو مصر في العصور التي تلت هذه المرحلة التأريخية.

ولما شعر تحوتمس الأول في أواخر ايامه بضعفه وعدم قدرته على تحمل اعباء الحكم، نزل على مايظهر لابنه (تحوتمس الثاني) عن العرش وزوجه من ابنته (حتشپسوت) الا أنه مات مبكراً بعد هذا الزواج ومن أهم اعماله هو القضاء على العصيان الذي قام به بعض القبائل السودانية على مقربة من الشلال الثالث.

بعد موت تحوتمس الثاني انقسم اهل مصر الى فئتين حول خلافته، ففئته رأت في (حتشپسوت) الابنة الشرعية وصاحبة الحق الأول والأخير في العرش. اما الأخرى فرأت ان تقاليد الفراعنة تحتم جلوس رجل على العرش وبذلك يجب ان يتولى (تحوتمس الثالث) بن (تحوتمس الثاني) من احدى زوجاته الثانويات، فضلا عن ان الملك لابد انه كان يميل الى ان يخلفه رجل على العرش، فساعده كهنة آمون، واصبح تحوتمس الثالث هو ملك مصر بعد ان تزوج من (حتشپسوت)، ولكن مع ذلك فقد انفردت هذه الامرأة بالحكم بعد ان اخرج كهنة آمون قصة تقول بانها ابنة الاله آمون واختارها لتحكم مصر بمفردها، وهذه مانستدل بها من القابها الملكية (الزوجة الالهية وبذرة الاله الممتازة التي خرجت منه...الخ) وادعاء الكهنة بان الاله اختارها لتحكم مصر بمفردها، وظل (تحوتمس الثالث) طوال حياة (حتشپسوت) منزويا، وبعد وفاتها انفرد بالحكم، فكان اقدر من تولى حكم مصر في عصر الدولة الحديثة.

ارادت الملكة حتشپسوت ان تمثل دور الفرعون الحقيقي، فتخلت عن القاب الملكات واخذت كل القاب الملك المصري مثل الاميرة العظية وسيدة كل الاراضي والابنة الملكية والزوجة الملكية العظيمة وسيدة الارضين ، ثم تزيت بزي الرجال . ويمتاز عصرها باستتاب الامن والسلام في الداخل والخارج. ويظهر ان تولى المراة حكم البلاد المصرية كان من الامور النادرة جداً. لكن حتشپسوت فيظهر ان انها من جهتها اقنعت المصريين بأنها بنت الاله آمون نفسه من جهة وان والدها قد نصبها على عرش البلاد من جهة اخرى وجعلها وارثته الشرعية. ومن اثارها الخالدة معبدها الذي شيدته بمنطقة الدير البحري على الشاطئ الغربي للنيل عند مدينة الاقصر وقد وجدت فيها تماثيل طريفه من ذلك العهد. وقد حاولت الملكة في اقامة هذا المعبد الجنازي ان تدون على جدرانه كل ماقامت به من جليل الاعمال لوالدها (آمون) ثم فكرت في ارسال حملة سلمية الى بلاد اليونت لتحضر منها الاشجار ذات الروائح العطرية. وبعد نشوء العلاقات الودية بين مصر وهذه البلاد شحنت السفن المصرية بمنتجات مختلفة من بلاد اليونت وخاصة العاج والابنوس وجلود الفهد والذهب والبخور.. وغيرها.

ماتت حتشپسوت بعد ان حكمت ٢١ سنة وتعد من اعظم الملكات اللواتي يعرفهن التأريخ ، ويظهر ان رجال تحوتمس الثالث خربوا اكثرآثارها انتقاما منها.

لقد خلف تحوتمس الثالث اباه تحوتمس الثاني، وكان هذا الاخير قد تزوج من اخته من ابيه (حتشپسوت) وقد رزق بتحوتمس الثالث من زوجة ثانوية[٦٥] واصبح هذا ملك

مصر رسمياً وهو لايزال طفلاً لم يبلغ الحلم بعد، فكانت حتشبسوت قد نصبت نفسها وصية عليه، ويظهر ان تحوتمس الثالث لم يعترف بحكمها لذا بقي منزويا بعيداً عن الحكم. لكنه بعد وفاة حتشبسوت انفرد بالحكم وقام بتنفيذ مشروعات ضخمة وانتهت هذه الاعمال بتدعيم اسس الامبراطورية المصرية التي امتدت من الفرات شمالاً الى الشلال الرابع جنوباً وقام بسلسلة من الغزوات في آسيا الغربية.(٦٦) ويعتبر هذا الفرعون منذ تسلمه السلطة(٦٧) عظيماً بتنفيذ مشروعاته الضخمة وقام بتلك الغزوات العديدة الى بلاد آسيا ولحد حدود مملكة ميتانى، وقد تطاحنت معه القوات الحيثية في جهات سوريا، وصارت تلك العلاقات المصرية الآسيوية من بعده اقوى من ذي قبل. وكان من مصالح المملكة المصرية الرئيسية فيما بعد الدخول في حلف مع احدى الدول القوية الثلاث الآسيوية وذلك لتوطيد جبهته امام التوسع الحيثي، وهي الدولة الميتانية، الكاسية ومملكة آشور الناشئة. لذا حاول المصريون من هذا المنطلق التقرب من الميتانين لأنهم كانوا اقوى تلك الدول في هذه المرحلة، اضافة الى انهم كانوا يواجهون المملكة الحيثية من الشرق والجنوب مباشرة(٦٨)

وقد كان السوريون (وعلى الأغلب الهكسوس) قد ألفو حلفاً بقيادة ملك (قادش) البلدة الواقعة على نهر العاص شمالى دمشق، وقابلهم الفرعون لمنازلة ملك هذا الحلف والقضاء عليه وعلى مملكته التي كانت اقوى الممالك في البلاد السورية، والتقى معهم في معركة (مجدو) وانتصر عليهم وجاء اليه الامراء السوريون حاملين عطاياهم من الذهب والفضة والازورد، وقد عينهم الفرعون من جديد في اماكنهم. اما ملك قادش الفار فان المصريين قد اخذوا أسرته رهينة عندهم.

بعد انتصاراته في سورية وجّه تحوتمس الثالث عنايته لتنظيم الأقاليم التي فتحها فقد اصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينيقيا. ومع ذلك لم يكن الفرعون قد كسر شوكة ملك قادش بعد، وكان شمالى سورية لايزال خارجاً عن سلطانه، وكان (ساوششتار) ملك ميتانى (النهرين) قد توغل في هذه الجهة واستولى على مملكة (حلب) التي كانت في الأصل للحيثين. لذا نجد ان الفرعون قد اكتفى في الحملة الأولى بفتح الأقاليم التي ثارت عليه لكنه نصب امرائها عليها مرة أخرى لقاء دفعهم للجزية السنوية، لكنه ضمانا لحسن نياتهم صحب معه الى مصر بكر ولد كل منهم واسكنهم في طيبة ورباهم تربية خاصة بجعلهم يميلون روحياً الى مصر والتفانى في خدمتها، وكان كلما خلا مكان امير او مات احد الأمراء في تلك

الجهات الآسيوية نصب تحوتمس ابنه الذي تربى في مصر خلفا له. في البداية خرج تحوتمس الثالث عام ١٤٧٩ ق. م. الى حربه الآسيوية الأولى لكن في السنة الثالثة والثلاثين من سنى حكمه شرع الفرعون في القيام بحملته الثامنة على آسيا، «وأن دولة الميتانى كان تتوق الى المحافظة على نهارين (٦٩) لتقف سداً بينها وبين الفرعون المصري»(٧٠) وقد عرّج تحوتمس الثالث ١٤٦٩ ـ ١٤٣٦ شمالاً حتى وصل الى مدينة (قرقميش) فالتحمت جنوده هناك بجنود ملك ميتانى عدو تحوتمس اللدود في معركة شديدة انتهت بهزيمة ميتانى.(٧١) وقد سيرت الحملة الثامنة من فينيقيا الى نهارين فسقطت مدنها امام تحوتمس بعد ان كان قد نكل بالقوة الميتانية في قرقميش. وبلغ الفرات واجتازه وأقام لوحة من الحجر لتعيين حدود دولته على ضفته الاخرى. وكانت اول حركة قام بها هي غزو اقاليم (قطنه) شمال شرقي حمص.(٧٢) قبل الالتحام بجنود دولة الميتانى، وعند عودته الى مصر فقد حاول امراء سوريا عرقلة طريقه بعض الشئ. مات تحوتمس الثالث قبل العام الرابع والخمسين من حكمه الاسمي والعام الثالث والثلاثين من حكمه المطلق وخلفه ابنه (آمنحوتب الثاني ١٤٤٧ ـ ١٤٢٠ ق. م.) وكان قد اشركه معه في الحكم قبل ذلك بسنة او سنتين. فلم تمضي على توليه بضعة أشهر حتى ظهر بجيوشه في آسيا، وثبت السيادة المصرية هناك ببطشه للسكان وكان قاسياً مثل ابيه، ولما هاجم فلسطين ومنها وثب على الفرات جاءته رسل الميتانى (٧٣) وكان من الطبيعى ان يبعث موته (حوالي سنة ١٤٢٠ ق. م.) على قيام الفتن في الاقاليم الآسيوية التي آثارها الميتانيون الذين احتفظوا ب(ألالاخ وكركميش ـ قرقميش ـ) واستطاعوا حمل امنحوتب الثاني في حينه على تجريد عدة حملات على المنطقة لان انتصارات تحوتمس الثالث لم تخضع الاقسماً صغيراً من المملكة الكبيرة الميتانية للسيطرة المصرية. ومع ظهور تلك الفتن اضطر تحوتمس الرابع (١٤١١ ـ ١٣٩٧ ق. م.) التقرب من الميتانيين. ومن المحتمل انه لم يكن الوارث الحقيقي للعرش وان كان احد ابناء امنحوتب الثاني. ولقد اشتد الصراع الديني في زمنه بين كهنه آمون وكهنة الاله (رع) بشكل واسع.(٧٤)

في هذه المرحلة من التأريخ لايمكن الأفتراض على ان التقرب قد بدأ من جانب دولة الميتانى نحو مصر، بل العكس هو الاقرب الى الصواب، وذلك لوجود مصالح مصرية في آسيا وبالأخص في شمال بلاد مابين النهرين وشمال سوريا بالذات. لذا وبالرغم من ان

بابل (كاردونياش)[٧٥] عرضت صداقتها عليهم، لكن تحوتمس الرابع طلب يد اميرة ميتانية (سبع مرات) لتكون زوجاً له وملكة ورمزاً لتحالف سياسي. انه تزوج ابنة (ارتاتاما) ملك ميتانى التي ولدت له (امنحوتب الثالث) فيما بعد، وبهذه المصاهرة انهى العداء بين مصر ومملكة ميتانى. وفي كل الاحتمالات لابد ان تكون الحقيقة وراء ذلك التبدل السياسي لمصر في آسيا الغربية هي ان المصريين قد أدركوا عدم قدرتهم للسيطرة على سوريا، وان الميتانيين من جانبهم قد ادركوا ايضاً استحالة استعادتهم لفلسطين والاجزاء التي اقتطعتها مصر من سوريا. وهكذا فقد رضخ الطرفان للأمر الواقع وقررا احلال التحالف الودي محل العداء القديم بينهما.[٧٦]

في هذا الوقت أخذ نفوذ الحيثيين يكبر تدريجيا وغدا خطراً على ميتانى اكثر من مصر، وكما يظهر من رسائل تل العمارنة (المرقمة ٢١، ١٦ ـ ١٨) كأن تحوتمس الرابع قد راى ان من مصلحته ان يحالف صديقاً له في الجهات الاسيوية لذا ارسل الى ملك ميتانى ملتمساً منه ارسال كريمته ليقترن بها. فتردد الأخير يسيراً كالمعتاد في مثل هذه الأحوال ثم رضى في آخر الأمر وارسل كريمته الى مصر حيث تلقبت باللقب المصري (موت أوم أويا Mutemuya) وهي والدة آمنحوتب الثالث [٧٧] ويقول فاندنبيرغ أنه «مع مجيئ موت اوم اويا الأميرة الآسيوية رفرف البهاء والأبهة والعظمة في مصر بجانب وصول بعض القيم الدينية والأفكار الروحية التي جلبتها معها. ولقد غدا ابن تحوتمس من (موت أوم أويا) في الخامسة عشرة من عمره عندما اعتلى عرش مصر واشتهر ب(آمنحوتب الثالث).[٧٨]

بدأ زعماء الدول الآسيوية في عهد (آمنحوتب الثالث)، وكما تشهد على ذلك رسائل تل العمارنة، [٧٩] الى اكتساب عطف مصر وصار قصره مركزاً للتخاطب، وقد ساعد استتاب الأمن في مصر والبلاد الخاضعة لها في غرب آسيا على تكديس الثروات في خزائن الدولة، لكن أواخر ايام حكمه شاهدت ثورات قامت بها الشعوب الآسيوية الخاضعة له وكان لابد لابنه آمونحوتب الرابع (اخناتون) ان يسارع لاخماد تلك الثورات، لكنه كان في الواقع منشغلا بثورته الدينية التي تتصل جذورها من المحتمل بشكل او بآخر ببعض العقائد الآسيوية لعبادة الاله الذي يحجبه قرص الشمس في السماء الذي سمي في مصر (اتون). وفي الواقع بان تعظيم آتون كان قد بدأ منذ زمن تحوتمس الرابع (١٤١١ ـ ١٣٩٧ ق. م.) حيث كان يتقرب من كهنة منفس وهليوپوليس ليتسنى له كسر شوكة كهنة آمون في طيبة بعد

ان هيمنوا على البلاد ولم يتركوا للمعبودات الأخرى الا القليل. وقد بدأ هذا الملك حملة على آمون بأن أشاد ب(رع) معبود هليوبوليس وشجع عبادة قرص الشمس (آتون). (٨٠)

نشأ الفرعون آمنحوتب الرابع (أخناتون) واسمه الحقيقي (نيفر - خيبرو - رع = الوجه الجميل لرع) (٨١) في وسط تهيمن عليه قوة كهنة الاله (آمون) وجبروتهم رغم محاولة ابيه ومن قبله جده التخفيف من وطأة نفوذهم، وهذه المحاولات لاشك انها كانت قد بدأت فيهم بعد ان تأثروا بالمفاهيم الدينية الآسيوية في عبادة اله الشمس وبالتالي لابد وان كهنة آمون شددوا عليهم عن طريق ترسيخ مبادئ معبوداتهم المحلية.

لقد اقترنت ثورته الدينية بثورة اجتماعية وفنية (نتطرق الى هذا الجانب فيما بعد) ودعته في تلك الثورة زوجته نفرتيتي التي لعبت الدور الرئيسي في حياة هذا الفرعون الديني والسياسي بعدما توفي والده حيث عاشت معه كزوجه وهي ماتزال في الخامسة عشرة من عمرها.(٨٢)

كبر امنحوتب الرابع الشاب في هذا الجو وتصادم مع الواقع وهو يحب الحقيقة وينشد الصدق وهو مرهف الحس وذو آراء فلسفية، لذا رفض مفاهيم كهنة آمون، وخرج بفكرة جديدة تقول بان الاله ليس هو قرص الشمس، بل القوة الكامنة فيه التي سماها بـ (آتون) وطالب الناس بعبادته بمفرده دون شريك له، وعليهم ان يخصوه وحده دون اله آخر بالعبادة والتقديس. حاربه كهنة آمون، واضطر الى ان يهجر طيبة وبنى لنفسه عاصمة جديدة في مصر الوسطى وسماها (اخت آتون) اي أفق آتون واعلن حرباً ضد آمون وكهنته ومحى اسمه السابق (آمنحوتب).

لم يخلف أخناتون ابنا يتولى العرش من بعده، فخلفه (سمنخ كارع) زوج ابنته الكبرى وأخوه من ابيه، وقد قضى مدة حكمه القصيرة في أخت آتون (تل العمارنه) فيما بين ١٣٥١ - ١٣٤٨ ق. م. وقد وافته المنية عقب وفاة حميه الذي اشركه معه في الحكم لمدة قصيرة، ويحتمل بدأت في ايامه العودة صراحة الى عبادة الآلهة الاخرى التي حرمها اخناتون ويظهر انه هجر اخت آتون وعاد الى طيبة العاصمة القديمة. لم يعثر له لحد الآن على آثار مهمة.

خلف هذا الفرعون صهر ثان لأخناتون، هو (توت عنخ آتون) وهو لايزال صبياً، وفي أوائل ايام حكمه غيّر سياسة البيت المالك، وبدأت العودة الى عبادة آمون حتى يستميل

اليـه النـاس، ورجع الى طيبـة، واعـاد ترميم معـابـد آمون واطلق على نفسـه (توت عنخ آمـون) والمخلفـات التي اكتشفت في مقبرتـه تمثـل مـدى التقـدم الحضـاري لـلاسرة الثـامنـة عشرة في امـور المعيشـة والفنـون. ولم يجلس (تـوت عنـخ آمـون) على العرش الافترة قصيرة لاتـزيـد على العشر سنوات، وخلفـه زوج مربيـه أخنـاتون المـدعـو (آى) الـذي كان من كبـار رجـال الـدين ومن اصهـار البيت المـالـك، وكان سنـداً وشريكاً في العرش للملـك (تـوت عنـخ آمـون). وبعـد وفـاتـه اعتلى العرش لفترة قصيرة وبموتـه انتهت الأسرة الثـامنـة عشرة ازهى عصـور الـدولـة الحديثة.

الاسرة التاسعة عشرة

كان (حـورمحب) قـائـدا للجيش المصري في عهـد الاسرة الثـامنـة عشرة، ولايمت بـأيـة صلـة الى البيت المـالـك، فلمـا خـلا العرش بعـد مـوت (آى) تـوجـه من منف (منفس)[٨٣] مقر قيـادة الجيش منـذ بـدايـة حكم الأسرة الثـامنـة عشرة الى طيبـة ونصب نفسـه ملكا على مصر، تـزوج من الاميرة (مـوت - نـزم) من اميرات البيت المـالـك القـديم فيما بين عـام ١٣٣٤ - ١٣٠٤ ق. م. ولمـا تولى هـذه الفرعـون كانت الفـوضى مـازالت منتشرة في كافـة الشـؤون ولـذا حرص على ازالـة اسبـابهـا، فسن القـوانين ووضـع بعض التشريعـات لمحـاربـة الرشـوة وامر بـاصلاح المعـابـد وترميمهـا وبنى لنفسـه مقبرة في وادي الملوك وهي من اكبر مقـابر طيبـة واصـدر امراً يتعلق بـالاصلاحـات الاداريـة والعسكريـة ، كما عقـد معـاهـدة مع ملـك الحيثين[٨٤] وقـد حكم حـورمحب نحـواً من ثـلاثين سنـة ولم يترك وريثـاً للعرش والظـاهر ان رجـال الجيش كانـوا قـد سيطروا على البـلاد، لـذا فقـد سيطر على العرش قـائـدٌ عسكريٌ اشتهر فيما بعـد ب(رعمسيس الاول ١٣٠٤ - ١٣٠٣ ق. م.)[٨٥] وكان هـذا رجـلاً مسنـاً ويغلب الظن انـه كان صـديقـاً لحـورمحب، اختـاره لأنـه رجـل عسكري في استطـاعتـه ان يتم رسـالتـه، ولكن من المعروف انـه لم يقم بـأى عمل مهم لمملكتـه وكل مـانعرف عنـه أنـه وضع رسم قـاعـة العمـد العظمية بالكرنـك ولم يتجـاوز حكم هـذا الفرعون العـامين، وفي السنـة الثـانيـة من حكمـه احس بـالكهـولـة والعجـز عن ادارة شـؤون دولتـه فـاشرك معـه في الملـك ابنـه (سيتى الاول ١٣٠٣ - ١٢٩٠ ق. م.) ومات بعد ذلك بمدة وجيزة.

بـدأ سيتي الأول عصره بحملـة سريعـة في آسيـا أسفرت عن بسـط سلطـانـه على كل فلسطين الجنـوبيـة كما هـزم بـدوسينـا. ويظهر ان الحيثيين حرضـوا بعض الآسيـويين على

الثورة، لذا خرج الملك سيتي الاول مرة ثانية الى شمال فلسطين وتلاقت جيوشه للمرة الأولى مع الجيوش المتحالفة ضده في وادي نهر العاصي الا انه اضطر الى عقد محالفة مع ملك الحيثين بعدما دارت بينهم عدة معارك في شمال قادش واستطاع خلالها ان يخضع فلسطين وفينيقيا وجنوب سوريا، ثم اسرع لاخماد ثورة كان يقوم بها الليبيون ويغيرون على مصر من الحدود الغربية. وبعد ان حصن حدود الدلتا من هذه الغارات، خصص سيتي مابقى من سنى حكمه لأصلاح معابد آمون والآلهة الأخرى التي خربتها ثورة اخناتون الدينية.(٨٦)

مات سيتي الأول بعد أن حكم البلاد نيفا وعشرين عاماً، فخلفه أصغر اولاده (رمسيس الثانى ١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ ق. م.) الذي لم يبلغ ملك من ملوك الفراعنة مابلغه هذا الرجل من شهرة في التأريخ نظراً لأن حكمه الطويل الذي بلغ نحواً من ٦٧ عاما (٨٧) هيأ له الفرصة ان يفرض اسمه وشخصيته على عصره بتشييده لعدد ضخم من المباني التي خلدت اسمه في التأريخ. ففي بداية حكمه وطّد رمسيس الثاني دعائم ملكه بسرعة في طيبة عاصمة البلاد بجانبها الروحي والمادي وحاز في معبد آمون تعضيد الكهنة ، ثم امر باتمام المبانى التي كان والده قد بدأها، ومن أهم هذه معبد ابيدوس ومعبد القرنة، كذلك أقام بعض المبانى المختلفة في الأقصر والكرنك وفي جهات اخرى من مصر والنوبة.(٨٨)

يعتبر عصر رمسيس الثاني بداية لعصر الامبراطورية المصرية الثانية لأن هذا الفرعون اتبع طريقة تحوتمس الثالث في غزو البلاد الآسيوية وقد خرج على رأس جيش كبير ليهاجم الحيثيين الذين كانوا قد استولوا على قلعة قادش، ويحتمل ان هذه الحملة كانت نتيجة نقض المعاهدة التي كانت قد ابرمتها الدولة الحيثية مع مصر في عهد سيتي الاول، وكانت في نفس الوقت تقوم الدولة الحيثية بتشجيع أمراء سوريا على الثورة مما جعل رمسيس الثاني يذهب الى آسيا في السنة الرابعة من حكمه وقد اعد له ميتيلا (Metella) ملك الحيثيين جيشاً جرارا، وكان يريد ولاشك ان يسحق قوة المصريين وان يزيل نفوذهم وسيادتهم من آسيا. وزحف ملك الحيثيين على نهر العاصى سنة ١٢٩٦ ق. م. واستولى على (قادش) مركز نفوذ سوريا.(٨٩) لكن رمسيس رجع الى مصر حيث أخذ يعد العدة لمقابلة الجيوش الحيثية فضم الى قواته الجنود الأجنبية والمرتزقة.(٩٠)

وفي السنة الخامسة من حكمه (حوالي عام ١٢٨٨ ق. م.) تقدم رمسيس الثاني نحو عدوه لكن المعركة التي جرت بينهما على نهر العاص قرب قادش لم تكن فاصلة بين

البلدين، لذا اضطر رمسيس الى ان يشتبك مرات اخرى مع ملك الحيثيين وكان من أهمها المعركة الثامنة.(٩١) وقد عاد الفرعون بجيوشه الى مصر ولم يستولِ على قادش كما كان يأمل واصبحت الامبراطورية المصرية قاصرة على فلسطين ولبنان، وهزت هذه المعارك النفوذ المصري في آسيا هزا عنيفاً فلم يكد يمض عامان حتى كانت فلسطين قد ثارت على مصر وامتدت الثورة حتى وصلت الحدود المصرية نفسها فسارع رمسيس الثاني الى اخماد الثورة واخضع فلسطين كلها من جديد كما اخضع بلاد الأموريين لسلطانه الذي امتد الى فينيقيا، وقد استقرت الأمور بعد ذلك في آسيا بعض الوقت لكن حدث ان ساءت الأحوال في دولة الحيثيين بعد موت ملكها (ميتيلا)(٩٢) وقامت منازعات بين أفراد الاسرة المالكة، وكان هذا النزاع حافزاً لرمسيس على التدخل لمصلحة احد المتنازعين ولكن منافسه (خاتوسيل) فاز بالعرش (٩٣) وفي الوقت نفسه أخذت مملكة آشور تظهر على مسرح السياسة الدولية في هذا الجزء من آسيا وبدأت تبسط سلطانها على مسرح السياسة الدولية وقد اقتربت القوات الآشورية من نهر الفرات، فلما رأى خاتوسيل تطور الحوادث على هذا النحو تودد الى مصر واقترح عليها ان تبرم معاهدة معه، بينما بذل سياسة في سبيل التعاون الفعال مع بابل ايضاً، ورحب رمسيس الثاني بهذا العرض وابرمت المعاهدة في العام الحادي والعشرين من حكمه باحتفال بين عامي ١٢٨٠ ـ ١٢٧٩ ق. م. (٩٤) بوجه التقريب وقد اكتشف نص هذه المعاهدة في عاصمة الحيثيين (حتوساس) ويدل على ان النفوذ الحيثي كان مبسوطاً على بلاد سوريا وواصلا الى شمالي فلسطين في هذه الآونه. كان من أهم شروط هذه المعاهدة :(٩٦)

١ـ ان يمتنع كل من الطرفين امتناعاً تاماً عن القيام بأي عمل حربي يقصد منه الفتح.
٢ـ الموافقة على المعاهدات التي ابرمت بين البلدين فيما سبق واعتبارها سارية المفعول.
٣ـ الموافقة على معاهدة دفاعية لصد كل عدو يعتدي على احدى الدولتين.
٤ـ تسليم الهاربين والمجرمين والمهاجرين من احدى الدولتين الى الأخرى.

ووطدت أركان هذه الصداقة عندما تزوج رمسيس الثاني من كبرى بنات ملك الحيثيين، وذلك بعد مضي ثلاث عشرة سنة من ابرام هذه المعاهدة، وكان من نتائج هذا ان انتهت اعمال مصر الحربية في آسيا الغربية، وهي الاعمال التي ادت الى نقل العاصمة في عصر رمسيس الثاني من طيبة الى الدلتا، فقامت مدينة كبيرة اطلق عليها اسم (پر- رعمسو) اي دار رمسيس. والظاهر ان كثرة مشاغله في آسيا قد جعلته يؤمن بأن طيبة كعاصمة ذات موقع لايتناسب مع الظروف الدولية القائمة فهي شاسعة البعد عن مجريات الأحداث العالمية، ومع ذلك فهو مسئول الى حد كبير عن كثير من عوامل الضعف التي

انتابت البلاد كادخاله المرتزقة في جيش مصر، ثم ابتعاده عن مركز ومعبد الاله آمون في طيبة بنقله للعاصمة وكذلك مغالاته بالأكثار في اقامة المباني الضخمة التي أدت الى انهاك موارد الدولة واستنفادها... وفوق ذلك كله كان امتداد اجل هذا الفرعون سبباً في عجزه عن القيام بأعباء دولته على الوجه الاكمل اثناء شيخوخته مما ادى الى تدخل حاشيته وعائلته التي وصل عدد أفرادها الى عشرات من الابناء والازواج وترك لخليفته امبراطورية قد اصابها الوهن واصبحت في طريقها الى الانهيار وكان هذا الخليفة ابنه الثالث عشر (مرنبتاح) وكان آنذاك رجلا قارب الستين من عمره. حاول مرنبتاح ١٢٢٣ ـ ١٢١٥ ق. م. المحافظة على امبراطوريته، لذا لم يتوان في اخماد ثورة في آسيا قامت في السنة الثالثة من حكمه، كما انقذ مصر من الهجوم الشامل الذي شنه عليها الليبيون وحلفاؤهم في السنة الخامسة من حكمه، ويظهر ان هذا الهجوم كان نتيجة لتحركات ضخمة قامت بها شعوب (هندية اوربية) نزلت في آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه وبلاد اليونان وشمال افريقيا ومالبثت ان هوت دولة الحيثيين أمام هولاء وأخذ خطرهم يقترب من دلتا مصر.

لم يطل حكم مرنبتاح اكثر من ثماني سنوات مات بعدها وترك العرش فريسة للاختلافات العائلية التي دامت عدة سنوات توالى فيها على مصر ملوك ضعاف لم تذكر المصادر التاريخية غير اسماءهم. وقد بلغت الحالة حدا من الاضطراب سهل على احد السوريين في القصر ان يتولى العرش غداة الثورة التي نشبت في طول البلاد وعرضها، لكن المدعو (ست نخت ١١٩٥ ـ ١١٩٢ ق. م.) الذي ربما كان من نسل رمسيس الثاني استطاع ان يطرد الغاصب السوري ونجح في اعادة الاستقرار والوحدة الى البلاد وقضى على المطالبين بالعرش واصبح المؤسس الحقيقي للاسرة العشرين.(٩٨) وبعد أن اصلح الادارة الحكومية واعاد تنظيم الجيش اثناء حكمه الذي لم يدم أكثر من بضعة اشهر استطاع في خلالها ان يعد ابنه رمسيس الثالث ليتولى العرش من بعده حيث عينه شريكا له في الملك وولى عهد حكومته. اما الظروف التي اعتلى فيها رمسيس الثالث الحكم فكانت كثيرة الشبه بظروف مرنبتاح وقت توليته للملك

الأسرة العشرون

بعد وفاة مرنبتاح، وما أن تولى العرش، بدأ رمسيس الثالث (ثاني ملوك هذه الاسرة) حكمه وهو في شرخ شبابه (مابين ١١٩٢ ـ ١١٦٠ ق. م.) ووجد أن الأخطار تحيق

بالبلاد المصرية من كل جانب، من الشرق والغرب، لذا ففي اول ايام حكمه أحرز نصراً على قبائل الليبيين وشعوب البحر المتوسط وأسر منهم عدداً من الأسرى، ثم مالبث ان أسرع ليقابل جموعهم التي أخذت تقترب من حدود مصر الشرقية، فأعد لنفسه العدة براً وبحراً واجهز عليهم، واسترد اكثر مستعمرات مصر في غربي آسيا. وفي السنة الحادية عشرة من حكم رمسيس الثالث تحالف الليبيون مع شعوب البحر وكرروا هجومهم على مصر، وقد تمكن رمسيس من هزيمة هؤلاء مرة أخرى على حدود الدلتا. لم يكن عهد رمسيس الثالث مكللاً بالفخار في خارج البلاد فحسب، بل لقد نعمت مصر فيه برخاء، وأخذ يشيد المباني الشاهقة للالهة المصرية، ويغدق على المعابد والكهنة من الخيرات الكثيرة. وهكذا كانت خزائن الدولة تحرم من نسبة ضخمة من داخل البلاد لان أملاك المعابد كان معفاة من جميع الضرائب.(٩٩) ولم ينتفع فرعون مصر من هذه الأموال الابما كان ينفقه على جيوشه التي بجانب كون الجند المرتزقة هم العنصر الهام فيها، فقد أدخل فرقاً من العناصر الليبية والسردينية وغيرهم فيها، وصعب عليه في النهاية ان يقودهم ويلزمهم الطاعة الابيذل الأموال. كما انتشرت المؤامرات في قصره، ويظهر ان رمسيس الثالث لقى حتفه في احدى هذه المؤامرات (١٥١)

جاء بعد رمسيس الثالث ثمانية ملوك بهذا الاسم وكان اهمهم رمسيس التاسع ولكن ازدياد نفوذ الكهنة ادى الى ضعف سلطة الملوك الثانية التي دامت زهاء خمسة وسبعين عاماً. وما ان تراخت قبضة الملوك حتى استفحل شر أمراء الأقاليم واصبح كهنة آمون اصحاب النفوذ الفعلي في مصر العليا، ومالبثت اسرة قوية في الدلتا ان زادت من نفوذها. تجددت الثورات وقد أدت آخرها الى هروب رمسيس الحادي عشر الى طيبة حيث استقبله فيها كبير كهنة آمون وخلا الجو في الدلتا أمام الاسرة الحادية والعشرين القوية التي ظهرت فيها.(١٠١)

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية

في عهد المملكة الحديثة والامبراطورية

ادت الاسباب التي دعت الى طرد الهكسوس من مصر الى تأليف حكومة تهتم بالجانب العسكري اهتماماً جدياً، لأن اختيار احمس الاول لنوع الحكومة كانت نتيجة مباشرة لخبرته الحربية والسياسية مع الحكم الاجنبي، تلك الخبرة التي جعلته قائداً لجيش مصري مدرب على

الكفاح. كما ان الغزوات التي قام بها الفراعنة من بعده على كل من سوريا وفلسطين كانت انعاكساً لذلك الاختيار، ومن نتائج تلك الغزوات كان تكدس الاموال والغنائم والاسرى داخل مصر التي ادت بالتالي الى استغلالها في المجالات العمرانية والفنية منذ حكم الاسر ١٨، لذا وجه احمس عنايته نحو اصلاح مالفسده الدهر من آثار الهه العظيم (آمون) الذي بزعمه قد هيأ له النصر على الاعداء، فامر بصنع اوان جديدة لمعبده بالكرنك، كما صنع سفينة الاله (آمون) التي كانت تجري في النيل بين الكرنك والاقصر تحمل تمثال الاله في عيد رأس السنة. لكن تحوتمس الاول وجه جهودا اكثر الى اقامة المباني تخليدا لأولئك الالهه الذين وهبوه النصر على اعدائه، فكان اول اثر اقامه هو قاعة عمد فسيحة في معبد (آمون)، وقد استمر تحوتمس الثاني في اعمال التعمير والمباني التي تركها والده من غير ان تتم في معبد الكرنك كما نقش اسمه في اثار معابد (قه وسمنه واسنا) وغيرها من المناطق. اما المعبد الجنزي المشيد على الضفة الغربية للنيل امام الاقصر والهيكل المصنوع من المرمر في الكرنك فهي من بقايا آثار امنحوتب الأول الذي سبق هؤلاء في الحكم.

تزوج تحوتمس الثاني من اخته حتشپسوت واعتلى العرش ولكن الخلاف كان شديدا بينهما وقد اثر تاثيرا ملموساً في مستعمرات مصر الجنوبية فاراد الامرء المحليون ان ينفضوا عنهم سلطان مصر وقامت الثورة في السودان . وبموت تحتمس الثاني بدات فترة صراع بين حتشپسوت وانصارها من جهة وبين تحتمس الثالث وانصارها من جهة اخرى ويبدو ان تحوتمس الثالث الذي يرجح انه كان ابنا لتحوتمس الثاني من زوجة اخرى غير حتشپسوت كان صبيا يشغل وظيفة كهنوتيه في معبد الكرنك حينما توفي والده ، واشتد النزاع بين انصاره وبين انصار حتشپسوت فاستعان انصاره بكبار كهنة امون الذين اعلنوا ان الاله امون قد اختاره ليجلس على العرش ، لكن حتشپسوت وضعت كل مقاليد الامور في يدها ولم يرد له ذكر الى ان ماتت وانفرد هو بالحكم . ومهما يكن فان عهد حتشپسوت كان عهد رخاء وطمانينة ، ولاجدال في انها كانت قديرة في الحكم استطاعت ان توجه نشاط الدولة الى التجارة والاعمال الانشائية ، اذ ارسلت حملة الى بلاد پونت جلبت البخور واشجار المر وبعض حاصلات المناطق الاستوائية وكميات كبيرة من الذهب من اجل معابد الاله امون ، وقد صورت مناظر هذه البعثة على جدران معبدها في الدير البحري كما شهدت معبدا من الجرانيت في الكرنك وصالة كبيرة امامها كما انها اصلحت كثيرا من المباني . وقد دلت الحفائر على ان بعض المباني الدينية التي كانت موجودة اثناء

اقـامـة معبـد حتشپسـوت في الـدير البحري قـد ازيـل منهـا معبـد صغير لأمنحتـوتب الاول ووالـدتـه وكـذلـك معبـد صغير من عهـد الاسرة الثـانيـة عشرة ، كما زين الطريـق الـذي يبتـدىء من بـاب المعبـد شرقـا حتى يصـل الى بـاب اخر وجـدت اثـاره بتماثيـل ابـو الهـول في صورة الملكـة نفسهـا على كلا الجـانبين ، وقـد كان الرواق السفلى مـزينـا بمثـل هـذه التماثيـل ، وظـاهر ان تحوتمس الثـالث ازالهـا من امـاكنهـا · وعلى كل حـال فهنـاك كثيرا من التماثيـل في هـذا المعبـد ترجع الى عهـد هـذه الملكـة وتعبر بصـدق عن مستـوى الفن الرفيـع في هـذا العهـد · ويظهـر ان هـذا العهـد السلمي الطويـل الـذي نعمت بـه مصر في ظـل حكم حتشپسـوت قـد اطمـع البـلاد الاجنبيـة الخـاضعـة لمصر في ان تتخلص من سيـادتهـا واخـذت تميـل الى الثـورة ولكن تحتمس الثـالث الـذي خلف حتشپسـوت في الحكم فعليـا خرج في حملـة الى اسيـا لكي يحافـظ على اسس امبراطوريتـه وكانت هـذه الحملـة بـدايـة طيبـة اذ ان نجـاحـه السـاحق فيهـا جعلـه يوالي نشـاطـه العسكري في تلـك البـلاد فكان يخرج اليهـا كل عـام تقريبـا ، وقـد بلـغ عـدد هـذه الحملات التي خرج فيهـا الى اسيـا ست عشرة حملـة كان ينظم خلالهـا شئـون البـلاد ويشرف على تنفيـذ مـا كان يـامر بـه من معـابـد ومبـاني · وفي حملتـه السـادسـة استطـاع الاستيـلاء على قـادش واصبح من اليسير ان يصـل الى نهر الفرات بعـد ذلـك · امـا في حملتـه الثـامنـة تمكن من الاستيلاء على مـدينـة قرقيش واقـام لوحـة الى جـوار لـوحـة جـده تحـوتمس الاول عند ذلـك قـدمت مملكـة ميتـاني ومملكـة الحيثين هـدايـاهـا الثمينـة اليـه طلبـا لصداقتـه وكـذلـك فعلت ممـالـك اشور وبـابل، واصبحت مصر صـاحبـة النفـوذ في غرب آسيـا· ولاجـل عـــدم تكرار الثـورة بـوجهـه في هـــذه الانحـــاء اتخـــذ مـوقفـــا جـــديـــدا في الـدبلـومـاسيـة اذ انـه احضـار ابنـاء امراء تلـك البـلاد التي اخضعهـا لكن ينشئهم في مصر مـع ابناء كبـار رجـال الـدولـة حتى يشبوا على حب مصر وصـداقتهـا ويظن انه كان يقدرالرجال، ذوي المـواهب ويحسن اختيـار الاكفـاء لشغـل الـوظـائف المهمـة ومن المنـاظر التي نقشت على جـدران المقـابر من هـذا العهـد يمكن ان نتبين مظـاهر الرقي في الحيـاة الاجتماعيـة التي سـادت عصره ومقـدار الثراء الـذي اخـذ يتـدفـق على مصر فيـه ، ومن اشهر مشروعـاتـه العمرانيـة كان تشييده لبعض المبـاني في مصر والنوبـة ومن اهمهـا المعبـد الكبيرالـذي بنـاه في الكرنـك كما اقـام عـددا كبيراً من المسـلات في مختلف انحـاء مصر· وعنـدمـا نشـأ امنحـوتب الثـاني كانت مصر في عهـد وصلت فيـه غـايـة مجـدهـا العسكري، وقـد عثر على لوحـة بـالقرب من أبـو الهـول تصف فروسية امنحوتب الثـاني وحبـه للريـاضـة ومهـارتـه فيهـا· ومن جـانب آخر وجـه هـذا الملـك

همه الى اظهار حدود مملكته وتوسيعها جنوباً لذا بلغت حدود مملكته الشلال الرابع وأقام في تلك الانحاء آثاراً حجرية اثبت فيها حدود مملكته.

اما في مجالات العمران فقد شيد امنحوتب الثاني معبدا على شاطىء طيبة الغربي بجوار معبد والده ورمم في الكرنك الساحة الكبرى فاقام الاعمدة التي نزعتها الملكة حتشبسوت ورصعها بالمعادن الثمينة . اما في عين شمس ومنف فشيد عمارات واصلح الابنية التي بناها الملوك السابقين له.

ولما توفي امنحوتب الثاني ولي بعده تحتمس الرابع عرش مصر ، وتدلنا نقوش معبد امون بطيبة انه بعد ان اخمد ثورة في اسيا رجع عن طريق لبنان وشحن كمية كبيرة من خشب الارز الى طيبة ليبني سفينة مقدسة للمعبود امون ، ثم استخدم عدداً من الاسرى الذين اتى بهم غالبا من فلسطين للعمل داخل معبده بطيبة . ومن وجهة نظر سياسية راى ان من مصلحته الزواج باميرة من بيت المالك الميتاني ، وبهذه الوسيلة تمكن تحوتمس الرابع من عقد معاهدة ثابتة مع الميتانيين . ثم عقد تحوتمس محالفة صداقة مع بابل (كاردونياش) واصبحت المملكة المصرية في هذه الاونة وبالأخص عندما اعتلى ابنه. امنحوتب الثالث العرش بالغة اعظم درجات الرقي والحضارة وقد اظهر امنحوتب الثالث مقدرة عظيمة في ادارة شؤون الامبراطورية عند توليه الحكم فلم يتجاسر سكان الامبراطورية في عهده على القيام بثورة وكانت تلك الجهات المختلفة اللامبراطورية هادئة كما كانت الحضارة والرفاهية بالغتين بها الدرجة القصوى ، ولما كان الامن قد استتب في انحاء الدولة فان الجزية والهدايا تدفقت الى مصر بانتظام واصبحت خزائن فرعون مليئة بالذهب ، لكن الملك الشاب كان محبا لحياة الترف التي ابعدته عن نشاطه العسكري واقبل على مصاهرة ملوك الممالك المجاورة وعمت صلاته بهم ، لذا تزوج من اميرات من ميتاني وبابل واشور . وهكذا وبصورة عامة فان اغلب جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والعسكرية تظهر على نقوش آثار ملوك المملكة الحديثة في الاقصر والكرنك وغيرها من الاماكن . لقد ترك هؤلاء على جدران المعابد فصولاً كاملة لتأريخ البلاد وحضارتها وعلى جدران هياكلها نرى المناظر التي تمثل مواكب المجد في ذلك العصر مع مناظر المعارك الحربية التي خاض غمارها ملوك مصر المحاربون من الاسرة الثامنة عشرة وعندما أتقن المصريون فنون الحرب على نطاق واسع بعد طردهم للهكسوس ، بدووا عهداً جديدا وكونوا امبراطورية كبيرة . واصبح الفراعنة قوادا لجيوشهم التي احسنوا تنظيمها وظلت امبراطوريتهم

من القرن السـاس عشر حتى منتصف القرن الثـاني عشر ق. م. وان دلائـل ذلـك المجـد الامبراطوري تظهر في مصابة الكرنك وطيبة .

اما المعيشة والأحوال الاجتماعية فقد تغيرتا كثيراً عما كانتا عليه سابقاً لأن حكام الأقسام الذين كانوا ينتخبون من الأعيان وأقارب الاعيان أصبحوا الآن يعينون من موظفي الحكومة بلا مراعاة لحسبهم، وبذلك أتسع نطاق الترقي أمام طبقة الأهالي الوسطى وصار لهذا التغير تأثير تدريجي في نفوس القوم ، وبذا لابد وكان الموظفون ينتمون الى طائفتين ، الأولى تشمل صغار الموظفين المنتخبين عادة من الطبقة الوسطى والثانية كبار الموظفين المنتخبين من الاسر العريقة . ثم التحمت الثانية تدريجيا مع حاشية الملك التي كان أفرادها يديرون مصالح الحكومة المركزية ويقودون قوات الفراعنة في الحروب فأصبح أعيان البلاد كبار موظفي الدولة.

أما طائفة التجار والصناع والفنين فقد اعتبرت مكملة ومتممة لفريق صغار الموظفين الحكوميين . يلي ذلك طائفة المزارعين الذين يحرثون الارض منهم عبيد الفراعنة وكانوا سواد الامة الاعظم.

ازداد عدد الكهنة بمرور الزمن تدريجيا وازداد كذلك نفوذهم وتدخلهم في رسم سياسة الدولة. ثم ان زيادة ثروة المعابد تطلبت عددا كبيرا من الموظفين للقيام بأعمالها من مختلف الحرف التي لم تكن معهودة في العصور السالفة. وصارت طائفة الكهنة مشهورة ومعروفة عند الناس بعد ماكانت قليلة الاتصال والارتباط بالاهالي واعترفت الحكومة رسمياً بأفراد هذه الطائفة وعين لهم (رئيس كهنة آمون) المعتبر رسمياً لمعبد طيبة الحكومي. وبهذه الطريقة فاق كبير كهنة آمون رئيس كهنة عين شمس ومنف وغيرها من الأماكن وتساوت منزلة طائفة الكهنة الاجتماعية بطائفة الجنود وموظفي الدولة.

اما مالية المعابد فقد اتسعت وكثر عدد الكهنة وتوسعت مهامهم وكانت هذه نتيجة من نتائج الغنائم الكبيرة التي استولى عليها الفراعنة في البلاد الأجنبية وزعت على المعابد لقد تدفقت الاموال على مصر، كما ذكر، آتية من آسيا ومن بلاد النوبة، فساعدت هذه الثروة على وجود عهد يمتاز بالفخامة والقوة لم تعرف مصر له شبيها من قبل، ووضح اثر هذا العهد ولاسيما فيما تركه من مبان ضخمة رحبة. فمعابد طيبة في ايام الامبراطورية أحاطت بها حقول ملأى باشجار النخيل وقامت أمامها المسلات وتماثيل الفراعنة، وكان كل شئ دقيق الصنع ملونا بألوان زاهية جذابة، وكانت بعض الأجزاء من هذه المباني

مغطاة بصفائح من الذهب او الفضة وتنعكس صورتها في مياه بحيرة المعبد وكانت الشمس تضيء الردهات الواسعة للمعبد· كما كانت مدينة طيبة باكملها مقامة على نظام متجانس، ويعود الفضل الاكبر في هذا التقدم المعماري الى كل من المثال والرسام اللذين لونا الأعمدة ذات التيجان كما لونا مناظر الحرب بألوان زاهية براقة، وقامت تماثيل الملوك امام المعابد وكان بعضها عظيم الحجم وتزن مئات الأطنان وقد استطاع مهندسوا العصر الامبراطوري نقل كثير من امثال هذه الأحمال الثقيلة الى مسافات بعيدة من اماكنها بقوى انسانية، ويقوم الآن في طيبة على الشاطئ الغربي للنيل تمثالان كبيران للملك امنحوتب الثالث من تلك التماثيل الثقيلة·

كان الملوك يعدون انفسهم بكل مايساعدهم على ان يحيوا حياة رغدة مترفة بعد الموت وأفخم ماوجد من الأثاث الجنازي في مقابر الملوك كان محتويات مقبرة توت عنخ آمون كما ذكر، وتمدنا مقابر الامبراطورية باشياء اكثر من تلك الأدوات التي كانوا يستعملونها اثناء الحياة· فاننا اذا درسنا النقوش والنصوص التي تغطي جدران مقابر جبانة طيبة نرى التقدم الكبير الذي أحرزه هؤلاء في الآراء الدينية بعد عصر الأهرام· فكان كل واحد من أصحاب القبور يتوقع ان يلاقي حسابه في العالم الآخر حيث كان (أوزيريس) هو القاضي الأعظم والملك بين هؤلاء الموتى (راجع الهامش رقم ٢٧)

وكان كل ميت يستطيع ان يحيا مرة ثانية ويقوم من الموت كما فعل اوزيريس· وكان أصدقاء الميت وأهله يضعون في التابوت الذي يحوي جثته ملفاً من البردي يحوي ادعية وتعاويذ سحرية كان من المفروض أن تعينه في حياته التي سيحياها بعد الموت·

وجاء اليوم الذي تولى الملك امنحوتب الرابع عرش مصر بعد أبيه امنحوتب الثالث، وكان قد قضى على تأسيس الامبراطورية نحو قرنين من الزمان اتصلت فيها مصر بغيرها من البلاد واكتسبت خبرة من حكم مناطق كثيرة تقع في آسيا وأفريقيا وهذا هو السبب الذي جعل ملوك مصر يجدون أنفسهم وسط معترك دولي · وظل آلهة مصر يشدون أزر الملوك أينما امتد نفوذ مصر كما فعلوا من قبل، وهكذا تدرج المصريون الى الايمان بان اله الشمس (رع) مد نفوذه ايضاً على مصير البشر في خارج حدود مصر اي انه اصبح الها دوليا وليس الها مصرياً فقط، ولم يفكر احد في ذلك العهد في ان العالم وحده او ان لهذا العالم كله اله واحد يسيطر عليه ونضجت فكرة الصلة الدولية في مصر حوالي عام ١٤٠٠ ق· م· وسرعان مانمت معها فكرة وحدة العالم· وفي مثل ذلك الوقت تولى الملك

امنحـوتب الرابـع عرش البـلاد حـوالي عـام ١٣٧٥ ق. م.[١٠٣] وأجبر رعـايـاه على اعتنـاق فكرة العالميـة الجديـدة وحـاول ان يحطم آلهة مصر القـدمـاء واغرى النـاس بعبـادة الـه واحـد فقـط هـو الـه الشمس (أتـون) وامر بمحـو أسماء الآلهـة الاخرى وبخـاصـة في نقـوش المعـابـد وكانت كراهيته شـديـدة بنوع خـاص للالـه (آمون) الـه طيبـة في عصر الامبراطوريـة لـذا غير حتى لقبـه من امنحـوتب الى (أخنـاتـون) اي من (آمـون راض) الى (المفيـد لآتـون). ثم ترك مدينة طيبـة الفخمـة بما فيهـا من معـابـد وقصور وبنى لـه عـاصمـة جديـدة في مصر الوسطى سماهـا (أخت آتـون = مشرق آتـون) ومكانهـا الآن بلـدة تـل العمارنـة.[١٠٤] ويظهر ان الظروف التي احـاطت بنشأة هـذا الفرعـون التي كانت في وسـط تهيمن عليـه قـوة كهنـة آمـون وجبروتهم رغم محاولـة أبيـه ومن قبلـه جـده التخفيف من وطـأة نفـوذهم، ولاشـك ان هـذه المحاولات بدأت بعد ان تـأثر هؤلاء الملوك عن طريق امهـاتهم وزوجـاتهم المتبـاينـات بـالمفـاهيم الآسيـويـة لعبـادة الـه الشمس، وبـالتـالي لابـد وأن كهنـة آمـون شـددوا عليهم عن طريـق ترسيـخ مبـادئ معبـوداتهم المحليـة. ومما لاشـك فيـه في الجماعـة التي سـارت على هـدى الـدين الجـديـد قـد بـذلوا قصـارى جهـدهم في تتبع اسم الالـه (آمـون) حتى أنهم محـوه من اسماء الملـوك ان كان يـدخـل في تركيبهـا، وقـد جعل اخنـاتون من نفسـه كبيراً لكهنـة الـدين الجـديـد، وكما يقـول جريفث استـاذ علم المصريـات في اكسفـورد فـان الاصـلاح الـذي ادخلـه اخنـاتـون الى الـدين يعتبر انقلابـاً بعيـد المـدى لايقـل عن الانتقـال من الـوثنيـة الى المسيحيـة.[١٠٥] اصبح آتـون من ذلـك الحين ممثـلا على الـدوام في صـورة قرص الشمس تحت قبـة السماء ومن ذلـك القرص تنبثـق أشعـة كالأذرع، تنتهي بـأكف آدميـة هـابطـة من السماء الى الارض تحتضن الملـك والمملكـة. ولسوء الحـظ فقـد دمرت معـابـد هـذه المـدينـة حيث كانت الصـورة المشعـة التي صوروا عليهـا آتـون، والخطـط الهنـدسيـة للمعبـد المبنيـة في نقـوش المقـابر لاتتركان شكاً في ان معابد آتون كانت مختلفـة كل الاختلاف عن هيـاكل الآلهـة المصريـة القـديمـة، تلـك الهيـاكل المظلمـة الغـامضـة. كانت اهم الاجـزاء في معـابـد آتـون هي الأروقـة المكشـوفـة يفيض فيهـا ضيـاء الشمس على المحـاريب وعلى العـابـدين المصلين واعتمادا على الأنـاشيـد المـوجـودة في المقـابر، كان اهم الصلـوات والمراسم الـدينيـة تقـام في مطلـع الشمس ومغربهـا. ومـع ذلـك فـان مـذهب آتـون لم يحـدث جـديـداً فيما يتعلـق بـالـدفن والبعث وظـل كما هـو، لكن أخنـاتـون تـوصـل الى معرفـة الـه العـالم الأحـد، وأصر على اتبـاع (الحق) واعتقـد ان المعيشـة البسيطـة العـاديـة هي أقرب الأمـور للحـق، وان كل مـاوجـدتـه الطبيعـة هـو صـواب لاخطـأ فيـه ومذهبه هو أقدم مذاهب التوحيد في التأريخ على مايعتقد.

لقد اقترنت ثورة أخناتون الدينية بثورة اجتماعية وفنية، كان هدفها التخلص من القديم والطموح الى توخي الحقيقة الكاملة في كل شئ، وطلب الى فنانيه ان يرسموه في حياته الشخصية مع اسرته وزوجته الفاتنة نفرتيتي وبناته الست. وكانت التقاليد القديمة قد حرمت على الملك ان يصور وهو يقوم باعمال الحياة اليومية بين افراد عائلته. ولم نكن قبل عصر العمارنة نرى الا لمحات قليلة من الحياة الرسمية ولكن في المقابر الصخرية في العمارنة نرى وجهاء الدولة يتبارون في رسم ملكهم في حياته الخاصة على جدران مقابرهم، وذلك أمر كان حدوثه مستحيلا قبل عصره. وان الملكة نفرتيتي نفسها كان حبها لزوجها ظاهراً بأجلى بيان في آثار الفن، ولكن اخناتون لم يخلف ابنا ليجلس على العرش من بعده فزوج كبرى بناته من (سمنخرع) الذي أشركه معه في الحكم لمدة قصيرة وعندما أدركته المنية اختار أخناتون توت عنخ آتون ليشركه في ذلك الحكم حيث خلفه من بعده. واستطاع كهنة آمون أن يجبروا هذا الملك على ترك عاصمة أخناتون ويعود الى طيبة مدينة آمون ويغير اسمه الى توت عنخ آمون (أى صورة آمون الحية). بعد ذلك فقد استطاع هؤلاء من ازالة اسم نفرتيتي الذي نقشه زوجها لها في داخل قصور العاصمة ونقروا موضعه اسم كبرى بناته (مرتاتون) وقد طمسوا اسم نفرتيتي ايضاً من نصب في القصر، وكان هذا الاسم قد ورد في سياق بيان لنسب ابنتها الاخرى (انخسپاتون) التي عاشت بعدها. وقد عانت العاصمة (أخت آتون) بعد ان توفي اخناتون في العام السابع عشر من حكمه من قلاقل داخلية واعتداءٍ مكررٍ على تماثيل آتون والملك وصورهما وهكذا عادت مصر الى عبادة آمون وغيره من الآلهة. ومع وفاة توت عنخ آمون كانت ديانة آتون في طريقها الى الزوال واصبحت اضعف من أن تقف على قدميها، ثم ان ضعف اخناتون وصهريه كان من أهم العوامل التي أدت الى ضعف سلطان البيت المالك والى القضاء على ديانة آتون فاستطاع بعض رجال ذلك العهد الوصول الى مركز القيادة ومن اهم هؤلاء (آى) الذي تولى العرش بعد توت عنخ آمون وخليفته (حورمحب) الذي يعد مؤسساً للاسرة التاسعة عشرة.

لم يحكم (آى) اكثر من ثلاث سنوات أقام فيها بعض المباني، ولكن حورمحب أصدر امره بعمل كثير من الاصلاحات الادارية واصلح الحاكم وتشدد في عقوبة القضاة الذين يحيدون عن العدالة، ونظم أمور الجيش وآثر ان يتفرغ للاصلاح الداخلي بدل ان يوجه نشاطه نحو الشؤون العسكرية والحملات الحربية، فعقد معاهدة مع الحيثيين وقد نجح فيها

كان يهدف اليه من استتباب الأمن والقضاء على الفساد. ولعل اشهر فرعون من هذه الأسرة خلد اسمه على المباني هو رمسيس الثاني. ففي اول عهده امر باتمام المباني التي كان والده (سيتي الأول) قد بدأها، ومن أهم هذه المباني معبد أبيدوس ومعبد القرنة أمام الاقصر وما بناه في الكرنك والنوبة وجهات اخرى، واذا كان قد اغتصب آثار بعض من سبقه من الملوك فانه لاشك صاحب الفضل في اقامة كثير من المآثر لانه عاش تسعين عاماً تقريباً.

اما رمسيس الثالث من الأسرة العشرين فحاول ان يتشبه بسلفه رمسيس الثاني في كل الامور، لكنه ارتكب خطأ كبيرا اذ منح كهنة آمون ومعابده كثيرا من الثروات الضخمة حتى اصبح الاله آمون رع يملك مناجم الذهب في النوبة وتسعة من المدن في سوريا ونحو العشر من مجموع مساحة الأراضي المزروعة فضلاً عن الأرقاء والماشية مما جعل كهنة هذا الاله هم أصحاب النفوذ الفعلي في البلاد حتى اصبح وكبار الشخصيات يستلهمون وحي الاله آمون في معظم شؤون الدولة واصبحت طوائف الكهنة تستغل سذاجة العامة استغلالا فاحشاً فتدهورت النواحي الاخلاقية والاجتماعية وتقلد بعض الاجانب وخاصة فتيات القصر والمستشارون أرقى المناصب وتحكموا في شؤون القصر والبلاط فأخذوا ينافسون الكهنة في الاستئثار بالسلطة ، وقد ارهق الجنود المرتزقة ميزانية الدولة، وكان الكثيرون من الفقراء يتهالكون جوعاً بينما كان أكداس الحبوب والذهب تتجمع في مخازن آمون ويمكن القول بأن عهد الامبراطورية المصرية انتهى بعد وفاة رمسيس الثالث، وتوالى من بعده ملوك ضعاف لم يحكموا الا نحو خمسة وسبعين عاماً انتهى بعدها حكم الأسرة العشرين.

الفصل الرابع

العصر المتأخر



الفصل الرابع

العصر المتأخر

من الاسرة الحادية والعشرين الى نهاية عصر الأسرات وحتى الفتح العربي

الاسرة الحادية والعشرون

أن مانعرفه عن أعمال رمسيس الرابع يتعلق بارضاء المعبودات، وكل مابقى من آثاره هو امتداد الحجر الخلفية لمعبد (خونسو) بطيبة، وكذا القاعات الصغيرة ذات العمد التي بدأ والده ببنائها. ودام حكم هذا الملك ست سنوات تقريباً لم يقم فيها بأعمال تذكر تولى بعده رمسيس الخامس الذي توفي بوقت قصير فتبعه رمسيس السادس الذي يغلب أنه حفيد رمسيس الثالث وهو بدوره لم يظل في الحكم طويلا حيث خلفه رمسيس السابع ثم الثامن اللذان حفرا مقابرهما بوادي الملوك بطيبة وفوق ذلك لايعرف عن اعمالها شيئاً، ولكن كل الدلائل كانت تشير الى اضمحلال عام بكيان الدولة المصرية وانحطاط نظام القطر الداخلي، وما لبثت أسرة قوية في الدلتا ان زادت من نفوذها منذ عهد رمسيس التاسع حتى قامت الثورات في البلاد وفي عهد رمسيس الثاني عشر قام احد زعماء مدينة تانيس (صان الحجر) في شرقي الدلتا واغتصب الملك لنفسه وارتقى عرش مصر تحت اسم (نيسو بانب دد) وهو المعروف عند اليونان ب(سمندس) وأصبحت له الكلمة العليا على الدلتا ومصر الوسطى حتى اسيوط. وهرب رمسيس الثاني عشر الى العاصمة الجنوبية في طيبة. وكانت الأحوال بآسيا متغيرة منذ عهد رمسيس التاسع (١١٤١ ـ ١١٢٣ ق. م.) وأن امراء سوريا لم يعودوا يظهرون أقل احترام لنفوذ فرعون مصر منذ وفاة رمسيس الثالث فضلا عن ان موقف رمسيس الثاني عشر امام سلطان الكهنة كان ضعيفاً، بذا استطاع كبيرهم (حريحور) أن يعلن نفسه هو الآخر ملكاً واستقر في طيبة، وبذلك انتهت دولة الرعامسة وبدأت الأسرة الحادية والعشرون.

كان (حريحور) في الواقع يجمع بين وظائف رئيس الكهنة وقائد عام الجيش وحاكم النوبة قبل أن يصبح ملكاً شرعياً، لذا لم ينازعه أحد في السلطان في الجزء الجنوبي من مصر، ومنذ ذلك الوقت اصبح رؤساء كهنة آمون في طيبة يهيمنون على السلطات الزمنية والروحية ورغم ذلك فان حالة البلاد الداخلية كانت سيئة على العموم.(١٠٦)

كان حريحور طاعنا في السن عندما اعلن نفسه ملكا ولم يعمر طويلا بعد ذلك وخلفه في الحكم ابنه (باى عنخ) الذي لم يعمر بدوره طويلاً هو الآخر لأنه كان مسناً ايضاً ولم يستطيع التغلب على سلطة سمندس في الشمال، وحينما توفي سمندس تبعه في حكم الشمال ابنه (پسوسنس الأول)، أما (باى عنخ) فقد خلف (پاينزم) الذي انتقل الى تانيس وتمكن بسياسة حكيمة من ضم الشمال الى الجنوب بأن تزوج من ابنة (پسوسنس الاول)، كما أرسل ابنه الى طيبة كبيراً لكهنة آمون، وعادت الوحدة الى قطرى مصر، وامتد حكم الأسرة الحادية والعشرين نحو مائة واربعين سنة اي حتى عام ٩٥٠ ق٠ م٠

وفي عهد هذه الأسرة ظهرت ثورة جديدة كان قوامها الجند المرتزقة الذين ظهروا في الجيش المصري واصبحوا قوة يعتمد عليها في الاسرة التاسعة عشرة، ثم هيمنوا على كل شئون الجيش في عصر الاسرتين العشرين والحادية والعشرين٠ ومما زاد حالة البلاد سوءاً وخاصة في الجنوب ان رئيس الكهنة كان يحكم الناس بوحى آمون الذي كان يستشيره في كل أمر، وتسلط السحر والشعوذة على افهام الناس ، ولم يقم رؤساء الكهنة او حكام طيبة بأي عمل جليل يذكر ومع ذلك فقد تمتعوا بسلطة روحية كبيرة مكنتهم من التدخل في كثير من الشؤون الادارية للدولة واتاحت لهم هذه السلطة الزمنية ان يحدوا من سلطة الملك نفسه٠ ومن جهة اخرى فقد كان العنصر الليبي هو العنصر المهم بين اولئك الجند المرتزقة، وكونوا من انفسهم فرقاً يقود كلا منها رجل من بينهم، وقوى شأن هؤلاء القواد وظهرت في أواخر أيام الأسرة الحادية والعشرين اسرة تنتمي الى رجل ليبي اسمه (بويوواوا (Buyuwawa) واستقرت الاسرة في مدينة اهناسيا، وأصبح أميرها ويتقلد منصب رئيس كهنة المعبد هناك ايضاً، ثم خلفه في هاتين الوظيفتين ابنه (موسن) وبعد ذلك صارت هاتان الوظيفتان وراثيتين مقصورتين على افراد هذه الأسرة، ثم رزق موسن هذا بنجل يدعى (شيشونق (Sheshonk) الذي تمكن من تدريب جيش كبير يذود عن نفسه وعن مقاطعته وكان حاكما قوياً شجاعاً نهض بمصر وعزم على استرجاع عزها القديم٠ ولما كانت البلاد في حالة سيئة كان مجهود هذا الملك يذهب سدى لأن القطر المصري انقسم وقتئذ الى ثلاث أمارات أشبه بما حصل في عهد البطالمة والرومان، وكان نفوذ (شيشونق) مبسوطاً على أهناسيا٠ وفي غمرة هذا الضعف الظاهر فقدت مصر هيبتها نهائيا في سوريا وفلسطين بينما ظلت النوبة على ولائها لها ولكنها أخذت في الانفصال عنها من الناحية الادارية حتى استقلت عنها تماماً٠ ومع ذلك يبدو أن (پسوسنس الثاني) آخر ملوك الأسرة

الحادية والعشرين (١٠٧) وجد الفرصة للتدخل في شؤون فلسطين والاحتكاك بأمرائها.(١٠٨)

الأسرة الثانية والعشرون :

اتبع اوسركن ابن شيشونق الأول سياسة والده فعين ابنه رئيساً لكهنة آمون بطيبة، وقد توفي له نحلان في هذه الوظيفة وأخيراً عين نجله الثالث المدعو (شيشونق) ايضاً في هذه الوظيفة عينها، وقد ظهر هذا النجل بمظهر الأبهة والجلال ونحل لنفسه الألقاب الفرعونية واحتفظ بمركز رئيس كهنة آمون. وفي سنة ٨٩٥ ق. م. توفي اوسركن بتل بسطه فورثه في الملك ابنه (تاكلوت (Takelot) فلما اعتلى العرش وجد أخاه (شيشونق) بطيبه قويا معاديا له، لكن تاكلوت توفي بعد مدة وجيزة فتبعه في الملك ابنه (اوسركن الثاني) الذي بسط نفوذه على طيبة وأشرك ابنه (شيشونق الثاني) معه في الحكم لكنه لم يعش طويلا فأشرك معه ابنه الآخر (تاكلوت) لمدة سبع سنوات توفي بعدها فورثه تاكلوت وذلك عام ٨٦٠ ق. م. وعرف هذا بعدئذ بالملك تاكلوت الثاني (١٠٩) الذي انفرد بالعرش حتى مماته وخلفه ابنه اسركون الذي ثار عليه أهل طيبة اضطر على اثرها الهروب لمدة عشرة أعوام ثم عاد الى طيبة بمعاونة بعض اعوان والده، لكنه هرب مرة ثانية لنفس السبب ولم تنجو العاصمة بوبسطه (تل بسطه) من التخريب والنهب والتدمير نتيجة تلك الثورة وتدل المعلومات المدونة بين نقوش رئيس كهنة آمون على جدار الكرنك الى ان حكم الملوك الليبيين من تل بسطه كان مشحوناً بالانقلابات والاضطرابات مدة مائة سنة تقريباً، وعلى مايظهر فان الملوك الثلاثة الذين حكموا بعد تاكلوت الثاني وهم (شيشونق الثالث ويمو وشيشونق الرابع) لم يرتبطوا بصلة مابتاكلوت الثاني وان شيشونق الرابع هو آخر ملوك الاسرة الثانية والعشرين ومات حوالي عام ٧٤٥ ق. م.

مصر من عهد الاسرة الثالثة والعشرين الى نهاية عصر الاسرات

في اواخر ايام الاسرة الثانية والعشرين انحلت السلطة المركزية انحلالا كبيراً وانقسمت مصر على نفسها، وفي هذه الظروف القاسية يذكر التأريخ اسماء مجموعة من ملوك ضعاف حكم بعضهم على انهم من الاسرة الثالثة والعشرين والبعض الآخر من الاسرة الرابعة والعشرين،(١١٠) وفي هذه الظروف بعينها كانت بلاد السودان مسرحا لنهضة كبيرة وحضارة مزدهرة قامت على

اكتاف عدد كبير من كهنة أمون الذين هربوا الى السودان. وفي النصف الاول من القرن الثامن من قبل الميلاد تمكن رجل اسمه (كاشتا) من ان يقيم صرح دولة قوية في بلاد السودان تعرف في التاريخ باسم (دولة نپاتا)(١١١) ثم انتهز ابنه پعنخي فرصة السلطة في مصر فتقدم حوالي عام ٧٢٥ق.م. على رأس قوة كبيرة نحو مصر اشتبكت في حروب عدة مع (تف نخت) احد ملوك الاسرة الرابعة والعشرين وانتهت المعارك بسقوط منف. ثم الدلتا ، وبعد ان عاد پعنخي الى بلاده ثار عليه تف نخت مرة اخرى فاسرع ولي العهد (شباكا) وهزم المصريين وقتل تف نخت وبذلك انتهت الاسرة الرابعة والعشرون. اما الاسرة الخامسة والعشرون فقد تكونت من ملوك نوبيين حكموا مصر لمدة نصف قرن هم شباكا، شباتاكا، طهارقة، ثانوث آمون ثم قضى الآشوريون على حكم هذه الاسرة المصرية في النهاية.(١١٢) ففي الواقع اذا اعتبرنا ان ملوك نپاتا هم ملوك الاسرة الخامسة والعشرين في مصر فأننا في هذه الفترة نجد مثالاً آخر لمعاصرة بعض الاسرات المصرية للبعض الآخر. فبينما تحكم الاسرة الثالثة والعشرين في بوبسطه يسيطر ملوك الاسرة الخامسة والعشرين على مصر بالفعل او على الاقل يتحكمون في الصعيد ويسيطر تف نخت الذي يعتبر مؤسسا للاسرة الرابعة والعشرين على معظم الدلتا وكانت عاصمته (سايس).

وعلى كل حال فقد اسس (پسمتك الاول) حفيد تف نخت الاسرة السادسة والعشرين وخلال عهد هذه الاسرة تمتعت مصر بشيئ من الرخاء والنهوض، كما بدأت عهدا جديدا في علاقاتها الخارجية واخذت تستعين بالمرتزقة اليونانيين بعدما طلب پسمتك العون من ملك ليديا على اغلب الاحتمال، كما عقد محالفة مع ملكها (جيجس) الذي كان مهدداً من قبل الامبراطورية الاشورية في اواخر ايامها، فارسل الى پسمتك قوة كبيرة من الجند المرتزقة بكامل عدتهم، واستعان بهم على ابعاد الآشوريين من مصر، ومالبثت مصر ان دانت كلها له واصبح الملك المتوج عليها. واضطر ملوك هذه الاسرة الى ان يعيدوا لمصر ممتلكاتها في فلسطين وسوريا، ليقيموا جداراً قويا امام توسع البابليين الذين اخذوا يمدون سلطانهم على غرب آسيا، ونجح المصريون في صد الخطر عنهم ولو الى حين. هذا وقد حكم پسمتك حوالى اربعة وخمسين عاماً عادات البلاد اثناءها الى حالة من النهوض والرخاء وتولى بعده ولده (نيخاو)(١١٣) الذي لم تدم امبراطوريته الآسيوية طويلا عندما تمكن نابوپلاصر ملك بابل الكلداني مع الميديين من القضاء على آشور وارسل ابنه نابوخذنصر لملاقات قوات نيخاو في قرقميش ثم في فلسطين واجبره الى الانسحاب الى داخل البلاد المصرية حيث توفي عام ٥٩٣ ق.م. فتبعه ابنه پسمتك الثاني(١١٤)

لم تطمع مصر بعد ذلك في آسيا ولم تتدخل في شؤونها الا ان پسمتك الثاني ذهب الى بيبلوس (جبيل) لزيارة معبد آمون فقط، لكنه ظل في علاقة طيبة مع اليونانيين وارسل حملة الى الجنوب توغلت الى الشلال الخامس او السادس. تبع هذا الملك ابنه (ابريس) عام ٥٨٨ ق.م. الذي حاول اعادة السيطرة على بعض المناطق الآسيوية لكنه لم ينجح في ذلك فاتجه باسطوله الى قبرص واستولى عليها وحاول ان يسيطر على الاوضاع العامة في بعض بلدان البحر المتوسط التي كانت متدهورة اضافة الى ان الحالة في مصر كانت سيئة اثر ثورة حدثت في صفوف الجيش لان ابريس ارسل قوة معظم افرادها الى قرطاجة التي منيت بالهزيمة وبخسائر فادحة. لذا ارسل الملك احد اقربائه المدعو (امازيس) لتهدئتهم ولكن الاخير استمال اليه الجنود فنصبوه ملكا عليهم مما اغضب ابريس عليه ودارت الحرب بينهما ولكن النصر كان حليف امازيس، ورغم ذلك اشركه في الحكم الا ان ابريس مالبث ان ثار فقتله امازيس وانفرد بالحكم.(١١٦) .

بدأ امازيس بتشجيع اليونانين ومنحهم كثيراً من الامتيازات وتبرع للمعابد اليونانية وقد تمكن من الاستيلاء على بعض سواحل البحر المتوسط لكن في آسيا كانت تجرى تحولات سياسية بظهور الميديين والاخمينيين على مسرح الاحداث استطاعوا من عبور نهر الفرات والدخول الى بلاد آسيا الصغرى والهجوم على ليديا ثم احتلال العراق وسوريا وفينيقيا وبذلك ازداد الخطر على مصر. في هذه الاثناء توفي امازيس فتبعه (پسمتك الثالث) على عرش مصر ولم يلبث ان انتحر بعدما غزا قمبيز الاخميني بلاد مصر واحتلها عام ٥٢٥ ق.م. وظلت مصر مايقرب من قرنين تئن تحت هذا الحكم القاسي، ولقد تمكنت من ان تقوم بثورات مختلفة حيث نجح بعض ملوك الاسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين في تخليص مصر من نير الفرس الذين يذكر التأريخ انهم اسسوا الاسرتين السابعة والعشرين والثامنة والعشرين، ولكن ذلك النجاح كان وقتيا فلم يلبث ان تهاوى امام بطش ملوك الفرس الاخمنيين. ويمكن ان يقال ان الاسرة التاسعة والعشرين بدأت بداية طيبة ولكن سوء الحالة الداخلية ظل على ماهو عليه ولم يقدر لانتفاضة مصر في عهدها طول البقاء، لكن بعدها استمرت احوال مصر في ثورات متلاحقة واضطرابات لاحد لها وحركات قومية تناوئ بقاء الفرس في مصر وكانت آخرها ثورة في الدلتا بقيادة احد امرأتها ويدعى (خباش) او (خباباش) اعترف به كهنة منف ملكاً، لكن جهوده ذهبت عبثا لأن مصر لم تستقل طويلا حتى اخذ نجم الاسكندر المقدوني يتلألأ في افق العالم واخذت معاركه ضد الفرس تنتهى بانتصارات باهرة، واتجه الى مصر واحتلها عام ٣٣٢ واظهر احترامه الكامل لديانة

المصريين وعاداتهم فقدم القرابين لالهتهم كما حرص على ان يتم تتويجه ملكاً على مصر وفق التقاليد القديمة في مدينة منف في هليوپوليس، انتقل بذلك مصر الى عصر جديد سمى بالعصر البطلمى (عصر البطالسة).(١١٧)

وقد عين اسكندر اثنين من حكام مصر مكان الساتراب الفارسى واصبح كليومينس جامعاً للضرائب، وعند اقتسام الامبراطورية الاسكندر في عام ٣٢٣ ق.م. صارت مصر حصة (بطليموس بن لاجوس) مؤسس سلالة البطالسة او البطالمة في مصر، وقد انفرد بالحكم كملك واعترف به منذ عام ٣٠٥ وقد استمرت سلالته في حكم مصر حتى موت كليوباترة ٣٠ ق.م. وقد امتاز عهدهم بانتشار مظاهر الحياة اليونانية فيها التي سميت بالهلنستية.

العصر البطلمى والرومانى في مصر

طغت مظاهر الحياة اليونانية على مصر من خلال السيطرة المكدونية، كما ازدهرت فيها العلوم والتحريات والبحوث خلال العصر البطلمي (عصر البطالسة)، وصارت مدينة الاسكندرية التي بناها الاسكندر مركزاً مهماً لهذه البحوث ومحطاً لمشاهير العلماء، بجانب الادارة العسكرية والرسمية التي سيطرت عليها العناصر اليونانية والمكدونية، فقد اولع بطليموس الاول مؤسس سلالة البطالسة في مصر في احترام التقاليد الروحية المصرية وسمح لرجال الدين القديم ان يسترجعوا بعض قواهم ومراكزهم، كما شجع العلم والعلماء، فأسس متحف الاسكندرية الشهير الذي كان بمثابة اكاديمية للبحوث فضلاً عن بنائه لمجموعة من معابد الآلهات المصرية القديمة، كما تأسست في عهده (مكتبة الاسكندرية) الشهيرة التي حوت الاف من الكتب مما جعلها تشتهر في تاريخ تطور الفكر الانسانى،(١١٨) وجدير بالقول هنا بأن بطليموس كالاسكندر نفسه كان احد تلاميذ الفيلسوف اليوناني آرسطو لذا فلا عجب لشغفه بالبحث واهتمامه بالعلوم، وقد استمر هذا الشغف والاهتمام في عهد بطليموس الثاني، الا ان البطالسة الذين حكموا بعده لم يهتموا كثيراً بتشجيع العلماء. اشتهر من بين العلماء الذين عاصروا البطالسة في مصر على سبيل المثال كل من (اقليدس) الرياضي الشهير . في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، و(اراتوسثينيس) الذي قاس محيط الارض ووصل الى نتيجة قريبة جداً من المقدار الحقيقي، و(اپولونيوس) الذي الف في الرياضيات واشتهر ببحثه الخاص في المقاطع المخروطية، و(هبارخوس) الفلكي المشهور الذي كان اول من رسم خارطة للاجرام السماوية و(هيرون) الرياضي المشهور بالجبر وبتطبيقه العلوم على

الاختراعات الميكانيكية حيث اخترع اول ماكنة للبخار.(١١٩) وقد تعلم المصريون خلال هذه الفترة اللغة اليونانية وحملوا بعضهم اسماء يونانية، وكان هذا مظهراً من مظاهر الهللنية في مصر.

دام عصر البطالمة في مصر الى عام ٣٠ ق.م. حيث استولى عليها اوغسطس الروماني وبهذا حل العهد الروماني في مصر الذي استمر حوالي سبعة قرون منذ انتصارهم على كليوباترة في موقعة اكتيوم البحرية والى انتهائه في عام ٦٤١ م بعد هزيمتهم في موقعة حصن بابليون على يد عمرو بن العاص.(١٢٠) وبهذا دام الحكم الروماني في مصر حوالي سبعة قرون.

وفي الواقع ان العلاقات الرومانية المصرية ترجع الى بطليموس الثاني (فيلادلفوس) ٢٨٥ـ٢٤٦ ق.م. وقد ظلت تلك العلاقات خلال القرن الثالث لكنها اخذت تخرج عن نطاقها الودي والاقتصادي وتتخذ مظهراً سياسياً، ولم يأت القرن الثاني قبل الميلاد حتى كانت تلك العلاقات اتخذت شكل التدخل من جانب الرومان في شئون البطالمة(١٢١) وكانت في تلك الاثناء قد ازدادت قوة بعد انتصارها في الحروب البونية امام هانيبال، وكان في الوقت نفسه يطمع كل من فيليب الخامس ملك مقدونيا، وانطيوخوس الثالث ملك سوريا، في الممتلكات المصرية.

وهكذا تدخلت روما في شؤون مصر بحجة حمايتها من عدوان الملكين(١٢٢) وكان الخلاف قد احتدم منذ وقت طويل بين البطالمة والسلوقيين حول السيطرة على جانب من سوريا وفلسطين. وفي سنة ١٦٩ ق.م. غزا انطيوخوس ملك سورية الاراضي المصرية وواصل زحفه حتى منفس واتجه شمالاً حيث ضرب الحصار على الاسكندرية وطالب باعادة فيلوميتور الى عرشه بجانب اخيه يورجيتس الثاني(١٢٣)

انسحب انطيوخوس من مصر بعد اعادة فيلوميتر الى عرشه ولكن سرعان ماوجد من الاسباب مادعا انطيوخوس الى غزو مصر مرة اخرى وعزم هذه المرة على خلع الاخوين وضم مصر الى مملكته. وشجعه على ذلك انشغال روما بالحرب المقدونية. وزحف انطيوخوس على مصر بعد ان استولى اسطوله على قبرص التي انحاز حاكمها البطلمي اليه فاستأنف زحفه رغم وصول سفراء فيلوميتر لتقديم الشكر للملك في استرداد عرشه وتصافى الخلاف بينه وبين اخاه فاحتل منفس حيث توج فيها انطيوخوس نفسه ملكا على مصر(١٢٤) وعند زحفه نحو الاسكندرية اعترضه سفير روما (پوپيليوس لايناس) الذي عهد اليه بالاتجاه الى مصر لكي يأمر الفريقين بوقف القتال وينذرهما بأن روما لن تعتبر المعتدى صديقا او حليفا(١٢٥) ويظهر ان روما غدت وصية على مصر وحامية لها، كما انها استغلت منازعات افراد اسرة البطالمة ووسعها لتمزيق اوصال دولتهم وتجريدهم من ممتلكاتهم الخارجية. فلما احتدمت الخصومة بين فيلوميتور

وأخيه يورجيتس الثاني ، عهد مجلس السنات الروماني الى عضوين من رجاله بالسفر الى الاسكندرية للتوفيق بين الاخوين على اساس اقتسام الممتلكات البطلمية، فيحتفظ فيلوميتور بمصر وقبرص، ويتنازل لاخيه عن برقة. وقد ثار اهالي الاسكندرية على يورجيتس لطغيانه فرحل عنها الى برقة في سنة ١٦٣ ق.م. واخذ يطالب هناك بضم قبرص الى املاكه وبلغ من حقده على فيلوميتور انه اوصى الى الرومان عام ١٥٥ ق.م. بمملكته اذا مات دون وريث حتى لاتئول الى اخيه. لكن يورجيتس الثانى استرد عرش مصر بعد اخيه فيلوميتور عام ١٤٥ ق.م. واورث برقة عند وفاته عام ١١٦ ق.م. لابنه (بطليوس ابيون) غير ان هذا عاد في سنة ٩٦ ق.م. واوصى قبيل وفاته بمملكته للشعب الروماني، وقبل مجلس السنات التركة ولكنه لم يضع يده الا على الاراضي الملكية، تاركا المدن تتمتع باستقلالها. ولما ادى ذلك الى انتشار الفوضى في برقة، نظمها مجلس السنات على شكل ولاية رومانية في رام ٧٤ ق.م. بعدما تعمدوا اختلاق مشكلة وتلمسوا عذرا واهيا. فما ان ارتقى العرش (بطليموس الثاني عشر اولتيس) المشهور بالزمار عام ٨٠ ق.م. رفضت روما الاعتراف به ملكا شرعيا على مصر، بدعوى ان سلفه بطليوس الحادي عشر الملقب بالاسكندر الثاني، والذي لم يحكم سوى عدة ايام، كان قد اوصى بمملكته للرومان، وصية لم تثبت صحتها تأريخياً فدافع بطليوس الثاني عشر عن حقه الى ان اعترف به الرومان لكن اهل الاسكندر ثاروا عليه وارتمى في احضان الرومان مبدداً ثروة بلاده عليهم لمعاونته في ارجاع عرشه في مصر، وقد تحقق له ذلك على يد جابينيوس الحاكم الروماني في سوريا عام ٥٧ ق.م. وبعد وفاة بطليوس الثاني عشر عام ٥١ ق.م. تعرضت مصر للتدخل المسلح من جانب الرومان، وكان قد اوصى بعرشه لكبرى بناته (كليوباترة السابعة) اشهر ملكات مصر (البطالسة) ولأكبر ابنائه بطليوس الثالث عشر الذي كان اصغر من اخته. وبعد الخلافات التي حصلت بينهما تدخل يوليوس قيصر، عندما حل في الاسكندرية عام ٤٨ ق.م. في حلها ووضع نهاية للنزاع بين الاخت واخيه. لكن بطليوس هاجم بقواته مدينة الاسكندرية، تلك القوات التي منيت بالهزيمة ومات هو غرقاً عام ٤٧ ق.م. وحسم قيصر مشكلة الوراثة بانه اقام كليوباترة ملكة بالاشتراك مع اصغر اخويها بطليوس الرابع عشر. وغادر قيصر مصر في نفس العام تاركاً بها بعض الفرق الرومانية لدعم سلطة كليوباترة. وبعد مقتل يوليوس قيصر عام ٤٤ ق.م. اخذت كليوباترة ترقب الصراع الهائل في العالم الروماني بين انصار قيصر وخصومه، وقد تمخض هذا الصراع عن انتصار حزب قيصر دون ان تشترك كليوباترة فيه بل آثرت ان تقف موقف الحياد. ولما آلت الى انطونيوس (رئيس فرسان يوليوس قيصر) مهمة تنظيم شئون

الولايات الشرقية، ارسل من مدينة طرسوس يستدعي كليوباترة لكي يحاسبها على موقفها السلبي وعدم معاونتها لانصار قيصر، ولبت الدعوة عام ٤١ق٠م٠ وهناك استطاعت ان تبرر مسلكها واغرت انطونيوس كما اغرت قيصر من قبله على المجئ في اعقابها الى مصر حيث امضى معها فيما بين عامي ٤١ـ٤٠ ق٠م٠ وقد افترق عنها اثناء حملاته على بلاد البرث وارمينيا٠ واثر هذا الوضع على علاقته باكتافيانوس(١٢٧) شقيق زوجته عندما هجرها، وزاد هذه العلاقة توتراً ان اكتافيانوس لم يوف بالتزاماته نحوه ويمده ببعض الفرق التي وعده بها لاستخدامها ضد البرث٠ فلما انتهت حملة انطونيوس على البرث بالفشل عام ٣٦ ق٠م٠ تزعزع مركزه الادبي والمادي لكن كليوباترة وضعت تحت تصرفه جميع موارد مملكتها ليتحدى زميله وينازعه السلطة، لذا استصدر قراراً بالغاء سلطة انطونيوس العليا وابطال انتخابه قنصلاً لعام ٣١ ق٠م واعلن اكتافيوس الحرب على كليوباترة ولم تشأ هذه ان تدع انطونيوس يخوض المعركة الاخيرة وحده فرافقته الى الميدان الا انه استبد اليأس بانطونيوس فانتحر عام ٣٠ ق٠م٠(١٢٨)

حاولت كليوباترة ان تضمن العرش لاحد ابنائها ولكن اكتافيوس اوعز اليها بانه قد يسوقها في موكب نصره بعد عودته الى روما، ولذا آثرت كليوباترة ان تنتحر على ان تدخل روما في ثياب الذل وتعرض كالسبي على رجالها٠ لذا انتحرت بلدغة الكوبرا ولقيت حتفها (في ١٠ اغسطس عام ٣٠ ؟٠(١٢٩)

وهكذا دخلت مصر منذ سقوط الاسكندرية في يد اكتافيانوس عام ٣٠ ق٠م٠ في نطاق الامبراطورية الرومانية وكانت مصر في هذه الآونة منقسمة اداريا الى ثلاثة اقسام او مناطق كبرى : الدلتا (تقابل مصر السفلى)، والاقاليم السبعة واقليم ارسينوى (تقابل مصر الوسطى)، وطيبة (تقابل مصر العليا) وكان على رأس كل منها قائد عام يدير شئون كل قسم من هذه الأقسام(١٣٠) وقام اكتافيانوس ببعض اصلاحات عاجلة لوقف التدهور الاقتصادي الذي انتاب مصر في أواخر عصر البطالسة ووضع الخطوط للنظام الاداري والاسس التي قام عليها الحكم الروماني من بعده، واقام عليها واليا من هيئة الفرسان (وهي هيئة رجال الاعمال والتجارة)، ثم غادر مصر الى روما ليواجه المشكلات التي نجمت عن الحروب الاهلية هناك واشرك معه مجلس السنات في تصريف شئون الامبراطورية٠

عرف والي مصر من قبل الرومان باسم (والي الاسكندرية ومصر[١٣١])، واسندت اليه قيادة الفرق الرومانية التي كان لها دور كبير في تنشيط التجارة مع سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي،[١٣٢] ولم يحدث في مصر بعد ذلك مايستحق الذكر سوى بعض الثورات والتمردات التي قام بها اليهود. ولعل المصريين بدأوا يضيقون ذرعاً بتعسف السلطات المحلية ووطأة الاحتلال الروماني، ومن المؤكد ان موجة التذمر بدأت تسري في الاسكندرية ايضاً عقب اعتلاء (كاليجولا) العرش الروماني[١٣٣] ومارافق ذلك من خلافات بين اليهود واهل المدينة ولم ينقذ اليهود من غضب (كاليجولا) سوى اغتياله في ٢٤ كانون ثاني عام ٤١ م.

خلف (كاليجولا) على العرش الامبراطور كلوديوس (٤١-٥٤) وانتهج سياسة اكثر تسامحاً ازاء مسببي الشغب في الاسكندرية، كما ان الامبراطور نيرون (٥٤-٦٨) اولى الاسكندرية عناية خاصة فيما بعد وازدهرت فيها الحياة الثقافية والفنية الا ان مشكلة اليهود تجددت في المدينة، تلك المشكلة التي جلبت عليهم الكوارث بعدما ثاروا في فلسطين كذلك ودمر معبدهم الكبير على يد تيتوس في عام ٧٠م عندما خرج من الاسكندرية قاصداً فلسطين وكان ڤسپسيان قد عهد اليه بقيادة تلك الحملة التي رافقها كذلك تيبريوس يوليوس الاسكندر. لحد هذه المرحلة لم تكن مصر قد قامت بأي دور سياسي هام في تاريخ الامبراطورية الرومانية لكن نجمها سطع فجأة عندما اسهمت بعد مصرع نيرون عام ٦٩م في رفع قائد من قواد الشرق الى اريكة الحكم. فقد تعاقب على العرش الروماني ثلاثة قواد حكم كل منهم فترة لاتزيد على شهور قليلة انتهت في كانون اول من عام ٦٩ واخيراً قدر لڤسپسيان (فلاڤيوس ڤسپسيانوس) ان يتربع على عرش الامبراطورية عشر سنوات (٦٩-٧٩) وان يمتد حكم اسرته (اسرة ڤلاڤيوس) حتى عام ٩٦م، وكان ڤسپسيان هو القائد الذي ولاه نيرون على ارض يهوذا ثم عهد اليه بقمع ثورة اليهود عام ٦٧ م وبادرت فرقتان رومانيتان مرابطتان في الاسكندرية بالمناداة بڤسپسيان امبراطوراً عام ٦٩ م وكان ذلك بايعاز من تيبريوس يوليوس الاسكندر والى مصر عندئذ.[١٣٤] وكان الاسكندر هو الوحيد بين ولاة مصر الذي يمكن وصفه بأنه (مصرى) لأنه ولد بالاسكندرية. ولم تلبث الفرق المرابطة في فلسطين ان نادت هي الاخرى بڤسپسيان امبراطوراً في العام نفسه، وحذا حذوها الجيش الروماني في سوريا، وزحف ڤسپسيان الى مصر بانياً خطته. وقد عهد الى ابنه تيتوس بحل مشكلة اليهود في فلسطين وبعد رجوعه من هناك اظهر شعوراً طيباً نحو السكان الاغريق والمصريين في الاسكندرية ومصر على السواء، ثم ارتقى العرش بعد ابيه لكنه قضى نحبه بعد قليل (٧٩-٨١)، وعندما

تـولى دوميتيـان الحكم من بعـده انتهجت السلطـات الرومـانيـة في مصر سيـاسـة تنم عن التسامح ازاء الـديـانـة المصرية وتقـاليـدهـا وقـد استمرت الاحـوال هـادئة في مصر على عهد نرفـا (٩٦ ـ ٩٨) واوائـل عهـد تراجـان (٩٨ ـ ١١٧) حيث ان الحكومـة الرومـانيـة واجهت قرب نهـايـة عهـده اكبر ثـورة نشبت في مصر منـذ الاحتـلال الرومـاني، ثم عين رامـيوس مرتيـاليس والـيا عليهـا ايـام الامبراطـور هـدريـان وكانت تلـك الثـورة قـد تركت في نفـوس السكان اثراً عميقـاً واحـدثت جرحـاً بليغـاً لم ينـدمـل الابعـد اجيـال. وكانت قـد بـدأت في شكل فتنـة بين اليهـود والاغريـق لكنهـا لم تلبث ان تطـورت الى اضطرابات شـديـدة انتهت بصـدام مسلح او حرب بين الرومـان واليهـود، حيث هلـك فيهـا اليهـود المتعصبـون بين عـامى (١١٥ ـ ١١٧).

وبمرور الـزمن غـدت اجهـزة ادارة الـدولـة في مصر جـزءاً من الادارة العـامـة للامبراطورية الرومانية. في عام ٢٠٠ زارها (سيفيروس) واجرى فيها الاصلاحات. اما في عام ٢١٢م وفي حشـد جماهيري اعطى (كاراكلا) المواطنـة لكل الامبراطوريـة ومن ضمنها مصر. ثم نظم الامبراطور ديوكليتيان امور الدخل والضرائب فيها.

وقد حلت اللاتينية محل اللغـة اليونـانيـة فيهـا كلغـة ادارة الـدولـة. وفي القرن الرابع سمح لاصحـاب الاراضي والطبقـات الاقطـاعيـة بجمع الضرائب وتسليمهـا مبـاشرة الى مؤسسـات ادارة الدولة.

وفي القرن الثاني الميلادي ابدت الكنيسة المسيحية في الاسكندرية قلقها حول البـدعـة الـدينيـة التي ظهرت في الامبراطـوريـة . وكان يقـود هـذا الاتجـاه الكاثـوليكي كل من بنتاينوس وكليمنت واوريجين الـذين استطـاعوا اقنـاع معاصريهم بذلـك الاتجاه ، وقـد اظطهـدهم الامبراطـور سيفيروس مع الفرق المسيحيـة الأخرى عـام ٢٠٠م . كما اضطهـدوا كـذلـك من قبـل ديكيـوس عـام ٢٥٠م و٢٥٧م ـ٢٦٠م . واكثر من ذلـك أيـام الأبـاطـرة ديوكليتيان وليكينيوس من ٣٠٢م الى ٣١١م .

أن مؤتمر نيقيـا الـذي أمر قسطنطين الكبير بعقـده سنـة ٣٢٥م لم يفلح في وضع حـد للتفرقة بين الصفوف المسيحية من ناحيـة العقيـدة وكان سبب الاضطهـاد في مصر بصورة غير مباشرة نتيجة ظهور المونوفستية وخاصة عنـدمـا نظم هـذا المـذهب پـاخوميوس عـام ٣٢٣م ، حيث اصبح مذهبا مصرياً متميزا اشتهر بالمذهب القبطي . ولقد تطرفت مدرسـة الاسكندرية اثر وفاة كيرل سنة ٣٤٤م وقاد الحركـة كل من دايوسكورس و پوتيخيس، ثم عارضت كل من كنيستي روما والاسكندرية سياسة الامبراطور قسطنطينوس الدينية وتمركزت المعارضة حول بطريق الاسكندرية اثناسيوس (٢٩٦ـ٣٧٣) بصورة خاصة . وقـد دحضت آراء كنيسة الاسكندرية في المؤتمر الديني العالمي الرابع المنعقد في خلقدونيـا سنـة

٤٥١م وكان انهزاما ودحضاً لادعاء الاسكندرية في الزعامة الاولى لكنائس الشرق ، وفي خضم هذه الاحداث الدينية والسياسية بين بيزنطة وبلاد مصر انتهى الحكم الروماني فيها وبدأت مرحلة جديدة بظهور الحكم العربي الاسلامي فيها مع اطلالة عام ٦٤٠ الميلادي ٠

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في العصر المتأخر

ضمن ملوك الاسرة الحادية عشرة كان رمسيس الثاني عشر ضعيفا وقليل النفوذ، كما ان احوال البلاد المصرية تغيرت كثيراً عما كانت عليه ايام رمسيس الثالث. لذا لم يجد رمسيس الثاني عشر بدا من الرجوع الى طيبة والاحتفاظ بالوجه القبلي وثم انفصلت الدلتا عنه، وبذا حال هذا الانفصال بين الحكم في طيبة وبين آسيا، ثم ان الوجه البحري اصبح معادياً للوجه القبلي. وبما ان رئيس كهنة آمون بطيبة كان ذا نفوذ عظيم وثروة طائله فلذلك اصبح هو بمثابة حاكم قسم طيبة الاعظم دينيا وسياسياً، لذا اتحد الملك مع رئيس كهنة آمون، وتعاونا معاً في بسط النفوذ على الوجه القبلي وبلاد النوبة.

ادى هذا الضعف في البلاد المصرية الى استقلال الامارات والدويلات في كل من سوريا فلسطين، كما اخذ اهالي جزيرة كريت والجزر الاخرى في البحر المتوسط يشنون الغارات على سوريا ولبنان وفلسطين واختلطوا بسكانها وقد عرفوا في التأريخ باسم البلستين (الفلسطينين)، وحتى انهم وصلوا الى حدود مصر وتحدوا فراعنتها منذ وفاة تحوتمس الثالث. وفي داخل مصر استطاع رئيس كهنة آمون اخيرا من وضع يده على كل الامور الادارية والدينية تقريبا ولم يبق امامه شئ يستحق الذكر، لذا استطاع في احدى الفرص ان يتسلم رئيس الكهنة المدعو (حريحور) تاج العرش المصري في الجزء الجنوبي. وقد سارت البلاد في هذه الآونة من سئ الى اسوأ وتقلصت مملكة الشمال، وكانت مصر قد فقدت مستعمراتها كليا في آسيا. وقد استمر هذا الانهيار على حد قول برستد نحو اربعمائه وخمسين سنة (تأريخ مصر، ص ٣٥٣).

بعد ان تداعت الاسرة الحادية والعشرون اخذت الاسرة الليبية بقيادة (شوشينق) تأخذ زمام الحكم باسم الاسرة الثانية والعشرين ويبدو ان كهنة آمون **في طيبة كانوا أقل قبولاً لحكه من أهل الدلتا وقد قامت كذلك ثورة بالواحات الخارجية التي كانت منفى للمجرمين ، وقد شيد واصلح** شوشينق **بعض المباني ثم استطاع بابهزم حفيد حريحور بزواجه بكريمة ملك تانيس بضم الوجهين القبلى والبحري في بلاد مصر تحت سلطته ،**

وحكم من مدينة تانيس وخلفه فيما بعد ملوك كان عهدهم مقرون باضمحلال الصناعه وتقهقر حالة البلاد الاقتصادية.لم يظهر هؤلاء استعداداالى الرقي والتقدم ، انما تباهوا وافتخروا بأعمال أجدادهم التي كانت تُسرق من قبورهم في هذاالعهد ، مما يدل على انحطاط الأمن والنظام في عهد حكم الاسرة الثانية والعشرين . ويمكن أن نستنتج من هذا أن البلاد كانت تسير في طريقها الى الانحلال . وفي اواخر عهد (شوشنيق الثالث) نشأت في طيبة الاسرة الثالثة والعشرين التي مرت في نهايتها بنفس التجربة .

تطبع الحكام الليبيون بالطباع المصرية كما اتبعوا العادات المصرية نحو الموتى حسب ماتقتضية الديانة المصرية ، وبالرغم من احتفاظ الحكام الليبين بأسمائهم الأصلية فانهم حافظوا على الألقاب والعادات الفرعونية التي ألفها المصريون . أما القواد الليبيون فحافظوا على ألقابهم الليبية (كرئيس المشواش الأكبر). وعبد الليبيون المعبودات المصرية وقدموا لها القرابين كالمصريين.

اما بالنسبة للاسرة النباتية فما زال اصلهم مجهول حيث استطاع احد ملوكها وهو (كاشتا) ان يفرض سلطانه على مصر العليا حتى طيبة، ويعتبر مؤسس الاسرة الخامسة والعشرين هو (شبكا) ابن بعنخي الذي توفي حوالى ٧٣٠ ق. م. وقد اصطدم ملوك الاسرة الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين بقوة الآشوريين في كل من سوريا وفلسطين ولما تقابلت قوتا نباتا وآشور اراد ملوك (نبته) ان تكون علاقتهم بآشور ودية. وحينما اخضع سرجون الثاني بعض اقسام فلسطين لم يبق فاصلاً كبيراً بين نفوذ الامبراطورتيين الا مملكة يهوذا الصغيرة التي كانت تتأرجح في الخضوع بين الملك الاشوري والملك النبتاوي . في الوقت نفسه ظلت مصر في الواقع محكومة بأمراء الاقسام العديدين فيما بعد مدة تزيد على قرن ونصف تقريبا، وقد صحب انحلال السلطة المركزية اضمحلال عظيم في المالية فانصدمت بذلك تجارة مصر مع البلاد الأجنبية وانحطت الزراعة والصناعة واصبحت موارد الخيرات في ايدي الامراء يبتزونها لأغراضهم الشخصية . ثم أخذت أنظمة الزراعة تتلف تدريجياً وكذا الطرق والجسور وانعدم الأمن في المدن، وهكذا انتقلت موارد ثروة البلاد من سئ الى اسوأ.

في اثناء هذه الاضطرابات الداخلية أخذ فن الحفر في مصر يتقدم في طريق جديد، ومثل هذا التقدم في الفنون الجميلة حصل في عصور وأدوار اخرى مثل عصر المماليك. لذا فان العمارات النوبية تحدث الناس بجمالها، لكن لم يبق من آثار هذه العمارات الا القليل كالهيكل الصغير الذي شيده (أسركن الثالث) بطيبة حيث يحوي رسوماً بارزة لاينقصها الا رقي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حتى تصبح أعظم وارقى ماتخرجه ايدي الصناع في تلك البلاد.

ولما اتى دور تجلات پلاسر الثالث في الحكم بآشور جمع موارد مملكته وشن غارة على سوريا وفلسطين فيما بين سنة ٧٣٤ وسنة ٧٣٢ ق. م. ووصلت جنوده الى حدود مصر. وقد سقطت مملكة دمشق أمامه فاصبح غربي آسيا تابعاً لآشور بأجمعه بعدما كانت جزءً من الامبراطورية المصرية. وعندما أخذ سرجون الثاني عام ٧٢٢ ق. م. مقاومة السامرة في فلسطين لحكم آشور عند ذلك ايقن أمراء مصر بعجزهم عن مقاومة آشور، لذا أوقدوا نار الثورة والاضطراب ضد آشور في كل من سوريا وفلسطين لجعلها حاجزاً بينهم وبين آشور. لذا فقد ظهر سرجون للمرة الثانية في هذه المناطق وزحف جنوباً وهزم جنود اعدائه وكانت بينهم وحدات مصرية. وبذا خضعت الممالك الصغيرة في فلسطين ومن بينها يهوذا للملك الاشورى لكنها ثارت مرة أخرى في فترة حكم سنحاريب وكانت مصر تشجعهم على ذلك. وبعد اغتيال سنحاريب أخضع اسرحدون تلك الولايات بمنتهى العنف، وعند محاصرته لمدينة (صور) أرسل حملة الى (طهرقة) بن پعنخى في مصر الذي كان يشجع ملك صور بعدم دفع الجزية للاشوريين ثم توجه هو شخصياً وهزّم النبتاويين عند الحدود المصرية وحينما تراجع (طهرقة) ملك مصر الى منفس تبعه الآشوريون واستولوا عليها وخربوها، أما أمراء الدلتا فقد قدموا ولاءهم لآشور وابقاهم اسرحدون في مناصبهم كولاة من قبل الاشوريين. لكن طهرقه رجع الى الدلتا واحتل منفس وقام ببعض الاصلاحات فيها كما أستأنف علاقاته مع ملك صور. لذا اعاد آشور بانيبال فتح مصر وقبض على امرائها وارسلهم الى نينوى، وبعد مدة غير طويلة زال النفوذ الاسمى للملوك نبته من طيبة نهائيا.

أما في عهد الاسرة السادسة والعشرين تمتعت مصر بشئ من الرخاء والنهوض كما أنها بدأت عهداً جديداً في علاقاتها الخارجية وأخذت تستعين بالمرتزقة اليونانيين الذين دخلوا الى مصر مع انتشار نفوذهم فيها وتأثرت الثقافة المصرية بتأثيرات يونانية مختلفة. كما ادى التواجد اليوناني في مصر الى انعاش الأحوال الاقتصادية وخاصة التجارة.

في خضم هذه الأحداث لم يبذل المصريون جهوداً في ابتكار طرقاً جديدة لتحسين حالة القطر وانما اتبعوا نظام الحكم القديم وعبدوا ملوك منف الاقدمين وجددوا القربان على ارواحهم ورمموا اهرامهم العظيمة واستعملوا الخط الهيروغليفي وعملوا كذلك كل مايمكن تطهير ديانتهم من العقائد الاجنبية. وقد لازمت هذه الظاهرة مصاعب خفية لان هذا التغير شمل الحياة والأحوال السياسية والاقتصادية. وكان الرجوع الى الذوق القديم في الفنون الجميلة من اصعب الأمور وذلك لأن هذه الفنون ارتقت كثيرا في العهد الاثيوپي بجانب تقدم التماثيل والاجسام.

أما صناعة البرونز فقد بلغت منتهاها من حيث الدقة في هذا العصر وانتشرت في البلاد. اما المصنوعات الاخرى ففاقت امثالها في اي عهد سابق من حيث الدقة. فصناعة الخزف بلغت أعلى اوجها. ولكن عمارات هذا العصر انعدمت تقريبا ويظهر ان معابد البطالسة البديعة الجميلة ترجع في الاصل الى هذا العصر.

وفي الوقت الذي كانت فيه الفنون الجميلة تتقدم بسرعة مع المحافظة على تقاليدها القديمة، كانت ادارة الحكومة أقل انضباطاً بالانظمة العتيقة. اما من الوجهة الجغرافية فالوجه البحري كان دائماً افضل من حيث الأهمية على الوجه القبلي، لأن التجارة مع العالم الشمالي استلزمت أن تكون للدلتا اهمية تجارية. وقد استوطن بسامتيك وخلفاؤه (صان الحجر) التي ازدانت وقتئذ بالمعابد والقصور على عكس طيبة التي فقدت منزلتها السياسية والدينية.

هوامش الفصل الثالث والرابع

١) طيبة (الأقصر) من أغنى مدن مصر بالآثار الفرعونية وتقع على بعد ٦٧٠ كم من القاهرة.

٢) اهناسيا هي بلدة في محافظة بني سويف قريبة من مدخل الفيوم، وكانت قديما عاصمة الوجه القبلي.

٣) عبد العزيز صالح، تأريخ الشرق القديم. القاهرة ١٩٦٧ م، ص ١٦٤

٤) د. محمد عبد القادر حاتم، تأريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الاول ، ص ٢٠٤. راجع كذلك :
The New Encyclopaedia Britannica, Egypt.

٥) المرجع السابق.

٦) يظهر على الفن المصري في بداية عهد سلالة الحادية عشرة في الدير البحري طابع السذاجة، بعد انه أخذ في التحسن بمرور الزمن. راجع طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، بغداد ١٩٥٦م، ص ٦٢

7) The New Eneyclopaedia Britannica, Egypt.

8) Breasted J.H., Ancient Time, Second Edition, (Boston 1935) , P. 101, 102

9) Avdiev V., Istoriy Drevnovo Vostoka (Moskva 1970), Str. 176.

ويستدل من آثار هذا العصر ان مصر تمتعت في عهد هذا الفرعون بالرخاء، وارتقت فيها الفنون والآداب. راجع :
Winlock H.E., bulletin Of The Metropolitan Museum Of Art (1921 - 2) PP. 38 ff.

١٠) The New Encyc. Britannica, Egypt,
Breasted J.H., OP. Cit. P. 95ff,
Breasted J.H., History Of The Ancient Egyptians (n.y. 1913)
Breasted J.H., History Of Egypt (N. Y. 1924),
Cambridge Ancient History (Cambridge University Press) Vol. I, II, III

١١) كان هذا وزيراً عند الفرعون (منتوحوتب الرابع) من الاسرة الحادية عشرة. راجع :

The New Encyclopaedia Britannica. Egypt.

١٢) انقرضت الأسرة الحادية عشرة بوفاة (منتوحوتب الخامس) عام ٢٠٠٠ ق.م. راجع : جيمس هنري برستد، تأريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي، القاهرة ١٩٢٩م ، ص ١٠١. ترجمة د. حسن كال

١٣) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٣٦

١٤) تلقب ملوك هذه الاسرة بهذين اللقبين غالباً.

١٥) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر : ص ٣٦

١٦) المرجع السابق، ص ٣٧

١٧) د. عبد العزيز صالح، نفس المصدر، ص ١٥٦

١٨) د. محمد عبد القادرحاتم، نفس المصدر، ص ٥٧

١٩) ابراهيم نمير سيف الدين، مصر في العصور القديمة، القاهرة ١٩٤٢م ، ص ٦١

٢٠) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٢٧٥

٢١) هليوبوليس هو اسم اطلقه الأغريق على اول عواصم مصر المتحدة وبقت أثارها في المكان المعروف اليوم بـ(عين شمس) شمال القاهرة.

٢٢) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، مادة هليوبوليس.

٢٣) المرجع السابق، ص ٢٧٥

٢٤) ابراهيم نمير سيف الدين، نفس المصدر، ص ٧١

٢٥) آمون هو أحد معبودات ثمانية اعتبرها المصريون أولى المخلوقات المقدسة التي ظهرت على التل الأزلي عندما انحسرت عنه مياه المحيط اللامتناهي. اختاره حكام طيبة وجعلوا منه المعبود الرئيسي للدولة المتحدة واختاروا مركز عبادته مدينة طيبة.

٢٦) اطلق المصريون اسم (رع) على الشمس نفسها كما اطلقه على الهها، وتصور المصرى هذا الاله في صور شتى وكان عبادته مدينة هليوبوليس.

٢٧) اوزيريس اشهر معبودات المصريين القدماء. تروى اسطورته أنه كان بشراً عاش فوق الارض وقاسى من شرورها وذهب ضحية مؤامرة انتهت بقتله، الاانه استعاد الحياة.

28) **The New Encyclopadia Britennica,** Egypt.

29) **Breasted J.H., Ancient Time, P. 95 ff**

حول تفصيلات قصة الفريق راجع :

عبد القادر حمزة باشا، على هامش التأريخ المصري القديم، القاهرة ١٩٤٠م، ص ١٥٩ ومابعدها·

٣٠) جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة· القاهرة (١٩٦٢) ص ١٢٠، ١٢١، الترجمة العربيـة، وفي النص الأنكليزي راجع الصفحة ٩٩ من :

Breasted J.H., Ancient Times, P. 99.

٣١) راجع: سليم حسن، مصر القديمة، القاهرة ١٩٤٦م، الجزء الرابع، ص ٦٤٥

32) Wilson J.A., The Culture Of Ancient Egypt, (Chicago 1963)

جون ولسون، الحضارة المصرية، القاهرة ١٩٥٥، ص ٢٥٧، ترجمة د· أحمد فخري

٣٣) لم يستطع كاتب بردية تورين ان ينسب ملوك هـذه الاسرة الى بيت معين وبقى من اسمائهم نحو ستين اسماً· راجع :

د· عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ١٨٤ ومابعدها

34) Vandenberg Ph., Nefertete, Een Archeologische Biografie. (Amsterdam – Brussel) P. 89

الترجمة الهولندية

٣٥) راجع د· عبد العزيز صالح· الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٧م ص ١٨٨·

36) Vandenberg Ph., Ibid. P. 89, 90

٣٧) جون والسون، المرجع السابق، ٢٥٩

د· محمد بيومي مهران، أخناتون، عصره ودعوته· الاسكندرية ١٩٧٩، ص ٦ ومابعدها

وحول التغيرات السياسية والقومية في غرب آسيا وعلاقتها بدخول الهكسوس الى مصر راجع :

Georg Steindroff, Keith C.Seele, When Egypt Ruled The East. (Chicago – Illinois 1958) P. 51 ff.

وعن الحوريين ولغتهم وثقافتهم، راجع كل من المصادر التالية :

The New Encyclopaedia Britanica. Hurians,
Urartu. Mittani.
Speiser E.A., Mesopotamian Origin. (Philadelphia 1930)
Chapter V, PP. 102 – 164.
Gelb I. J., Nuzi Personal Names. (Chicago – Illinois 1963)
Charles Burney, David Marshal Lang., The Peoples
Of The Hills. (London 1971)

38) Charles Burney., Ibid. PP. 86 – 87,
Georges Roux., Ancient Iraq, (London 1966) P. 203,
Childe G.V., The Aryans, (London 1926),
Coon C.S., Races Of Europe, (N. Y. 1939)
Meillet A., Introduction a Letude Comparative
des Langues Indo – Europeennes.
(Paris 1949)

٣٩) راجع

Charles Burney., Ibid. PP. 88 – 87

٤٠) د. انطون مورتكات، تأريخ الشرق الادنى القديم. دمشق ١٩٦٧، ص ١٧٦، الترجمة العربية
٤١) طه باقر، المرجع السابق الجزء الثاني، ص ٦٤
٤٢) سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الرابع، ص ٥٤ ومابعدها
٤٣) ينسب ملوك الأسرة الرابعة عشرة الى بلدة (سخا) في شمال الدلتا وكانوا تابعين لملوك الهكسوس .
٤٤) سليم حسن ، المرجع السابق، ص ٨١
٤٥) ورد اسم هذه المدينة في وثائق الحرب التي دارت بين (أحمس الاول) من المملكة الحديثة وبين الهكسوس وأنها كانت عاصمة الهكسوس.
٤٦) سليم حسن، نفس المصدر، ص ٨٢
٤٧) د. محمد ابو المحاسن عصفور، معالم تأريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت ١٩٨١، ص ١٥٢.

٤٨) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٤٠

٤٩) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ١٥٤

٥٠) سليم حسن، نفس المصدر، ص ١٢٧

٥١) د. محمد عبد القادر حاتم ، نفس المصدر، ص ٤١. راجع كذلك

Breasted A., History Of Egypt, P. 150

٥٢) حول التفصيلات راجع :

Winlock H.E., The Rise and Fall Of The Middle Kingdom at Thebes (N. Y. 1947).

٥٣) سليم حسن، نفس المصدر، ص ١٨٣.

وحول كلمة (خارو) وعلاقاتها اللغوية راجع كل من :

Hrozny, Churri, Archiv Orientalini (AOR) I (1929).

Tseretheli., Die neun haldischen Inschriften des Konigs Sardurs Von Urartu (Heidelberg 1928).

Bork., Die Mitannisprache, MVAG XIV 1–2 (1909)

SKold H., Sur la Lettre en Langue Mitanni, JRAS 1926

٥٤) سليم حسن، نفس المصدر : ص ٨٦، ٨٧

٥٥) راجع Diedrich Fimmen., Die Kretisch – Nykenisch Kultur. (Leipzig Und Berlin 1914) P. 159

٥٦) سليم حسن، نفس المصدر، ص ٦٧

٥٧) طه باقر، نفس المصدر، ص ٦٥

٥٨) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٤٢

٥٩) سليم حسن، نفس المصدر، ص ٢٣١

٦٠) كوش اسم يقصد به بلاد النوبة العليا، ازدهرت من مدنها مدينة نباته
٦١) حول التفصيلات راجع :

Sir Alan Gardiner., Egypt Of The Pharaons.
(Oxford 1961) P. 190 ff.

٦٢) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٤٣
٦٣) سليم حسن، نفس المصدر، ص ٢٥٤
٦٤) حول اعمال فراعنة هذه الأسرة راجع :

Gardinrer, Ibid. P.104
Sethe, Kurt., Urkunden des Alten Reiche (Leipzig 1932)
Vl. PP. 82 ff.
65) John A.Wilson., The Burden Of Egypt. (Chicago 1951)

جون ولسون، نفس المصدر، ص ٣٢٩
وحول هذا العهد راجع احدث دراسة في :

Ratie Suzanne., Hatschepsut, Die Frau auf dem Thron der Pharaonen.
(Wiesbaden 1974)
66) Gardiner., Ibid. P. 190 ff.

٦٧) تأريخ العالم، الفصل التاسع عشر، ص ٦٩ ومابعدها

Bréasted J.H., Ancient Times (Boston 1935) P. 107.
68) Campbell E. F., The Chronology Of The Amarna Letters. Baltimore 1964, P.1

69) George Steindroff, Keith C.Seele., Ibid. P. 51, Gardiner., Ibid. P. 194

٧٠) وكلستر تأريخ العالم : الفصل التاسع عشر ، ص ٦٩٢
٧١) برستد، تأريخ مصر، ص ٢٠٠، الترجمة العربية

72) Sethe Kurt., Urkunden der 18. Dynastie Leipziy 1927 – 1932, IV P. 71, 891

٧٣) كتاب تأريخ العالم، الفصل التاسع عشر، ص ٦٩٤
٧٤) جون ويلسون، نفس المصدر، ص ٣٢٩
٧٥) اشتهرت بلاد بابل في عصر الدولة الكاسية ببلاد كاردونياش

76) Vandenberg Ph., Ibid. P. 73

٧٧) برستد، نفس المصدر، ص ٧٣

78) Vandenberg Ph., Ibid.

٧٩) تل العمارنة هو (اخت آتون) عاصمة امونحوتب الرابع القديمة
٨٠) اطلق المصريون اسم (آتون) على قرص الشمس ولكن في عهد الاسرة الثامنة عشرة اصبح هذا الاسم يطلق على المعبود الشمس.
٨١) تسمى الفراعنة بخمسة اسماء، لذا ظهر امونحوتب الرابع بأسماء عديدة. راجع

Cyril Aldred., AKhenaten. (Thames and Hudson Ltd 1968) PP. 41 ff.
82) Vandenberg Ph. Ibid. P. 35

٨٣) منف هي الصيغة العربية للاسم الاغريقي لمدينة (ممفيس) وتقع اطلالها على بعد ٢٥ كم من مدينة الجيزة .
٨٤) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر. ص ١٨٤. راجع كذلك

Wells H.G., The New and Revised Outline Of History. (N.Y. 1931) P. 225

٨٥) المرجع السابق، برستد، نفس المصدر، ص ٢٧٢

٨٦) برستد، نفس المصدر

٨٧) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٤٧

٨٨) برستد، نفس المصدر، ص ٢٨١

٨٩) المرجع السابق، راجع كذلك جون جارستانج، امبراطورية الحيثيين، تأريخ العالم، المجلد الثاني، الفصل الثالث والعشرون، ص ٢٩

٩٠) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر السابق، ص ١٨٧، ١٨٨

٩١) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٤٧

٩٢) دون هذا الاسم كذلك بصيغة (موتيلي، موتاليس) احيانا. راجع

Rostovtzeff M., A History Of The Ancient World.
(Oxford 1936) P. 107.

٩٣) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ١٩٠

٩٤) جون جارستانج، نفس المصدر، ص ٣٠

95) The Cambridge Ancient History, Vol.II

٩٦) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٤٨

٩٧) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ١٩٣

٩٨) المرجع السابق

99) Rostovtzeff M., Ibid. P. 105

١٠٠) د. محمد عبد القادر حاتم، نفس المصدر، ص ٥٠

١٠١) د. محمد أبو المحاسن عصفور، ص ٢٠٠

١٠٢) برستد، نفس المصدر، ص ٢٢٠

١٠٣) برستد، انتصار الحضارة، القاهرة (١٩٦٢) ص ١٣٧ الترجمة العربية

١٠٤) راجع الهامش (٧٩)

١٠٥) ف. لولين جريفث (F.Leewllyn Griffith) ، الانقلاب الديني في مصر الفصل الرابع والعشرون، تأريخ العالم، المجلد الثاني، ص ٣٢

106) The Cambridge Ancient History. Vol II, P. 539 ff, Vol. III, P. 562 ff.

١٠٧) برستد، تأريخ مصر، ص ٣٥٩

١٠٨) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٢٠٥

١٠٩) برستد، نفس المصدر، ص ٣٦٠ وحول الاسر من ٢٢ ـ ٢٤ راجع

The Cambridge Ancient History Vol. III, Part 1, (Cambridge 1982).

١١٠) المرجع السابق

١١١) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٢١٤

112) The Historians History Of The World. Edited by Henry Smith Williams, LLD, Vol. I (New York – London 1904), Egypt.

١١٣) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٢٢٧

١١٤) برستد، نفس المصدر، ص ٣٩٤

١١٥) اصل الاسم هو (أحمس) لكن هيرودوت سماه امازيس.

116) The Cambridge Ancient History Vol. II (1982)

117) The New Encyclopaedia Britannica, Ptolemies Rostovtzeff M., Ibid. P. 352 ff.

١١٨) حول هذه المكتبة راجع

Parson E.A., The Alexanderian Library, A Glory Of The Hellenic World (1952)

119) The New Encyclopaedia Britannica, Euclid, Eratosthenes, Apollonius, Hipparchus, Heron

١٢٠) د. عبد اللطيف احمد علي، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية. القاهرة ١٩٥٦، ص أ

١٢١) الكتاب الثلاثين ليتتوس ليفيوس Livius XXX .9 ,5 – 1

١٢٢) د. عبد اللطيف احمد علي، نفس المصدر، ص ٦

دار المعارف البريطانية، مادة مصر. Egypt

١٢٣) دار المعارف البريطانية، مادة بطلميوس Ptolemies

١٢٤) نفس المصدرين السابقين

١٢٥) راجع الكتاب التاسع عشر لپوليبيوس Polybius XXX, 27

١٢٦) راجع مذكرات يوليوس قيصر تحت عنوان الحرب الأهلية :

Commentarii de Bello Civili III, 106 – 112

راجع كذلك Parsons E.A., OP Cit. PP. 288 – 319,

PP. 413 – 425

١٢٧) دار المعارف البريطانية، مادة اوكتاڤيانوس

128) Plutarch., The Lives Of The Noble Grecians And Romans. Encyclopaedia Britannica INC.

129) Volkmann H., Kleopatra. Politik und Propaganda. Munchen 1953, P. 215

130) Jones A.H.M., Cities Of The Eastern Roman Provinces, (Oxford 1937) P. 474, n. 22

131) Reinmuth O.W., The Perfect Of Egypt From Augustus to Diocletian. (Leipzig 1935) P.g.

١٣٢) د. عبد اللطيف احمد علي ، نفس المصدر، ص ٥٥ ومابعدها.

١٣) في ١٨ مارت عام ٣٧م ارتقى عرش الامبراطورية الرومانية جايوس قيصر ابن جرمانيكوس (كاليجولا).

(134) Stein., Die Praefekten Von Aegypten in der Romischen Kaiserzeit 1950, P. 39 ff

الباب الثاني

القطر السوري

الفصل الأول
العموريون
و
الكنعانيون
و
الآراميون
أيبخد و أوغاريت

الباب الثاني
القطر السوري
الفصل الاول
العموريون والكنعانيون
والاراميون ، ايمخد واوغاريت

ورد اسم سوريا بصيغ متعددة عبر التاريخ كـ(سورستـان ، سريون ، سورى أو سّرى و أسير ٠٠٠٠٠الـــخ) وقـد أطلـق العرب على هـذه النـاحيـة اسم (الشـام) الـذي يعني في الأصل اليسار أو الشمال بالمقابلة مع (اليمن او الجنوب) وذلك بالنسبة الى أهل الحجاز

أما العراقيون القدامى فقد اطلقوا على هذه البلاد اسم (عمورو أو آمورو (وبالسومريـة مارتو) وهو يرادف كلمة الغرب كذلك ٠

تقع سوريـة الى الجنـوب من هضـاب الأنضـول ، حـدودهـا الغربيـة البحر المتـوسـط والشرقية بلاد الرافدين والى الشمال توجـد جبـال طوروس التي تفصلها عن الأنضول والى الجنوب الصحراء العربية السورية ٠

دانت سوريـا كلهـا أو جزءاً منهـا عبر التـأريخ الى جيـوش الـدول التي غـزتهـا كالحيثيين والمصريين والاشـوريين والكلـديين ثم الا خمنيين والمقـدونيين وكـذلـك تحـولت الى مملكـة يحكمها السلوقيون ولكن سرعـان مـا تفككت خلال حكم انطيوخوس سوتر الاول وفيما بين ٢٢٢ ـ ١٨٦ ق٠م استطـاع انطيوخوس الثـاني ان يسلخ من مصر بعض اجزائهـا ثم ظلت جزءٌ من الامبراطورية البيزنطية الى أن حررها العرب المسلمون ٠

وعلى اية حال فان سوريا التي نعنيها بـالرقعـة الجغرافيـة التي سبق ذكرهـا لم تكن تعنى في التأريخ دولة معينة لها كيان الامبراطوريات التي نشأت حولها، لذا اصبحت وسـط الصراع بين الدول القديمة وهكذا يتخـذ القطر السوري موقعـاً مهماً بوقوعـه بين بلاد آسيـا ومراكز الحضـارة فيهـا وبين البحر الابيض المتوسـط، كما تـوسـط بين اشهر الامبراطـوريـات التي قـامت في وادي الرافدين وآسيا الصغرى ومصر وكـذلـك واجهت فيما بعـد اليونـان من الشمال والغرب٠ لـذا فهو يصل مابين حضارات ثلاث قارات (آسية وافريقا واوربا)٠ ومايميز جغرافية البلاد السورية هي انها مؤلفة من بقاع واطئة ومناطق جبلية في القسم الغربي منها تتجه بوجه عـامودى من الشمال الى الجنوب، ويمكن تمييز المناطق التالية فيها :

١ ـ وجود شقة ساحلية تمتد على الساحل الشرقي من البحر المتوسط محصورة بين البحر والجبال تتباين في سعتها من منطقة الى أخرى .

٢ ـ السلسلة الجبلية الواقعة شرق الشقة المذكورة وتبدأ من جبال أمانوس في الشمال الى جنوب فلسطين . وتحيط هذه السلسلة التي تسمى بعضها بجبال لبنان الغربية سهول وأراضي واطئة ، وتعد فلسطين من الناحية الجغرافية الجيولوجية استمراراً أو امتدادا لتلك السلسلة الجبلية والشق الساحلي وما تحيط بها من سهول وأراضي.

٣ ـ هنالك سهول منخفضة ضيقة كسهل (البقاع) الذي يقع بين جبل لبنان الغربي والشرقي ، ويستمر جنوبا خلال الاردن الى البحر الميت ، ويستمر بعضها شمالاً نحو حماة

٤ ـ تكون سلسلة الجبال الشرقية الواقعة شرق تلك السهول قسماً بارزا من أقسام البلاد السورية حيث يبدأ ارتفاعها جنوب حمص وتكون مقابلة في ارتفاعها وفي طولها تقريبا الجبال لبنان الغربية ، حيث تعرف باسم جبال لبنان الشرقي ، تبدأ بالانحدار من جبل الشيخ الى نجد حوران ، الذي تحادده منطقة التلال في الجولان حيث تستمر في شرق الأردن وتتصل بنجد موآب واقليم أدوم جنوب البحر الميت .

٥ ـ تؤلف البادية الواسعة الواقعة شرق الجبال المذكوره أوسع منطقة في البلاد السورية ، وهي امتداد لصحراء بلاد العرب الكبرى وتفصل تلك البلاد عن العراق والانضول وجبال طوروس.

ان المميزات المذكورة كانت من العوامل التي ادت الى ان تكون الحضارات التي قامت في هذه البلاد متصلة في جذورها بحضارات البلاد المحيطة بها اضافة الى تعرضها الى الغزو المستمر وذلك اثناء مرور الجيوش منها على الدوام . وفي الوقت نفسه لعب سكانها من الكنعانيين والفينيقيين دور الوسيط في نشر المظاهر الحضارية بين شعوب مختلف البلدان ، ولعل اهم مساهمة في تلك المظاهر هي ايصال الكتابة والخط الهجائى الى عالم البحر المتوسط وخاصة العالم اليونانى ، كما اتخذت الامبراطوريات الشرقية ومنها الاخمينيه والهرثية من اللغه والكتابه الارامية وسيلة لتدوين سجلاتها واخبارها ، حيث كانت قد اصبحت لغة التخاطب والأوامر الملكيه ، قبل ان تكون لغة الديانة المسيحية وثقافتها الكنسيه . فلاجل التعرف الى تأريخ البلاد السورية لابد ان نراجع اخبار اقوامها من العموريين والكنعانيين والآراميين .

الفصل الأول
المبحث الاول
- العموريون -

يشير اصطلاح (عمورو) على السكان القدماء للشرق الأدنى ذوو جنس ولغة ومنطقة جغرافية وبنيان اجتماعي متشابه وموحد تغيرت بمرور الزمن خلال الالف الثاني ق٠م

لقد استوطن العموريون في سوريا بعد ما هاجروا اليها من شبه جزيرة العرب وأخذو يتجولون في شمالها حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد قبل أن يستقر بهم المقام في أواسط حوض نهر الفرات ٠ فمن جهة يتصل اسمهم بالمناطق الشمالية لبلاد العرب ، ومن جهة أخرى يتصل هذا الاسم بالكنعانيين٠ وتعتبر هجرتهم مع الكنعانيين الى بلاد الشام أولى الهجرات الكبرى للقبائل العربية قديماً ، وكانت بعض المناطق التي سكنوها تتميز بصبغتها الحضاريه السومرية ، ثم مالبث هؤلاء ان اصبحوا يمثلون غالبية السكان فيها حيث استطاعوا ان ينظموا انفسهم ضمن دويلات قبل الكنعانيين في كل من سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ، وما حل ببداية الألف الثاني قبل الميلاد حتى اصبحت منطقة الفرات الاوسط عمورية في سكانها وحضارتها ونظامها السياسي حيث اسسوا دولة عاصمتها (ماري) جنوب مصب الخابور(١) ، ويظهر انهم استقروا في المجره شرقاً وغرباً من منطقة الجزيره الفراتيه ، فالذين ذهبوا شرقاً اسقطوا سلالة اور الثالثة واسسوا الدويلات الحاكمه التي منها سلالة بابل الاولى ، والتي ذهب منها غرباً عاشت في سوريه وفلسطين والتي سميت ايضاً من قبل الباحثين بالكنعانية الشرقية او ما قبل الآرامية ، وقد اختلطت بعناصر حيثية وحورية ومحلية سابقة وكانت هناك دويلات ومدن عمورية ، منها في عهد الامبراطوريه المصرية مملكة قادش على نهر العاصي والتي وضعت غزوات اهل البحر نهاية لها ٠ (٢) وقد نجح هؤلاء في تأسيس تلك الدويلات في سوريا وفلسطين في بداية الالف الثاني قبل الميلاد بعد ان اجتاح بلادهم سرجون الأكدي حوالى عام ٢٣٧١ ق ٠٠م ٠ اشتهر هؤلاء في التاريخ لأول مره بأسم (مارتو) من قبل السومريين و ب (آمورو) او (عمورو) من قبل الاكديين (٣) وكان يعني الرياح الغربية ايضا/وظهر الاسم ضمن|سلسلة من اسماء بلدان يرجع زمن ذكراها الى الألف الثالث قبل الميلاد (٤) ، وكان يعني في نفس الوقت مفهوم الغرب في لغات سكان

بلاد مابين النهرين . بذلك كان الاسم يعني شمال بلاد العرب ، وبمرور الزمن اصبح سكانها البدو القريبين سبباً في سقوط سلالة اور الثالثة فيما بين ٢١١٢ ـ ٢٠٠٤ ق.م ،(٥) وفي نفس الوقت دعى اهل بلاد مابين النهرين كذلك البحر المتوسط لوقوعها في غربهم ب (بحر عمورو العظيم)(٦) . وفي خلال الالف الثاني قبل الميلاد فان اصطلاح آمورو (عمورو) لم يكن يعني مجموعة بشرية معينة فحسب وانما منطقة جغرافية واتحاد سياسي في كل من سوريا وفلسطين .

وفي رسائل العمارنه كان اصطلاح (عمورو) يعني المنطقة المعزولة بين ميناء أرواد ولبنان التي احتلتها مصر ثم الحيثيين. وفي نفس الوقت فقد ادت هجراتهم وتوسعهم في هذه المناطق ضمن تشكيلات اتحادات قبلية كبيرة باحتلال بلاد بابل وأواسط نهر الفرات فضلاً عن سوريا وفلسطين.(٧) وقد اظهرت التحريات في بعض المناطق (وخاصة في مدينة ماري) عن وجود مواطن ازدهرت فيها الحضارة التي يمكن اعتبارها امتداداً لحضارة وادي الرافدين من العهد الشبيه بالكتابي قبل مجيء العموريين اليها، وقبل ان يغزو سرجون الأكدي بلاد سوريا. وعلى مايظهر فان هؤلاء العموريين اختلطوا بالحضارة السومرية ـ الأكدية في المناطق ذاتها وهم الذين ذكروا في المصادر السومرية المبكرة ولأول مرة في التاريخ حيث يسميهم بعض المستشرقين بالكنعانيين او الكنعانيين الشرقيين.(٨) فهؤلاء هم الذين أسسوا الدويلات الحاكمة التي تلت سقوط سلالة اور الثالثة والتي منها سلالة بابل الأولى(٩) وكان ملوك بابل المحليين (ومن ضمنهم حورابي) من هذا الفرع(١٠)

ولكن في عصر سلالة أور الثالثة كان هناك ثلاث أنواع من مارتو :

١ـ هؤلاء الذين سكنوا بلاد العرب وكان لهم اتصال مع ملوك أور ومن ملوكهم ابيهق ريوم ملك يمات المملكة الواقعة في المنطقة التي اشتهرت فيما بعد باسم احلامو اي بلاد العرب.

٢ـ القبائل التي عبرت النهرين الى التلال الشرقية منها.

٣ـ المارتو الذين سكنوا بين السومريين والاكديين في بلاد مابين النهرين.

وهكذا فان هذه القبائل العمورية البدوية، لاشك انها بعد استقرارها، تعلمت من هذه المراكز الحضارية السومرية والأكدية الكثير مما لها علاقة بالحياة المدنية ودخلت في طور أعلى من التحضر بعدما كانوا متجولين رحل. ولعل اشهر الدويلات التي أسسوها كانت (مملكة ماري) في منطقة الفرات الاوسط التي تأسست في الالف الثاني قبل الميلاد و(مملكة أوبي) التي ضمت مملكة دمشق، ثم كانت حلب مركز لتنظيم سياسي لهؤلاء اشتهر بـ(مملكة أياهذ)، ومن بعد اختلاطهم بالحوريين في فلسطين اشتهر شمال

هذه البلاد بـ(عمورو) كدولة عاصمتها (هازور) وكانت تجاور الصحراء السورية، ويظهر أنهم شكلوا غالبية السكان في سوريا وفلسطين ولابد فانهم شاركوا حملة الاسيويين على مصر بشكل رئيسي والتي اشتهرت بحملة الهكسوس وحكموها لقرن ونصف قرن. وقد شهد مطلع النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد تحولاً في النشاط الدولي الى سوريا التي كان هؤلاء يؤدون الدور الرئيسي فيها، لأن الدولة الحيثية أصبحت من القوة بحيث أخضعت الجزء الشمالي منها لسلطانها بعد ان كانت تسيطر عليه مملكة أياخد ولكن بعد ظهور قوة المصريين في سوريا وفلسطين في عهد الامبراطورية انحصرت الدويلات العمورية وخاصة في الجزء الشمالي من لبنان وحوالى دمشق. لذا فبلاد (عمورو) اصبحت مدار النزاع بين الامبراطورية المصرية والامبراطورية الحيثية، لذا ظهر هنا قسم من الدويلات موالية لمصر وقسم حافظ على استقلاله وقسم كان متقلباً في ولائه. وقد ظهرت الحقيقة في مضمون بعض رسائل تل العمارنة التي توضح احداها عن علاقة احد امراء العموريين المسمى (عبد ـ عشرتا) حاكم مملكة على نهر العاصي الذي كان يتظاهر في ولائه وتبعيته لمصر وسيده الفرعون امنحوتب الثالث ويتعهد بولاء العموريين ايضاً.(١١) ومع تظاهره هذا الا انه كان يساعد الحيثيين في غزوهم للمناطق الكائنة بين انطاكية وجبال امانوس، كما انه استولى لحسابه الخاص على مدن كثيرة في الساحل وفي داخل سوريا.

خلف عبد ـ عشرتا ابنه المعروف بـ(عزيرو) الذي سار على خطة ابيه ووسع من حدود مملكته ايضاً في حماة واقليم دمشق، وقد أخبر بعض الموالين لمصر عن حقيقة موقف هؤلاء، وبالرغم من معرفة المصريين ذلك الموقف الا ان عزيرو وجد الفرصة سانحة على اثر ضعف الامبراطورية المصرية في عهد الملك امنحوتب الرابع (آخناتون) فتشجع في غزو المدن والأقاليم السورية التابعة الى مصر.(١٢) ويبدو ان الملك العموري قد اتفق مع الحيثيين على اقتسام البلاد السورية وذلك بخداعه للبلاط المصري حيث ذهب بنفسه الى مصر مؤكداً خضوعه، ولكن لما عاد الى بلاده استمر في تعاونه مع الملك الحيثي (شوبيلوليوما) ونجح الطرفان في زعزعة أسس الامبراطورية المصرية في سوريا بحيث اضطرت مصر على التخلي عن سورية الشمالية وعن بلاد فينيقية، وثبت الحيثيون سلطانهم في سوريا الوسطى والشمالية. واستمرت الحالة هكذا في الالف الثاني ق. م.

والمصادر المصرية تؤكد التغلغل والاستقرار العموري في فلسطين التي تعرضت لهجمات قبائلهم، كما ونقرأ في سفر العدد ويشوع من كتاب العهد القديم بأن الاحتلال

العبري لفلسطين يقع في وقت لاحق من العصر الكنعاني، ويعتقد بأن جماعات جديدة تسمى (الخابيرو) وكانوا مرتزقة في الجيش الحيثي يتعاونون مع عبد عشترا دخلوا فلسطين، في حين كان العموريون يسكنون التلال في وقت سكن الكنعانيون الساحل والسهول، وقد تشكل هذه الاشارة على وجود العموريين ودخولهم قبل الكنعانيين لأرض فلسطين. وقد وجدت آثار تخريب العموريين في نهاية العصر البرونزي المتقدم بالمدن الفلسطينية عند تل الفرعة الشمالي وخربت كرك وبيت شان (بيسان) وبيت يراح وتل الشونه وأريحه وعاى في منطقة التلال، وعرف العصر بالعصر المظلم، ثم دخلت في وقت لاحق عند بداية العصر البرونزي الأوسط الى فلسطين موجة بشرية جديدة ذات فخار جديد وأسلحة مستحدثة وطرق دفن غريبة وحياة مدنية متقدمة تدل على تملكهم لحضارة غنية الا وهم الكنعانيون، وكانت في نفس الوقت حضارة متماثلة بمنطقة واسعة لاتنحصر فقط في فلسطين بل تمتد من رأس شمرة في اقصى شمال سورية الغربي حتى تل العجول جنوب فلسطين وهي مدينة على مستوى حضاري عال. ويظهر انها نتاج تلاقح حضاري بين مدنيات العصر البرونزي المتقدم وتلك التي للعموريين تمثلت في حضارة مدينة جبيل في لبنان.

وعلى كل حال فان عدم اتحاد المدن العمورية والكنعانية وكذلك الفينيقية في كل من سوريا وفلسطين وكذلك لبنان وبقائها ضمن هيمنة دويلات صغيرة محلية ادى ذلك بمرور الزمن الى خضوعها سياسيا وعسكرياً للامبراطوريات التي ظهرت في بلاد الرافدين وآسيا الصغرى ومصر، وقد صارع الحيثيون بالاخص المصريين على تلك المناطق خلال الالف الثاني ق. م.

وهكذا ظلت هذه الامارات تتأرجح بين الخضوع للحيثيين او الولاء لمصر، وادى الصراع الحيثي - المصري في النهاية الى انتهاء نشاط الاموريين السياسي بعد ذلك التأرجح، كما ان الولايات التي استقلت لفترات قصيرة ساد الصراع خلالها فيما بينهم الى ان قضى الآشوريون والبابليون ثم الفرس على كيانهم ودخلت بلادهم تحت سيطرة الاسكندر بعد قضائه على الاخمينيين، لذا فمنذ ١١٠٠ ق. م. لم يكن قوم ولالغة باسم (عمورو) وانما كان يعني جزءاً من سوريا وفينيقيا وفلسطين وكانت تدمر تدخل ضمنه . لم يطلق العموريون على أنفسهم اسم عموريين ويظهر ان هذا الاسم عراقي قديم، وكانوا بنظر السومريين (بدو متجولين وسكنة الرمال لايعيشون في البيوت ولا يأكلون لزرع واللحوم...).(١٣) وعلى كل حال ففي الفترة مابين ١٦٠٠ - ١١٠٠ ق. م. تلاشت لغة العموريين في بلاد بابل واواسط الفرات ولكنها ظلت في سوريا وفلسطين سائدة ، الا

ان تسمية (عمورو) في المدونات الآشورية منذ ١١٠٠ ق· م· كانت تعني جزءاً من سوريا وكل فينيقيا وفلسطين، لكنها لم تكن تعني مملكةً او لغةً او قوماً معيناً بعد ذلك·

اشتهر الاله الرئيسي للعموريين بنفس التسمية (الرب عمورو) اله الحرب الذي نلحظه في اختتام العصر البابلي القديم الاسطوانية وهو زوج الالهة (أشيرات وهي عشتار البابلية) ، وفي الوقت الذي كان فيه رب جبلي صياد ومحارب كانت زوجته نصيرة الحلات الموحلة القاحلة، وقد انتشرت عبادته بشكل غير واسع في بلاد الرافدين خلال العصر البابلي القديم· وقد امدتنا نصوص ماري بالكثير من المعلومات عن الدين العموري وخاصة ماوجد في قصر زيمريليم ١٧٥٩ ق· م·، ولاتتوقف اهمية هذا القصر بما فيه من مكتبة للرقم وآثار منقولة وتلوينات جدارية على انه فقط من اهم المكتشفات التاريخية في الربع الثاني لهذا القرن بل لكونه ايضاً آبدة تأريخية عظيمة تشهد على عظمة الملكية في معتقد الساميين الغربيين لهذا العصر المزدهر·(١٤) ويعتقد ان العموريين جعلوا من موقع ماري (تل الحريري) مركزاً لدويلة نشأت على انقاض مستوطنة ذات حضارة سومرية الى ان قضى عليها حمورابي وضمنها الى امبراطوريته ايام زيمريليم بعد ان حرق المدينة ودمرها بعد ذلك اثر انتفاضة قامت هناك ضده (١٥) وقد اكتشفت بعثة فرنسية في هذا الموطن وفي قصر زيمريليم بالذات اكثر من ٢٠٫٠٠٠ لوح من الألواح الطينية المكتوبة بالخط المسماري·(١٦)

كانت اللهجة المدونة بها هذه الألواح تميل الى اللّهجات ، الغربية لسكان جزيرة العرب (١٧) وكانت تتضمن انواعاً مهمة من الوثائق والسجلات الملكية والخاصة ، ومنها الرسائل والوثائق التجارية والادارية الخاصة لزيمريليم، وقد ألقت هذه الوثائق المدونة ضوءاً كاشفاً على جوانب مهمة في تأريخ بلاد الشام والعموريين بوجه خاص خلال الألف الثاني ق· م· وتأريخ الشرق الأدنى بوجه عام، كما تحتوي اخباراً عن نواح مهمة من الحياة السياسية والعلاقات الدولية بين سورية ودول وادي الرافدين وعن تعاصر ملوك ذلك الزمن· وقد وردت فيها اخبارٌ عن الدويلات العمورية الأخرى مثل (خلبو) اي حلب التي اشتهرت بعاصمتها (اياخد)، وكذلك مدينة جبلا (جبيل الحالية) ثم المركز التجاري الهام للعموريين مدينة (قطنا) قرب حمص الحالية·

وعلى العموم فأن ديانة العموريين كانت تشبه في اصلها ديانة سكان وادي الرافدين وسوريا وقد عبدوا اضافة الى الاله (عمورو) الاله (حدد) رب المطر والزوابع، والاله رشف اوريشوف (وهو احد الهة الفينيقيين) ، كما عبدوا الاله (داجون) او (دجان) والالهة عشتار

(آشيراتـ) الهـه الحب. ومن الطقوس التي ادخلها العموريون الى جنوبي سوريـا العمود المقدس وكان يمثل الـه القبيلة ويقام في مكان مطهر الى جانب مذبح. وقد تـابع الكنعانيون النظم والعادات الـدينيـة للعمورين. ومن جهـة اخرى فـان تقـدم الفن عنـد العموريين تشهد به الآثـار التي عثر عليهـا في مـارى وقطنـا وحمـاة والألاخ وحلب وايبلا (تل مرديخ) في سوريـا وعلى الاخص قصر زيمريليم ملـك مـارى المعاصر لحورابي عـاهل بابل، والذي ترينا خطة قصره وزخارفه التأثيرات الفنية المختلفـة فيـه نتيجـة الاتصـالات الدولية الواسعة لماري. والقت المصـادر المصريـة من المملكـة الوسطى منـذ عهـد الفرعون منتوحوتب الثـاني اضواءً على تلـك التـأثيرات، حيث احتوى ذلـك القصر نحو ٣٠٠ غرفـة فيها الواح جدارية جميلة بالعمارات ورسوم متقنة الصنع للرجال وكانت ساحـة القصر اكثر من ستة فدادين وفيه تسهيلات للاستحمام وتصريف المياه.

اما عن لغتهم فهناك نظريـات تقول بـان العموريين تـداولوا لغـة شبيـه بـالاكـديـة ولكن ومن خلال اسماء علم واسماء قبائل عمورية التي تتصل بوقت متأخر ظهر بـأن تلـك اللغـة تختلف عن الاكـديـة الا انها وسـط بينهـا وبين بعض اللغـات الاخرى من نفس الفصيلـة. وفي خلال القرن السـابع عشر والسـادس عشر حـدثت هجرات كبيرة لقبـائـل جزيرة العرب توزعت فيما بين بلاد الرافدين وبحر المتوسط وكانت لغة هذه القبائل لهجـة من تلك اللهجات الجزرية التي سميت بالكنعانية التي انقسمت الى لهجتين الشرقية في بابل والفرات الاوسـط والغربيـة في فلسطين ووجـود عـدد كبير من الصفـات المشتركـة بين الكنعانية والعمورية جعلت الشعبين كثيراً مايقرنان سوية حتى سنين متـأخرة من العصر الكنعاني (حوالي ٥٠ ق. م.) ويمكننا التأكد بان اللغة العمورية اختلفت عن الكنعانيـة من حيث اللهجـة فحسب، ويمكن اعتبـارهـا بـالواقع لغـة كنعـانيـة شرقيـة تقـابل اللغـة الكنعانية الغربية او الفينيقية .

المبحث الثاني
ـ الكنعانيون ـ

يحتمل ان تسمية (كنعان) تعني الارض الارجوانية الحمراء.[١٨] فلقد وردت كلمة (كناكّي Knaagi في اللغة الحورية وتعني اللون الأحمر، وتقابلها في الأكدية كلمة (كناخى) وهي في الفينيقية (كينع) وفي العبرية (كنعان) وكلها مسميات تعني الحمرة الارجوانية.[١٩] وكنعان هو التسمية القديمة لبلاد فلسطين مثلما شوهدت في التوراة، وفي الكتابات المصرية القديمة. (نصوص العمارنه) جاءت التسمية بصيغة كيناخخي Kinakhkhi او كيناخنى Kinakhni وعلى ما يظهر فانها كانت تعني في الأصل جزءاً من ساحل بحر المتوسط عند اقرع (عكّو) التي تكثر في جهاتها الشمالية مناطق ارجوانية حمراء. وقد ترجمت هذه التسمية الى اليونانية كـ(فينيقيا) الاسم اشتق من كلمة) Phoinix) بمعنى (اللون الارجواني)، وقد تعني نوعاً من النخيل ينمو على شواطئ هذه النواحي. وعلى كل حال فان التسمية اليونانية والسامية القديمة تعنيان معنى واحداً، وفضلاً عن ذلك فان هذه المدن الساحلية الواقعة على البحر المتوسط تخصصت منذ عرفت في صناعة نوع من الصبغة الارجوانية كانت تستخرج من حيوانات بحرية رخوة[١٩]

وفي رسائل تل العمارنه التي ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد هناك اشارات الى المقاطعات المصرية باسم (كنعان) بسوريا السفلى تبدأ من حماه (حماث) في الشمال لحد (غزة) في الجنوب ويحتمل انها شملت كذلك جزءاً من غربي الأردن. وذكر الكنعانيون بعض الاحايين كقوم متميزون وكانت التسمية تعني مفهوم التاجر [٢١] أحياناً اخرى. فربما كانت هجرة الكنعانيين قد قدمت من جبيل نحو المواقع الفلسطينية بأعداد قليلة في البداية لا على شكل غزو منظم واحد على اية حال.

ويمكن دراسة تأريخ وحضارة الكنعانيين من خلال الحفريات الأثرية التي جرت في بلاد سوريا وفلسطين ومن مصادر كتابية مدونة، وقد جمعت هذه المعلومات في القرن العشرين وألقت اضواءً على تأريخ المدن الكنعانية كأوغاريت، شخم، قطنا، مجيدو عاى، لاخيش، اريحه، جبيل (بيبلوس)، بيث شان وغيرها، كا درست المعابد والتلال الواقعة في بلادهم اضافة الى المدونات الكتابية التي اضاءت حقيقة العلاقات السياسية فيها وبالأخص الرسائل التي ارسلها ملوك الدويلات السورية والفلسطينية خلال القرن الرابع عشر الى فراعنة مصر، وبعد ان اكتشفت الألواح المكتوبة في رأس شمرا (اوغاريت) عام ١٩٢٩م التي تتحدث حول شئون ادارية في اوغاريت استطعنا التعرف على مجموعة من القصائد الدينية وادعية كانت تتلى في المعابد في نفس المرحلة التأريخية.

ويظهر ان هذه الادعية والقصائد قد شوهت بشكل او بآخر في التوراة او في المصادر المصرية ونسبت من بعد ذلك الى الكنعانيين. وعلى كل حال فان بلاد كنعان تعتبر من المساكن القديمة التي آوى اليها الانسان القديم، وتطورت فيها الحياة بشكل تدريجي، لذا فقد استوطن الكنعانيون في بلاد كانت موطن الانسان في العصر الحجري القديم وقد اكتشفت فيها هياكل انسان من النوع النياندرتال (انسان فلسطين) ووجدت آثار ذلك العصر في جبال الكرمل وعلى البحر الميت وفي وادي النطوف شمال غرب القدس، هذا بجانب بقايا مجتمعات الحضارة الميزوليثية (٨٣٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق. م). (٢٢) كما يظهر ان الانسان تحول هنا الى حياة الاستقرار ضمن القرى البدائية في العصر النيوليثي (فيما بين ٧٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ ق. م.) التي اكتشفت فيها مجموعات كبيرة من التماثيل المصنوعة من الطين المشوي في الطبقات السفلى. وقد استخرجت من مدن مجيدو وبيت شان وبالأخص تلال (غسول) شمال البحر الميت مواد متنوعة تتصل فنونها بفنون العصر الكالكوليتي (٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق. م.)، وبنيت البيوت في هذه القرى بأحجار غير مقطعة وبحيطان مصنوعة من الطين بوضعية هندسية متميزة وكان هناك دلائل حول دفن الموتى داخل الجرّة. (٢٣)

وقد عثر على آثار العصر البرونزي في مواقع عدة من بلاد كنعان وتظهر انها كانت نتاج جماعة اخرى. وفي أواخر هذا العصر دخل العموريون الى هذه البلاد وأخذوا يؤثرون على وضع البلاد العام. (٢٤) وعلى العموم فان سكان فلسطين في هذا العصر ذوى حضارة ذات علاقة وثيقة مع تلك في جبيل بلبنان وجنوب سوريا، كما القت المصادر المصرية من المملكة الوسطى منذ عهد الفرعون منتوحوتب الثاني (السلالة الحادية عشر ٢٠٦٠ ـ ٢٠١٠ ق. م.) اضواءً على الحالة في ارض كنعان. فمنذ عهد هذا الملك اخذت تصل الينا الاشارات عن عمليات عسكرية له في آسيا. فقد زينت نصبه التذكارية بصور اقوام مختلفة غزاها في آسيا، واستمرت هذه العمليات العسكرية في زمن امنمحات الأول من السلالة الثانية عشرة وكذلك سيزوستريس الأول. وقام من بعدهم الفرعون سيزوستريس الثالث بالحملة على تلك البلاد عام ١٨٥٠ ق. م. ووصل حتى شخم في فلسطين حيث سيطر على المدينة على ما يظهر. (٢٥) وبعد قرن من الزمان وقعت بلاد كنعان تحت سيطرة الهكسوس (او أمراء أجانب) كانوا مختلطين من الآسيويين ومن أقوام هاجرت الى هنا من الشمال. وبتقدم الهكسوس من مصر هجر الكثير من الجموع العمورية مواطنها في اواسط سورية متقدمة نحو شرق الاردن وفلسطين مكونين (مملكة باشان) كما سكنوا مناطق واسعة من فلسطين مثل منطقة التلال في غرب الاردن وشخم

وعجلون وشمالبيم وجيبيون (موقع الجب الحالي) والقدس ولاخيش ويارموث ومواقع اخرى. ففي عصر الهكسوس بفلسطين حدث توسع وتقدم اقتصادي لدويلات اقطاعية على مايظهر، حيث نمت المدن المحصنة وازدهرت التجارة، ولو ان هناك هجرات حورية الى هذه المناطق في تلك المرحلة من التأريخ، لكن البلد ظل كنعانيا صرفاً، مع كون الهكسوس في هذا العصر يمثلون الطبقة الارستقراطية الحاكمة. فرسائل تل العمارنه توضح ضعف السلطة المصرية وانهيار ادارتها بأرض كنعان في بداية النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد وخاصة عندما ظهر قوم فيها باسم (الخابيرو (Khapiru) (٢٧) الذين لايخضعون لسلطان ولايمتثلون لقانون او نظام وغزوهم المدن واحتلالهم الاراضي ونشرهم الرعب بين الناس وخوف الحكام منهم وقد تعاظم خطرهم بمرور الزمن. فأخبار هذا العصر تعطينا دليلاً واضحاً على كثرة الأجناس وأختلاف الهويات في الاراضي الكنعانية. ففي المرحلة التي تسبق هذا العصر، اي في القرون الثامنة عشرة حتى السادسة عشرة كان قد دخل الكثير من الحوريين الى هذه البلاد جنباً الى جنب بعض من الحيثيين وأقوام اخرى، فخلقت هذه الظاهرة وضعاً متشابكاً مرتبكاً فيما بعد.(٢٨) ولكن تدخل هذه البلاد بعد هذه الفترة المضطربة تحت السيطرة المصرية في العصر الذي اطلق عليه الآثاريون البرونزي المتأخر (١٥٠٠ ـ ١٢٠٠ ق. م).(٢٩)

وفي القرن الخامس عشر غزا تحوتمس الثالث بلاد كنعان واستولى من بين ماستولى على مدن جوبيا، ليدا، كَيزير، تانخ ومجيدو واستمر نحو الشمال الى ان وصل الى حلب حيث التقى بقوة وحدود الحيثيين في آسيا الصغرى. ولكن الحيثين استطاعوا ان يستعيدوا السيطرة على شمال سوريا بعد تلك الفترة وقد وصلوا لحد جبيل (بيبلوس). واصبحت بلاد كنعان نقطة صراع بين الامبراطوريتين الحيثية والمصرية ، الى ان فقدت مصر نفوذها منها ايام الفرعون آمنحوتب الرابع (اخناتون (١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق. م) . واعاد كل من سيتي الاول وابنه رمسيس الثاني (١٣٠٤ ـ ١٢٣٧ ق. م) السيطرة ثانية على تلك البلاد. وبالرغم من الأخبار التي دونت في مصر عن انتصارات رمسيس الثاني في معركة قادش مع الحيثيين على نهر العاصي (عام ١٢٨٨ ق. م) لكن يظهر ان نهر الكلب شمال بيبلوس وجنوب رأس شمرا اصبح الحدود الدولية بين الامبراطوريتيين. ولكن خلال الفترة النهائية للعصر البرونزى انهارت الامبراطورية الحيثية امام هجمات الاقوام التي اجتاحها من الشمال.

ومع بقاء النفوذ المصري ضمن حدود امبراطوريتها في تلك الآونة الا ان المدن القوية كان يهمن عليها الكنعانيون. ومع ذلك فقد دخل البلاد اقوام جدد اشتهروا

بـ(الفلسطينيين) وهم هنـود اوربيـون قـدمـوا بنسـائهم وأولادهم على عجلات ليستقروا في سوريـا وفلسطين ومصر، وقـد جـاربهم رعمسيس الثـالث (١١٧٩ ـ ١١٤٧ ق. م.) في سنـة ١١٧٤ ق. م. وقتل منهم الكثيرين. جاءوا من كريت وسلك بعضهم جزر البحر المتوسط وأخذوا يفدون الى سوريـة على عجلات ضخمـة تجرهـا الثيران، وكانوا حسني التسليح... ووضعوا حـداً لقوة مـدينـة اوغـاريت وسـاروا على طول الساحل الفينيقي متجهين نحـو فلسطين. وتهيأ رعمسيس لصدهم فقوى حـدوده وجمع اسطولاً ضخماً، وذكر لنـا اصطـدامـه في سنته الثامنة وأسماهم بالدانو والدانونـا وبلشت (فلسطينيين) والزكارة. ولا نعرف مكان التلاحم المصري ـ الفلسطيني، كما انتصر رعمسيس في معركتـه البحريـة معهم وكسرهم.(٣٠) الا ان الفلسطينيين استمروا في الايفاد الى سوريـا وفلسطين وسكنوا في المـدن الكنعـانيـة الهامة التالية (غزة وعسقلون وأشدود وايكرون وجرار).(٣١) وقـد اسسوا مستعمرتين فقـط عنـد اللـد (ديوسبوليس) وصقلغ Kiklag وتقـدموا نحو الـداخل وتغلغلوا في بعض المـدن الكنعانية الأخرى. وظلوا بادئ بدء لايختلطون بـالسكان في ارض كنعـان وشكلوا طبقـة عسكرية خاصة عاشت في الحاميات التي انشؤوها يعيشون داخلها وفقاً لمتطلبـات الحيـاة الأجنبية التي الفوها. وقد تأثروا بحضارة البلاد الكنعانية ولغتها.(٣٢)

دخلت البلاد الكنعانية في عصرها الحـديـدي بـدخول الفلسطينيين اليهـا وذلـك لأن الحديد عم وانتشر فيها ومعالم المدنيـة الفلسطينيـة أتتنـا من التنقيبـات في جنوب فلسطين ومنطقـة النقب. وقـد ظهر في هـذه الفترة نوع جـديـد من الفخـار في السهل الفلسطيني خلال العقود الاولى من القرن الثاني عشر ق. م. وبقي حتى نهاية القرن اللاحق.

اثنـاء تواجـد المصريين في بلاد كنعـان بـدأ السكان هنـا يـدفنون موتـاهم في تـوابيت طينية بأشكال بشرية وضع فوقها من الجهة العليا تماثيل بشريـة، وقـد بـدأ الفلسطينيون فيما بعـد بتقليـد تلـك المراسيم في الـدفن كما تـأثروا في صنـاعـة الفخـار بـالفنـون المصريـة والقبرصية والمحلية.

فيما بين نهايـة العصر البرونزي وبـدايـة عصر الحـديـد، حوالي عـام ١٢٥٠ ق. م. بـدأ الغزو العبري لأرض كنعان، واضافة الى غزوهم لها بدأوا بالتزاوج مع سكانهـا، وقـد تـأثروا حضـاريـاً بـالكنعـانيين. لكن العمونيين قـاومـوا العبريين مقـاومـة شـديـدة، كما اصطـدم الفلسطينيون بهم وقادوا مقاومة عامة للسكان ضد المحتلين.

وعلى كل حـال فـان الكنعـانيين انتشروا عن طريـق التجـارة منـذ عـام ١٠٠٠ق.م. في المستعمرات البحريـة كقبرص وصقليـة وسردينيـا وحتى اسپـانيـا، ودخلت بـلادهم فيما بعـد ضمن

الامبراطورية الاشورية ثم الكلدانية، واحتلها فيما بعد كل من الفرس الاخمينيون والمقدونيين الى ان اصبحت تحت الاحتلال الروماني والبيزنطي في مطلع العصر المسيحي.

لقد تأثرت بلاد كنعان من خلال اتصالها الحضاري بالشعوب الآسيوية والسيطرة المصرية وهجرة شعوب البحر من اليونان وجزيرة كريت وغيرها بفنون واديان مختلفة ومتباينة. وكل ماالكتشفت في مدنها تدل على ذلك الترابط الحضاري اما مايتعلق بالدين الكنعاني فقد اكتشفت بعد سنة ١٩٢٩م نصوص دينية في رأس شمرا تدلنا بوضوح الى ذلك الجانب من الحياة الروحية للكنعانيين، وان اغلب تلك النصوص ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

ان الاله المعترف به في هذه البلاد اشتهر باسم (ئيل) لكن صفات قوة الخصب والمطر جسدت في الاله (بعل) او (حدد)، وكان هناك آلهة لا يقلون اهمية عن هؤلاء مثل (رشف) اله العذاب والعالم السفلي، والاله (كوثار) الخبير المقدس وكذلك الآلهة (عشيرات) زوج (ئيل) والعذراء (انات). وان قصة المقاومة ضد (يام) اله البحر والانهار متصل ببعل كاله الامطار. وعلى كل حال فان الاله (ئيل) كان يشرف على مجاري الأنهار وعلى التنبؤ بسقوط الأمطار وكانت زوجه هي (ايلات) التي عرفت كذلك بـ(عشيرات البحر) التي ولدت ابن لحدد باسم (عليان بعل) كان له الاشراف على مياه الارض والبحر معاً، وهو منبت الحب، كما هو اله الفيضان وكان لهذا الاله اخت هي (عنات) وهي عذراء محاربة لها صفات (عشتار) وكان (عليان بعل) الها عاماً ومن اسمائه (ئيل) ...وكان يعني في الاذهان احياناً (الشمس).(٣٣)

اما اللغة الكنعانية فهي من لغات شعوب جزيرة العرب التي تتصل بشكل كبير باللغة العمورية والفينيقية وقد دونت بها لاول مرة نصوص بالالفباء الذي اشتهرت عند المستشرقين بالالفباء الفينيقي الذي تطور فيما بعد عند اليونان والرومان واشتهر باسمهم. وقد اكتشف اثر لهذه الكتابة الكنعانية التي ترجع الى العصر البرونزي المتأخر في مدينة لاخيش وكذلك في بيث شمش ولكن في رأس شمرا (اوغاريت) استعملت الخطوط المسمارية في التدوين.(٣٤)

لم يتح للكنعانيين تكوين دولة كبيرة موحدة، وانما كانوا منقسمين الى وحدات او دويلات صغيرة على غرار دول المدن حيث مركز الدويلة مدينة مهمة محصنة ذات قلاع وحصون . ولكن لم تسلم مثل هذه المدن ودويلاتها من ان تكون فريسة للغزو من الخارج، ومما سهل ذلك انها لم تكن متحدة الا في حالات كانت تقتضيها مصالح سياسية

او اخطار مشتركة . ومن المدن التي كانت لها اهمية في بلاد كنعان مدينة بترونا وجبيل وبيروت وصيدا وصور وعرقه وغزة وصقلون وكلها كانت على الساحل اما في الداخل فاشتهرت كل من مدن جزير ومجدو وغيرها. واذا لم تستطع الدويلات الكنعانية ان تكون دولاً كبيرة تشتهر بالفتح والغزو فان الكنعانيين وجهوا همهم الى تنمية نواحي الحياة الاخرى كالزراعة والصناعات المهمة والتجارة الخارجية واقامة المستعمرات التجارية خارج موطنهم. وكانت الزراعة والصيد (ولاسيما صيد الاسماك) والتجارة الخارجية اسس الحياة الاقتصادية عند المجتمعات الكنعانية، ومع ان الرقاع القابلة للزراعة غير واسعة الا انهم استغلوا كل بقعة في الجبال مهما صغرت، حتى انهم غرسوا شرفات الجبل بالاشجار المثمرة كالكروم والتين والرمان والتفاح، واستغلوا كذلك زراعة اشجار الزيتون. وكان الفلاحون يكونون الطبقات الدنيا في المجتمع، والصناع والتجار الصغار الطبقة الوسطى في المدن الكنعانية بالمقارنة مع ملاكي الارض الكبار.

ومن الصناعات المهمة التي اشتهر بها الكنعانيون صنع الفخار الذي بلغ طوراً عالياً من الاتقان منذ منتصف الالف الثاني ق. م. كما عرفوا تعدين النحاس والبرونز منذ بداية الألف الثاني ق. م. وبدأوا يستعملون الحديد بكثرة منذ الألف الاول ق. م. ، وقد ساعدتهم أسفارهم التجارية للحصول على المعادن كالقصدير لصنع البرونز. وقد ترقى فن الصياغة عندهم بشكل واسع.

وبرع الكنعانيون في صناعة الزجاج ايضاً، كما كانت صناعة النسيج مثل نسيج الاقمشة الصوفية من الصناعات الوطنية الكنعانية المهمة ولكن المنسوجات القطنية عرفت في الازمان المتأخرة. ومن الصناعات المهمة في بلاد كنعان كانت صناعة الاصباغ ولاسيما القرمز والارجوان، حيث تكثر انواع المحار التي يستخرج منها هذه الاصباغ في سواحل البحر المتوسط، واشتهرت (صور) بهذه الصناعة شهرة واسعة. (حول تفاصيل موضوع الاقتصاد، الزراعة، الصناعة راجع فليب حتي المصدر المذكور في الهوامش من ص ٩٤ - ١٠٤)

ومن جهة اخرى فقد اقتبس البعض من ادب الكنعانيين ولاسيما العبرانيون.

وقد وجدت مجموعة الواح مكتوبة بعلامات مسمارية في اوغاريت وهي انواع الحروف الهجائية من القرن الرابع عشر ق. م. وقد كتبت بلهجة من اللغة الكنعانية. اما مادتها فتدور حول قضايا دينية، وتعد من اقدم نماذج للآداب الكنعانية التي اثرت على العبرانيين. وترينا الاساطير الدينية في هذه الكتابات الكنعانية انهم عبدوا القوى الطبيعية المنتجة المولدة وقوى النمو والخصب مما يميز المجتمعات الزراعية. ومن جانب آخر

فقد تأثر الكنعانيون، مثل غيرهم من الأقوام التي استوطنت سوريا في الحضارات المجاورة التي ظهرت في البلاد المجاورة لهم ولاسيما حضارة وادي الرافدين ووادي النيل.

وقد اسفرت التحريات في بلاد الشام عن الكشف عن المعابد القديمة ويرجع بعضها الى الالف الثالث قبل الميلاد وخاصة في اريحه، ومجدو وبيت شان واوفاريت. والى جانب هذه المعابد استعمل الكنعانيون لعبادة آلهاتهم معابد محلية في العراء، في قمم التلال. كما دلت محتويات المدافن الكنعانية على وجود فكرة عودة الحياة من بعد الموت. مع كل ماتقدم يمكن القول بأن الكنعانيين لم يصبحوا قط ذوي حضارة خاصة مع ان امكانياتهم الشعبية كانت قد تخولهم ذلك،[٣٥] الا ان وضعهم الجغرافي، بقطنام الموانئ البحرية وتلك الجزر القريبة من الساحل واختراق جبال لبنان الغربية والشرقية لبلادهم، جعل منها مضايق سهلية مفتوحة على البحر والى الاجانب، كما خلق منها بالمقابل ايضاً بلاداً داخلية تواجه الصحراء معرضة الى البدو المصطبغين بطابع اقليمي خاص. وبهذا كتب لهم بذلك ان يقوموا بالدرجة الأولى بدور الوسيط بين مراكز الحضارات الكبيرة، مصر وآسيا الصغرى، وبلاد الرافدين.

المبحث الثالث
مملكة أيَمْخَد في شمال سوريا

من بين الدويلات التي قامت في بلاد سوريا والتي تدل بقايا آثارها على انها تعود الى حضارة كنعانية خاصة كبيرة مزدهرة كانت مملكة أيمخد التي ظهرت في شمال سوريا وتمركزت في موقع تل عطشانة (ألالاخ قديما) قرب مدينة حلب.(٣٦) وقد بدأت الحفريات في ألالاخ عاصمة ايمخد بين عامي ١٩٣٦ ـ ١٩٤٩م التي استخرجت منها آثار من مختلف العصور، واظهرت بقايا الطبقة السابعة عشرة من هذه مدينة انها ترجع الى العصر البرونزي الأول واحتوت معبد المدينة الذي استمر للعصور التالية. وتدل بعض البنايات في الطبقة السادسة عشرة ان سكان المدينة كانوا في اتصال مع الحضارة المصرية وكانت الحياة مزدهرة فيها حيث تليها طبقة تدل على تدهور تلك الحياة المزدهرة التي ظهرت خلال العصر النيوليثي في تلك المناطق واستمرت حتى العصور التاريخية. ان الأختام الاسطوانية التي تصور بعض جوانب الحياة في مدينة ألالاخ استخرجت من الطبقات الثالثة عشرة والثانية عشرة تماثل الاختام السومرية من العصر السومري القديم مما تدل على الاتصال الحضاري بين هذه البلاد وسكان شمال سوريا عامة بالحضارة السومرية منذ مطلع العصر التأريخي. وان ماتبعته من مكتشفات مماثلة في الطبقات العليا اكد استمرار ذلك الاتصال الحضاري. ومع ذلك فان فن البناء بشكل عام كان في هذا العصر فناً محلياً لذا فان طراز بناء المعبد هو طراز سوري محلي الذي ظل مستمراً للعصور التالية تتميز بها بنايات شمال سوريا، وخاصة ماوجد منها في (سلمية). ازداد التأثير الحوري منذ منتصف الألف الثانية ق. م. على بلاد مملكة ايمخد ومنطقة تل العطشانة، ثم شاركه التأثير الحيثي الذي اتى من آسيا الصغرى واندمج بمظاهر الحياة العامة فيها.(٣٧) فلولا اكتساح الشعوب الجبلية الخاطف والمفاجئ في الالف الثانية لهذه المنطقة، ومن ثم سيطرة الهكسوس والحوريين عليها .

اكدت المكتشفات في موقع ألالاخ عن وجود قصر غير معروف الأسس يعود الى عصر (ياريملم) ملك ايمخد الذي عاصر (زيمريليم) ملك ماري و(حورابي) ملك بابل. وقد وجدت آثار لهذا الملك كذلك في (جبول) بالقرب من حلب، وتحتوي على تمثال له ولرأس اله. كما ان هناك تماثيل صغيرة من نحاس وأختام اسطوانية جميلة الصنع وجدت في مناطق مختلفة لهذه المملكة، وان هذه المكتشفات لأشياء كان لها ان تقود الى حضارة كنعانية خاصة كبيرة مزدهرة، لو لم يقدر لتصورها ان ينتكس. واضافة الى تلك

المكتشفات فكان هناك الواح تعود الى الملوك (ياريم لم‌حموراي و نهمى ايبوخ) وهي من نفس العصر، كما ان هناك بعض الدلائل حول علاقات ياريم لم مع ملك اوغاريت، والمواد التي استعملت في بناء قصره ومحتوياته تلقي ضوءاً على اهمية المدينة التجارية واتصالاتها وثرائها وعلاقاتها الحضارية. ومن خلال الفن المعماري لقصر ياريم ليم يمكن التعرف على ذلك التشابه بينه وبين ماستعمل من فن معماري في قصور مدينة كنوسوس في جزيرة كريت. وقد استمرت تلك العلاقات الحضارية الى وقت متأخر مع كل من قبرص والحضارة التي انتشرت في سواحل بحر ايجه كما اتصلت مباشرة مع المواقع الحضارية الاخرى في سوريا وفلسطين.

وعلى العموم فان ظروف الاقليم السوري الجغرافية لاتجعل من جهة واحدة ان تؤثر عليها وانما حدودها المفتوحة من كل الجوانب جعلتها ان تكون حلقة ذلك الاتصال. وهكذا نجد ان (لوكال زاكيزى) حاكم (أوما) في بلاد سومر يدعى بأنه غزا سوريا، كما وصل (سرجون) الاكدي في فتوحاته الى لبنان، ثم تمكن (نارام سن) الاكدي من السير في فتوحاته شمالاً حتى اخضع حلب،(٣٨) ودخلها فيما بعد الحوريون ثم وصلت اليها قوات فراعنة مصر حيث اصبحت البلاد التي قامت فيها مملكة ايمخد نقطة صراع وخلاف بينهم وبين اطماع الحيثيين في آسيا الصغرى. وعندما ازدادت قوة العموريين وزحفوا على طول نهر الفرات اصبحوا حكاماً لكثير من بقاع بلاد النهرين وسوريا. ولكن قسمت هذه البلاد نتيجة اطماع الدول العظمى واطماع ملوكها المحليين الى دويلات صغيرة تستمد حتى قوانينها الداخلية من الخارج ومن طريقة تفكير اجنبية غريبة. وحتى ان دولة عمورو في وسط بلاد الشام، التي تشير من خلال لفظ اسمها الى ذلك العصر الذي أسست فيها سلطتها هنا في الغرب والتي حاولت حتى لعصر (تل العمارنه) الابقاء على تقاليدها، لم تخرج عن هذه القاعدة او شذت عن هذا الخط.

لقد كان امير هذه الدولة (ازيرو) اكثر افتقاراً للمثل العليا من غيره من ملوك الدويلات الأخرى.(٣٩) وأخيراً وجدت دولة الحيثيين فرصة للتوسع في الاقليم السوري وبدأوا بالقضاء على مملكة ايمخد، ودمروا عاصمتها حلب في اواخر القرن السادس عشر ق. م. (٤٠) وعلى اغلب الاحتمال فان هذه الحوادث كانت نتيجة لحملة الملك الحيثي (مورسلي الاول) عام ١٥٩٥ ق. م. على شمال سوريا وتوجهه نحو بابل ووضعه نهاية للسلالة العمورية التي كان حمورابي من اشهر ملوكها.(٤١) ثم اشتد التنافس بين الحيثيين

والمصريين من اجل السيطرة على هذه البلاد، وفي سنة ١٥٢٧ ق٠ م٠ وصل تحوتمس الأول الى سوريا لاخماد الثورات التي قامت فيها، وتمكنت القوات المصرية من الوصول الى النهرين بلا نزاع ولامقاومة تذكر٠ وقد ورد اسم (النهرين) على الآثار المصرية واطلق هذا الاسم على البلاد الممتدة من نهر الاورونط الى الفرات وآسيا الصغرى٠ وقد شبت في تلك الجهات ثورة شديدة لبعدها عن مصر وحصلت فيها موقعة حربية كبيرة انتهت باسر عدد كبير من السوريين.(٤٢)

وشيد تحوتمس الأول اثراً حجرياً على منحنى الفرات الكبير بالقرب من البحر الابيض المتوسط ذكر فيه ان ذلك المكان هو الحد الاقصى لممتلكات مصر الآسيوية.(٤٣)

ولكن بعد موت الملك الحيثي مورسيلي الأول حدثت مشكلة النزاع على تولي السلطة في بلاد اسيا الصغرى مما أدت الى توسع نفوذ المصريين في الجهات الشمالية لسوريا٠ وبعد ١٥٣٠ ق٠م استطاع (تيليبينوس) من تنظيم شؤون الدولة وتطبيق القوانين فيها٠ وبعد هذا الملك لاتساعدنا المصادر في تتبع احداث مملكة الحيثيين لحد ظهور المملكة الحديثة (١٤٠٠ ـ ١٢٠٠ ق٠م) وقد وصلت المملكة الحيثية في زمن حكم شوبيلوليوما الأول (١٣٨٠ ـ ١٣٤٠ ق٠م) الى اوج عظمتها وقد غزا بلاد ارزاوا وحارب الميتانيين.(٤٤) وفي زمن مواتاليس (١٣٠٦ ـ ١٢٨٢ ق٠م) كان الصراع مع مصر على اشده الذي انتهى زمن خاتوشيلي الثالث (١٢٧٥ ـ ١٢٥٠ ق٠م) باتفاق الطرفين عن طريق المصاهرة٠

ومع ان تأريخ تدمير حلب والقضاء على مملكة ايمخد وظروفه غير مؤكدة الاانه يجب وضع هذا الحادث حسب تأريخ سوريا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد٠ فبعد موت مورسيلي الأول ضعف الحيثيون وتمكن خلال هذه الفترة الميتانيون من تأسيس مملكة (خاني كالبات) في شمال بلاد مابين النهرين، وكانت احدى الوحدات السياسية التي انتظم فيها الحوريون من السيطرة على شمال سوريا حوالي ١٥٠٠ق٠م، وهي المناطق التي استعادها منهم تحوتمس الثالث في حملته الثامنة عام ١٤٥٠ق٠م ولكن المملكة الميتانية اعادت سيطرتها على شمال سوريا بعد ان اصبحت القوة الفعالة في غرب آسيا فترة من الوقت(٤٥) وربما كان غزو الحيثيين لحلب يرجع الى انهم ارادوا عقاب هذه المدينة على عودتها للخضوع الى المملكة الميتانية، ولذا يرجح ان غزوها لايمكن ان يكون متأخراً عن هزيمة (هاني كالبات) على يد تحوتمس الثالث في سنة ١٤٥٧، وليس من المستبعد ان يكون الحيثيون قد قاموا بهذا الغزو بالاتفاق مع الملك المصري الذي استلم هدايا من الحيثيين، وهذا مايفسر لنا سبب عدم وجود اي اشارة في النصوص

المصرية الى الاستيلاء على حلب في هذه الحملة.(٤٦) وقد سببت بروز ميتانى ازمة جديدة للمملكة الحيثية، فبعض المقاطعات التي كانت فيما مضى تسير في فلك الحيثيين انضمت الى القوة المنافسة (ميتانى). لذا عند ارتقاء شوپيليوليوما العرش الحيثي عام ١٣٨٠ق.م. حاول الى تسوية حسابه مع مملكة ميتانى التي يمكن ان تعد مسؤولة عن سوء الحالة التي وصلت اليها المملكة الحيثية. لذا انقض على بلاد ميتانى ودخل عاصمتها (واشوكانى) ودمرها ثم تقدم الى سوريا بعد اجتيازه لنهر الفرات حيث سارع امراؤها الحليون الى التسليم بعد ان حرموا من مساعدة الميتانيين واكتفى شوپيليوليوما بأن جعل نهر العاصي حدا له ولم يتقدم نحو مصر. ولكن ملك قادش خرج لقتاله لكن الحيثيون اكتسحوا مملكته وتقدموا الى (أبينا) قرب دمشق وكان حوالي ١٣٧٠ ق.م. وكان من نتيجتها ان اصبحت حلب والالاخ ومملكة ايماخد باكلها جزءاً من الامبراطورية الحيثية. وعلى اي حال فان بعض البلاد وخاصة قرقميش كانت تنتظر مساعدة من قوات (تواشراتتا) ملك الميتانيين التي لن تنهزم وان كانت الثقة فيها قد اصبحت مفقودة. ويتبين ان الحلف بين هذه الدويلات وبالاخص مملكة ايمخد وبين الميتانيين كان قوياً الى درجة اضاف ملوكها احد الارباب الميتانية الى مجمعهم الالهي، ويظهر ان دخول الحيثيين الى هذه المناطق كان في زمن سلالة تقميبا (١٤٥٠ - ١٣٧٠ ق.م.) حيث انتهت حكمها في الالاخ. وقد اكتشفت في تل العطشانه وفي الطبقة التي تعود الى تلك المرحلة الكثير من الالواح المدونة في قصر ملوك سلالة تقميبا وتمثال مدون باسم الملك (ايدريمى).

يعتقد ان مؤسس سلالة تقميبا التي حكمت في مملكة ايمخد منذ اواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد هو (تاكو) حاكم مملكة موكيش التي ضمت القسم الشمالي من سهل عمق وامتدت نحو الجنوب وكانت عاصمته ألالاخ. وخلفه (ايدريمى) ثم تبعه تقميبا نفسه الذي حالف المصريين وظل مخلصاً لهم وخلف من بعده (ايلم ايلوما) الذي وسع رقعه مملكته وشملت حلب. لقد انتهت مملكة ايمخد بيد شوبيليوما الحيثي بعدما التجأ ملكها ايدريمى ابن (ايلم ايلوما) الى الملك الميتانى (شوتارنا)، وهذه النهاية تشبه بأسبابها ونتائجها ماحصلت في بلاد الميتانيين عندما اصبحت السلالة الحاكمة فيها ضحية لمصالح الامبراطوريتين المصرية والحيثية في السيطرة على بلاد الطرفين.

المبحث الرابع
اوغاريت

كانت اوغاريت مدينة قديمة تقع في موقع الرابية المساة الآن بـ(رأس شمرة) على بعد ستة اميال (عشر كيلومترات) شمال مدينة اللاذقية على سواحل بحر الابيض المتوسط بسوريا، واطلالها الآن تقع على بعد نصف ميل من شاطىء البحر، كشف عنها صدفة احد الفلاحين في ميناء البيضاء عندما كان يحرث الارض، ثم بدأت فيها التحريات منذ عام ١٩٢٩م من قبل بعثة أثرية فرنسية برئاسة كلاودى ف.أ. شيفر،(٤٧) حيث دلت على ان مملكة كانت تضم القسم الشمالي من محافظة اللاذقية حتى نهر الصنوبر وكانت عاصمتها اوغاريت.

اسفرت التنقيبات التي اجريت في هذا الموقع على آثار تدل على ان المدينة التي تأسست هناك وصلت درجة كبيرة من العمران والعظمة ابتداءً من الالف الثاني قبل الميلاد، ومما يثبت مكانة هذه المدينة ماعثر عليه من نصوص ومنها نص رسالة بعث بها والى حلب الى ملك ماري (عاصمة مملكة العموريين في وسط نهر الفرات) يستضيف فيها ملك اوغاريت لزيارة ماري.(٤٨) ولكن الموقع كان مسكوناً منذ العصر الحجري الحديث وقد استعمل سكانه الأوائل الأدوات المصنوعة من الصوان والعظام والفخار المنقط باللون الابيض والمصقول. كشفت التحريات في هذا الموقع عن وجود خمس طبقات رئيسية مسكونة فيها وفي ازمنة متباينة (الطبقات ١ ـ ٥). كانت الطبقات الثلاث السفلى تنقسم الى مستويات صغيرة عديدة، ولكن على الطبقة الخامسة عاش السكان في مستوطن عصر قديم خلال الألف السابع قبل الميلاد توكده بقايا مصنوعات احجار الصوان. الا ان اعلى مستوى للطبقة الخامسة فكان يحتوي على خزفيات فيها صورة الشمس المشرقة. اما الطبقة الرابعة وقسم من الطبقة الثالثة فترجعان في الواقع الى العصر الكالكوليثي او العصر الحجري ـ النحاسي. وقد وصل هنا خلال هذا العصر مجموعات اقوام من الشمال الشرقي وشرق هذه البلاد، وقد ظهر في هذه المرحلة تأثير معالم حضارة البحر المتوسط وكذلك حضارة وادي الرافدين. وفي خلال العصر الكالكوليثي المبكر انتشرت معالم حضارات تل حسونة، وتل حلف في هذه المناطق بشكل عام. وفي المراحل المتأخرة لهذا العصر فتتبين معالم حضارة وادي الرافدين هنا بصورة اوضح من خلال الاشكال الهندسية والاواني الملونة التي تشبه ماوجد في العبيد، كما استعمل النحاس جنباً الى جنب الاحجار الصوانية في هذه المنطقة. وفي العصر البرونزي المبكر (الالف ق. م) اختفت الأواني ذات

الالوان المتعددة من هذا الموقع وظهرت بعدها اواني ذات لون واحد شبيهة لمثيلاتها ذات الأصل الأنضولي. وفي هذا العصر تقدمت وتطورت صناعة المعادن، لكن في اواسط هذا العصر دخل اقوام جدد الى هذه المنطقة فيما بين سنين ٢٠٠٠ ـ ١٩٠٠ ق. م. ومما لاشك فيه أن الطبقات العليا للموقع (الطبقات الثانية والاولى) تعود الى الالف الاول وهي فترة المرحلة التأريخية.

وعلى العموم فان الأواني الفخارية التي عثر عليها هنا تشبه نوعاً من فخار سوريا الداخلية ووادي الفرات الشمالي، كما ان مدافن هذا الموقع حوت كثيراً من الاثاث الجنزى وادوات الزينة التي يرجح انها جلبت من مناطق بعيدة مثل البلقان والدانوب الأوسط ومن مصر التي يبدو انها كانت على علاقات طيبة معها. كذلك وجدت بها آثار كريتية من العصر المينوى الأوسط. كما وجد نوع آخر من الفخار في جبيل واريحة واجزاء اخرى من شمال منطقة الهلال الخصيب مما يدل على تقدم المدينة واتصالات ضمن منطقة واسعة تمتد من منحدرات ايران والانضول جنوبا حتى فلسطين نلحظها في تشابه بطرق المعيشة والادوات المستعملة. ومن هذه شمال سورية قلقيليا واوغاريت وجبيل وغيرها من المناطق ولعل اوضح عصر في تأريخ هذه المدينة واغنى مرحلة دونت فيها أخبارها يقعان فيما بين ١٤٥٠ ـ ١٢٠٠ ق. م. حيث تشير الى ذلك بقايا القصور الملكية والمعابد والمزارات مع مكتبات ومحلات التدوين للكهنة على القلاع، التي تماثل تماماً ماوجدت في مواقع الحضارة الميكينية في بلاد اليونان مما تدل على التأثير الميكيني في هذه المنطقة بجانب لوحات شبيهة بمثيلاتها في قبرص.

وربما كان دخول الحوريين شمال سوريا من عوامل تحركات الهكسوس كما ذكر، وفي هذه الفترة سيطر الحوريون على اوغاريت نمت خلالها الجالية الايجية التي كانت بها[٤٩] وان هؤلاء الايجيين كانوا اقلية من السكان في حين نجد التأثير الحوري الشرقي قد أخذ يزداد منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد في اوغاريت.[٥٠] وبعد طرد الهكسوس من مصر والتقارب الذي حصل بين فراعنة المملكة الحديثة (الاسرة الثامنة عشر) وملوك مملكة ميتانى شمال سوريا شاهدت تلك المناطق في شمال وغرب سوريا نوعاً من الاستقرار انتعشت فيه الحياة الاقتصادية والسياسية. وتعد الفترة من منتصف القرن الخامس عشر الى العشرين سنة الأولى من القرن الرابع عشر قبل الميلاد تقريباً من ازهى عصور اوغاريت واتضح من الآثار التي عثر عليها ومن بينها آثار مساكن مريحة وطرق جيدة ومدافن بنيت باتقان كما عثر على خليج ميناء البيضاء بالقرب من المدينة على مرافق الميناء ووكالات تجارية متعددة وعثر على منتجات مصرية وايجية مما يوحي بأن هذه البلاد شهدت رواجاً كبيراً وكان يمر منها الطرق التجارية البحرية والبرية.

لقد وجدت في هذه المدينة خرز من عقيق ترجع الى الفرعون سيسوستريس الأول (١٩٧١ ـ ١٩٢٨ ق٠ م٠) ونصب تذكاري منحوت وتماثيل مهداة الى ملك اوغاريت من ملوك المملكة الوسطى الآخرين (مثل سيسوستريس الثاني ١٨٩٧ ـ ١٨٧٨ ق٠ م٠ وآمنحوتب الثالث ١٨٤٢ ـ ١٧٩٧ ق٠ م٠) مماتنور التأريخ الدقيق لازدهار هذه المدينة٠ واضافة على هذه الآثار المصرية فقد وجد هنا بعض بضائع قشور البيض من جزيرة كريت (من العصر المينوى الاوسط) وأختام اسطوانية بابلية في الطبقة الثانية من المعابد، وفي القرن الثامن عشر والسابع عشر اصبحت المدينة جزءاً من مناطق نفوذ الهكسوس ومن المحتمل كانوا من الحوريين او الميتانيين الذين محو الاثار المصرية فيها.[٥١] وهكذا نرى هنا تيارات حورية وايجية وحيثية تتقابل وتتشابك مع المصرية والبابلية٠

وفي منتصف القرن الرابع عشر حدث زلزال في المنطقة اعقبه طغيان البحر فخربت اوغاريت ولكنها نهضت من جديد ثم مالبثت ان وقعت سريعاً في قبضة الحيثيين في عهد احد ملوكها ويدعى (نقماد نقمة حدد) واصبح هذا تابعاً لملك الحيثيين (سوبيلوليوما) وعند قيام رمسيس الثاني في الاسرة التاسعة عشرة المصرية بمحاولة استرداد املاك مصر في سوريا وحدثت بينه) وبين ملك الحيثيين وحلفائه من ملوك الدويلات السورية معركة قادش انضمت اوغاريت لهؤلاء الأحلاف بحكم تبعيتها لدولة الحيثيين٠ ثم وقعت مصر معاهدة مع الحيثيين فساد السلام في المنطقة وظل سكان اوغاريت كما كانوا من قبل وزادت عليهم عناصر من بلاد اليونان (ذوى الحضارة الميكينية) واهل قبرص لعبت دوراً كبيراً فيما بعد (٥٢) مع باقي سكان المدينة الذين كانوا خليطاً من اجناس شتى مثل الكنعانيين والحوريين والقبارصة والمصريين، وانتعشت اوغاريت بعد المعاهدة الحيثية ـ المصرية٠ ولقد كان احد ملوك اوغاريت المدعو (نقماد) قد خلف ولدين على العرش وهما (ارحالبا) الذي لم يعمر طويلا ولم يخلف احداً من بعده وقد جاءت اخباره مدونة على نصب اكتشف في المدينة ٠ والثـي هو (نقميب) الذي حكم في نهاية القرن الرابع عشر وخلف من بعده (اميستمار الثاني) الذي عاش خلال القرن الثالث عشر وتعرفنا على النشاط التجاري والانتعاش الاقتصادي في عهده من خلال بعض المدونات٠

تبع اميستمار في الحكم ابنه (ايبيرانا) الذي خلفه (نقماد الثاني) وقد لعب هذا الأخير دوراً سياسيا مزدوجاً بين المصريين والحيثيين، لذا ظهرت من بين بقايا آثار هذه المدينة شواهد تدل على العلاقات المزدوجة لهذه المملكة بين الامبراطوريتين الى حد توقيع تلك

المعاهدة. لم يدم انتعاش ونهوض أوغاريت طويلاً، اذ تحركت قبائل البحر من سواحل اليونان وكريت وجزر بحر ايجه وغزوا ف بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد منطقة غرب آسيا وقضوا على دولة الحيثيين في آسيا الصغرى[٥٣] وبعد انهيار الامبراطورية الحيثية خربت اوغاريت عام ١١٨٠ ق. م. اثناء اغارات هذه الشعوب التي حاولت غزو مصر لكنها لم تنجح في ذلك حيث استطاع رمسيس الثالث ان يبعد خطرها عن مصر، ولم تقم لأوغاريت قائمة بعد ذلك، ولكن يحتمل ان زلزالا آخر اصابها في هذه الفترة وسكن بعده سكان قلائل على انقاضها.[٥٤]

وبعد اكتشاف مكتبة المعبد في مدينة اوغاريت التي اظهرت كتابة مسمارية بألفباء غير معروفة لحد الآن ظهر هناك أدب ديني وميثولوجي خاص بهذا بجانب اكتشاف مكتبات شخصية مع ارشيف في البنايات تحتوي على مدونات تعبر عن البناء السياسي والاجتماعي والحضاري لحياة الناس في هذه المدينة العريقة.

لقد اكتشفت الخط المسماري الاوغاريتي على لوحات طينية عديدة عام ١٩٢٩ ولكن في عام ١٩٣٠م استطاع كل من (باور H. Bauer) و (دهورم E. Dhorme) و (فيروليراود C.Virolleaud) حل لغز ذلك الخط الذي استعمل فقط في اوغاريت، الا انه عمم فيما بعد في مناطق اخرى مثل قادش الواقعة على العاصي (تل نبي مند) و في (تل سوكاس) على الساحل الشمالي من سوريا و(سيرابتا) في فينيقيا و(كامد اللوز) وكذلك في فلسطين (موقع بيث شمش قرب جبل طابور وقرب تأناخ). ويرجع هذا النوع من الخط الكتابي الى القرن الرابع عشر واستمر في الاستعمال خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد ولحد عام ١٢٠٠ ق. م. دونت به قضايا تتعلق بالدين والادارة وغيرها من المسائل التي تتصل بالكنعانيين.[٥٥] لقد احتوت هذه الكتابات اشارات من حوالي ٣٠ رمزاً وهي ابجدية تشابه بترتيبها الابجدية اليونانية، وبالاضافة الى مواضيعها السابقة فقد احتوت الالواح المدونة بها بها مجموعة من اسماء المدن والقرى التابعة لأوغاريت، وقد وجدت هذه الاشارات عام ١٩٤٩ م، الا انه كان هناك الواح احتوت ٢٥ رمزاً او حتى ٢٢ رمزاً إستعمله التجار خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

استعملت الخطوط الكتابية المذكورة في التدوين بلغات اربعة وهي : الاوغاريتية والأكدية والسومرية والحورية، وقد استعملت سبع خطوط (مجموعات رموز) مختلفة اخرى بجانب تلك الخطوط الاوغاريتية وهي : الهيروغلوفية المصرية والحيثية والخطوط

المسمارية الأوغاريتية والحورية والأكدية والسومرية والقبرصية المينوية وهذا مايدل على اختلاط الأجناس الذي تشكل منه المجتمع الأوغاريتي.(٥٦) فبالرغم ان عناصر هذه الكتابة، اي الأشكال المسمارية، تدل بوضوح من حيث شكلها انها اقتبست من الكتابة المسمارية، الا انها تتبع بدقة نفس مبدأ الأبجدية الفينيقية المعروفة، مبدأ الاحرف الصامتة.

ففي هذه الكتابة المسماة بكتابة رأس شمره، التي تستخدم تسعة وعشرين رمزاً في تعابيرها، وصلتنا اهم المؤلفات الأدبية التي كشفت عنها الحفريات في اوغاريت، انها الاساطير والخرافات في لغة اوغاريت الخاصة، التي تقف في خط الوسط بين الساميين الغربين والشرقيين على حد قول انطون مورتكات(٥٧) حيث تعتبر حوالي بداية الألف الأولى ق.م المرحلة التمهيدية للكتابة الفينيقية. فأسطورة (بعل عليان) الطويلة النص تحدثنا، كيف ينزل هذا الاله الى العالم السفلي ويعود بعدها فيصعد الى السماء بعد صراعه مع اله الحبوب (موت) اله حرارة الصيف التي تنضج الحبوب. ثم تذهب زوجة (اى أخت) بعل المسماة (عنات) اثر ذلك الى اب آلالهة (ايل) تسأله النصيحة وتهاجم بعدها (موت) فتقطعه ارباً وتشويه على النار وتطحنه ثم تذرى لحمه كبذار الحبوب في الحقول الواسعة، ثم يذهب موت بن ايل، من جهته الى القبر.

يعرف كل من اسم ايل وبعل في رأس شمره كاسماء خاصه لآلهة معينة. فبعل هو (بعل صافون) الذي يعتلى جبل صافون اى جبل الاقرع الذي يقع الى الشمال من رأس شمره انه اله الجبل والطقس وكذلك اله الطبيعة الذي يعيد الحياة بهجتها النباتية في الربيع بواسطة المطر، بعد ان يكون قد قضى على (موت) اله الحر.

اما نصوص الملاحم والأساطير ففيها كثيراً من نقاط المقارنة مع الديانة المتأخرة الفينيقية والكنعانية واليهودية القديمة. وان من بين اللوحات الكتابية التي اكتشفت في هذه المدينة والتي تحتوي مواضيع ميثولوجية ودينية (الاسطورية) دونت باسلوب ادبي رفيع، وكانت تتحدث عن القضايا التالية :

١- **اسطورة كيريت : Keret** وخلاصتها هي ان (كيريت) كان ابن الرب (ايل) والربة (عشيرات)، وحينما لم يرزق اولاداً رأى والده في الحلم ووعده بذرية ان تزوج حفيدة ملك (ايدوم). وقد حقق ذلك ورزق بثمانية بنين وثمانى بنات. ثم صارت العائلة تخشى الموت لأن الاب جرح وكاد ان يموت ولم يتدخل الأرباب لشفائه وذلك لخطيئه ارتكبها في اوائل حكمه.

٢- اسطورة أغات (او دانيل) : تحكي هذه الاسطورة عن عدالة الملك (دانيل) ورعاية الرب (ايل) له وكان له ابنة باسم (باكات) كانت تساعده في الاعمال الزراعية التي كانت تكثر خيراتها بفضل اعماله الطيبة. ثم بدأ هذا يفهم لغة الطيور اما ابنته فتعرف سير النجوم. وتمكن دانيل من التأثير على عناصر الطبيعة وصارت تخدمه بمطرها وغلاتها.

٣- ميثولوجيا بعل - اليان (اسطورة موت بعل) : وتمثل قوة الطبيعة وتبدل الفصول وكان (بعل) سيد المطر وخصمه الرب (موت) رمز الصيف. لذا فكل منهم يحكم في فصله على الارض. ولكن لم يكن لبعل بيت يأوي اليه رغم ثرائه فقررت الربة (عانات) ان تذهب الى الرب (ايل) وترجوه ان يعطف على (بعل) وكانت معه الربة (عشيرات). ووافق (ايل) على توسطها ليكون لبعل بيتاً على قمة جبل (سافون) ولكن الرب (موت) اضرم فيه النار ورجع (بعل) لحياة التجوال مرة ثانية، الا ان الرب (موت) ارسل له سراً بعض المخلوقات البشرية ذات القرون أذته واسقطته منهكا وتركوه ميتا. بدأت الربة (عانات) تبحث عن (موت) وعندما وجدته اخبرته بأن يرجع لها اخيها وقطعته وذرت لحمه في الحقول. ولما توفي الرب (موت) عاد (بعل) الى الحياة وجددت الأرض خيراتها بالمطر واخضرت الحقول.

٤- بعل وأمير البحر : تبدأ هذه الاسطورة بجدل بين (بعل) و (يم) رب البحار وكان الأخير غاضباً وطلب من(عشيرات)مساعدته، وينسحب (بعل) ويذهب الى والده (ايل) فوق الجبال. ويبعث (ايل) برسله طالبا نفي (بعل) واعادة الذهب الذي كلف بعل عانات بأخذه والعائد الى (يم). وأمر ايل بعل ان يستجيب لمطاليب يم ولكن بعل رفض هذا الطلب وهجم على رسل (يم) وضربهم وحاولت عشيرات ان تمنعه من ذلك. ثم امر (ايل) مهندسه (بنائه) المدعو (كاشير) ان يبنى قصرا فخما الى (يم) ولكن كاشير حرض (بعل) على مهاجمة (يم) وصنع له اسلحة استخدمها بعل ضد (يم) واوقعه على الأرض ثم انهار قصره. وهنا وبخت عشيرات بعل على عمله. وهذه الحادثة تصور هجوم البحر على البر واقتلاعه الصخور ثم هدوئه ورجوعه الى مكانه.

٥- ولادة الالهين الجميلين : تبدأ الاسطورة بكلام الرب (ايل) حيث يلقى تعليماته حول حراثة الحقول وزرعها تتبعها الذبائح واحتفالات تكريم الأرباب استكمالا لخصب الأرض. ثم تتكلم الأسطورة **عن ولادة (شحر وشلم) الأخوين الظريفين الجميلين.**

٦- **نشيد الرب نيكال والربة كوزاروت :** موضوع هذا النشيد قصة غرام نيكال ابن بعل بابنة (يارح) رب القمر كانت تنشد في الاعياد وفيها ادعية للربة كوزاروت لرعاية الولد الذي سيولد من هذا الزواج. ويطلب اله القمر (يارح) من رب الصيف (حرحب) التوسط عند نيكال لانارة اهل البيت وتسليط نور القمر على عالم الاموات ليسهل دخولهم الى معبده .

وهكذا ومن خلال هذه الأساطير نشاهد بأن الأوغاريتين عبدوا ارباباً عدة مثل (ايل) الخالق ورب الأرباب و(بعل)رب الأعاصير والعواصف و(عليان بعل) اله الينابيع والبحر وهو نفسه (يم)، ثم (موت) رب الموت والعالم السفلى و(داكون) رب الخصب والحنطة و(عشيرات) شريكة ايل وبعل، ثم (عانات وعشتروت) ربة الحب والخصب، كما احترموا بعض الأرباب المصرية والعراقية ودخلتها اعتقادات يونانية وحورية وفي النهاية ادت الى تواجد ظاهرة عبادة آلهات اجنبية متعددة.

ان هذه النصوص الدينية الأسطورية لاتعتبر ادباً رفيعاً واصيلاً وعظيماً فحسب وانما اثرت على الدراسات التي جرت في مواضيع التوراة القديمة . وبعد اكتشاف هذه النصوص توضح بأن قصص الآباء في التوراة كانت قد استندت في الاصل على الأدب الكنعاني المدون هذا. وقد وجد الباحثون في هذه الاكتشافات الحديثة مواطن كثيرة تتشابه فيها النصوص الاوغاريتية مع الآداب العبرانية المقدسة مثل سفر ايوب، كما يوجد شبه ايضاً في اللغة والأوزان الشعرية والتأليف بما هو موجود في المزامير(٥٨)

بناء على الاساطير المذكورة والاساطير الكنعانية الأخرى يظهر بأن اساس ديانة الكنعانيين كان عبادة الطبيعة المنتجة المولدة وقوى النمو والخصب مما يميز المجتمعات الزراعية، وتدور جوهر تلك العبادة حول اله الخصب وفكرة موته اوالنواح عليه وتغلبه على الرب (موت) ثم اقترانه بالهة الخصب التي سميت باسماء مختلفة مثل (بعلة، عناة) التي هي شكل من اشكال الآلهة (عشتار) كما ان اله الخصب الذي يموت عرف باسم (بعل) في اوغاريت. وكان هناك الهان مهمان في عبادة الكنعانيين بوجه خاص وهما اله السمأ (أيل) كما لقب بـ(عليان) وقد عبد باسم بعل ايضاً، ثم الآلهة الأم (عشيرات) وهي عشتار البابلية وعشتوريت العبرانيين ودعيت ايضاً بعض المرات باسم (بعلة)، وكانت في اوغاريت أخت (عليان بعل) وأنها العذراء، وباستطاعتها الاحياء، والاماتة ,كما ان الحب والحرب من ابرز صفاتها.

تطور بناء المعابد من بعد منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (القرن ١٤ ق٠ م٠) وازدادت مرافقها واجزاؤها، وكان المذبح اهم اجزاء المعبد٠ والى جانب المعابد الكبيرة استعمل الكنعانيون لعبادة آلهاتهم معابد محلية في العراء، في قمم الجبال٠

اما عادة الدفن التي اتبعها الكنعانيون فتدل من دفن بعض الحاجيات العائدة الى الميت على وجود فكرة عودة الحياة من بعد الموت او ماشاكل ذلك٠ ولم يمارسوا التحنيط، ولكن من التأثيرات المصرية ايضاً فيما يخص عادة الدفن كان صنع التوابيت الملكية التي اشتهر بها الفينيقيون حيث كانت تصنع بهيئة انسان يمثل الملك وقد وجد عدد كبير من هذه التوابيت، غطاؤها ممثل على هيئة رأس انسان او جسم انسان كامل مع الرأس، وترجع الى عصر متأخر نوعاً ما.(٥٩)

اما عن نظام دولة اوغاريت فيمكن القول بأن ملكاً كان يرأس تلك الدولة وهو يجمع في يديه السلطات العسكرية والقضائية والتشريعية والتنفيذية وكان يسكن قصراً فخماً في المدينة تدل آثاره على عظمة الملوك الذين سكنوه ومدى ثروتهمَ وذلك من خلال تلك الصفائح الذهبية الكبيرة والكثيرة بجانب اواني ذهبية ولازوردية التي تعود اليهم٠ اضافة الى هذا وذاك فقد اكتشف في العصر على اسرة مطعمة بالعاج وكرسي مطعم بالذهب وكراسي من الابنوس مطعمة بالعاج وكمية كبيرة من مواد شخصية غالية الثمن تعود الى ملوك وملكات هذه المملكة٠

وضحت بعض النصوص الكتابية جوانب ادارية في العصر يترأسها شخصيات يحيطون بالملك كمدير خزانته والحاكم العسكري ومدير الاصطبل ورئيس الكهنة ومعلم العربات ومدير الاملاك العامة وامور اخرى، لذا خصص قسم من القصر للادارة وكانت هناك صور للمراسلات الملكية وترتيب للوثائق ونساخين رسميين مما تدل على تنظيم امور العلاقات الخارجية لهذه المملكة٠ هذا فضلاً عن تنظيم الأمور العسكرية من ناحية التسليح والتدريب على الفروسية التي كانت من الامور الحديثة التكوين في بلاد الشرق الادنى٠

وبالرغم من تلك التنظيمات الرسمية لدولة اوغاريت التي تشهد عليها اثارها ووثائقها التي تشهد على صكوك وعقود رسمية واساطير دينية الا ان هذه الآثار تفتقر لحد الآن على ادلة لتشهد عن وجود قوانين مدونة لتلك الدولة وهي قضية تكاد تكون بعيدة عن الحقيقة٠

اما الفن في اوغاريت فيمكن التعرف عليه من خلال مخلفات القصور وبيوت الطبقة الارستقراطية في المدينة كالأقداح الذهبية والقطع المزخرفة التي نقشت عليها صور لمشاهد من اوغاريت في العصر الذهبي، بجانب اعمدة منقوشة من الحجر وتماثيل من البرونز وفؤوس خاصة بالاحتفالات الرسمية مع قطع منحوتة بنقوش جميلة على العاج تعبر عن اعمال الملوك، وهناك ايضا مايماثلها ترجع الى مرحلة السيطرة المصرية على المدينة. وعلى كل حال فان الفن هنا حافظ على خواصه السورية المحلية. وعلى العموم فاننا نرى في اوغاريت وألالاخ تيارات حورية وايجية وحثية تتقابل وتتشابك مع المصرية والبابلية، الا ان مامن شك في الأمر ان سكان الساحل الفينيقي قد حافظوا على طابعهم الخاص، حتى بعد ان احتل شوبيلوليوما مدينة اوغاريت وكل منطقة شمال بلاد الشام، وذلك في لغتهم الخاصة التي عاشت ايضاً في شعرهم المحلي. لقد بقي هذا الطابع بالرغم من جميع التأثيرات الاجنبية احد الصروح الصخرية القليلة الشاهقة التي وقفت دائما سدا منيعاً في مقاومتها للشعوب الغازية.

المبحث الخامس
ـ الآراميون ـ

يعتقد بأن الآراميين، وهم احد الأقوام العربية الذين هاجروا نحو بلاد الشام والرافدين حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وقد استقروا في اواسط الفرات واقتبسوا من جيرانهم بعض المظاهر الحضارية.(٦٠) ولعل أول مرة نلتقي باسم الآراميين كانت عن طريق نصوص مسمارية ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد تشير الى انهم منتشرون في الصحراء الواقعة الى غرب مابين النهرين والى انهم كانوا في اول أمرهم قبائل رحلاً ينتقلون في البادية بين نجد في الجنوب وحدود الشام ونهر الفرات في الشرق وخليج العقبة في الغرب... ، ودخلوا بعد سقوط دولة ميتانى في القرن الثالث عشر الى بلاد مابين النهرين التي عرفت باسم (آرام النهرين)، كما ورد ذكرهم كذلك في القرن الحادي عشر (١١٠٠ ق.م)(٦١) في نصوص الملك الآشوري تجلات پلاسر الاول حيث يشار الى ان مواطنهم تنتشر من الفرات الأوسط الى سوريا غرباً، ومما يسّر لهم الاستقرار اضطراب الأمور السياسية في بابل اثر غزوة الحيثيين (حملة مورسيلى الأول) لها ثم تدمير الحيثيين لمملكة ميتانى بعد قرن ونصف من الزمان. وقد تمكن الآراميون من الوصول الى شمال الشام وكونوا عدة دويلات آرامية صغيرة بين حلب وجبال طوروس، ومنها امارة سمأل بين انطاكية ومرعش ومكانها الآن يسمى بـ(زنجرلى) في تركيا.(٦٢) وفي الواقع فانهم كانوا مكونين من جملة قبائل، جاءت اسماء بعضها في الكتابات الملكية الآشورية وفي رسائل تل العمارنه. ولقد شكا (خاتوشيلى الثالث) الحيثي في احدى الرسائل الى (كادشمان انليل الثاني) من ان الاحلاميين (وهم جماعة من الآراميين على مايعتقد) قد هددوا سلامة الطرق، كما وقد اتى على ذكرهم ايضاً (أدد - نيراري الأول) و (توكولتي - نينورتا الأول) في القرن الثالث عشر ق. م.(٦٣) ولكن أول من وجب عليه الزحف لحربهم كان تجلات پلاسر الأول كما ذكر وقال انه قذف بالآراميين الى ماوراء الحدود حتى قرقميش في اعالي الفرات وحتى تدمر... بيد ان هذه الضربات الشديدة للجيش الآشوري ضد الآراميين ذهبت هباء. وقد وجد الآراميون منذ نهاية عصر تل العمارنة المجال أمامهم

للاختلاط بالسكان في المناطق التي ذكرت سابقاً بصورة سلمية واستطاعوا التوجه نحو مناطق النفوذ الحيثي في شمال سوريا، فبالرغم من انهم لم يستطيعوا حتى لوقت طويل جعل قرقميش منطقة آرامية لكنهم استطاعوا بجعل ضواحيها آرامية. ففي قلب هذا العالم الحوري - الحيثي المحلي لشمال بلاد الشام، الذي اصبحت فيه الآن ولأول مرة الكتابة الحيثية التصورية تستخدم الى جانب الفينيقية والآرامية نرى فيه الآراميين يحتلون الحصن تلو الآخر.. ويبرهن على هذه العملية نتائج الحفريات في (زنجرلي) وفي مرعش وملاطية وغيرها من الاماكن في تركيا.

وبذلك فقد استطاعت الآرامية خلال ٣٠٠ حتى ٤٠٠ سنة الانتصار في كل مكان في هذا العالم ومنها في حماه ودمشق، بينما نجد الغلبة في قره تبة (كيليكيا) الى التأثير الفينيقي على الآرامي. والى القليل الشرق، الى الشمال من نهر الفرات، استطاع الآراميون حتى من تأسيس اتحادات من دول مثل بيت - اديني على طرفي الفرات جنوب قرقميش وبيت باحياني على الخابور وكذلك بيت حلوپي في اعالي مابين النهرين كا سكن قبيلة تيميناى في جهات نصيبين وقبائل هوزيرينا وكَيذارا في جنوب غرب ماردين وصلوا حتى تلال طور عابدين. هذا بالاضافة الى ان البابليين استولوا على مملكة دمشق الآرامية في القرن الثامن قبل الميلاد ونقلوا الى بلادهم عددا كبيراً من مهرة الآراميين، وقد تخلد النقوش المسمارية من عهد سرجون الاشوري (فيما بين سنتي ٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م.) عددا من الاسماء الآرامية كان اصحابها يحترفون التجارة في مملكة آشور حيث زاد عددهم بمرور الزمن في وادي الرافدين، وخاصة بعد الحروب الطويلة التي دارت بينهم وبين الاشوريين اثناء قيام الامبراطورية الآشورية الأولى (٩١١ - ٧٤٥ ق. م.) وحافظوا على استقلالهم في بابل مدة اطول وحكم ميروداخ بلادان الكلداني بابل من ٧٢٢ الى ٧١٠ قبل الميلاد استطاع في وقف ضغوط الآشوريين.

يقول برستد ان كثيراً مايعثر الباحثون على الوزنات البرونزية للاراميين في خرائب نينوى مما يدل على وفرة عدد التجار الآراميين في الاسواق الآشورية... ويضيف بأن التجار الآراميين حملو لغتهم معهم اينما ذهبوا، ومن الحقائق الهامة ان اللغة الآرامية انتشرت في المدن الآشورية القديمة حتى اصبح المتكلمون بها اكثر عدداً ممن يتكلمون اللغة الآشورية نفسها. وعندما كان يتلقى تاجر آرامي رقيما عليه بعض مايتعلق بعمله

التجاري صرراً باللغة الآشورية، فكثير ماكان يمسك بقلمه ويخط عليه مذكرات بالآرامية، وقد عثر الأثريون على كثير من هذه الرقم الآشورية التي ترك عليها اصحابها مذكرات بالآرامية في خرائب المباني الآشورية، وانتهى الأمر بأن اللغتين الآشورية والآرمية اصبحتا تستعملان جنبا الى جنب في الاعمال التجارية، واستخدمت الحكومة عددا من الكتبة الآراميين في الوظائف... وفي نهاية الأمر انتشرت حضارة الآراميين التجارية انتشاراً واسعاً وتركت وراءها مؤثرات خلدت على الايام اكثر مما تركته دولة آشور الحربية(٦٤)

الا انهم لم يتمكنوا من التوسع غرباً لوقوف جبال لبنان والتنظيمات السياسية لمدن الكنعانيين والفينيقيين في هذه الجهات حائلاً دون توغلهم عبرها. وعلى اية حال فان الآراميين اشتهروا في التجارة البرية كما اشتهر الفينيقيون بالتجارة البحرية، وارسلوا قوافلهم الى جميع الأقطار المجاورة وتاجروا في شتى البضائع المنتجة في فينيقيا ومصر والخليج العربي وبلاد اخرى وكان نتيجة هذا التوسع التجاري ان نشروا لغتهم في مختلف البلدان فاصبحت هذه اللغة التجارية لغة رسمية فيما بعد بالرغم من عدم تكوينهم لدولة موحدة لهم. فقد جعلها الاخمينيون الفرس لغة لمدوناتهم وكان انتشارها سبباً في انتشار ابجدية كتابتها بالخط المعروف بأسمها ثم غدت لغة المسيح واتباعه وكتبت بها بعض الصلوات، ثم تفرعت الى مجموعتين شرقية في وادي الفرات ومنها السريانية، وغربية ومنها التوراتية والتدمرية وغيرها.(٦٥) وفي الواقع ان الخلاف بين اللهجات الآرامية لم يتخذ شكلاً واضحاً الا في عصر متأخر وهو العصر الذي يبدأ تقريباً بظهور المسيحية وعلى ذلك وجب استبعاد اللهجات القديمة لتقاربها وهي زنجيرلي والآرامية التي استعملها الفرس في دواوينهم والمساة الآن بالارامية الدولية وارامية أوراق البردي التي وجدت في جزيرة الفنتين بأسوان - مصر، وآرامية الكتاب المقدس... وعلى هذا الأساس نستطيع ان نقسم اللهجات الآرامية الى شرقية وغربية، اذ الشعبة الشرقية تضم لهجة الرها (اورفة الحالية في تركيا) وكان موطنها مابين النهرين، وسميت بعد ظهور المسيحية بـ(السريانية)، ولهجة آرامية يهودية بابلية هي لهجة التلمود البابلي كان موطنها شمالي العراق ولهجة الصابئين الآرامية، وهي اللهجة المندائية وموطنها جنوبي العراق. اما الغربية فتضم دويلتين لسانها آرامي وهما تدمر والنبط، وقد وصلت الينا لغتها عن طريق النقوش فقط، وثلاث لهجات

ادبية وهي اليهودية الغربية المقدسة والجليلة والسامرية والملكية (الآرامية الفلسطينية المسيحية).(٦٦) ومااستخرجت من الكتابات الآرامية عقب حفائر زنجرلي (البلدة القريبة من مدينة غازي عينتاب شمال حلب في تركيا) والتي ترجع الى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وتخص (بنو ملك سمال) وابنه (بوركوب) وكذلك كتابات قبور (نيراب) قرب حلب والتي كتبت في القرن السابع قبل الميلاد لكاهن القمر (شازر بن واجبر) لهي اقدم اثر في تأريخ اللغة الآرامية. الا ان هناك نصوص لاتقل اهمية عن هذه دونت في وقت متأخر نوعاً ما، ومنها الترجمة الآرامية لكتابة جبل بهستون التي امر دارا الأول الاخميني عام ٥١٠ ق. م. بارسالها الى جميع جهات الامبراطورية الاخمينية،(٦٧) اكتشفت واحدة منها في اسوان كما ذكر. اما آرامية الكتاب المقدس فقد كتب بها بعض اجزاء من اسفار عزرا ودانيال، واطلق على هذه الآرامية اسم الكلدانية. ومن جهة اخرى فان اللهجة التدمرية شوهدت في نقوش وجدت في طيب وتدمر، وكذلك في افريقيا وروما والجر وروومانيا وانجلترا، ولكن اللهجة النبطية فاستعملها العرب كما يظهر من اسماء الاعلام الواردة في النقوش النبطية مثل حارثه، مالك، مليكه، جذيمه، مكيمه، وائل، مغير، قصي، عدى، يعمر، كعب، معن، سعد، سعود...الخ.

وقد اخذ النبطيون الحروف الآرامية المفردة واستعملوها متشابكة وجدت منها في شرقي الأردن ودمشق وصيدا وجبل الدروز وفي نقوش ايطاليا وطورسينا. وقد ابقت اللهجة السامرية والمندائية ولهجة الرها وغيرها من اللهجات الآرامية قسماً من مدوناتها التي تشهد على انتشارها الواسع. ولم يقتصر الامر على انتشار اللغة وحدها، اذ بانتشارها انتشر استعمال الحروف الهجائية التي كتب بها الآراميون لغتهم، فاقتبسها اقوام عديدة في جميع انحاء آسيا في كتابة لغاتها المختلفة. فأخذ اليهود خطهم من الخط الآرامي بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد وكانوا قبل ذلك يستعملون حروفاً فينيقية قديمة. والخط العبراني المسمى بالخط المربع الذي تطبع به كتب التوراة مشتق من الخط الآرامي الذي اقتبسه اليهود... كما اخذ الارمن والفرس والهنود (الخط البهلوى والسنسكريتي) خطوطهم من اصول آرامية . ونقل الكهنة البوذيون الخط السنسكريتي (المشتق من مصدر آرامي) من الهند الى قلب الصين والى كوريا، وهكذا يكون الخط الفينيقي (اصل الخط الآرامي) قد انتقل على ايدي الآراميين الى جميع نصف العالم الشرقي في حين ان اليونان نشروا الخط نفسه الى نصف العالم الغربي.(٦٨)

اما عن ديانة الآراميين، فلعل اهم معبوداتهم كان (حدد او أدد) وهو اله الزوابع والرعد والامطار، وكان محبوباً بصفة خاصة بين المزارعين ولكنه مهلك ان ارسل المطر سيولاً جارفة، لذا سمي بـ(رمون) او (رمان) اى المرعد، وقد امتزجت عبادته بعد ذلك بعبادة الشمس كما كان هذا الاله يتطابق بصفاته مع اله العواصف عند الحوريين، وكذلك اقترن بمعبود الحيثيين (تشوب) الذي يمثل (زيوس) عند اليونان، وقد عرف في العصر الروماني تحت اسم جوبيتر الدمشقي لانه يمثل الاله الاكبر (جوبيتر) عند الرومان الذي عبد في بعلبك، كما اقيم له تمثال ضخم في سمأل (زنجرلى) من قبل الملك (بنمو الاول) خلال القرن الثامن ق·م· وكذلك بنيت له معابد عدة في انحاء مختلفة من سوريا ولبنان وكان اهمها هو المعبد الرئيسى في دمشق·

عبد الآراميون بجانب الاله حدد الآلهة زوجته التي ذكر اسمها في المؤلفات الرومانية بصيغة (اتركاتيس (Atargatis)) وقد ظهرت من امتزاج الآلهتين الفينيقيتين (استارتي واناث)، وكانت تتصف بالصفات الأساسية الخاصة بالالهة الام، وانتشرت عبادتها في العهد السلوقي بين اليونان، ثم عنهم أخذها الرومان حيث اقيم لها معبد في روما·(٦٩) وفضلاً عن هذين الالهين عبد الآراميون جملة آلهة اخرى مثل الاله سن اله القمر ونابو اله الحكمة، وعلى مايظهر فان الآراميين استعاروا بعضها من الاقوام المجاورة لهم منها الاله (سيميوس) الشاب وهو (اشمون) في فينيقيه وعرف كذلك باسم (اسكولاب)· كما قدسوا الرب الفينيقي (ملكارت) والاله (ايل) و (ركّاب) او (ركب ـ ايل) و (شمش ورشوف) وقد ذكرت اسماء هذه الآلهة في كتابة ملك سمأل (زنجرلى)· وربما كانت اعتقاداتهم بما بعد الموت تشابه تلك للبابليين، وقدموا الهدايا الجنائزية لموتاهم· وشكل ازعاج الموتى جريمة·(٧٠)

أما عن النواحي الحضارية الأخرى في حياة الآراميين فيمكن التعرف اليها من خلال مخلفات النبلاء والأمراء الذين حكموا في دويلاتهم مثل بيت باحيانى وسمأل· وقد اظهرت الحفريات في هذه المواقع التأثير الحيثي والميتانى في فنونهم المختلفة مثلما تأثروا بفنون بلاد مابين النهرين بعدما هاجروا اليها وخاصة البابلية منها·

المبحث السادس
مملكة دمشق الآرامية

ظهرت في التأريخ دول آرامية عديدة، واولها كانت في منطقة الفرات الاوسط، وهي الممر بين بلاد الرافدين وسورية، وقد سميت احداها (آرام النهرين) ويظهر هذا الاسم مراراً في الكتابات المسمارية من أواخر القرن الثالث عشر ويميل الى الزوال بعد القرن التاسع عندما كان الآشوريون قد قضوا على الآراميين في هذه المنطقة.(٧١) ومن الدول الاخرى في مابين النهرين دولة (فدان آرام) ولم تكن باتساع آرام النهرين وكان مركزها مدينة حران التي كانت تقع على طريق تجاري عظيم. غير ان اهم الدول العديدة والممالك الآرامية التي اشتهرت بأهميتها وسعتها من غيرها كانت تلك التي صارت عاصمتها دمشق وعرفت باسم (آرام دمشق)،(٧٢) وكانت تقف على قدم المساواة مع غيرها من الممالك ، ولقد كانت هذه المملكة من اول الأمر آرامية لأنها كانت مركزاً للاراميين.

تأسست مملكة دمشق في اواخر القرن الحادي عشر، ثم تطورت فأصبحت مملكة كبرى تمتد الى الفرات من جهة والى اليرموك من جهة اخرى، وكانت متاخمة للاراضي الآشورية في الشمال، وكانت سوريا الداخلية شرقي جبل لبنان وسورية الشمالية تحت سلطتها الاكيدة في حوالي ١٠٠٠ ق.م. كما كان العداء مستفحلاً بين آرامي دمشق وبين العبرانيين المحتلين لفلسطين طوال قرنين من الزمان قبل اتخاذ دمشق مركزاً لتلك الدولة يوم كانت المدينة القديمة المعروفة باسم (صوبة) مركزاً لمملكة (آرام صوبة) التي بدأت الاصدامات بين ملوكها ومنافسيهم المحتلين العبرانيين في الجنوب في عهد ملكهم شاؤول.(٧٤) وعندما انقسمت المملكة العبرانية التي أسسها المحتلون الى قسمين (مملكة اسرائيل التي شكلها يربعام ٩٢٢-٩١٠ ق.م في المناطق المحتلة الشمالية، ومملكة يهوذا الت[illegible] المناطق المحتلة الجنوبية) في الوقت الذي اخذت السيادة تنتقل من صوبة الى دمشق، اصبح ذلك من مصلحة ملوك آرامي دمشق. فأخذ (بنحدد الأول) ملك دمشق (حوالى ٨٧٩-٨٤٣ ق.م) من ملك يهوذا كنوزاً ثميناً من معبده ومن قصره الملكي في اورشليم، ثم هاجم ملك اسرائيل وجعل (جلعاد) في شرقي الاردن تحت السيطرة الآرامية. والواقع ان مملكة اسرائيل في الاراضي المحتلة الشمالية كانت ايضاً كما يبدو تابعة اسمية لآرام منذ اواخر ايام ملكها (عومرى) الذي كان في الاصل ضابطاً بالجيش وتسلم الحكم بعد قضائه على (زمرى) الذي كان ينتسب الى عائلة شاؤول ويحكم مملكة اسرائيل. وقد حاصر عومرى سيده (الذي حكم سبعة ايام فقط) واحرق عليه بيته الذي يتحصن فيه. واعلن شخص آخر اسمه (تيبنى) نفسه

ملكا وتبعه الكثير معصباً على الاستقلال بنصف المملكة الشمالية المحتلة وقد قتله عومرى الذي صفا له الجو بعد اربع سنوات من الصراع مع خصمه. ومن الصعب معرفة المدة التي قضاها عومرى في الحكم بالضبط. وبصعود عومرى على العرش (٨٨٥-٨٧٤ ق.م) اتت عائلة جديدة لحكم المنطقة الشمالية المحتلة. وكان عومرى بعيد النظر فقد جدد المعاهدة مع الملك الفينيقي (ايثبعال ٨٩٩-٨٦٧ ق.م) وقد عزز اتفاقهما بزواج ابنة الملك الفينيقي جزبيل (ايزابيل) من آخاب ابن عومرى وولي عهده.(٧٥)

اعقب عومرى ابنه آخاب (٨٧٤ - ٨٥٣ ق.م) الذي كانت الحروب بينه وبين الآراميين. وعندما رفض هذا دفع الجزية او الانضمام الى التحالف ضد آشور وهجومها التي كانت وشيك الوقوع ظهر (بنحدد) بغتة امام عاصمته (السامرة) ليجبره على الطاعة، كما ضم جلعاد الى مملكته واعاد بذلك (بنحدد) فرض الحماية الآرامية والجزية على المحتلين في عهد (آخاب بن عومرى).(٧٦) وعندما تقدم الملك الآشوري شلما نصر الثالث الى سورية سنة ٨٥٤ ق.م صمت الدول في سورية الوسطى على مجابهته بصورة مشتركة. فقد هاجم الآراميون وملكهم (بنحدد الثاني) المنطقة الشمالية المحتلة، ولكن من الصعب معرفة تطور العلاقة بين الآراميين و(آخاب) التي ادت أخيراً الى تحالفهما لصد الآشوريين مع حلفاء آخر اصطدموا بشلما نصر الثالث اخيراً في معركة (قرقر) على العاصي في منطقة حمات (حماه الحالية بسورية)، وقد اخبرنا شلما نصر الثالث عن اشتراك آخاب ضده في معركة قرقر بألفي عربة وعشرة آلاف جندي. وقد ادعى الجانبان الآرامي والآشوري الانتصار.(٧٧) وكان تحالف الملوك السوريين (٧٨) يضم اثني عشر ملكاً برأسهم (بنحدد) نفسه، وقد اتى الملك (آخاب) بالجيش الثاني في قوته وبعده اتى جيش ملك حماة. وقدمت ممالك مدن فينيقية كثيرة قواتها للمساهمة في المعركة، وجرت الموقعة الحربية الشهيرة التي عرفت بموقعة (القرقر) التي ذكرت آنفا. وفي الحقيقة لم تكن تلك الحرب حاسمة، حيث انسحب الجانبان ، وكان على الآشوريين ان ينتظروا سنين كثيرة اخرى قبل ان يتمكنوا من اخضاع دمشق. وعلى ما يظهر فان الفرعون المصري (اوسوركون الثاني ٨٦٠ - ٨٣٢ ق. م) كان خلف هذا التحالف وانضمام (آخاب) اليه لتقوية المقاومة الآرامية وصد الآشوريين.

استمرت المملكة الآرامية في دمشق في القوة وازدادت عن ذي قبل في عهد ابن بنحدد وخليفته المسمى (حزائيل) الذي كان من عظماء الملوك المحاربين. فبعد ان صمد امام هجومين قام بها شلما نصر الآشوري في ٨٤٢، ٨٣٨ ق. م هاجم المملكة الشمالية المحتلة من

فلسطين وحرر منطقة الجليل. ويذكر العهد القديم هجومين آراميين على المملكة الشمالية المحتلة، الأولى استهدفت السامرة التي حاصرها والده بنحدد ورفض تسليمها آخاب والتي قاسى منه سكان السامرة الأمرين دون ان يدخلها الملك الآرامي، والثانية كانت في (افيك) شمال شرق الاردن. وقد وسّع (حزائيل) ممتلكاته في شرقي الأردن الى الجنوب حتى نهر آرنون (الموجب) الذي يصب في البحر الميت، ثم وسع فتوحه في سهل فلسطين الساحلي من اجل السيطرة على طرق التجارة مع مصر وبلاد العرب.

اما في الآراضي المحتلة، فقد جاء بعد آخاب ابنه اخازيا ٨٥٣ - ٨٥٢ ق. م الذي جاء بعده اخوه يورام ٨٥١ - ٨٤٢ ق. م وقام ضابط اسمه (ياهو) بثورة ضده قضى بها على اسرة (عومرى) في حكم تلك البلاد. هذا ولابد ان الحروب الكثيرة بين اسرة عومرى والآراميين ادت الى ضعف السلالة وسهولة القضاء عليها. لذا استغل حزائيل (خزعل) الفرصة وتقدم نحو شرق الاردن وضمه اليه. وكان (ياهو) الذي حكم فيما بين ٨٤٣ - ٨١٤ ق. م في المناطق المحتلة لمملكة اسرائيل يدفع الجزية لشلمانصر ولكن اسرائيل اصبحت تحت رحمة آرام في عهد وريثه (ياهو آحاز)، حتى ان حزائيل (خزعل) لم يترك له اية قوة فيها سوى خمسين فارساً وعشر مركبات.(٧٩)

في الواقع تقدم الملك الآشوري شلمانصر الثالث عام ٨٤٢ ق. م نحو آرام وادعى دحره لحزائيل ملك دمشق وحصاره له في دمشق التي فشل في أخذها. ثم اتجه نحو فينيقيه فاسرع ياهو لمقابلته وقدم له جزية ضخمة تألفت من ذهب وفضة وأوعية ثمينة من هذين المعدنين مع قطع من اثاث بيته الفاخرة وجعل ياهو المنطقة التي يحتلها جزءاً من الامبراطورية الآشورية يحكمها بالنيابة عنهم. ورجع شلمانصر عن طريق مرج عامر ذاهباً نحو جبل الكرمل. ولنا ان نعرف بان النصف الأول من حكم اسرة ياهو (حتى سنة ٨٠٠ ق. م) قد امتاز بالمحن والمصائب عكس النصف الذي تلاه، ويرجع السبب الى علاقة المملكة الشمالية المحتلة مع القوتين المتحكمتين بالمنطقة آنذاك وذات العلاقة المباشرة بها وهي دمشق الآرامية والدولة الآشورية. ففي زمن ياهو كانت المملكة الشمالية تحت رحمة دمشق وسيادتها ولكن الأمر تغير في نهاية القرن التاسع ق. م حيث وقعت دمشق في قبضة آشور فعندما خلف ياهو ولده ياهو آحاز (٨١٤ - ٧٩٨ ق. م) هاجم حزائيل ملك دمشق المملكة الشمالية المحتلة رغم علاقتها القوية بآشور وحرر مساحات واسعة منها بحيث لم يبق في يد ياهو آحاز الامنطقة صغيرة من تلك التي تستوطنها قبيلة افرايم المحتلة.

وبعد ياهو آحاز جاء (يواش ٧٩٧ ـ ٧٨٥ ق٠ م) الذي اتبع سياسة جده ياهو بالنسبة للآشوريين دون شك لضمان مساعداتهم ضد الآراميين الذين لاينظرون اليهم الا محتلين لهذا الجزء٠ وربما كانت انتصارات يواش ضد الآراميين بفعل المساعدات الآشورية هي السبب في اعادته لاحتلال بعض المدن التي حررها الآراميون من المملكة الشمالية بعد ثلاثة انتصارات وذلك لضغط الملك الآشوري أدد نراري الثالث على مملكة دمشق٠ وقد اخبرنا هذا بغزوه دمشق وفلسطين٠

الى بعد يواش ابنه (يربعام الثاني ٧٨٥ ـ ٧٤٦ ق٠ م) الذي عاد لاحتلال المناطق التي سبق وان حررها الآراميون بحيث صارت حدود المملكة الشمالية المحتلة من بداية حماة حتى البحر الميت حسب ادعاءات نصوص العهد القديم٠ ويعني هذا في الواقع انه بعدما حول حزائيل وجهه ليصعد الى اورشليم حيث قدموا له الذهب والكنوز التي كانت في المعبد، بدأت الهجمات الآشورية المدمرة المستمرة تستنفذ قوى المملكة الآرامية٠ وعندما تضعضعت قوة الذين خلفوا حزائيل بسبب تلك الهجمات عجزو عن المحافظة على حدود مملكتهم في المناطق الجنوبية والاقاليم التابعة لهم٠

وعادت الحدود الى سابق عهدها في زمن الملك (يربعام الثاني) الذي اصبح ملكا في السامرة في عام ٧٨٥ ق٠ م وزاد هذا الملك على ذلك بأنه بدأ بمهاجمة دمشق وحماة٠ غير ان الخطر الحقيقي كان مصدره من جانب آخر٠ فقد كانت القوة الآشورية جاهزة للزحف من جديد٠ واتت الفرصة المناسبة في ٧٣٤ ق٠ م حين هدد (آحاز) ملك يهوذا بصورة جدية من قبل (فقح (Pekahia الذي حكم لمدة سنة واحدة فقط في مملكة اسرائيل، و (ريزون (Rezin) ملك الآراميين في دمشق اللذان التقيا بجنود المملكة الجنوبية (يهوذا) الذي اتوا بقيادة ملكهم آحاز قرب مدينة القدس ودحراه٠ لكن هذا الأخير طلب تدخل الآشوريين واستجاب تيكلات بلاصر الثالث لطلبه واجتاح المقاطعات الست عشرة التابعة لدمشق مع اغلب مدنها وكان بين الملوك التابعين لآشور والذين حاربوا وسقطوا امام أسوار دمشق بنو الثاني ملك سمأل (زنجرلي)[٨١] ورزين نفسه وغيرهما، وأخيراً فتحت المدينة في عام ٧٣٢ ق٠ م [٨٢] وقتل ملكها وقطعت اشجار بساتينها، ونفي اهلها، وهكذا انتهى امر آرام دمشق وانتهت معها السيادة الآرامية الى الأبد٠ وسلم تيكلات بلاصر المنطقة الى آحاز كتابع لهم وهكذا تحولت المملكة الجنوبية الآن الى منطقة آشورية، ثم تقدم العاهل الآشوري نحو فلسطين وحرر شرق الاردن من ربقة احتلال المملكة الشمالية العبرية ثم حرر مرجعيون ومناطق أخرى قبل رجوعه الى بلاده٠

كانت دمشق في الواقع تدين لموقعها بأن تكون عاصمة لدولة الاراميين، ذلك لأن وضعها الجغرافي استطاع ان يذود عنها بعض الوقت اطماع آشور من ناحية كما يسر لها الاتصال المباشر بالحضارات القريبة منها، وهي في الوقت نفسه مركز هام لطرق القوافل الى الصحراء السورية. ومن اجل ذلك كانت اكثر من غيرها تعرضاً لهجرات وغارات بدو الصحراء بجانب كونها هدف اطماع الدول المجاورة لها حيث حققتها أخيرا آشور.

الفصل الثاني
الفينيقيون



[illegible] (Poeni) [illegible]

[illegible] (Phoenix) [illegible]

الاقليم السوري في هجرة واحدة مع العموريين في حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد-واستقروا على الساحل، ثم اصبحوا من عشاق البحر، بينما توجه العموريون الى البوادي السورية واستقر بهم المقام في اواسط حوض الفرات كما ذكر سابقاً. واعتماداً على مايرويه هيكاتابيوس فان الفينيقيين اشتهروا باسم (ختا) وهي الصيغة التي حاول (فيلون الجبيلي) ان يفسرها بأنها اصل لكلمة (فوينيكس (Phoinix التي تلقب بها الفينيقيون.(٨٧)

ومهما يكن من امر فانه ليس من السهل تحديد منطقه استيطان الفينيقيين على الساحل تحديدا دقيقا وتمييزها عن باقي المواطن الكنعانية. ولكن غالبية الباحثين يجمعون على أنهم في ازهى عصورهم كانوا ينتشرون في سهول الساحل الشرقي للبحر المتوسط وبعض المناطق الداخلية القريبة في مساحة تمتد، على الأقل، من أرواد شمالاً الى جبل الكرمل جنوباً، اي نحو الثلث الأوسط من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وعلى ذلك يمكن اعتبار لبنان الحالية تمثل الجزء الأكبر من المنطقه التي استوطنوها.

لم يعرف العالم شيئاً عن تأريخ الفينيقيين سوى ماورد في كتابات اليونان والرومان، ثم امدتنا رسائل تل العمارنة التي ترجع الى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد واكتشفت في بداية القرن العشرين، بمعلومات عن جيران مصر ومن بينهم الفينيقيين الذين كانت لها بهم علاقات في ذلك الوقت. كما امدتنا النصوص التي عثر عليها في رأس شمره (وترجع الى اوائل القرن الرابع عشر ق. م) بمعلومات عن عقائدهم الدينية. وترجع الى الالف الاول قبل الميلاد نصوص آشورية ومصرية بالاضافة الى بعض النقوش الفينيقية التي تلقى بعض الضوء على تأريخهم. وبالرغم مما قام به المدعو رينان وبعثته الفرنسية من حفائر تركزت في اربعة مناطق بعد حملة نابليون الى مصر، وكانت معروفة آنئذ على انها المراكز الرئيسية في تأريخ الحضارة الفينيقية وهي (أرواد وطرطوس وعمريت - ماراتوس - وجبيل وصيدا وصور) لكن اعماله لم تقدر في حينه.

وفي الواقع فان المدن الرئيسية لفينيقيا وأخبارها التي جاءتنا من رسائل تل العمارنة (القرن الخامس عشر قبل الميلاد) ومن المصادر المصرية والآشورية ومن العهد القديم، كانت كما يلي : عكو (عقره الحالية او عكا) واخزيب (الزيب الحالية) احلب (وفي الاشورية محليبا) وكان هناك مجموعة من المدن الساحلية مثل تيره (وهي صور بالفينيقية) وزريفث او سيرابتا (والآن هي سرفند) صيدون (صيدا الحالية) وبيروتوس (بيروتا بالمصرية وبيرونا في رسائل تل العمارنة والآن بيروت) وبيبلوس (جبيل) وعكرا شمال صيدون وسيميرا (صومرا الحالية) ومراثوس (عمريت) وأرواد او ارادوس (رواد الحالية) التي اعتبرت اهم مدينة فينيقية في الشمال.(٨٨)

وقد اجريت في اغلب هذه المدن حفريات لدراسة آثارها التي اكدت كونها مراكز فينيقية. والى جانب هذه المراكز الرئيسية تشير النصوص الى اكثر من عشرين مدينة او قرية كان بعضها لايمثل الابقاع استيطان صغيرة او محلات قليلة السكان في بلاد الفينيقيين. لذا فان الفينيقيين اضافة الى انهم ذكروا في العهد القديم وغيره من المصادر كـ(كنعانيين) لكنهم اشتهروا كذلك بأسماء مدنهم مثل (الصيدونيون) او (سيدونو) في المصادر الآشورية، وحتى اثناء السيادة الواسعة لمدينة تيره (صور) ظل الفينيقيون يعرفون كصيدونيين وليس كصوريين في كل من العهد القديم وعند هوميروس، كما عرف (ايثبعل) ملك صور كملك الصيدونيين.(٨٩) وقد اطلق الفينيقيون انفسهم الاصطلاحين على انفسهم سوية فمثلا يسمى الملك حيرام ملك صور نفسه بملك الصيدونيين ولكن اليونان استعملوا اصطلاح (فوينيكيس) وهو جمع لكلمة (فوينكس) للتعبير عن السكان و(فوينيكى) عن البلاد.(٩٠)

كان وطن الفينيقيين آهلاً بالسكان منذ اقدم العصور، وقد عثر على آثار من العصر الحجري القديم بجوار نهر الجوز (شمال البترون)، وعند نهر ابراهيم، نهر الكلب، بيروت (فرن الشباك، بيرحسن، صخور الحمام، ونهر بيروت)، جبيل (وبالكهوف في سفوح التلال) ومناطق اخرى. اما آثار العصر الحجري القديم الأعلى فتمثلها مع الطبقات السكنية في العصور المختلفةماوجدت في قصر عقيل بالقرب من انطلياس.

ومهما كان الامر فان ماعثر عليه من آثار حتى الآن لايستدل منه على وجود مخلفات حضارية تمثل كافة العصور السابقة للكتابة - او العصر قبل التاريخي - في مختلف بقاع هذه المنطقة، كذلك لم يعثر على آثار من العصر التاريخي تكفي لتكوين هيكل تاريخي متكامل للمدن ومراكز الاستيطان الفينيقية، غير اننا عن طريق هذه الآثار ومن مصادر بعض الأقطار الأخرى يمكن ان نتتبع تأريخ أهم المراكز الفينيقية من الشمال الى الجنوب. لذا فان تأريخ الفينيقيين هو تأريخ عدة مدن مستقلة التي لم تتحد فيما بينها لتكون مجتمعاً موحداً تحت سلطة سياسية معينة، وانما كانت مدناً مستقلة سياسيا لكنها مرتبطة اقتصادياً بالعالم الخارجي عن طريق التجارة البحرية التي أدت الى تبعثر قواها الانسانية في المستعمرات وعدم تمكنهم من تأسيس جيش قوى يقوم بمهمة الدفاع عن الوطن الفينيقي.

المبحث الاول
أهم المدن الفينيقية ودويلاتها

اولاً ــ أرواد : كانت أرواد من المدن الرئيسية للفينيقيين التي تعرضت للكثير من اطماع القوى السياسية المجاورة، وقد هاجمها شعوب البحر ودمروها، وكانت هذه المدينة قائمة في اقصى شمال فينيقيا.

عندما اعتلى تيكلات پلاصر الاول عرش آشور (١١١٣ ـ ١٠٧٤ ق.م) قام بحملة على سوريا وفرض الجزية على ارواد سنة ١١٠٠ ق.م ومنها توجه في سفن أروادية الى سميرا وبلاد الاموريين. واستمر اشور ناصربال في اخذ الجزية من هذه المدينة. اما شلمانصر الثالث (٨٦٠ ـ ٨٢٥ ق.م) فقد هزم ملك أرواد لأنه خلع الطاعة له واستمرت في دفعها الجزية للاشوريين. وهكذا ظلت هذه المدينة تابعة للاشوريين، ولكن في عهد سنحريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م) تحالف امراء مملكة يهوذا مع الفينيقيين وثار على آشور ولكن سنحريب شتت شملهم سنة ٧٠١ ق.م، وفي اللوحة التي أقامها على نهر الكلب تخليداً لانتصاره ذكر اسماء ملوك بعض المدن الفينيقية ومنهم ملك أرواد (عبدليق). وفي عهد آشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق.م) قدم ملك أرواد (ياكن لو) خضوعه للعاهل الآشوري. وظلت هذه المدينة على ولائها لآشور الى زمن سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م، وفي اوائل الاحتلال الاخيني زادت من نفوذها في المنطقة الساحلية الا انها فتحت ابوابها أمام اسكندر المكدوني دون ان تقاومه.

ثانياً ــ بيبلوس (جبيل) : اسفرت الحفريات في ١٩٢٠، ١٩٢٥م. عن آثار من عصور مختلفة ابتداء من الألف الثالث قبل الميلاد الى القرن الثاني الميلادي. منها معبد من الالف الثالث ق.م ثم آثار مصرية ترجع الى عهد الدولة القديمة والوسطى ثم انقاض وآثار يونانية ورومانية.

كانت مدينة بيبلوس مركزا تجارياً هاماً نشأت بينها وبين جاراتها علاقات وثيقة وترجع علاقاتها مع مصر الى اقدم العصور حيث عثر فيها على أختام اسطوانية من الاسرة الثالثة، كذلك عثر على أواني تحمل اسماء خع سخموي (الأسرة الثانية) وخوفو ومنكاورع (الاسرة الرابعة) واوناس (الاسرة الخامسة) وتتي وبيبي الاول وبيبي الثاني (الاسرة السادسة) وكثير غيرها. ويبدو ان العلاقات بين مصر وبيبلوس قد توقفت في عهد

الاضمحلال الذي اعقب الأسرة السادسة ثم بدأت من جديد في عهد الدولة الوسطى. ولا يعرف شيئ عن تلك العلاقة اثناء حكم الهكسوس لمصر، لكن بعد طردهم خضع الاقليم السوري لمعظم ملوك الاسرة الثامنة عشرة بما في ذلك بيبلوس، اما في عهد امنحوتب الثالث فقد ظهرت قوة الحيثيين الذي اخذوا في ضم اجزاء من شمال سوريا التي كانت خاضعة لمصر فاستنجد الامير (ربعدى) حاكم بيبلوس مع غيره من امراء سوريا بفرعون مصر.(٩٢)

استمر النفوذ المصري في بيبلوس الى عهد رمسيس الثاني الذي انهى صراعه مع الحيثيين بعد معركة قادش بزواجه من ابنة ملك الحيثيين، وظل هذا النفوذ في عهد رمسيس وتدل عليه الآثار التي وجدت في مقبرة (احيرام) ملك جبيل (بيبلوس) ، ثم اخذ في الأفول الى ان زال نهائيا من بعده، وقد اصبحت هذه المدينة مملكة صغيرة شعرت بقوتها ومنعتها.ولم تعد خاضعة للنفوذ المصري، الا ان اغارة شعوب البحر (حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م) كان لها اثر مباشر عليها، لكنها انتعشت لبعض الوقت، ومن نصوص مختصرة ترجع الى القرن العاشر ق.م نتبين ان بيبلوس تتابع على عرشها الملوك احيرام، ايتوبعل، ابي بعل، ييحى ملك، ايلى بعل، شيبيت بعل.(٩٣)

ثالثاً ــ صور : يستدل من الشواهد الأثرية على ان موقع صور كان عامراً منذ القدم وقبل وصول أقوام جزيرة العرب اليها(٩٤) ، وقد خضعت المدينة لمصر وغيرها من الدول في فترات متفاوتة. وقد زال النفوذ المصري من الساحل السوري في نهاية الاسرة الثامنة عشر وبداية الاسرة التاسعة عشر وحينما اعتلى سيتى الاول عرش مصر استطاع ان يستعيد الجزء الجنوبي من سوريا من قبضة الحيثيين الذين كانوا قد استولو عليه. وقام رمسيس الثاني بحملة على تلك الجهات واستعادت مصر بذلك سيطرتها على المدن الفينيقية.(٩٥) وحينما اغارت شعوب البحر غرب آسيا قامت بنهب عدد من المدن الفينيقية وخاصة صيدا وصور. ولكن ما ان زال اثر تلك الاغارة حتى نهضت تلك المدن ومن بينها صور التي نعمت بنشاط ورواج لم تشهد له مثيلا من قبل فظلت مستقلة فيما بين عامي ١٠٠٠ - ٥٠٠ ق.م تقريبا حيث وصل نشاطها التجاري الى منتهاه ووصلت اساطيلها الى اماكن بعيدة أسسوا فيها وكالات تجارية ومستعمرات دائمة. ومن اشهر ملوك صور (أحيرام بن ابي بعل) الذي عرف باتصالاته مع سليمان، وينسب اليه انه زاد في مساحة مدينته ورمم المعابد القديمة وشيد معابد اخرى جديدة، وكان معبد

ملقارت (بعل صور) قائماً على جزيرة صغيرة منفصلة عن جزيرة صور الكبيرة فردم حيرام مابينهما انشأ بهذا السد مينائين احدهما في الشمال والآخر في الجنوب. وقد تبعه في الحكم ولده بعل - اتسار (٩٣٥ - ٩١٩ ق.م) ثم تبعه عبد عشتارت (٩١٨ - ٩١٠ ق.م) ثم اغتصب عرشه وتبعه (عشتاريمو ٨٩٧ - ٨٨٩ ق.م) ثم ازاحه (ايتوبعل) كاهن عشتارت عن العرش وقتله وظل يحكم صور فيما بين ٨٨٧ - ٨٥٦ ق.م مؤسسا بذلك اسرة حاكمة جديدة ظلت في الحكم قرناً من الزمان تقريباً. وقد زوج ابنته (ايزابيل) الى آخاب بن عومرى (٩٦) واصبح موقف صور السياسي قوياً، لذا يصف المؤرخ يوسيفوس (ايتوبعل) بانه ملك صور وصيدا مما يثبت امتداد سلطانه على الساحة الفينيقية، كما يذكر عنه انه أسس مدينة البترون شمال بيبلوس.(٩٧)

خلال الهيمنة الاشورية على سوريا وفينيقيا كانت صور تحتفظ باستقلالها غالباً وحينما تولى (شلما نصر الخامس) عرش آشور اراد ان يغزو جزيرة قبرص فجمع ستين سفينة من صيدا وبيبلوس وارواد ولكن صور قامت بالثورة وتصدت اثنتا عشرة سفينة صورية لهذا الاسطول الذي جمعه ودمرته وأسرت نحو خمسائة من الاشوريين فقام ملك آشور بحصار صور ولكنه مات قبل ان يخضعها. ولكن في عهد (سنحريب) تكون حلف من المدن السورية والمدن الفينيقية ضد آشور، وقد انتصر سنحريب على هذا الحلف في معركة يحتمل انها كانت في سنة ٧٠١ ق.م فر على اثرها ملك صور الى قبرص حيث مات بها. وحيث اصبح (بعل) ملكا على صور عاون الاشوريين، ولكن مالبثت صور ان ثارت فيما بين ٦٧٦-٦٧١ ق.م غير ان آشور اخمدت الثورة وأجبرت صور على عقد معاهدة معها، وكانت معاهدة مجحفة حيث انها تضمنت العديد من الالتزامات التي يجب على ملك صور ان يفي بها وحتمت بأن تكون الشؤون الآشورية في صور من اختصاص الحاكم الآشوري، كذلك اضعفت سلطة الملك بأن الزمته بتعيين مجلس للشيوخ يعاون الملك في كل اختصاصه، كما حددت هذه المعاهدة اسماء الموانئ السورية التي يمكن لسفن صور الوصول اليها للتجارة تحت الرقابة الآشورية بعد الحصول على اذن بذلك. ونظراً لشدة وطأة هذه المعاهدة انتهزت صور فرصة الصراع بين مصر وآشور واتحدت مع (طهرقة) ملك مصر واثيوبيا معلنة الثورة على آشور لكن اسرحدون الآشوري استطاع من اخضاعها ثم فرض آشور بانيبال الجزية عليها في عهد ملكها (بعل) الذي ثار من جديد بتشجيع من مصر، لكن آشور بانيبال أخضعه بقسوة.(٩٨)

لاتوجد ادلة تأريخية عن حالة صور والمدن الفينيقية الاخرى فيما بين ٦٦٨ - ٥٩٠ ق·م ويبدوا ان المشاكل التي لاقتها آشور وسقوطها هيأت لتلك المدن استقراراً ورخاءً نسبياً مؤقتاً، لكن حملة (نبوخذ نصر) ملك بابل (٦٠٥ - ٥٧٢ ق·م) على سوريا وفلسطين بداية لاخضاع البابليين للمدن الفينيقية، وحاصر نبوخذنصر صور التي ظلت تقاوم ثلاث عشر عاماً (٥٨٦ - ٥٧٢ ق·م) حتى خضعت في النهاية كما خضعت صيدا وغيرها، وقد خلع نبوخذنصر ملك صور المنهزم (ايتوبعل) وعين في مكانه (بعل) الذي اخلص له فبقى على عرش صور من سنة ٥٧٥ الى سنة ٥٦٤ ق·م· وبانتهاء عهد (بعل) توقف تتابع الملوك مؤقتا وتولى الحكم قضاة لمدة سبع سنوات باستثناء ملك واحد حكم لمدة سنة ثم جاءت بعد ذلك سلالة من الملوك بدأها (ميربال) الذي حكم اربعة اعوام ثم تبعه اخوه احيرام (٥٥٢ - ٥٣٢ ق·م)(٩٩)

لاتوجد معلومات مباشرة عن صور على اثر سقوط الدولة البابلية، لكنه من الواضح ان المدن الفينيقية وضعت اسطولها تحت امرة قمبيز الثاني ابن كورش الاخميني حينما اعد لحملته على مصر ولكنهم لم يسهموا في تلك الحملة التي كان يعدو لغزو قرطاجة · ثم كانت هذه المدن تمثل الولاية الخامسة في امبراطورية دارا الاخميني، وخلال الحكم الاخميني لم تظهر هناك اية تطورات سياسية في بلاد الفينيقية تستحق الذكر، لكن بعد معركة ايسوس (عام ٣٣٣ ق·م) فتحت هذه المدن ابوابها للاسكندر المكدوني بينما ظل ملك صور ضمن الاحتلال الاخميني لكنها حاولت الاحتفاظ باستقلالها لكن الاسكندر نجح في الاستيلاء عليها بعد مقاومة عنيفة، وقد لجأ الملك والزعماء الى معبد (ملقارت) للاحتماء به فعفا عنهم الاسكندر وأعيد بناء المدينة في هيئة قلعة مقدونية استعمرها المقدونيون·

رابعاً ــ صيدا : كانت صيدا ذات اهمية خاصة بين المدن الفينيقية· فالكتاب المقدس يشير الى الفينيقيين جميعاً باسم هذه المدينة (الصيدونيون) مما يدل على زعامتها لسكان تلك المدن· وقد فرضت على هذه المدينة الجزية ايضاً منذ فترة حكم تيكلات پلاصر الاول واستمرت ايام شلمانصر الثالث واداد نيراري، ولكن في عهد تكلات پلاصر الثالث ضم الاشوريون بعض دويلات المدن على الساحل السوري وعين عليها حكاماً اشوريين ، ويشير نقش فينيقي عثر عليه في قبرص الى ان حاكما محليا بها كان تابعاً لحيرام الثاني ملك الصيدونيين، مع ان هذا الأخير كان يحكم صور ودفع الجزية لتيكلات پلاصر الثالث· اما سنحريب فقد قام باكثر من حملة· ويذكر في نصوصه انه في حملته الثالثة

وجه ضرباته الى بلاد سوريا الحيثية وان ملك صيدا هرب الى البحر رعبا منه، ثم مات، وقد اخضع سنحريب صيدا واجلس على عرشها (ايتو بعل الثاني) وفرض عليه جزية دائمة وجعل له السيادة على فينيقيا، وبذلك انتزع من صور نفوذها وقوتها واخذ اسرى صوريين وصيدونيين معه الى آشور. وفي عهد اسرحدون تحالف (عبد ميلكوتى) خليفة (ايتوبعل الثاني) ملك صيدا مع ملك كيليكيا ضد الملك الاشوري الذي استطاع ان يدمر صيدا وان يسوى مبانيها بالارض سنة ٦٧٧ ق.م بعد ان حصل منها على غنائم كثيرة وقبض على ملكها في عرض البحر عند فراره وقتله، ثم بنى مدينة جديدة على انقاض صيدا وجلب لها سكاناً من جهات مختلفة وعين عليها حاكما آشورياً ، وقد انقسمت فينيقيا في عهده الى ثلاث ولايات كانت صيدا تمثل الوسطى منها، وقد تعرضت هذه المدينة الجديدة بعد الحكم الآشوري لحملات نبوخذنصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م) الذي اخضع صور وصيدا وغيرهما من المدن الفينيقية. وفي العصر الاخميني تشير الدلائل الى ان صيدا كانت لها السيادة وحكمتها اسرة تركت نقوشها تلقى بعض الضوء على تأريخها. ويبدو ان مؤسس هذه الأسرة كان (اشمونازار) الذي خلف (تابنيت) ثم جاء بعده (اشمونازار الثاني) وكان لهؤلاء علاقات طيبة مع الملوك الاخمينيين. ومن ملوك هذه الاسرة الصيدونية ثلاثة كل منهم يدعى (بوداشتارت) ويدل طراز النقوش التي على توابيت هؤلاء الملوك على انهم عاشوا في القرن الخامس قبل الميلاد. وفي القرن الرابع قبل الميلاد حدث تحول في سياسة المدن الفينيقية تجاه الاخمينين فحينما احتل اليونان قبرص سنة ٣٩٢ ق.م وهاجموا المدن الفينيقية خضعت لهم صور، ثم اصبح (عبد عشتارت) ملك صيدا سنة ٣٦٢ ق.م على علاقات ودية معهم. وحينما ثار (تنيس) ملك صيدا سنة ٣٤٦ ق.م قضى الاخمينيون الفرس على ثورته بقسوة حيث احرق صيدا وقتل اكثر من اربعين الفاً من سكانها ولم ينجح ملكها من نفس المصير. ثم تولى الحكم في صيدا والى جديد ولكن مالبثت ان وصل الاسكندر فخضع له هذا الوالي خضوعاً وبذلك انتهى الحكم الاخميني فيها.

خامساً ــ عكا : كانت هذه المدينة اقصى مراكز الاستقرار الفينيقية جنوباً ولا يعلم الكثير من تأريخها القديم، ولكنها كمعظم المدن الفينيقية تعرضت لغزوات مختلفة من اهمها تلك التي استولى فيها سنحريب عليها في حملته الثالثة وتلك التي اخضعها فيها آشور بانيبال بقسوة بعد ثورتها ضده.(١٠٠)

المبحث الثاني
تأريخ الفينيقيين :

يشير تأريخ الفينيقيين الى انهم شعبة من الكنعانيين استقرت على شاطئ عند منحدرات لبنان بينما ظل الآخرون في اقسام اخرى من سوريا وفلسطين وغربي الاردن. اما تأريخ قدوم الفينيقيين الى تلك النواحي فيخبرنا هيرودت (الكتاب السابع) بذلك من خلال مارواه له علماء مدينة صور من ان اجدادهم قدموا من شواطئ (الخليج العربي). وهناك راي آخر اورده جوستين مفاده ان الصوريين ينحدرون من الفينيقيين الذي ازعجهم زلزال فهجروا موطنهم الاصلي في البحر الداخلي في سورية وحالما استقروا على اقرب شاطئ بحر بنوا مدينة اطلقوا عليها اسم صيدا (صيدون) بسبب كثرة السمك. ومع ذلك فليست هناك نقطة بدء معروفة من الناحية التأريخية يستطاع الاطمئنان اليها في تحديد بداية صحيحة لتأريخ الفينيقيين. ولكن يمكن القول بأن ظهورهم في التأريخ كبحارة وتجار لم يكن نتيجة تطور محلي بل انتقال مفاجئ، اي انهم ثمرة هجرة لقوم ضاقت بهم الحيلة في ارضهم، ولايكون هذا القوم و لأسباب عديدة، غير المهاجرين الكنعانيين الذين تقدموا من الجنوب الى داخل فلسطين ثم انتقلت الشعبة الفينيقية منهم الى الشاطئ السوري للبحر المتوسط وهم يمثلون على هذه الصورة امتداداً كنعانياً نحو الساحل، ولكن الدور الذي قام به الفينيقيون بعيد عن الوان الصراع التي شهدتها كنعان الأم، لأنهم كانوا بعيدين ومنعزلين عن مركز ذلك الصراع، ومع ذلك فان بلادهم لاتظهر على مسرح التأريخ الا مقترنة بغيرها من الأمم وان ذلك التأريخ مكتوب بانجازاتهم حيث ساعدوا الامم الأخرى في تسهيل كتابة آدابهم، وبصناعاتهم وتجاراتهم وفنهم لابحروب ومعارك. وأن تأريخ الفينيقيين لم يكتب بصورة كلية واهم الكتابات الفينيقية هي كتابات فيلو الجبيلي الذي عاش في اواخر القرن الاول الميلادي ولها اسلوب اسطوري وكذلك نقرأ عنهم في العهد القديم والمصادر المصرية والاشورية واليونانية والرومانية .

على العموم دخلت فينيقيا التأريخ منذ عام ١٦٠٠ ق.م عندما بدأت مصر احتكاكها مع آسيا في زمن احمس الأول حيث قاد حملة على سوريا وفلسطين وفينيقيا. وعاود احمس الثالث (١٥٠٣ ـ ١٤٤٩ ق.م) الحملة من جديد الى تلك البلدان في غربي آسيا وجعل فيها حكاماً موالين لمصر. وحول العلاقات الحضارية والقضايا الجغرافية لتلك البلاد في القرن الرابع عشر (١٤٠٠ ق.م ومابعدها) يمكن التطلع اليها من خلال المدونات المصرية لـ(انستاسو الأول) الذي يذكر مدينة كيبونا (جوينة، جبيل ـ بيبلوس) المدينة

المقدسة، ثم تليها مدينة بيريتوس وحتى صيدون وسيرابتا حيث فرع نهر نات ـ انا (نهر القاسمية او مدينة القاسمية)٠ ثم يدون اسم مدينة (او ميناء) دئار (تيرى).(١٠١) ومع ذلك فان الاخبار الكاملة لهذه البلاد دونت في رسائل تل العمارنة وخاصة الالواح التي هي رسائل شخصية من امراء محليين وحكام مصريين لبلاد فينيقيا معنونة الى فراعنة مصر٠ واثناء حملات ملوك الحيثيين على سوريا وفينيقيا ساعدهم بدو المنطقة ووقفت تلك المدن بجانبهم وذلك للتخلص من تسلط الفراعنة عليهم٠ واتخذت كل مدينة واميرها موقفاً معينا في هذا الصراع٠ فدعمت كل من ارادوس وسيميرا وصيدون ثورة ريب ـ اددى الذي كان نائب ملك بيبلوس٠ اما ابي ـ ميلخ ملك تيرى فقد قاوم المصريين٠ والحقيقة ان كل مدينة كانت تعمل لصالح نفسها وتتخذ موقفاً معيناً من ذلك، وأخيراً فقدت مصر كل هذه المدن ماعدا بيبلوس٠ كما وان الاخبار التي تتعلق بهذه المرحلة دونت بلغة اهل بيبلوس مما تؤكد على مكانة هذه المدينة في بلاد فينيقيا٠ وفي عهد امنحوتب الرابع (١٣٧٦ ـ ١٣٦٦ ق٠م) تدهورت نفوذ وقوة المصريين في تلك البلاد كليا ولكن خلفائه حاولوا استعادة تلك النفوذ، لذا حاول رمسيس الثاني بالسيطرة على فينيقيا لحد مدينة بيروت حيث دون اخباراً عن حملته هذه على صخرة بالقرب من نهر الكلب.(١٠٢)

ولكن اعقب هذه الفترة تغيير شامل في غرب آسيا بمجئ شعوب البحر الذين تمركز قسم كبير منهم في بلاد فينيقيا٠ لذا فقد خلفاء رمسيس سلطتهم في بلاد كنعان ، الا ان شيشونق من الاسرة الثانية والعشرين حاول اعادة تلك السلطة والنفوذ عام ٩٢٨ ق٠م لكن خلفائه ضيعوا تلك القوة التي استند عليها فراعنة مصر في ادارة شؤون آسيا الغربية٠

بدأت المدن الفينيقية بادارة شؤونها الداخلية بنفسها منذ انحسار نفوذ المصريين منها وحتى الفترة التي بدأ الآشوريون في تقدمهم نحو الغرب٠ وكان لجبيل ملوكها (احيرام، ايثوبعل، ابي بعل) في القرن العاشر قبل الميلاد كما تشهد على ذلك مدافنهم٠ وقد اوجدت مدينة تيرى في هذه المرحلة مستعمرات لها فيما وراء البحار٠ وتحدث اثنان من مؤرخي العصر الهلليني (ميناندر الأفسوسي وديوس) عن اخبار الفترة فيما بين ٩٧٠ ـ ٧٧٢ ق٠م وهما اللذان استقى منهما يوسيفوس معلوماته.(١٠٣) ومن هذه المعلومات نعرف بأن (حيرام الأول ابن ابي بعل) حكم في تيرى من ٩٧٠ ق٠م الى ٩٣٦ ق٠م، كما تؤكد مدونات مدينة تيرى، ايضاً تلك العلاقات التي كانت قائمة بين حيرام وسليمان، وأن الفينيقيين قبل ذلك عاشوا في سلام مع المملكة المحتلة لاسرائيل٠ وقد قدم حيرام لداود وسليمان كل مايحتاجونه من مواد البناء والأخشاب بجانب الزيوت والشراب وحرص داود على استمرار

علاقاته الطيبة مع حيرام ملك صور (تيرى) وارسل له هذا معماريين ونجارين لبناء قصره الملكي في القدس شيده بالحجارة وخشب الأرز من لبنان. وكانت الصداقة بين الطرفين مبنية على المنفعة المتبادلة لذا شجع سليمان الذي خلف داود الفينيقيين على المرور بفلسطين وحتى التجارة مع مدنها ومبادلة مالديهم من مصنوعات بالمنتوجات الفلسطينية خاصة الزراعية فيها. وكان حيرام قد عقد معاهدة مع سليمان تنازل الاخير بموجبها عن كثير من القرى بمنطقة الجليل لحيرام، وكانت هذه المعاهدة ذات علاقة باسطول حيرام التجاري وربما مع تجارته بالبحر المتوسط.(١٠٤) فأرسل لسليمان كل مايحتاجه من مواد واخشاب لبناء المعبد وقصره فضلاً عن بعض العمال. وظلت هذه العلاقة قائمة لمدة غير قصيرة. ثم خلف حيرام (ايثوبعل) الذي اشتهر كذلك كملك الصيدونيين اي الفينيقيين وقد استطاع هذا توسيع رقعة مملكته نحو (بوتريس) شمال بيبلوس و(اوزا) في شمال أفريقيا التي اكتشفها بنفسه.(١٠٥)

ولعل اهم عمل قام به هؤلاء الملوك هو اكتشاف (قرطاجة) نتيجة للخلافات التي حصلت بينهم بعد موت (ميتين الأول) عام ٨٥١ ق.م، وعندما اعتلى (پيكماليون ابن ميتين) العرش (٨٦٠ ـ ٨١٤ ق.م) قضى على زوج اخته (اليسا) او (ديدو) التي هربت على اثر الحدث الى الغرب واكتشفت قرطاجة في تونس.(١٠٦)

ويظهر ان اليسا تزوجت (اشارباس) وهو عمها او خالها وكان كاهنا للاله ملكارت (ملقارت) العظيم وقتل بيد اخيها وهناك اساطير مختلفة حول انتقال هؤلاء من صور الى قرطاجة، لكن المصادر الكلاسيكية تشير الى ان قرطاجة تأسست قبل الأولمبياد الأول (اي قبل سنة ٧٧٦ ق.م) بثمانية وثلاثين عاماً، اي في سنة ٨١٤ ق.م ومما يؤيد ذلك ان احد هذه المصادر يذكر بأنها ظلت قائمة ٦٦٧ سنة وباحتساب تأريخ القضاء عليها وتدميرها سنة ١٤٦ ق.م. يمكن التوصل الى نفس النتيجة تقريبا على اعتبار ان تأسيسها يرجع الى سنة ٨١٣ ق.م. ومن جهة اخرى يمكن ان نستنتج من اسم قرطاجة (المدينة الجديدة) ان الفينيقيين ارادوا ان ينشروا نشاطهم في الغرب وهو الذي كان قد بدأ فعلاً من قبل وامتد الى ابعد من منطقة قرطاجة.

وعلى كل حال فان الفترات التي تلت عهد (ايثوبعل) اصبحت البلاد الفينيقية تحت هيمنة الآشوريين. ففي ٨٦٨ ق.م قام آشور ناصر بال (بغسل اسلحته في البحر العظيم) وأخذ الهدايا من ملوك تيرى وصيدون وبيبلوس ومدن اخرى ومن ضمنها ارواد، كما وتخبرنا مدونات ابنه شالمانصر الثالث ايضاً عن حصوله الهدايا من التيريين والصيدونيين

في ٨٤٢ ق.م وكذلك في ٨٣٩ ق.م ثم قدم له (ميتين بعل) ملك الأرواديين الهدايا حسب ماجاء ذلك في العهد القديم.

لقد خلف (بعل اوصر الثاني) اباه (ايثوبعل) الذي حفل عهده بأحداث عظام رغم قصر مدة حكمه (٦ سنوات) لأن خطر آشور بدأ يتزايد وفي معركة (قرقر) عام ٨٥٣ ق.م حارب (ميتين بعل) ملك ارواد في صف (آخاب وكونا وسيميرا وعكا). ولكن نعمت فينيقيا بعد هذه الهزات بسلم استمر اكثر من نصف قرن حتى عهد تكلات پلاصر الثالث الذي اجتاح بلاد سوريا وفلسطين واخضع المدن الفينيقية واخذ الجزية منها.

واستمرت هذه الحملات الآشورية في زمن شلمانصر الخامس وسرجون وسنحريب واسرحدون وآشور بانيبال، وفي النهاية لم تسلم سورية وفلسطين كذلك من اغارات الاسكيث والكيميريين من الشمال في نهاية القرن السابع، كما توغلوا نحو الحدود المصرية عام ٦٢٥ ق.م وقد قدم لهم (پسمتك الأول) الفرعون المصري الهدايا(١٠٧) كما استغل ابنه (نيكاو الثاني) قدرة مرتزقة الكاريين والايونيين وغيرهم في الجيش المصري (عام ٦٠٨ ق.م) في محاولة استرجاع مجد مصر في سورية وقد استطاع ان يمد حدود مصر حتى الفرات ولكن عمر النصر لم يطل ، ذلك لان (نابوپولاسر) بعث بابنه (نبوخذنصر) ليحارب نيكاو (نيخاو) ودارت رحى معركة، قرقميش عام ٦٠٥ ق.م وخسرها نيكاو، ولم يطارد نبوخذنصر عدوه داخل مصر بل عاد الى بابل بسبب وفاة ابيه.(١٠٨) واصبح البابليون سادة غرب آسيا. الا ان المدن الفينيقية حافظت لمدة غير طويلة على استقلالها ثم حاول ابريس ابن پسمتك الثاني المشهور بـ(هوفرع) باستعادة السيطرة على تلك البلاد في ٥٨٨ ق.م بالنيابة عن البابليين لذا هاجم مدن صور وصيدا وغيرها لذا بدأ ملوك المدن الفينيقية ومن بينهم (ايثوبعل الثاني) الملك الجديد لصور يظهرون عدوتهم من بابل ، وقد تعلم الفينيقيون خلال مامر بهم من تجارب كيف يفيدون من هذه الصدمات التي تصيبهم من كل جانب وقد ادركت مدينة صور مدى قسوة فرعون مصر فأقدمت على مفاوضته، ووجد نبوخذنصر الفرصة مواتية لا لحصار اورشليم فحسب بل للتقدم نحو صور كذلك. وفي هذه الاثناء سقطت عاصمة يهوذا عام ٥٨٦ ق.م ودمرت المدينة واقتيد اهلها للأسر. ثم حاصر نبوخذنصر ايثوبعل الثالث في جزيرته، وقاومت صور مقاومة شديدة استمرت ثلاثة عشر عاماً ثم استلم (ايثوبعل) وسيقت اسرته الى بابل رهينة وظل هو على عرش صور حتى عام ٥٦٤ ق.م ، ثم وجه نبوخذ نصر حملة على مصر بعد ذلك لابعادها عن آسيا، ولم يثر الصوريون المتاعب بعد ذلك حيث اعتبر (نابونيد) مدينة غزة الحدود الجنوبية لمملكته المترامية الاطراف.

لقد عين نبوخذ نصر بعد هذه الحوادث (بعل الثاني) فيا بين ٥٧٤ ـ ٥٦٤ ق٠م على صور واشتهر بـ(بعلزور) وكان لايسنده حق شرعي في الحكم واستطاعت عصبة ان تسيطر على الأمور فولى واحد منهم يدعى (مهار بعل) شئونها في نهاية الامر واستطاع ان يحتفظ بالعرش مدى اربعة اعوام ثم خلفه اخوه (حيرام الثالث) الذي جئ به كذلك من بابل كما يخبرنا بذلك يوسف الفلاوي. (١٠٩) وقد تم احتلال فينيقيا عام ٥٣٨ ق٠م من قبل الاخمينيين في زمن حيرام الثالث في الوقت الذي احتل اماسيس الثاني فرعون مصر جزيرة قبرص(١١٠) وظل حيرام يحكم فينيقيا عشرون عاماً. وفي هذه الاثناء بدأ (هانو) يحكم قرطاجة مستقلا (فيا بين ٥٣٨ ـ ٥٢١ ق٠م) وبدأت كل من صور وصيدا يقودان المدن الفينيقية، وكانت لاتزال هناك علاقات بين قرطاجة وصور وخاصة عند الحضور للاحتفال بمهرجان ملقارت (١١١)

كانت الحملة البابلية على صور وحصارها لمدة ثلاثة عشر عاماً سبباً في انحدار مركزها رغم مابدت من ضروب الشجاعة والمقاومة وخاصة وان اماسيس الثاني (عحموزة الثاني) استطاع ان ينتقص من سيادتها بانتزاع قبرص، وليس يردفي هذه الآونة ذكر لاسطول الدويلات الفينيقية في الحلف الذي كونه البابليون والمصريون والليديون لمقاومة خطر الفرس الاخمينيون، الا ان بلاد فينيقيا كانت تشكل جزء من الساتراب الخامس من الامبراطورية الاخمينية، وفي هذه المرحلة تزعمت صور المدن الفينيقية(١١٢) وحاول قمبيز الاستعانة بالاسطول الفينيقي لغزو قرطاجة ولكن الفينيقيين خذلوه بحجة التزاماتهم الدينية وتقاليدهم التي تمنعهم من محاربة اقربائهم، لذا تراجع عن محاولة تحقيق هدفه.(١١٣) ومن بعد قمبيز جهد (دارا الاول) في استغلال الامكانيات الفينيقية، وقد فرض عليهم جزية كبيرة ولكنه لم يتعرض لنظام الحكم الداخلي في فينيقيا ولكن اشترك الاسطول الفينيقي في الحروب التي جرت بين الاخمينيين واليونان ووقف بجانب الفرس واظهر مهارة وشجاعة ملحوظتين ادتا الى هزيمة الايونيين عند جزيرة ليد المقابلة لمدينة (مليطية) ميليتوس.

ظل الفينيقيون يحافظون على شهرتهم وسمعتهم كسادة للبحار حتى انه لما اعتزم كسيركس (كى خسرو) معاودة غزو اليونان اعطاهم زمام العمليات البحرية كما اسهموا في شق قناة في البرزخ الذين يربط مابين مونت اثوس والبلاد اليونانية الاصلية، واستطاع فينيقيوا صيدا ان يبرزوا في الميدان على اليونانيين. وحين نقل الاثينيون الحرب الى قبرص والى شاطئ كيليكيا ظهر نشاط الاسطول الفينيقي مرة اخرى واحس الاثينيون بواد الخطر الذي يهدد مركزهم كسادة جدد للبحر، ولكنه تغير هذا الموقف في بداية القرن الرابع قبل الميلاد ففي عام ٣٩٤

ق·م كانت العداوة سافرة بين اثينـا واسپرطـة· انضم الفينيقيون الى الأثينيين لتـدمير اسپـارطـه وسيـادتهـا البحريـة· وبهـذه الصورة اسهمت مـدن فينيقيـا في كل الحروب التي جرت في البحر المتوسط تقريباً.(١١٤)

. لقد اسهمت مدن فينيقيا في احداث الحروب التي قامت بين الفرس والقبارصة ونستطيع ان نستنتج من بعض النصوص التي خلفها مؤرخو اليونان عرضاً عن هـذه الفترة ان صور كانت في قمة المدن من ناحية القوة البحرية وان صيدا كانت اكثرهـا ثروة وازدهـاراً· وشغلت فينيقيـا في اعقاب ذلك الدور السياسي والاقتصادي بالثورة التي عمت اقـاليم الامبراطوريـة الاخمينيـة والتي شجعتهـا المقـاومـة المصريـة والعـداوة التي اظهرتهـا اسپرطـة وعـدم الولاء الـذي جهر بـه الولاة الآسيويون· وبدأت كافة الاقـاليم من مصر الى ليكيـا تتـآلف لتنتزع عن عـاتقهـا نير الاخمينيين وقـد اسهمت اسپرطـة فـدت الحلف الجـديـد بجيش بري وجهتـه الى مصر، كما عقـد الفينيقيـون اجتماعاً في طرابلس عام ٣٥٢ م واعلنوا فيه خروجهم على طاعة فـارس وسلطـانهم.(١١٥) ونهجت قبرص نهج الفينيقيين· ومن خلال النقود الفينيقية يمكننا التعرف على جانب من تـأريخ البلاد الفينيقية ومدنهـا في هـذه الفترة· وكان لـمدن ارواد وبيبلوس وصيـدون وصور نقودهـا الخـاصـة تداولت نماذج منها حتى خارج هذه البلاد· وقد طبعت على هـذه النقود شعـار او اسم المدينـة وعلى بعضها نشاهد اسم حـاكم او ملـك المـدينـة كنقود بيبلوس التي تحمل اسماء ملوك مثل (ايل بعل وازبعل) اللذين حكمـا بين ٣٦٠ ـ ٣٤٠ ق·م وكـذلـك (ادر ملـك وعين ايل) التي شوهـدت على نقود المـدن الاخرى· ان اغلب هـذه النقود ترجـع الى زمن الاحتـلال الاخميني مثـل النقـد الذي طبع عليه اسم (يهوه ميلـك) ملـك جبيل وكـذلـك اسم جـده الملـك (اورى ميلـك) ولكن ليس هناك اشارة الى تأريخ سك هذا النقد.(١١٦)

وبعـد بضعـة سنين من هـذه الحـوادث، استطـاع الاسكنـدر المقـدوني بعـد معركـة كَرانيكوس عام ٣٣٤ ق·م ان يسيطر على آسيا الصغرى واستطاع بعد معركة ايسوس عـام ٣٣٣ ق·م ان يدفع دارا الاخميني الى ماوراء نهر الفرات، ووجد المـدن الفينيقيـة بعـد ذلـك مفتوحـة امامه حيث كان ملوكها غائبين عنه ومتواجدين مع القوات الفارسية في بحر ايجـة، لكن مـدن ارواد وبيبلوس وصيدون رحبت بقدوم الاسكندر ولكن الصوريين رفضوا دخولـه الى مـدينتهم كذلك ملكهم (عزيملك) ولكن ابنه وقسم من الاهـالي اتجهوا الى الاسكنـدر واعلنوا ولاءهم· ومع ذلك فقد دافعت صور دفاعاً مستميتا عن كيانها وهو دفاع تتجلى فيه مظاهر الاستماتة التي تجري في عروق الفينيقيين الأصليين والحرص على استقلالهم ولكن مع كل مارافق ذلك الـدفـاع المجيـد

للصوريين سقطت مدينتهم عام ٣٣٢ ق٠م بعد حصار دام سبعة شهور واحل بها الاسكندر جماعة من المستعمرين بعدما قتل من اهلها ثمانية الآف ووقع ثلاثون الفاً منهم في الاسر وبيعوا كعبيد ولجأ الملك (عزيملك) والسفراء والمبعوث من قرطاجة الى معبد (ملكارث) ولم يعدمو.[١١٧] وبعد موقعة(كوكميلا) قرب اربيل ضم الاسكندر سورية وفينيقيا وكيليكيا الى بعضها وجعل منها ولاية واحدة عهد بأمورها الى (مينيس) وبذلك فقدت البلاد الفينيقية دورها وسلطتها السياسية في التأريخ، وقد ظلت متأرجحة ادارياً بين سلطة ملوك مصر من البطالسة وملوك سورية٠ ومن سنة ٢٧٥ ق٠م كانت نقود صور تحمل شعارات مصرية او اغريقية٠ ومن بين المدن الفينيقية فان اغلب الاخبار تتعلق بمدينة صيدون في هذا العصر وجعل الاسكندر في حينه اسرة ملكية لادارة هذه المدينة بدأ بـ(ابدالونيموس) الذي كان يعمل بستانيا واحاطت حياته الغموض[١١٨] لكن بطليموس جعل احد قواده المدعو (فيلوكليس) ملكا على الصيدونيين وقد وجد مرسوماً مدوناً حول هذا في اثينا ، ولكنه لم يحكم طويلاً، وقد اكدت الآثار التي اكتشفت في (بستان الشيخ) قرب صيدا على ان سلالات محلية حكمت المدينة في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق٠م منهم (تبيث واشمون عازار وبود عشتارت) وغيرها وقد انتهى حكم هذه الاسرات في ٢٥٠ ق٠مز٠ وبعد وفاة (انطيوخوس الرابع ايبفانس عام ١٦٤) بدأت المملكة السلوقية في التدهور ودمر المغتصب (تريفو) عام ١٤٠ ق٠م مدينة بيروت ولكن مدن صور عام ١٢٠ ق٠م وصيدا عام ١١١ ق٠م تمتعتا باستقلال تام وبدأ عصر جديد في هذه البلاد ولكن دخلت بيروت وطرابلس بيد الصوريين كما هاجمها مرة تيكَران الارمني وحكمها فيما بين ٨٣ ـ ٦٩ ق٠م٠ الا ان بومبي وصلها عام ٦٤ ق٠م وبذا تحولت فينيقيا مع سوريا الى ولاية تابعة للامبراطورية الرومانية٠

المبحث الثالث
منجزات الفينيقيين الحضارية

بالرغم من عدم قيام دولة فينيقية موحدة لمدن بلاد فينيقيا على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، الا ان اهلها قاموا بدور معروف في قيام الحضارة في تلك البلاد ثم نقل بعض جوانب تلك الحضارة الى مختلف انحاء العالم القديم وبالأخص في حوض البحر المتوسط وذلك عن طريق العلاقات التجارية التي فتحوها مع تلك الأنحاء منذ بداية هجرات القبائل الكنعانية نحو الشام: ويمكن القول بأن ظواهر الحضارة عند الفينيقيين تتحدد في تخطيط المدن والنظم السياسية فيها، ثم نشاط سكانها الاقتصادي وتجارتهم مع البلدان الاخرى ودورهم في امور الابحار والصناعة، وخاصة صناعة السفن مع اكتشافاتهم الجغرافية. ومن جهة الاخرى فقد كان للدين دورٌ بارزٌ في حياة الفينيقيين الروحية وحدد علاقاتهم المادية وبالاخص الاجتماعية منها وماتتعلق بالفنون. ولكن ابرز جانب من جوانب هذه الحضارة هو نشأة الكتابة واختراع الحروف الهجائية عندهم وانتشارها عند الامم الاخرى.

وهكذا فان اول ظاهرة نلحظها في هذا المجال هي ان كل مدينة فينيقية كان يحيط بها سور ويظهر ذلك جليا من النقوش التي زينت بها البوابات البرونزية التي اقامها الملك الآشوري (شلما نصر الثالث) في بلوات قرب نمرود بالعراق حيث صورت فيها جزيرة مدينة صور كقلعة يحيط بها سور منيع وقلاع واضحة تمام الوضوح ، كما نرى في نقش من نقوش سنحريب في مدينة نينوى ملك صور وصيدا يفر مع اسرته من خلال سور المدينة. وكذلك يمكن التعرف على اسوار مدينة صيدا وقلاعها وتحصيناتها من خلال ماصورت على بعض عملات المدينة التي ترجع الى الجزء الاول من القرن الرابع ق.م. كانت هذه المدن صغيرة الحجم عادة، ولهذا كان الطابع الغالب عليها هو ضيق الطرق والممرات فيها، ونظراً لأن مساحة المدينة كانت محدودة بسور فان كل زيادة في السكان في فترات الازدهار كانت تنعكس في الاتجاه بالمساكن الى اعلى ، ولهذا كان الغالب على المنازل ان تتكون من اكثر من طابق.

اما عن تخطيط البيوت نفسها، فهناك نماذج قليلة منها ماوجدت في جزيرة صقلية التي تغلب عليها الطابع اليوناني وكذلك ماوجدت في شمال افريقيا بـ(دار الصافي) في جزيرة (رأس بون). ولقد عثر حديثاً في مدينة قرطاجة ذاتها على منازل ترجع الى العصر الفينيقي المتأخر، ويتضح من بعضها انها بنيت على قطع مربعة من الارض تحيط بها شوارع مستقيمة جيدة

الرصف. وتصميم المنازل بسيط اذ تتكون من مجموعة من الحجرات المستطيلة الخالية من المبالغات الهندسية بغرض الزخرفة، والجدران التي مازال بعضها قائماً الى ارتفاع متر او اكثر، مبنية من الطوب او الطمي فوق اساس من الحجر وتغطيها طبقة من القار، وقد استخدمت قوالب من الحجر احياناً بين الطوب والطمي.

اما عن طريقة امداد المدينة بالماء فتقوم على خزانات، اذ ان الكنعانيين منذ بداية عصر الحديد تمكنوا من تغطية خزانات الماء بطبقة من الجص تمزج على نحو تجعلها عازلة للماء فلايتسرب منها. واستخدم الفينيقيون فيما بعد مادة افضل من الجص وهي السمنت الحقيقي الذي يحتمل انهم اخذوه عن الاغريق واستخدموه بكفاءة عالية تدل عليها الخزانات الكثيرة التي عثر عليها في قرطاجة وترجع الى السنوات الأخيرة قبل القضاء على المدينة،(١١٩) وذلك من قبل الرومان. ولاشك في ان المعابد كانت من اهم المبانى في كل مدينة فينيقية تشهد على ذلك ماتصوره النقود الفينيقية من مشاهد المعابد في مختلف المدن.

من الناحية السياسية، وكما ذكر في بداية هذا الموضوع، فان المدن الفينيقية بقيت مستقلة عن بعضها البعض، وكل واحدة منها تهتم بمصالحها الذاتية المباشرة وكانت لكل مدينة حكومتها الخاصة بها وعلى رأسها حاكم بالوراثة.(١٢٠) وكانت تقوم الى جانب الحاكم هيئة من المشرعين كما كانت تعقد احياناً مؤتمرات من المدن الكبرى للتداول في الشئون العامة المشتركة وكانت طرابلس مقر الاجتماع العام للمدن الثلاثة الرئيسية .(١٢١) ولم يتطور الفينيقيون الى مرحلة تكوين دولة موحدة ولم تكن قرطاجة دولة امبراطورية بمعنى الكلمة مع انها اخضعت لسلطانها اكثر المدن الفينيقية الاخرى في الغرب، لانها لم تنظر الى هذه المدن على اعتبار انها ممتلكات لها، ولم تعتبر مواطني هذه المدن مواطنين قرطاجيين، ومن جهة اخرى فان هذه المدن اصدرت عملتها المستقلة عن عملة قرطاجة مما تشير على عدم وجود علاقات اقتصادية موحدة لها. كما كان لجزيرة مالطة كيان سياسي مستقل يحكمها حاكان ومجلس شيوخ ومجلس شعبي كما كان لقرطاجة تماماً.(١٢٢) ومع ذلك فان قرطاجة مارست الحكم المباشر خارج حدود ارضها في جزيرة سردينيا وفي اسپانيا لمدة غير طويلة وذلك اثناء الحروب البونية.

وعلى العموم فقد ظهرت الملكية في المدن الساحلية في فينيقيا منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، كما هو واضح من رسائل تل العمارنة، ويتضح من الوثائق المصرية والآشورية ان هذا النظام الملكي في هذه المدن كان وراثيا من حيث المبدأ ولو انه لم يكن كذلك دائماً في الواقع بسبب التطورات والاحداث الداخلية والخارجية. لقد كان سلطان الملك في

المدن الفينيقية يحد منه مجلس الشيوخ الذي كان يتألف اعضائه من اكثر التجار ثراءً في المدينة وذلك لان الطابع التجاري كان غالب على جميع مظاهر الحياة في المدن الفينيقية اضافة الى تشابه هذا النظام بنظام المدن اليونانية.(١٢٣) ولقد ازداد عدد اعضاء مجلس الشيوخ بمرور الزمن مع ازدياد الاسر التجارية الكبرى فاذا به يصبح هيأة لها خطورتها في توجيه السياسة ويكاد يساوي سلطة الملك نفسه وخاصة في صور وصيدا وجبيل. وعلى غرار ماحدث في المدن اليونانية فقد حصل في المدن الفينيقية تحول من الملكية الى سلطة الأقلية الارستقراطية او حكومات الاقلية الاوليكَاركية واصبح مجلس الشيوخ هو الهيئة الرئيسية في البناء السياسي للدولة. ومن المرجح ان هذا التحول حدث في قرطاجة في القرن الخامس ق.م واصبح النظام يقوم على ثلاثة اركان هي : حاكم او اكثر ينتخب لمدة سنة والى جانبه مجلس للشيوخ ثم مجلس للعامة.

كان البناء الاقتصادي للكنعانيين بصورة عامة يعتمد على الزراعة والصيد (ولاسيما صيد الاسماك) والتجارة. وقد استغل الفينيقيون كل بقعة في الجبال او السهول الساحلية مهما صغرت وذلك لصغر مساحة الاراضي الزراعية في بلادهم وقد غرسوا شرفات الجبل بالاشجار المثمرة كالزيتون والتفاح وغيرها. واذا كان التجار يشكلون الطبقة الغنية في هذا المجتمع فان الفلاحين كان هم الطبقات الدنيا كا كان الصناع واصحاب الحرف يتوسطون هاتين الطبقتين. ان ضيق السهل الساحلي الصالح للزراعة فرض عليهم ان يعوضوا نقص انتاجهم المحلي بالاستيراد على مايظهر، سواء من مصر ام من بلاد النهرين، ولكن حين ازداد نشاطهم التجاري، وجدوا انهم في حاجة الى انماء صناعات محلية تدعم هذه التجارة وتقويها.(١٢٤) فبالرغم من ان صناعة الفخاريات تعتبر من اقدم الصناعات التي اشتهروا به، وبلغت طوراً بالغاً من الاتقان في منتصف الالف الثاني ق.م بعدما تأثرت بصناعات قبرص وبلاد ايجه، لكنهم وجدوا فيما بعد انهم في حاجة الى ذلك الانماء.

وهكذا اخذت تنمو صناعات محلية تعتمد اولاً على المواد الخام المتوفرة محليا والمستوردة مثل الأخشاب والمنسوجات والكتان والصوف وغيرها من المواد. و«ان الفينيقيين عرفوا تعدين النحاس والبرونز منذ بداية الالف الثاني ق.م وبدأوا يستعملون الحديد بكثرة منذ الالف الاول ق.م، وقد ساعدتهم اسفارهم التجارية البعيدة للحصول على المعادن كالقصدير لصنع البرونز والبحث عن الذهب والفضة، وترقي فن الصياغة عندهم في القرن

السادس عشر ق٠م٠».(١٢٥) ومارسوا ايضاً صناعات دقيقة من مواد مستوردة مثل العاج والمعادن والاحجار الكريمة للمجوهرات٠ والى جانب هذه الصناعات اشتهرت منسوجاتهم بنوع معين من الصبغة كانوا يستخلصونه من بعض الأصداف والقواقع البحرية٠

وبالاضافة الى هذه الصناعات، لابد ان بناء السفن كان من اهم صناعات الفينيقيين سواء في الشرق او في قرطاجة، لكونهم قوماً قضوا حياتهم في عرض البحار٠ ثم برع هؤلاء في صناعة الزجاج والاصباغ المستخرجة من بعض الاصداف التي كانت تكثر في سواحلهم وخاصة في صور وصيدا٠ وقد تاجروا بها اثناء ابحارهم في البلدان الاخرى

كما ان العوامل الجغرافية كان لها اثر في ولع الفينيقيين في ركوب البحر، ووجدوا في الاسفار البحرية والتجارة الحلول المنطقية لمشاكلهم الاقتصادية التي ترجع اساساً الى قلة وصغر مساحات اراضيهم الزراعية٠

وفي المبادلات التجارية للفينيقيين بطريق البحر «انهم سعوا لجعلها في مقياس دولي الى دراسة الملاحة درساً اصوليا، وكان لهم الفضل في اكتشاف فائدة النجمة القطبية واصبحوا بعد ذلك اول من اتقن فن الملاحة ليلاً والمسير حسب النجوم» «اعظم عمل بحري حققه الفينيقييون هو الدوران حول افريقيا قبل البرتغاليين باكثر من الفي سنة وينسب الى الملاحين البرتغاليين عادة انهم اول من فعل ذلك، وقد قام الفينيقييون بهذا العمل باشارة من الفرعون نخاو (٦٠٩ ـ ٥٩٣ ق٠م) من السلالة السادسة والعشرين».(١٢٦) وجدير بالذكر ان مدينة (جبيل) مارست التبادل التجاري مع مصر منذ الالف الثالث قبل الميلاد(١٢٧) ، واستمر سكان هذه المنطقة منذ هذا التأريخ المبكر في ممارسة هذا النوع من النشاط الاقتصادي حتى عصر ازدهارهم وتفوقهم في الالف الأول قبل الميلاد٠ وخلال هذه المدة الطويلة من التجارة والابحار اصبحوا في مقدمة الأمم التي نقلت تجارب الأمم فيما بينها وبهذه الصيغة نقلوا الحضارات والافكار الشرقية الى ايطاليا وبلاد اليونان واسپانيا وشمال افريقيا واصبحوا الوكلاء الرئيسين في التجارة الغربية والشرقية كما وادى هذا العمل الى استيطان قسم منهم في الجزر والمدن الساحلية لبحر المتوسط وأسسوا محطات تجارية فيها وخاصة فيما بين اواسط القرن العاشر الى اواسط القرن الثامن وكانت مستقراتهم على الأغلب في صقلية وقبرص ورودس وكريت ومالطه وسيكلاديس وسبرواديس وغيرها من الاماكن ويظهر ان نشاط هؤلاء ظل محصوراً في

شرقي البحر المتوسط والبحر الأحمر وقد توغلوا الى الغرب بعد سقوط الحضارة الميكينية في بلاد اليونان اثر هجرات القبائل الهندية ـ الأوربية واستيطانها فيها في نهاية الالف الثاني قبل الميلاد وخاصة الدوريين منهم. ويبدو ان الفينيقيين حين اتجهوا نحو الغرب لم يكن في أول الامر بغرض الاستعمار او الاستيطان كالقبائل اليونانية القديمة،[١٢٨] وانما بغرض التجارة، وفي اعقاب النهضة اليونانية في للقرن الثامن ق.م بدأت منافسة اليونان القوية لقرطاجة في مجال الاستعمار وغدت تشكل خطراً على التوسع الفينيقي وتجارتها. وبالرغم من قيام تبادل تجاري بين الجانبين في جزيرة صقلية فان المنافسة كان تمثل الشعور المتبادل بينهما، وسرعان ماتحولت الى حروب طاحنة في القرن الخامس ق.م من اجل السيادة في صقلية، اما في اسپانيا فكانت الغلبة للقرطاجيين. وتدل النقوش الكتابية التي عثر عليها في بلاد اليونان وترجع الى القرن الرابع ق.م ومابعده والتي خلفها فينيقيون او قرطاجيون على وجود علاقات تجارية منتظمة بين اليونان والمدن الفينيقية الشرقية والغربية في العصر الهليني. ومنذ نهاية القرن السابع ق.م نجد مصنوعات برونزية اغريقية واترورية (ايطالية) قد وجدت طريقها الى المستعمرات الفينيقية في غرب البحر المتوسط بما فيها قرطاجة.

ولم يقتصر الفينيقيون في علاقاتهم التجارية مع الشعوب اليونانية والايطالية وغيرها من الأمم المتحضرة وانما ذهبوا الى ميادين اخرى في الجنوب عن طريق البحر الأحمر او المحيط الاطلسي وغيرها من المناطق،[١٢٩] وربما كان من اثر نشاطهم التجاري اقدامهم على محاولة الوصول الى اماكن لم تكن مطروقة واتجاههم الى اكتشاف مناطق بعيدة، ثم استيطان بعضهم في هذه المناطق النائية وتأسيسهم المستعمرات المهمة خارج بلادهم الاصلية مثل قبرص وصقلية وسردينيا وعوتيقة (تونس) وقادش في اسپانيا وغيرها. وبذا يمكن القول بأن المستعمرات الفينيقية امتدت من مصر جنوباً الى الدردنيل شمالاً وعلى طول ساحل شمال افريقيا من برقة في الشرق الى مضيق جبل طارق وجنوب اسپانيا في الغرب واكبر مستعمرات فينيقية كانت قرطاجة التي اسست سنة ٨١٤ ق.م. كما ان هناك اسماء مواضع في اسپانيا وفي بلاد اليونان اصلها فينيقية،[١٣٠] مما تدل على تواجد الفينيقيين في تلك المواضع. ومن بين جميع تلك المستعمرات وصلت قرطاجة الى درجة كبيرة من الزعامة السياسية والتجارية في القرن السادس قبل الميلاد واصبحت رأس امبراطورية واصطدمت بروما وانتصرت عليها في البداية لكنها اندحرت على يد روما واستسلمت لها عام ١٤٦ ق.م.[١٣١]

بالرغم من قلة المعلومات المباشرة عن البناء الروحي للمجتمع الفينيقي فان اكتشافات كلاود شيفر Claud Schaeffer في رأس شمره (اوكَاريت القديمة) قرب اللاذقية بسوريا اضافت ثروة جديدة على المصادر اليونانية واللاتينية والآشورية التي تشير الى هذا الموضوع. كانت تلك المكتشفات تتكون من مجموعة النصوص التي ترجع الى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد والتي عثر عليها مكتوبة على الواح من الطمى المحروق بحروف هجائية في كتابة مسمارية وتدور موضوعات اكثر هذه النصوص (التي امر بجمعها الملك نقماد في منتصف القرن الرابع عشر ق.م) حول الدين او السحر، وحول عبادة الموتى او العبادات التي تتعلق بالخصب، وكذلك مجموعة من القصص والأساطير التي تشبه القصص الدينية في التوراة او مثيلاتها عند السومريين والبابليين. وما من شك في ان هذه المجموعة من النصوص هي المصدر الرئيسي الآن عن الألوهية والآلهة الكنعانية والتي سادت ايضاً في المدن الساحلية الفينيقية.

لقد تأثر الفينيقيون بكثير من الافكار الروحية الاجنبية واثر دينهم بدوره على الكثير من الاقطار التي عاشوا فيها وعبدوا ظواهر الطبيعة من الجبال والأشجار والأعمدة والمياه وقد ادعى الرومان بأنهم قد تأثروا ببعض الطقوس من ديانة القرطاجيين وفي نفس الوقت فان التأثير البابلي والآشوري هو من الأمور الطبيعية في الديانة الفينيقية.

يأتي على رأس اسرة الآلهة الكنعانية الاله (ايل) او (ايل داجون) يقابله (زيوس) عند اليونان ويصور احياناً في صور الثور او العجل او قرص الشمس وهو الاله الذي يرعى الانهار ويقرر المطر. وزوجته هي (عشيرات البحر) وهي تمثل الآلهة الأم. وقد ولد لايل وعشيرات البحر ولد هو (بعل) وهو رب الجبال والمطر والعواصف ويعد ايضاً اله الجو، فهو اله في عنفوان الشباب، وتمثله التماثيل الصغيرة التي عثر عليها، وقد اتخذ قرنين وملوحاً بعصا او ممسكاً بسلاح الصاعقة وتروى لوحات رأس شمره اساطير تتعلق بهذه الآلهة اضافة الى ابن الاله بعل (عاليان) والاله (موت) والآلهه (عينات) وغيرها، وهي تشير الى دين عناصره كنعانية لكنها عبدت في المدن الفينيقية وخاصة في الشمال. فالديانة الفينيقية كنعانية في صميمها وهذا امر لاشك فيه، ولكن لم يبق كنعانيا خالصاً، لانها تأثرت بالديانة المصرية خلال انتشار النفوذ المصري في بلاد فينيقيا. ويتضح هذا من تماثيل الآلهة الصغيرة التي تحمل خصائص وتتزين بملابس مصرية، كما يتضح التأثير المصري في العمارة والمباني الدينية الفينيقية التي اقتبست كثيرا من مصر.

ويبدو ان التأثير البابلي والآشوري كان اكثر وضوحاً في مجال الطقوس والمراسيم الدينية منه في فن البناء. كما ان هناك تأثيرات اغريقية في العمارة الدينية وفي النحت والنقش على المقابر وغيرها. وفي فترة انتشار الفينيقيين في مستعمراتهم كانت ديانتهم وعقائدهم تشتمل على العناصر الكنعانية مختلطة بمؤثرات من عبادات الاقطار المجاورة. وكانت الطقوس الدينية تمارس بنفس الطريقة التي كانت تمارس بها في المدن الشرقية الفينيقية. وبجانب الآلهة المذكورة كان هناك الاله الرئيسى لمدينة صور وهو (ملقارت) وهو احد الآلهة الكبرى كذلك في قرطاجة واطلق عليه ايضا اسم (بعل ملقارت) وقد شبه الاغريق ملقارت بهرقل، ويبدو انه في اول الأمر كان يعتبر الها للشمس ثم اكتسب صفات بحرية نظراً لكون الفينيقيين اهل ملاحة.

وكانت عبادة هذا الاله شائعة في (قادش) وظهرت صورة له على عملة هذه المدينة. وقد اقيم له معبد بواسطة جماعات من الفينيقيين من مدينة صور يرجع تأريخه، حسب الاعتقاد السائد، الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

ومن جهة اخرى فقد كان لمدينة (صيدا) الهها (اشمون)، وكان في اصله الهاً ارضياً يتصل بالحياة الزراعية، ومن خصائصه العناية بأمر الصحة وعلاج المرضى، وبوصفه اله ارضى يتصل بالحياة الزراعية فقد رمز للخصب وجعلوا له زوجة الهيه هي (عشترته) ويماثلها عند البابليين (تموز وعشتار) وعند الاغريق (ادونيس وفينوس) وعند المصريين (اوزيريس وايزيس). وقد وقف القرطاجيون في دفاعهم الاخير عن مدينتهم في سنة ١٤٦ ق.م عند معبد هذا الاله الذي كان موجوداً في قلعة المدينة. وفضلاً عن هذه الآلهة هناك آلهة غيرها كثيرة في العالم الفينيقي مثل (رشف) الذي كان الهاً للبرق والضوء، شبهه الاغريق بالاله (ابولو)، وقد عبد ايضاً في قرطاجة حيث وجد له معبد خاص به وبالالهة (شپش) التي تمثل الشمس وتظهر في اسطورة الصراع الذي حدث بين (بعل وموت) كما جاء ذلك في البحث الخاص بآلهة الكنعانيين.

وفي قرطاجة عبد اله كبير له خطره باسم (بعل هامون) الذي يظهر في قسم (هانيبال). قدم فيلون الجبيلي (وهو كاتب ولد في فينيقيا عام ٤٢ ميلادية) فكرة عن وجهة نظر الفينيقيين في خلق العالم زعم انه ترجمها عن كتب كاهن فينيقي كان يعيش في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقد ذكر ان الوجود كان في البدء فضاءً خرجت منها الريح والشهوة، ومن هذين خرج الجبل على شكل بيضة تكونت فيها المخلوقات اجنة، ثم انشقت

البيضة فخرجت منها الشمس والقمر والنجوم وكان من اثر الضوء ان انفصلت المياه عن السماء.

ومن الريح (كوليبا) وزوجته (ياآو) ولد (ايون / الحياة) و(پروتوكونوس) اول المواليد ومنهما جاء (كونوس) اى الجنس و(جنيا) اخته وهما اول من عبد الشمس ومنهما جاء اولادهما الضوء والنار واللهب، ومن النار ولدت العمالقة، ومن بينهم من بنى المدن وعاش خصماً لأخيه (اوسؤوس) وهو اول من اتخذ الملابس من جلد الحيوان. ويورد فيلون اسماء ستة ازواج من الاخوة اخترعوا الصيد في البر والبحر، ثم صناعة المعادن والملاحة، ثم الحرف وخاصة الآجر، ثم الزراعة، ثم القرى وحظائر الماشية، ثم القانون والعدل ومن الاخيرين ولد (تااوتوس) مخترع الكتابة.

اما الآلهة فهم اولاد اليون وبيروت ومنهما جاءاورانوس (السماء) وجى (الأرض) ومن هذين جاء ال (الله) وبيتل (بيت الله) وداكون واطلس وديماروس (وله ابن هو ملقارت مدينة صور) وپنطس (البحر) وقد ثار ال بمعونة اخوته ضد ابيه اورانوس.

كان لكل مدينة في فينيقيا بعلها (سيدها) وهو جد ملوكها ومخصب ارضها، فكل الحبوب والخمور والتين والكتان من عمله، ذلك لأن اساس الديانة الكنعانية كان عبادة القوى الطبيعية المنتجة المولدة ، وقوى النمو والتكاثر والاخصاب مما يميز المجتمعات الزراعية عامة.

اما على رأس مجمع الالهة الفينيقي فكان يقف الرب (ال) وكان يشرف على مجاري الانهار وعلى التنبؤ بسقوط الامطار، و(ايلات) المعروفة بـ(عشيرات البحر) كانت زوجه. وقد اقحم الاله (أدد) رب العاصفة والرعد والمطر والبرق في مجمع الآلهة متأخرا على مايبدو.

يمكن رد الآلهة في المجتمع الفينيقي الى مبدأين مقدسين هما التذكير والتأنيث. اما الذكر فيمثل عادة في صورة رجل ناضج ذي لحية يمسك في يده بسلاح الصاعقة ، ويتخذ من الثور لازمة حيوانية وهو اله قمم وعواصف ومطر مبارك. كما يتخذ لتصوير مبدأ التذكير كذلك شكل شاب صغير احياناً. اما الرب ذو الثور فهو الاله الاكبر زوج الالهة الكبرى. واما الاله الشاب فهو الابن عشيق الالهة او حبيب الالهين معاً في بعض الاحيان.

كانت معابد الالهة الفينيقية مبسطة في اول الامر وهي عبارة عن حجرة واحدة لها باب في ضلعها الطويل ويحيط بالمعبد سور مقدس غير مسقوف، ويقام في مركزه معبد صغير بداخله (بيت ال) وامامه مذبح القرابين، وكان لابد ان يكون بالقرب من المعبد نبع ماء او حوض مقدس ثم غابة مقدسة· وكان يخصص للمعبد كهنة يقومون بالشعائر الدينية كما هناك العرافين والخدم وارقاء مقدسين من الجنسين·

كان الفينيقيون يعتقدون في وجود روح تفارق الجسم عند الموت وتستمر حية حياة ضيقة النطاق لاحركة فيها ولامتعة· وتظل الروح على اتصال وثيق بالجسم الذي فارقته ومن اجل ذلك كانوا يعنون بحفظ الجسد في توابيت خاصة مع بعض ادواته وحين تعلموا التحنيط مارسوه بالنسبة لطبقة معينة من الاثرياء · ولاتعنى هذا التفكير في البعث ولم يشيروا اليه فيما خلفوه لنا من نصوص· وأحياناً كان يكتب اسم الميت على قبره وخاصة في الفترات الاخيرة من تأريخ قرطاجة امام والده عندما تعهد بعداوة ابدية لروما· اما الآلهة الاخرى التي عبدت في قرطاجة فمن بينها (تانيت) التي لم تشتهر في الشرق وقد عرفت بـ(تانيت بعل) التي كانت ربة سماوية مرتبطة اساساً بالقمر ولعل الهلال والقرص اللذان يظهران على كثير من المباني الدينية في المواقع الفينيقية الغربية كانا يمثلان الالهه وزوجها (بعل هامون)· ويؤكد بعض العلماء ان تغييراً جوهرياً حدث في الديانة الفينيقية في قرطاجة اثناء القرن الخامس ق·م وانه نتيجة لهذا التغيير فقد (ملقارت) و(عشرته) مكانتهما واحتلها (بعل هامون وتانيت بعل) ومثل هذا التغيير يعني انقطاع الصلة الدينية بين قرطاجة وصور، وان التغير الديني لم يخل من رد فعل سياسي ادى الى انقسام بين بعض الاسر الكبيرة ، فمنها من تمسك بالآلهة الكبرى القديمة ومنها من تعبد للآلهة الجديدة التي شاعت·

وجدت بعض الآلهة المصرية طريقها الى قرطاجة مثل هاتور واوزيريس وايزيس ولكن كان اكثرها انتشاراً كان (بس)· وبجانب هذه الآلهة شاعت عبادة اله في العصر اليوناني الروماني في قرطاجة وهو الاله (ادونيس) الذي تتصل عبادته بالآلهه (عشتارت)، وتصوره الاسطورة المتعلقة به في هيئة شاب قتله خنزير وحشى كان يصيده وان (عشترته) نزلت الى طبقات الجحيم لتنتزعه من الموت· اما الصلة بينهما فهي انعكاس للبيئة· فأدونيس رمز الخصب والاخصاب، واذا جاء الريح في الصيف القائظ قضى على ذلك الخصب (وتترجم ذلك الاسطورة فتقول قتله خنزير وحشى) كى ينبعث مرة اخرى· اما عشترت فكانت تندب موت حبيبها ادونيس حتى يعود·

كان للـدين مكان بـارز في حيـاة الفينيقيين، حيث الاربـاب فيـه كانـوا مهتمين حسب اعتقـادهم في حيـاة النـاس، وان الاسماء الفينيقيـة بصـورة عـامـة مركبـة على اسماء الآلهـة (مثـل هـاميلكار = هـايلقـار، بـوميلكار، هـانى بعـل وهستـدوبعـل)، وكان الملـوك يعتبرون في غـالب الاحيـان ككهنـة لأربـابهم، وكانت البنـايـات المقـدسـة عظيـة تصرف عليهـا المبـالـغ الطـائلـة وكانت تمـاثيـل هـذه الآلهـة تحمـل في البـواخر الفينيقيـة وتعطي الثقـة وربمـا كان هـذا تحت تـأثير اليونـان وكثيراً مـاكانوا يـدفنون مع المـوتى مصبـاح وجرة ولـوحـة وبعض الاواني للطبـخ والشراب مما يـدل على انهم اعتقـدوا انـه يحيـا في القبر مثل حيـاتـه في الارض، وكانوا يضعـون في القبر قطعة من الرصاص مكتوبة وتعتبر من الاحياء كرسالة الى ميتهم.(١٣٢)

قلنـا في بـدايـة هـذا المبحث ان ابرز جـانب من جـوانب منجـزات الفينيقيين الحضـاريـة هـو نشـأة الكتـابـة واختراع الحروف الهجـائيـة عنـدهم، وهم الـذين يـدين اليهم العـالم بهـذا الاختراع(١٣٣) ولاشـك ان جميع جوانب الشعـوب ابتـدأت بـاستخـدام طريقـة رسم الصـور من اجل الكتـابـة، وهـذه الصور لم تكن تمثـل تمـامـاً منطـوق الكـلام الـذي يصف المعنى المقصـود، فكان لكل رسـالـة تصـويريـة معنى واحـد ويمكن ان تفسر بـواسطـة القـارئ بطريقـة واحـدة فقـط، ولكن يمكن قراءتهـا، اي ان يعبر عنهـا بـألفـاظ في طرق مختلفـة متعـددة وكـذلـك بلغات مختلفة.

ولاجل تحقيـق طريـق جعـل الكتـابـة تسجـل اصـوات اللغـة وليس معـانيهـا كان السبب في اختراع الحروف الهجـائيـة، وقـد تمت هـذه الغـايـة بيـد الفينيقيين حيث لعبـوا دوراً هـامـاً في سبيل الوصول بـالحروف الهجـائيـة الى درجـة متقـدمـة جـدا، واصبحت من اعظم مـاينسب اليهم في تأريخ الحضارة الانسانية.

يعتقـد ان اصـل هـذه الحروف قـد ظهر في منطقـة تتـوسطهـا بـلاد الشـام، وهي لم تنشـأ دفعـة واحـدة وكاملـة، وانمـا وجـدت انـواع كثيرة من النقـوش دونت بلغـات اقـوام جـزيرة العرب الـذين استوطنـوا بـلاد الشام وتتكـون من مجمـوعـات العـلامـات التي يصـح أن تكـون اصـل الحروف الهجـائيـة الصرفـة، وقـد بـدأت تظهر منـذ منتصف الألف الثـاني ق٠م، منهـا مـاوجـدت في شبـه جـزيرة سينـاء ومنهـا في لاخيش ـ فلسطين وكـذلـك في مجـدو وشكيم (نـابلس)٠، وكما كان هنـاك عـلامـات معينـة في اللـوحـات الكثيرة التي اكتشفت في اوغـاريت (رأس شمره).(١٣٤) ولكن «يفترض مـؤقتـاً ان اليـونـان قـد اخـذوا حروفهم عن الفينيقيين وان الفينيقيين اخـذوا عن المصريين» ، «وأن السـاميين هم الـذين مكنتهم ظروفهم اكثر من

اليونان من الافادة من نقل تلك الحروف، ذلك اولاً لانهم كانوا على اتصال وثيق بمصر. وثانيا لانه كان اهون عليهم ان يقتبسوا فكرة تخصيص رمز واحد لكل حرف بناء ساكن زائداً حرف حركة غير محدد وان يستخدموا هذه الفكرة في لغتهم الخاصة.» ثم «من الممكن ان نرد جميع الابجديات التي نحن في صددها الى ثلاث شعب : السامية الشمالية ذات الأثنين والعشرين حرفاً، واقدم اشكالها الفينيقية، وهي المعروفة من القرن الثالث عشر ق.م ثم السامية الجنوبية ذات التسعة والعشرين حرفاً وأقدم اشكالها الأبجدية السبئية في جنوب الجزيرة العربية حوالي القرن السادس ق.م، وهذه مازالت حية في الأبجدية الحبشية. والثالثة هي اليونانية المعروفة من القرن السابع ق.م في صور متعددة، ولكن من المؤكد انها احتوت في وقت ما على اثنين وعشرين حرفاً، بزيادة عدد من الحروف التكميلية».(١٣٥)

لقد حسن الاغريق في الحروف الهجائية التي استعاروها مثل اتخاذهم حروف العلة الطويلة والقصيرة وكتابتها ضمن الكلمات وغيرها من التحسينات التي كانت على درجة من الاهمية بحيث ظهرت هذه الحروف بوجه كامل صحيح عندهم. وبعد الاغريق اخذ اللاتين وسائر الشعوب الاوربية باستعمال هذه الحروف، كما اخذتها الشعوب الشرقية كالآرامية والعربية وغيرهم.

في الواقع كانت الكتابة الفينيقية يمثلها اقدم نماذجها وهونقش احيرام من جبيل، تتكون من اثنين وعشرين حرفاً تخلصت تماماً في شكلها من اي رسم او صور للاشياء، واصبحت خطوطاً مجردة تقريباً. ومامن شك في ان هذه تمت خلال الالف الثاني ق.م، (١٣٦) لأن الفينيقيين بحكم وضعهم الجغرافي احتلوا مكاناً وسطاً بين شعبين استطاعا ان يصلا الى التعبير عن افكارهم وتسجيلها بالكتابة حيث برزت في وادي الرافدين الكتابة بالمقاطع المسمارية التي كانت تتطلب الكثير من الجهد لغموضها وصعوبة فهمها، ثم برزت في وادي النيل الكتابة بالحروف والمقاطع الساكنة التي ظهر بها ٢٤ حرفاً هجائيا بالاضافة الى المقاطع المكونة من حرفين او ثلاثة، ورغم انها احتفظت بالعلامات الرمزية الا ان التطور الذي طرأ بظهور الصور التي تعبر عن الأصوات ويستطاع عن طريقها ترجمتها لها يمكن ان يعد الخطوة الأولى للتبسيط ولظهور حروف للهجاء واضحة محددة. لذا فان الفينيقين هم في اغلب الأمر ناقلون لهذه الحروف واستطاعوا ان يدخلوا بعض التحسينات اليها، وهي بالطبع لم تنشأ دفعة واحدة بل تطورت تطوراً طبيعياً حتى وصلت الى المرحلة التي تستطيع عن طريقها ان تفرض نفسها كأداة فعالة ميسرة للتعبير والتسجيل.

ان الخطوط التي شوهدت في نقوش (سرابة الخادم) في شبه جزيرة سيناء التي عثر عليها السير فلندر پيترى هي ليست بالخط المصري وليست بالكتابة المسمارية المقطعية بل هي حروف هجائية محدودة العدد استعملت بهيئة صوتية يمثل كل منها صوتاً خاصاً. واكتشفت مثيلاتها في فلسطين (لخش ومجدو وشكيم). اما في رأس شمره فكانت تشبه العلامات المسمارية وعدتها ٢٩ علامة، لكن في جبيل فقد وجدت كتابات يمكن ان تعد المرحلة المتطورة للحروف الهجائية وتتألف من ٢٢ حرفاً هي نواة الكتابة التي مثلتها الفينيقية واشتقت منها اليونانية والأتروسكية ثم اللاتينية والعبرانية والارامية وكتابات تدمر والأنباط والخط السرياني والعربي والبهلوي والآفستى الأرمنى والجيورجى والصغدي والحبشى والمندائى وغيرها.

لقد تم انتشار هذه الحروف على يد التجار الفينيقيين الذين سجلو الأمور المتصلة بتجارتهم بها بالاضافة الى عمليات البيع والشراء.

واخيراً يمكن التعرف على وجود رابطة بين هذه الكتابات في اليونان وفي مصر وكذلك في بلاد سوريا بدليل التكوين الصوتي للابجدية الفينيقية. فهناك ظاهرة واحدة مشتركة بين هذه الكتابات جميعاً من حيث بنائها الصوتي، اذ انها جميعاً تتكون من عدد محدود من العلامات والرموز/ يتراوح بين ٢٢ - ٣٠ رمزاً وكل واحد منها يعبر عن صوت ساكن معين، دون ان توجد فيها رموز دالة على الحروف المتحركة. واذا مارجعنا الى نظم الكتابة التي اتصل بها الفينيقيون مع الشعوب السامية الغربية عموما وهي المسمارية والخطية الميكينية والمصرية بكتاباتها الثلاث، لوجدنا ان الكتابة المصرية هي التي تقدم لنا نفس هذه الطريقة في الكتابة اي بطريق رموز لأصوات ساكنة فقط.

وفي نهاية البحث عن منجزات الفينيقيين الحضارية لابد ان نشير الى النواحي الفنية عندهم. ففي البداية (حوالي نهاية عصر البرونز اي نهاية القرن الثاني عشر ق.م) وجد خليط من العناصر الفنية في بلاد فينيقيا، ومنذ عهد الاسرة الثانية عشرة المصرية عرفت القطع الفنية المصرية لدى السكان الكنعانيين وقلدوا الاشكال المصرية ومظاهرها على اشياء صنعوها محليا وتوسع التأثير المصري في عهد ملوك الاسرة الثامنة عشرة. الا ان التأثيرات الفنية لبلاد مابين النهرين لم تتوسع كثيراً وذلك لطغيان الفن الحيثي على شمال سوريا في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م جلب الحوريون (الميتانيون) مؤثرات حضارية مختلفة الى هذه البلاد، مثلما وجدت مؤثرات ايجية في اوكاريت من العصر

المينوى الوسيط ترجع الى اوائل الالف الثاني ق·م· لذا فغالبا مايكون عسيراً تمييز الطراز الفينيقي الحقيقي عن طراز مماثل خليط من ساحل سوريا الشمالي وماجاوره في الداخل - والفن الفينيقي الحقيقي يشف عن تأثير مصري اقوى مما يمكننا تميزه من تأثير المنطقة السورية حيث سادت التقاليد الآسيوية (وخاصة الحيثية) فقد توجد به بعض المظاهر الميزوبوتامية ولكنه كذلك يحتفظ بمظاهر ميكينية· ولعل تابوت (أحيرام) الذي اكتشف في بيبلوس يمكن ان توضح الفن الفينيقي بشكل جيد وكامل ويحتوي كل مظاهر تلك التأثيرات الاجنبية·

وبجانب هذا التابوت ظهرت طلائع القطع الفنية الفينيقية بشكل تماثيل برونزية صغيرة من اوكَاريت وبيبلوس وقليل منها في بيروت وطرطوس او من فلسطين مثل مجدو تمثل الهه او الهات يلبسون ازياء بسيطة او عراة· وشوهدت كذلك اقداح معدنية في هيئة تماثيل، والاسلوب العام شبيه بأواني العاج التي عثر عليها في صيدا وفي بيروت· وفي مجال نحت الاحجار اتبعت نفس الاساليب الفنية لنحت العاج، ومن ذلك لوحة من القرن التاسع ق·م من ماراثوس (عمريت جنوب طرطوس) يمثل قرصاً مجنحاً مصري الهيئة وقرصاً فينيقيا وهلالاً فوق الاله بعل في زي مصري وتاجاً وثعباناً، يمكن مناظرتها في الفن الآشوري· كما يوجد نقش في المرمر من أرواد يشبه العاجيات في كثير من التفاصيل·

اما التوابيت الحجرية التي ذي هيئة آدمية من صيدا ومن الغرب فترجع الى القرنين الخامس والرابع ق·م ويظهر في القليل منها تأثير مصري ملحوظ ولكنها على العموم توضح كيف كان الفن اليوناني يغزو الوطن الفينيقي في الألف الأول قبل الميلاد· ويظهر هذا الطابع في الفن ذو الأصل المختلط في قبرص، اذ تطور تدريجياً اثناء الجزء الاول من الالف الأول ق·م· الى طراز لاشك انه ينحدر جزئيا من الفن الميكيني ومتأثر جزئيا بمؤثرات من فينيقيا ومن اليونان نفسها· اما الاتجاهات والطرز المصرية التي يمكن رؤيتها في الفن القبرصي فليس من الضروري ان تدل على احتكاكات مباشرة بمنتجات الفنانين المصريين اذ يمكن ان تصل عن طريق الفن السوري· ولكن جميع هذه المؤثرات تكون ثانوية بالنسبة للفن القبرصي· ولكن يمكن تمييز عناصر فينيقية عرضاً في منحوتات وتماثيل فخارية صغيرة قبرصية من اوائل عصر الحديد· ولكن بشكل خاص لايجب ان نبحث عن طرز الفن الفينيقي في قبرص حيث

وجدت مؤثرات اخرى حالت دون وجود فن تطبيقي خالص.

اما اشغال الخشب والاثاث الخشبي فكان يعمل في بلاد الفينيقيين من خشب الأرز ووجدت في مواقعهم الأثرية الكثير من الصناديق الخشبية والتوابيت المصنوعة منه وتفنن الفينيقيون في الصناعات الموسيقية بحيث صارت لآلاتهم الموسيقية شهرة في ارجاء مناطق البحر المتوسط واعتمد عليه اليونان في تطور انتاجهم الموسيقي

اما في قرطاجة فان المؤثرات الشرقية على فنها فكانت صائدة قبل القرن الخامس ثم حلت فيه بعد ذلك مؤثرات اخرى وخاصة الهللينية وبجانب تماثيل صغيرة في مواقع عديدة من قرطاجة وسردينيا وجدت اقنعة تمثل الوجوه العادية الطبيعية أو المتجهمة، وهي اقنعة تنكرية مؤسسة على الطرز المبكرة المصرية او اليونانية ومنها شرقية يمكن اعتبارها فينيقية تماماً.

وتسود طرز القرن الخامس ق.م ملامح يونانية في التماثيل الصغيرة القرطاجية وكثير منها لايمكن تمييزه عن النماذج المعاصرة في الجزء اليوناني من صقلية واماكن اخرى وهي تمثل معبودات من الجنسين. وهناك كذلك تماثيل خليط من الطراز الفينيقي والاسباني وجدت في شبه جزيرة اسبانيا. وفي كل من قرطاجة واسبانيا وجدت بعض التوابيت لابد كانت من صنع اليونانيين كما كانت الامواس البرونزية التي عثر عليها في قرطاجة وسردينيا وايبيزا اكثر (بونـة) من اي انتاج آخر في الفن الفينيقي الغربي اما نحت العاج الذي كان بارزاً في اعمال الفن الشرقية فله مايقابله في الغرب وان لم يكن في نفس الاتفاق الفني ولكنها في طرازها اكثر مصرية.

من الصعوبة التميز بين الطرز الشرقية والطرز الغربية في الحلي لأن هذه الاشياء كانت من ضمن البضائع التي كان التجار الفينيقيون يتاجرون بها. ومعظم مصوغات الزينة الفينيقية التي وصلتنا في حالة جيدة كانت من الذهب ولكن المصوغات الفضية لم تكن جيدة الحفظ، اما البرونز فيبدو انه استخدم لصنع المشابك والاساور ويبدو ان الفينيقين تعلموا صياغة الذهب جزئيا من الميكينيين والمصريين. وعلى العموم فالفن الفينيقي عبارة عن خليط من طرز متعددة تشمل مهارات متنوعه. والفينيقيون كانوا مولعين بالفن لا لأجل الفن بل لبيعه كمادة تجارية. وبهذا اصبحوا وسطاء في نشر الافكار الشرقية المتعلقة بالفن والدين والكتابة الى العالم الكلاسيكي بجانب كونهم وسطاء تجارة.

الفصل الثالث
تدمر
تاريخها وحضارتها

الفصل الثالث
تدمر
المبحث الاول
تاريخ تدمر

على ارتفاع ١٣٠٠ قدم من سطح البحر، وعلى بعد ١٥٠ ميلا شمال شرق دمشق وعلى واحة بادية سوريا نشأت مدينة تدمر في موقع جغرافي تجاري مهم يربط وادي الرافدين ببلاد سوريا وفلسطين، وكانت حلقة وصل بين المصالح الاقتصادية والعسكرية للامبراطوريات التي توسعت في الشرق وخاصة الفرثية والرومانية . لقد بنيت المدينة في منطقة حباها مركزها الجغرافي ومافيها من المياه النقية والمعدنية فائدة المحافظة على طريق الأموال المنتقلة بين الشرق والغرب عبر البادية، فضلاً عن انها كانت على طريق التجارة بين الجنوب والشمال فاصبحت ملتقى جميع القوافل الآتية من موانئ البلاد المارة عبر البادية نحو بلدان الخليج العربي، وتبوأت هذه القاعدة الصحراوية طوال القرن الثاني والثالث للميلاد اعلى مراتب الثروة والجاه بين مدائن الشرق.

ذكر اسم هذه المدينة في اقدم أثر يرجع الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، فقد دون تيكلات پلاسر الاول ١١١٥ - ١١٠٠ ق.م أخبار هذه المدينة بذكرها في صيغة (تادمر التي في بلاد اموررو)(١٣٧) وقد ادعى يوسف الفلاوى بأن الملك سليمان قد بنى مدينة تدمر وقد اعتمد في ذلك على ماورد في سفر الاخبار من العهد القديم (الملوك الاول، ٩، ١٨) وكتب الاسم بصيغة (تامار) في النص العبري وبشكل تدمر في هامشه.(١٣٨) ولكن مؤلف سفر الأخبار لابد وقد قصد بـ(تامار) الارض المتواجدة جنوب هضبة فلسطين الوسطى، ثم ان تدمر كانت قد تواجدت في التأريخ قبل نشوء مملكة سليمان وتدوين اسمها من قبل ذلك المؤلف بعدة قرون. ومن المحتمل ان القبائل العربية سكنتها بعد سقوط بابل في القرن السادس قبل الميلاد، ولكنهم دونوا أخبارهم باللغة الآرامية، تلك اللغة التي كانت سائدة في غرب الفرات وغدت لغة التدوين والكتابة لدول المنطقة في ذلك العصر. ومعلوماتنا التأريخية عن تدمر مستمدة من الأدلة المادية والكتابات التي عثر عليها في تدمر بالآرامية واليونانية واللاتينية والعربية اضافة الى اسماء الالهة والاصنام العربية والآرامية فيها. واقدم كتابة عثر عليها في تدمر لايتجاوز تأريخها القرن

التاسع ق.م ، ولكن لم تعين الأخبار العربية اول عهد لاستيطان العرب في تدمر، واول اشارة راهنة اليها، كما يذكرها ابيان، ترجع الى يوم حاول ماركوس انطونيوس سنة ٤٢ - ٤١ ق.م ان يفوز بكنوزها فأخفق. واقدم الرقم التي وجدت في تدمر ترجع الى سنة ٣٠٤ السلوقي (٩ ق.م) حين كانت قد اصبحت مركزاً تجارياً خطيراً بين دولتي الرومان والفرث. وقد اشتركت عناصر مختلفة في انماء المدينة كالعرب والآراميين والاغريق والرومان ولكن السكان ظلوا عرباً بالرغم من تداول الكتابة الاراسية فيها.(١٣٩) واستقروا فيها منذ زمن قديم وذلك لكونها واحة جيدة وسط الصحراء، ثم مركزاً مقدساً لعبادة اله الشمس، وكانت السلع الرئيسية للعالم القديم كالالبسة الحريرية والجواهر واللاءلئ والعطور والبخور وغيرها من السلع التي كانت تجلب من الهند والصين وجنوب بلاد العرب تمر بها، ثم تنقل من هنا الى بلاد اخرى عن طريق اما البحر الأحمر ومصر والاسكندرية او عن طريق الخليج العربي من خلال البادية السورية. وعندما انهارت المملكة النبطية التي كانت قد قامت في البطراء واختفت من الوجود عام ١٠٥ ق.م اخذ التدمريون زسام المبادرة في التجارة بدلاً عن النبطيين. وبذا تزعمت مدينة تدمر في المجال التجاري واصبحت ذات قاعدة اقتصادية قوية وغنية تدفقت اليها الاموال من بلاد كثيرة. وقد ادت العلاقات والروابط التجارية مع مختلف البلدان الى تأثر المدينة وسكانها بحضارات مختلفة انعكست في حياتها المادية والروحية وخاصة في فن النحت والبناء والحياة الاجتماعية.

لقد نمت الأهمية السياسية لهذه المدينة بجانب دورها التجاري في بداية العهد الامبراطوري الروماني عندما دخلت ضمن نفوذ الامبراطورية الرومانية. ولاجل تمتعها بتقاليدها الخاصة اخذ كل من جرما نيكوس (١٧ - ١٩م) والقنصل دوميتيوس كوربولو (٥٧ - ٦٦) يعاملانها باحترام، وفي نفس الوقت حافظت المدينة على استقلالها ولم تفرط به بالخضوع للرومان. والراجح ان تدمر دخلت ضمن ذلك النفوذ، على حد قول الاستاذ فيليب حتي، في اقدم عصور الامبراطورية(١٤٠) لاننا نجد قرارات رسمية تتعلق بالمكوس الكمركية صادرة سنة ١٧ م. ولكن خضوع تدمر وملحقاتها لسلطان روما كان على عهد ادريانوس (١١٧ - ١٣٨ م). ولقد جاءها الامبراطور ادريانوس (هدريان) زائراً سنة ١٣٠م فمنحها لقب (هدريانا پالميرا). ثم قام سبتيموس سفيروس (١٩٣ - ٢١١) فجعل تدمر وملحقاتها مدناً اقليمية في امبراطوريته. وفي مطلع القرن الثالث صارت تدمر مستعمرة

رومـانيـة ولكنهـا لم تفقـد الحكم الـذاتي قـط بـل بقيت تـدير شؤونهـا بنفسها ولم يكن اعترافها بسلطـان رومـا الا اعترافـاً اسميـا بيـد ان اهلها لـذلـك العهـد اخـذوا ينتحلون لأنفسهم اسماء رومانيـة، وقـد ادرك الرومـان اهميـة المـدينـة من الوجهـة الحربيـة لأن طريقهم بين دمشـق والفرات تمر بهـا. وقـد بـدأ الامبراطـور ڤيسپاسيـان (٦٩ ـ ٧٩م) يخطـط ذلـك التميز الـذي تتمتع بـه هـذه المـدينـة الواقعـة بين الامبراطوريتين الرومـانيـة والفرثيـة الى ان وصلت الى اوج عزهـا بين سنـة ١٣٠ ـ ٢٧٠ ميلاديـة والى هـذه الحقبـة يرجـع سـواد النصب التـذكاريـة فيهـا ومـاعليهـا من نقـوش. وبلغت صلاتهـا التجـاريـة شرقـاً حتى الصين، وبـاعتبـار انهـا مـدينـة خلقتهـا خطوط القوافل فـان ظهـور الطبقـة الارستقراطيـة فيهـا والتي قـامت بـدور سيـاسي فيهـا لابـد وانهـا ترجع في الاصل الى المجمـوعـة التي كان لهـا دور تجـاري فيها.

عقب زيارة الامبراطور هـدريـان الى تـدمر جرت مراجعـة القضـايـا الكمركيـة ثم اعلن على اثرهـا تعريفـات جـديـدة (في شهر نيسـان من عـام ١٣٧م) لأن النظـام القـديم للكمـارك كان غير ثـابت ، وكانت المـاليـة يجبيهـا مـوظفـوا الامبراطـوريـة الرومـانيـة من التبـادل التجاري بالدرجـة الأولى، وبـانتعـاش المجال التجـاري في هـذه المـدينـة توسع النشـاط الاداري فيهـا حيث استحـدثت وظـائف جـديـدة ضمن مؤسسـاتهـا السيـاسيـة والاداريـة فـذلـك كانت الـدولـة تتمثل بـالقنصل (وبـاليـونـانيـة بـولى) والشعب بـ(ديمـوس) وكانت تـدار شؤون الـدولـة بـواسطـة المـوظفين المدنيين الـذين يحملون القـابـاً يـونـانيـة مثـل پرويـدريس / الرئيس وكَراماتيوس / السكرتارية وغيرهم.

اثنـاء الحروب الفرثيـة ـ الرومـانيـة في القرن الثـالث الميلادي، شـاركت تـدمر فيهـا ووقفت بجـانب الرومـان. ثم علت شخصيتهـا واشتهرت كسيـدة المـدن لـلامبراطـوريـة الرومـانيـة في الشرق. وتشير النقـوش المـدونـة تعـاظم شـأن اسرة حـاكمـة فيهـا، كانت القـاب رومـانيـة تسبق اسماء افرادهـا مثـل لقب (سبتيمـوس). وقـد تمتـع افـراد هـذه الاسرة بـالمـواطنـة الرومـانيـة تحت ظـل سلطـة الامبراطـور (سبتيمـوس سفيروس ١٩٣م ـ ٢١١م) وكان اشهر شخصيـة من هـذه الاسرة الـذي وصل الى مرتبـة السينـاتور الرومـاني هو (سبتيموس اوذيناث او اوذنيـاثـوس ابن حيران) وهـو اذينـه الـذي اشتهر عنـد العرب. وعنـد زيـارة (الاسكنـدر سفيروس) مـدينـة تـدمر عـام ٢٣٠م ـ ٢٣١م كان ابن اذينة (سبتيمـوس حيران) يحكم فيهـا وكان يلقب بـ(رأس تـدمر) الـذي اعتبر درجـة رومـانيـة في ادارة الـدولـة. وقـد خلف هـذا ابنـه

المشهور (سبتيموس اوذيناثوس / اوذينة) زوج الملكة المشهورة (زنوبيا / زينب) واحتل مركزاً مرموقاً عند الرومان ومنحوه لقب (اوباتيكوس / القنصل الشهم) وقد شوهد هذا اللقب مدون على نقش يرجع الى عام ٢٥٨م ايام حكم الامبراطور (ڤاليريانوس / ڤاليريان).

وفي اثناء التغييرات التي حدثت في بلاد الشرق بظهور الساسانيين كقوة سياسية حلت محل الفرث ، ظلت تدمر تعيش على نفس مظاهرها وحضارتها المتأثرة بالرومان ولم تتغير بالرغم من قربها من تلك الاحداث في الشرق، لكنها تأرجحت بين الامبراطوريتيين الساسانية والرومانية، الا انهم كانوا يميلون الى الرومان اكثر من الساسانيين، ومع ذلك فان حكام هذه المدينة حاولوا الحفاظ على استقلالهم اثناء ذلك الصراع والمنافسة بين الامبراطوريتين. ولكنهم لم يتركوا اخلاصهم للرومان الا في الوقت الذي ظهرت المصيبة الكبيرة التي حلت بالجيش الروماني، وذلك عندما وقع الامبراطور ڤاليريانوس اسيراً في يد الساسانين وقد سطع نجم التدمريين في هذه الحرب وخاصة عندما استطاع اذينة ان يقصي شابور الاول الساسانى من الشام بعد اسره للامبراطور الروماني واستيلائه على جانب كبير من اسيا الصغرى وشمال سورية. وظل اذينة في مطاردة شابور حتى اسوار المدائن (طيسفون) عاصمته، وسبق لسيد تدمر ان ابلى بلاء حسناً في النزاعات الاخرى بين الامبراطوريتين. وكان يقاتل مع الرومان فمنحه مجلس الشيوخ الروماني سنة ٢٦٢م لقب دوكس اورينتس (دوق الشرق / نائب الامبراطور في الشرق) مكافأة له على بطولته في حمايتها. ولما ظهر فضل جهاده في ردع شابور اغدقت روما عليه اسباب الاكرام والتبجل حتى انعم عليه الامبراطور كَاليانوس بلقب امبراطور فخرى واقره قائداً لجيوش روما في الشرق. وبذلك تمت له السيادة على آسيا الصغرى والقطر المصري بصورة اسمية فضلاً عن استئثاره بالسلطة الناجزة على ربوع الشام وشمال الجزيرة وربما كانت بلاد ارمينيا خاضعة له. وغدت تدمر سيدة نافذة الأمر على بلدان آسيا الغربية، ولم تك قد مضت سنة على تلك العظمة وذاك المجد حتى قتل اذينة وبكره هيرودس عيلةً في حمص (اماسا)، ولعل روما ارتابت في ولائه فأوعزت الى بعضهم ان يريحها منه فيما بين عامي ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ميلادية.

آل الملك من بعد أذينة الى زنوبيا (في الآرامية بث زَبّاى وفي العربية الزباء او زينب) زوجته الطموحة فاتبعت سياسة زوجها واشرفت على شؤون الدولة وّصية على العرش ريثما يبلغ ابنها القاصر سن الرشد وكان اسمه وهب اللات (اى عطية اللات وفي اليونانية اثينودورس). واتحدت لنفسها لقب ملكة الشرق وتحدت روما نفسها مدة من الزمن وكان تعداد قوتها العسكرية يصل الى ٧٠,٠٠٠ جندي التي تقدمت نحو مصر وقاومها الرومان بقيادة (پروبوس) بشدة ولكن دون فائدة ثم عقدت عزمها على توسيع ارجاء ملكها واستطاعت ان تضم مصر وقسماً كبيراً من آسيا الصغرى وخضدت شوكة الرومان فتراجعوا الى قرب انقره الحالية، وطوحت بجيوشها الى خلقيدون تجاه بيزنطة محاولة احتلال تلك البقعة السحيقة. ثم فتح جنودها البواسل الاسكندرية، اهم مدن الامبراطوزية الرومانية بعد العاصمة روما، فنودى عام ٢٧٠م بابنها وهب اللات ملكا على مصر. وضربت المسكوكات خالية من رسم رأس اورليانوس الذي كان ينقش عليها. ويعود معظم الفضل في انتصاراتها الرائعة الى ذكاء قائديها زباى وزبدا من ابناء تدمر.(١٤١) وفي خلال اعوام ٢٧٠م - ٢٧١م كان قطع العلاقات امراً محتماً واصبح وهب اللات يلقب نفسه بـ(اوغسطس) كما كانت والدته في تدمر ملكة تجلس على عرشها وتنقش لقبها الملكية على النقود، ونشر كل من زباى وزبدا اخباراً عن وهب اللات كملك الملوك. وقد اغضبت هذه الاعمال روما فارسل الامبراطور اورليانوس القائد پروبوس مرة اخرى الى مصر واستطاع هذا من ارجاع مصر تحت الاحتلال الروماني عام ٢٧٠م. واخيراً اهتم اورليانوس للأمر فجرد عام ٢٧١م جيشه وغلب زبدا في واقعة انطاكيه وواقعة اخرى بجوار حمص. ثم دخل تدمر محتلاً في ربيع ٢٧٢م، وفرت ملكتها العربية الى مجاهل الصحراء. لقد دخل الامبراطور الى سوريا بعد ان عبر كبدوكيا ومن خلال كيليكيا وصل الى قرب انطاكية حيث التقى بالتدمريين بقيادة زبدا. الا انه لم يؤذى الناس في هذه المناطق، وانما قتل المسؤولين في ادارة الدولة هناك. واستطاع الرومان اخيراً من القاء القبض على الزباء وحملها الامبراطور اسيرة وامر ان تغل يدها باطواق من ذهب ويسار بها امام مركبته عند دخول موكبه الظافر الى روما. ونمي اليه وهو في طريقه الى روما خبر نشوب الثورة في تدمر فعاد ادراجه اليها وامعن بأسوارها هدماً وتخريبا ودك معظم معالمها الى الاساس وقضى عليها، لأن التدمريين كانوا قد قضوا على الحاكم الروماني الذي نصبه الامبراطور على مدينتهم، وعينوا محله شخصا باسم

انطيوخوس، وسمع الامبراطور بهذه الحوادث وهو يعبر الهلسبونتس (بحر البوسفور) فقرر الانتقام من المدينة على حين غرة، وقد حقق ذلك عام ٢٧٣م بعد عودته اليها للمرة الثانية.

اما حلي هيكل الشمس البديع وذخائره فنقلها الى الهيكل الجديد الذي احدثه بروما واقامه لاله الشمس الشرقي تخليداً لذكرى قضائه على مملكة تدمر.

المبحث الثاني
حضارة تدمر ومنجزاتها

كانت حضارة ومدينة تدمر مزيجاً من العناصر السورية واليونانية والفرثية والرومانية واهمية هذه المدينة لاتقوم على مافيها من مزايا العظمة فحسب، بل هي كدينة الأنباط التي تقدمتها تمثل ذرى الثقافة التي باستطاعة العرب من بنى البادية ان يبلغوها اذا ماتسنت لهم الهيئات· وبالرغم من التدمير الشامل للمدينة من قبل الامبراطور اورليانوس، فقد تشير بقايا ابنيتها الى المزايا العظيمة لفنها المعماري ومستوى حالتها الاجتماعية والسياسية التي وصلتها تلك المدينة ايام عصرها الذهبي· هذا فضلاً عن النقوش المكتوبة التي تشير الى النظام الملكي الذي اقامته اسرة اذينة في هذا المركز التجاري الهام· وقد انتعش ذلك النظام عن طريق تلك الضرائب والمكوس التي فرضت على الواردات والصادرات من البضائع والتي مرت من خلالها بين الامبراطوريتيين· وقد ادى تواجد مواطنين من مختلف الجنسيات داخل المدينة كحكام او اداريين او تجار الى تنوع الفن المعماري فيها بجانب النصب التذكارية والتماثيل المتنوعة لمختلف الشخصيات المعروفة آنذاك·

وهكذا نشأ بجانب الشوارع الصغيرة الضيقة· باحات مركزية جيلة التي تبدأ من بناية قوس النصر قرب المعبد الكبير للشمس وتشكل المحور الرئيسى للمدينة الذي يبدأ من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي لمسافة ١٢٤٠ ياردا، وفي وقت واحد اشتملت على ٧٥٠ عمودا تقريبا من حجر الكلس ذي اللون الابيض ـ الوردي وكان كل واحد منها على ارتفاع ٥٥ قدماً·

اما الصناعات المحلية فلم تكن ذات اهمية تذكر على مايظهر· وان اهل المدينة وخاصة الطبقات المترفة والمعروفة منهم كانوا يملكون القوافل حيث تعاظمت تدمر بواسطتهم عمرانياً وتجاريا· فكان لوكلائها مراكز في مصر وبابل وبلاد اخرى، ومن كتابة في احدى المقابر يظهر ان القوافل التجارية تمر بها حوالي سنة ١٠٠م في اسفارها بين دورا والشام، وكانت الاسر الارستقراطية المتنفذة صاحبة الثروة ورؤوس الأموال تحكم المدينة عن طريق مجالس الشيوخ (السنات)· كانت لافراد هذه الأسر مصالح شخصية داخل المدينة كامتلاكهم مناصب السكرتارية او المسؤولية عن الينابيع والآبار، او المشرفين على المآدب او رؤوساء الاسواق وغيرها من الاعمال· وعلى هذا الأساس كانوا يسيطرون على مؤسسات

ادارة الدولة في المنطقة، وبعد مماتهم فقد ابقى زعماء هذه الأسر مدافن خاصة بهم تزينها نقوش مدونة تقع خارج المدينة وتشاهد من التلال المحيطة بها. كما احتوت هذه المدافن قاعات او غرف مزينة بزخارف فنية كثيرة وصورت حواليها بلوحات الشخصيات المتوفية مع اسمائهم. وبشكل عام فان المدينة وفنها المعماري لم يتمتعا بشخصية متميزة مستقلة وانما آثارها تدل على النمط الكلاسيكي باضافة زخارف ذات مستوى عالى مع عدم تكرارها. وجدير بالذكر اننا نجد بين الكتابات التدمرية قوائم كمركية تبين الرسوم التي كانت تجبى عن البضائع واثمانها باليونانية والتدمرية. وعثر على كتابة ترجع الى سنة ١٣٧م جاء فيها امور تخص الاحوال التجارية بالمدينة اصدرها مجلس الشيوخ فيها لتنظيم التجارة وتثبيت الضرائب الاجرائية وكيفية الجباية.

كان القنصل في المدينة يمثل الدولة واشتهر بلقب (بولى) كما اشتهر الشعب بـ(ديموس). وكانت السلطات تدار من قبل موظفين مدنيين يلقبون بالقاب يونانية مثل برويدروس (الرئيس) وغراماتيوس (السكرتير) والأراخنة (جمع ارخون / الحاكم) وديوان من عشرة حكام، ثم السينديكس وديكابروتوى (القنصل المالي) وغيرهم. وكان لمجلس الشيوخ في المدينة سلطة سن القوانين والتشريع وله رئيس وكاتب وجملة اعضاء يشرفون على السلطة. وكانت هذه الوظائف جزء من النظام العام لادارة الامبراطورية الرومانية. وفي عهد متأخر يحتمل ان يكون في زمن سبتيموس سفيروس او كاراكلا (بداية القرن الثالث الميلادي)، منحت تدمر درجة مستعمرة رومانية عليا (والحقوق الايطالية ius italicum) فاكتسبت بذلك حق الامتلاك العام والاعفاء من الخراج والحرية التامة في ادارة سياسة المدينة. وكانت مؤسسات السلطة التنفيذية للقنصل والشعب تسمى (ستراتيكَوى) ويقابل مفهوم (دومغيرى) الروماني، ثم ان التدمريين الذين غدوا مواطنين رومانيين اتخذوا اسماء رومانية مثل سبتيموس او ايوليوس واوريليوس وغيرها يضيفونها على اسمائهم المحلية.

تداول سكان مدينة تدمر لغة تعتبر احدى اللهجات الآرامية، وترجع الى الاصل المشترك لمجموعة اللهجات النبطية والآرامية التي استعملت في مصر. وجدير بالذكر ان روابط لغوية كانت تربط هذه اللهجة مع تلك الآرامية الشرقية التي اشتهرت بالسريانية. ومع ذلك فان هؤلاء السكان كانوا عرباً، لذا فلاعجب في ان تكون غالبية اسماء علم فيها عربية وظهرت مفردات كثيرة ذات (اصول عربية في نقوشهم. لكنهم اضافة الى ذلك فقد

استعملوا مفردات وصيغ يونانية في الحياة الادارية والسياسية لدولة مدينة تدمر، هذا بجانب استعمال المصطلحات اللاتينية في الصيغ الآرامية.

وفي مجال الكتابة فلقد استعمل التدمريون الحروف الآرامية في تدوين أخبارهم، تلك الحروف التي عمت في البلاد الشرقية واتخذتها الدول الكبرى كالفرثية والساسانية نهجاً لكتابتها. ثم استعمل التدمريون اسماء الشهور التي استعملها الأنباط والسريان واليهود، تلك الشهور التي لها العلاقة مع مثيلاتها التي استعملت في بابل قديما. ومع ذلك فانهم استعملوا التقويم الجوليانى ذو التأثير الروماني الذي انتشر بصورة عامة في سوريا بواسطة الاحتلال الروماني، كما عينوا اوقات الحوادث بناء على التأريخ السلوقي الذي يبدأ من تشرين ثاني عام ٣١٢ ق.م

لقد ازدهرت الحياة العامة في المدينة اثناء حكم اذينة. وبعد وفاته اتخذت زوجها لقب ملكة الشرق والتف الشعب حواليها وايدوا مشاريعها، كما شجعت المفكرين فقربت لونجينوس والبطريق بولس من سميساط والمؤرخ بوسناس الدمشقي. وعاملت الجميع معاملة حسنة واثنى عليها المؤرخ تيربيليوس بوليو وقال انها قديرة تتكلم اليونانية واللاتينية والمصرية.

اما ديانة التدمريين فلم تختلف في جوهرها عن تلك الأسس الروحية التي كانت تسود شمال سوريا وفيما بين القبائل العربية في البادية الشرقية لتلك البلاد. وكان الاله الرئيس هنا (سمس او شمش) اي الشمس، وكذلك (بعل او مَلَك بعل) ودون هذا الاسم في نقوشها بصيغتها اليونانية بصورة (ملكبيلوس) وقد ظل معبده العظيم في تدمر قائما لمدة طويلة وكان مذبحه يشبه مذبح الكنائس المسيحية الأولى وفن بنائه مزيج من البابلية واليونانية. ودعوا هذا الاله برب القمر المدعو (عقلي - بول) وكان يصور كحارب روماني شاب باضافة هلالين كبيرين على كتفيه. ولكن الآلهة العظيمة للآراميين هنا فكانت (أثر او أثيه) التي سميت باليونانية (أتركاتيس) التي صورت بعض المرات في مسكوكات المدينة وهي جالسة وعلى رأسها هلال. كما كانت (الات او اللات) كبيرة آلهه العرب تعبد في تدمر ودون كذلك في بعض نقوش هذه المدينة اسم الاله (بعل شامين) حوالي عام ٣٩ ق.م وهو بعل السموات العلي، ولقب بـ(سيد العالم وسيد الخلود والأزل). هذا بجانب الاله الطيب الكريم الذي اشتهر عند العرب بـ(شيعه القوم) الذي لايشرب الخمر.(١٤٢) الذي يحمي الناس وحارس القوافل وغيرها من الالقاب التدمرية. وعلى العموم فقد وجد هنا ٢٢ لقباً من القاب الآلهة بعضها مركبة او معممة.

وبعد الدمار الذي لحق بتدمر بيد الامبراطور اورليانوس، اصبحت هذه المدينة محطاً عسكرياً للجيش الروماني زمن (ديوكليتيانوس) في نهاية القرن الثالث الميلادي، كما تدلنا على ذلك المدونات اللاتينية. ولكن المسيحية كانت قبل هذه الفترة شقت طريقها نحو هذه الواحة، لذا اشتهر من بين شخصياتها الدينية ايام القنصل (نيكاى - ٣٢٥ م) الأب مارينوس قس تدمر، ثم هناك اثنان آخران من القسس (في القرنين الخامس والسادس الميلاديين) واشتهرا بانشائهما لكنيستين ثم اصبحت تدمر في سنة ٤٠٠ ميلادية مركز الفرقة الاليرية الاولى للمسيحيين. وفي عام ٥٢٧ عمّر الامبراطور البيزنطي جوستنيانوس بعض جوانب المدينة، فنظم مجراها المائي كما بنى حائطاً للمدينة لاتزال آثاره ظاهرة للعيان. وفي صدر الاسلام فتحها القائد العربي المسلم خالد بن الوليد ولكن اهلها ظلوا على دينهم المسيحي لكن المدينة اعتبرت من الثغور الاسلامية.

ومن ينعم النظر الآن في اطلال تدمر الباقية يفقه سر تلك المدينة الزاهرة التي كانت لأهل هذه العاصمة، ويتبين ان بناء المدينة جاء وفقاً لتصاميم وضعها لها جماعة حذاق مهرة في هندسة البناء. وقد حمل اليها حجارة ضخمة من الغرانيت من شلال النيل الأول بمصر من مسافة تزيد على الف ميل.(١٤٣) وكان يحف بشارع المدينة الرئيسي نحو ٧٥٠ عموداً كورنثيا يونانيا كما ذكر، صنعت من الحجر الكلسي الابيض الوردي، ولاتزال بعض تلك الأعمدة قائمة فيها. ولايزال هيكل الشمس في المدينة اروع اثر لمجد تدمر القديم وكان قبل سنة ١٩٣٠م مقر البلدة الحالية بأسرها. وهناك ابراج عالية كانت قبوراً وتظهر فيها آثار البذخ والعظمة وتعد فريدة بين آثار العصور القديمة. ونرى في تدمر اليوم آثاراً لأقنية عظيمة تحت الأرض وبقايا احواض لأختزان الماء في ظاهر المدينة مما يدل على ان تلك الأرض التي تبدو اليوم جرداء مجدية، كانت بفضل هذه المنشآت خصبة صالحة للزراعة.

ولم يدم مجد تدمر طويلاً فتحولت التجارة عنها الى خطوط جديدة فظهرت مدينة بصرى (بسترا) حوران وسواها من عواصم غسان فخلعتها وورثت مكانتها كما ورثت تدمر من قبل مكانة البتراء (البطراء).

هوامش

الباب الثاني

الفصل الاول والثاني والثالث

١) يسمى موقع مارى الآن بتل الحريري الواقع على ضفة نهر الفرات اليمنى على بعد ١٣ كم غربي ابو كمال.

٢) د. سامي سعيد الأحمد، تأريخ فلسطين القديم (بغداد ١٩٧٩) ص ٩٢

3) The New Encyclopaedia Britannica, Amorites.

٤) راجع

Speiser E.m. Mesopotamian Origins. The Basic
Population Of The Near East.
(Philadelphia 1930) P.125, 129

5) The New Encyclopaedia Britannica, Amorites,

فيليب حتى، تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص ٧٠ ومابعدها

٦) طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، بغداد ١٩٥٦، ص ٢٣٣

7) The New Encyclopaedia Britannica, Amorites OP.Cit.

٨) د. سامي سعيد الأحمد، نفس المصدر، ص ٩٢

٩) د. سامي سعيد الأحمد، نفس المصدر، ص ٩٢

10) The New Encyclopaedia Britannica, Amorites

١١) راجع الرسالة رقم ٦٠ ومابعدها من رسائل تل العمارنة المنشورة في :

Knudtzon J.A. Die EL-Amarna – Tafelen, (Leipzig 1908)

١٢) الرسائل المرقة ٧٥، ٨٥ من رسائل تل العمارنة، راجع كذلك :

د٠محمد ابو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، بيروت ١٩٨١، ص ٣٨،٣٧

١٣) راجع Chiera E., Sumerian Religious Texts,

1924, PP. 20, 21

١٤) د٠انطون مورتكات، تأريخ الشرق القديم، دمشق ١٩٦٨م، ص ١٥١ الترجمة العربية

١٥) المرجع السابق، ص ١٣٥

١٦) طه باقر، نفس المصدر، ص ٢٣٥

١٧) د٠محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٢٧٨

8) The New Encyclopaedia Britannica, Canaan.

١٩) د٠نجيب ميخائيل ابراهيم، مصر والشرق الادنى القديم (القاهرة ١٩٦٤) الجزء الثالث، ص ٤٧٠

٢٠) المرجع السابق، ص ٤٨

٢١) دار المعارف البريطانية، مادة كنعان

٢٢) حول تفاصيل هذا الموضوع انظر :

lmstead A.T., History Of Palestine and Syria

the Macedonian Conqust, (N.Y. 1931).

bright W.F., The Archaeology Of Palestine,

timore 1954.

٢٣) دار المعارف البريطانية، كنعان٠

٢٤) المرجع السابق

٢٥) نفس المرجع

٢٦) د٠ سامي سعيد الأحمد، نفس المصدر، ص ١٢٥

٢٧) يختلف العلماء حول معنى تسمية (الخابيرو) بالضبط ومن هذه المعاني (بدو الصحراء، مرتزقة، اجانب، الس
خارج المدن، الغرباء والذين لامأوى لهم) وغيرها٠

28) Oimstead A.T. Ibid.

٢٩) دار المعارف البريطانية، كنعان

٣٠) د. نجيب ميخائيل ابراهيم، نفس المصدر، ص ١٠٢، ١٠٦

٣١) دار المعارف البريطانية، كنعان

٣٢) د. سامي سعيد الأحمد، نفس المصدر ، ص ١٦٨

٣٣) د. احمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التأريخ، بغداد ١٩٨١، ص ١٣٠

٣٤) دار المعارف البريطانية، كنعان

٣٥) انطون مورتكات، نفس المصدر، ص ٢٥١

36) The New Encyclopaeelia Britannica, Alepo

٣٧) انطون مورتكات، نفس المصدر

٣٨) د. محمد ابو المحاسن عصفور، معالم تأريخ الشرق الادنى القديم، بيروت ١٩٨١، ص ٢٧٣

٣٩) انطون مورتكات، نفس المصدر، ص ٢٥١، ٢٥٢

٤٠) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٢٧٤

٤١) دار المعارف التأريخية السوفيتية، دار المعارف البريطانية، مادة الحيثيين

٤٢) برستد، تأريخ مصر، ص ١٧٣، الترجمة العربية

٤٣) المرجع السابق

٤٤) د.جمال رشيد احمد، دراسات كردية في بلاد سوبارتو، بغداد ١٩٨٤م، ص ٤٢

٤٥) د. جمال رشيد احمد، الانبعاث، مجلة الاديب الكردي، العدد الخاص رقم ٢، تشرين الثاني ١٩٨٦، ص ١٠٧ ـ ١٣٦

٤٦) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المرجع، ص ٣١١

47) The New Encyclopaedia Britannica, Ugarit

٤٨) د. محمد ابو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، ص ٢٦

٤٩) المرجع السابق

٥٠) انطون مورتكات، نفس المصدر، ص ٢٥٣

٥١) دار المعارف البريطانية، مادة اوغاريت

٥٢) د٠محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٢٧

٥٣) د٠سامي سعيد الأحمد، نفس المصدر، ص ٤٣

٥٤) دار المعارف البريطانية، مادة اوغاريت٠

55 The Cambridge Ancient History. V — III,
Part 1, Second Edition 1982. P. 802 FF.

٥٦) دار المعارف البريطانية، مادة اوغاريت٠

٥٧) انطون مورتكات٠ نفس المصدر، ص ٢٥٣

58) John H. Pattan., Canaanite Parallels in the
Book Of Psalms (1944).

طه باقر، نفس المصدر، ص ٢٦٢

فيليب حتي، نفس المصدر، ص ١٢٤

٥٩) فيليب حتي، نفس المصدر، ص ١٢٥

٦٠) د٠محمد ابو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت ١٩٨١، ص ١٦٦٠

61) Kraeling g.H., Aram and Isreal (New York 1918) PP.20, 22
The New Encyclopaedia Britannica, Aramaeans

٦٢٠ د٠ مراد كامل و د٠محمد حمد البكري، تأريخ الأدب السرياني من نشاته الى الفتح الاسلامي، القاهرة ١٩٤٩، ص ٤ راجع كذلك :

Ghirshman R.Iran (Pelican Book 1954) P. 163.

٦٣. انطون مورتكات، نفس المصدر، ص ٢٦٩

٦٤) جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة، القاهرة ١٩٦٢، ص ٢٠٦، ترجمة د.احمد فخري.

Breasted J.J.Ancent Times, (Boston 1935) P.186

٦٥) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر ص ١٦٨

٦٦) د. مراد كامل، د. محمد حمدي البكري، نفس المصدر ص ٥، ٦

67) Ghirshman R., Ibid. P.164

٦٨) طه باقر، نفس المصدر السابق، ص ٢٧٧ - راجع كذلك كل من :

دار المعارف البريطانية، مادة الآراميين.

د.نجيب ميخائيل ابراهيم، نفس المصدر، الجزء الثالث ٤٤١

٦٩) طه باقر، نفس المصدر، ص ٢٧٩

٧٠) دار المعارف البريطانية، مادة الآراميين.

71) Roger T. O Callaghan., Aram Naharaim.
Rome 1948, P.143

72) Breasted J.H., Ancient Times. P.185

٧٣) فيليب حتي، نفس المصدر، ص ١٧٧

74) Breasted J.H., ibid. P220.

75) OP. Cit. P. 207

٧٦) فيليب حتي، نفس المصدر، طه باقر، نفس المصدر

٧٧) د.سامي سعيد الأحمد، نفس المصدر، ص ٢٠٥

79) Breasted G.H. OP.Cit.

٨٠) د٠سامي سعيد الأحمد، نفس المصدر، ص ٢٠٧ ومابعدها٠

٨١) فيليب حتي، نفس المصدر، ص ١٨١

٨٢) المرجع السابق

٨٣) د٠نجيب ميخائيل ابراهيم، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص ٤٨

84) The New Encyclopaedia Britannica, Phoenicia

85) Erman A,Grapow H., Woeterbuch der agyptische Sprache, B.1, P. 577.

٨٦) د٠محمد ابو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية٠ ص ١٣

٨٧) دار المعارف البريطانية، مادة فينيقيا٠

٨٨) المرجع السابق

٨٩) الكتاب الثامن ليوسف الفلاوي Jos. Ant., VIII. 13,2

٩٠) تعني كلمة (فوينكس) في اليونانية (الاحمر) وهي تشير الى الصبغ البنفسجي او الاحمر الذي اشتهر الفينيقيون بصبغه٠

٩١) امتاز تأريخ الوطن الفينيقي بسلسلة من الاحتلالات الأجنبية (الحيثية، الفارسية، المقدونية وغيرها)٠

٩٢) د٠ محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٣٢ ومابعدها

٩٣) لما كان هؤلاء يلقبون أنفسهم بلقب (ملك بيبلوس) فان ذلك يوحي باستقلالهم٠

٩٤) د٠محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٣٧

٩٥) برستد، نفس المصدر، ص ٢٧٣ ومابعدها من الترجمة العربية

٩٦) د٠ سامي سعيد الأحمد، نفس المصدر، ص ٢٠١

٩٧) يوسف الفلاوي، نفس المصدر

٩٨) د٠ محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ٣٧

٩٩) المرجع السابق، ص ٤٦

100) Moscati S., The World Of The Phoenicians. London 1968, P. 18 FF, 22 FF.

١٠١) دار المعارف البريطانية، فينيقيا

١٠٢) برستد، نفس المصدر، الفصل الحادي والعشرون.

١٠٣) يوسف الفلاوى Jos Ant., VIII. 5,3

١٠٤) د.سامي سعيد الاحمد، نفس المصدر، ص ١٩١، ١٩٤

105) Jos. Ant., VIII. 13,2

١٠٦) راجع الكتاب الثامن عشر لجوستين Justin XVIII. 4 – 6

١٠٧) برستد، تأريخ مصر القاهرة ١٩٢٩، ص ٣٩١، الترجمة العربية

١٠٨) دار المعارف البريطانية، فينيقيا

١٠٩) المرجع السابق

١١٠) هيرودوت، الكتاب الثاني ، ١٨٢

١١١) بوليبيوس، الكتاب الحادي والثلاثون Polyb., XXXI. 20,12

١١٢) دار المعارف البريطانية، فينيقيا.

١١٣) د.نجيب ميخائيل ابراهيم، نفس المصدر، ص ١٢١

١١٤) المرجع السابق

١١٥) المرجع السابق

١١٦) دار المعارف البريطانية، فينيقيا.

١١٧) ديودوروس، الكتاب السابع عشر ،٤٠-٤٦

١١٨) المرجع السابق

١١٩) اشتهرت مدن صور وصيدا وأرواد بحصونها راجع سترابو :

Strabo., Geography. XVI, 2

١٢٠) د. لحبيب ميخائيل ابراهيم، نفس المصدر، ص ٥٠

١٢١) المرجع السابق

١٢٢) د. محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ١٠٨

١٢٣) لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان، بيروت ١٩٧٩، ٩٣ ـ ١٢٠

١٢٤) دار المعارف البريطانية، فينيقيا.

١٢٥) طه باقر، نفس المصدر، ص ٢٤٦

١٢٦) فيليب حتي تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين، طبعة ١٩٥٨، ص ١٠٥

١٢٧) د.محمد ابو المحاسن عصفور، نفس المصدر، ص ١١٦

١٢٨) آزيتري ، مدخل الى تأريخ الاغريق وأدبهم وتراثهم بغداد ١٩٧٧، ص ٨ ومابعدها، ترجمة يوئيل يوسف عزيز.

١٢٩) فيليب حتي، نفس المصدر، ص ١١١

١٣٠) طه باقر، نفس المصدر، ص ٢٥٣

١٣١) دار المعارف الريطانية، فينيقيا

١٣٢) المرجع السابق

١٣٣) طه باقر، نفس المصدر، ص ٢٥٦

١٣٤) المرجع السابق

١٣٥) أ.هـ . منس، الحروف الهجائية، اصولها واهميتها بالنسبة الى الحضارة .

تأريخ العالم، الجلد الثاني، الفصل الخامس والثلاثون، الترجمة العربية

١٣٦) د.محمد ابو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، ص ١٨٩

137) The New Encyclopaedia Britannica, Palmyra.

١٣٨) المرجغ السابق.

١٣٩) المرجع السابق

١٤٠) فيليب حتي، نفس المصدر، ص ١١٢

١٤١) دار المعارف البريطانية. بالميرا

١٤٢) المرجع السابق.

١٤٣) فيليب حتي، تأريخ العرب، ص ١١٤

الباب الثالث : القطر الفلسطيني

الفصل الأول : العصور الأولى

المبحث الأول : فلسطين في العصور الحجرية :

تشمل فلسطين جميع الاراضي بين نهر الاردن والبحر المتوسط، وتقع بين راس الناقورة (سكالا تيروروم قديماً) على الساحل وعند جبل الشيخ حتى وادي العريش (نهر مصر قديماً) وحيث تقع مدينة العريش المصرية (رينو كولورا القديمة). وكلمة فلسطين مشتقة من كلمة بيليشتي في الآشورية وهي احدى قبائل اهل البحر الذين تحركوا من كريت وجزر بحر ايجه واستقروا في بعض مناطق من فلسطين. وقد اطلقت كلمة فلسطين اولاً لتعني المنطقة التي استوطنها قبائل البيليستينين.

اعتبرت فلسطين قديماً جزءاً من ارض كنعان وسمتها نصوص العمارنه كيناخّي او كيناخي (ارض قصب البردي او اللون القرمزي). ودعت المصادر المصرية القديمة فلسطين خارو وربما دخلت فلسطين منذ المملكة المصرية الوسطى ضمن المصطلح المصري ريتنو. كما سمتها نفس المصادر في المملكة الحديثة دياهي، زاهي وارض حوررو. وادخلت فلسطين في المصادر الآشورية المتأخرة ضمن المصطلح ارض خاتي.(١)

١. **العصر الحجري القديم** (٠٠٠ر٣٠٠ ق.م.) : انتشرت في فلسطين خلال هذا العصر حيوانات وحشية اندثرت في العهود اللاحقة بسبب تغير المناخ كالفيل والكركدن المكسو بالصوف والبيسون وفرس الماء. وكانت البلاد خلال بدايات هذا العصر ذات بحيرات كبيرة وانهار. واقدم آثار من العصر الحجري القديم الاسفل نعرفها الآن جاءت من موقع العبيدية وسط وادي الاردن ربما سبقت ٣٠٠ الف ق.م. وتتألف من ادوات حصى بشكل البطاطه واخرى تماثل الفأس اليدوية. ثم من موقع خربت مسكنه قرب طبرية وموقع ابو زريق حيث وجدت نفس الأدوات مع اخرى معمولة من الوجهين. ووجدت في الموقع الأخير خمسة جماجم ترجع ثلاثة منها الى الانسان المعتدل القامة واثنان الى الانسان الذي سبق الانسان العاقل. وعثر في منطقة جسر بنات يعقوب على فؤوس يدوية وسواطير من صناعة العصر الآشيولي الاسفل. ووجدت في مرتفعات فلسطين وشرق الاردن مدافن ضخمة سميت تماثل (Dolmens) وصخور

كبيرة قائمة يصل ارتفاعها احياناً حوالي ١٥ قدم تسمى وجوم (Menhirs) لانعرف تاريخها وربما تعود لاواخر العصر الحجري القديم. وعثر على صناعات من بداية العصر الآشيولي في كهوف منها طابون بجبل الكرمل وام قطافه بالصحراء الوسطى الذي وجد به عظام حصان ووعل احمر وآخر وحشي ويظهر ان المناخ تحول الى مداري رطب ثم الى جاف. وعاش الانسان على ما اصطاد وصنع ادواته من الصوان ودفن موتاه في عناية مما يدل على معتقدات خاصة به عن حياة اخرى. وعثر على هياكل متحجرة في اربع كهوف بفلسطين اقدمها جمجمة الجليل من هذا العصر. وامدتنا مغارتي السخول وطابون بجبل الكرمل من العصر الحجري القديم الاوسط على بقايا احد عشر هيكلاً منها اربعة كاملة الى جانب خمسة هياكل غير كاملة من جبل القفزة قرب الناصرة. وقد اطلقت على انسان فلسطين الأول هذا اسم انسان الكرمل الذي يمثل في الغالب رساً وسطاً بين انسان النياندرتال والحديث الذي استعمل في حياته صناعات حجرية صغيرة (ادوات مثلثة الشكل بحافات غير حادة ونهايات مربعة استعملها في صيده ثم سكاكين هلالية وقاشطات وابر). وكان الدفن جماعياً مما قد يدل على تماسك العائلة ويدفن مع الميت حاجاته الاساسية. كما صنع انسان الفترة هذه الشفرات (من حوالي ٥٠ الف ق.م.).

امدتنا مغارة الواد وكهف كبارة بجبل الكرمل وعرق الاحمر بالصحراء الوسطى وجبرود بمواقع سكنها انسان فلسطين في نهاية هذا العصر. ففي كهف الاميرة بالجليل عثر على صناعة لب الصوان وقشره. وان تبدل المناخ في نهاية العصر طرد الكثير من الحيوانات فصار الطعام اكثر ندرة واضطر الانسان الى صيد الحيوانات الصغيرة وجفت البحيرات والانهار.(٢)

ب. العصر الحجري الاوسط (حوالي ١٠،٠٠٠ ق.م.) : ويتمثل في الحضارة النطوفية) نسبة الى وادي نطوف شمال غرب القدس). وقد سكنوا في كهوف ومواقع مفتوحة وتشبه هياكلهم تلك لجماعة البداري في مصر وجبيل بلبنان (من العصر الحجري المعدني). وكان النطوفيون صيادين ماهرين اصطادوا الغزال كثيراً واستعملوا في الصيد السهام والالات الهلالية الصغيرة وتقدمت صناعات ادوات العظام ووضعوا قطع الصوان الحاد في مقابض ربما حصدوا بها الحبوب البرية، وربما دجنوا الكلب. وعثر على مدافن لهم منها في صخور الواد وعين الملاحة يظهر انها كانت عامة زينت جثة واحدة منها بكل

مقبرة بالحلي. وان اعتنائهم بمدافنهم يدل على اعتقادهم بحياة اخرى. والى هذا العصر تعود الصخور عند موقع كيلوا في صحراء هضبة الاردن التي تصور حيوانات (ماعز وحشي بقرون طويلة الخ). والحضارة النطوفيه حضارة الأدوات الصغيرة ولهم نحوت صغيرة لحيوانات وبشر. وهناك آثار تدل على سكن موقعي جزر واريحة القديمة (تل السلطان) خلال العصر الحجري الاوسط. وقد تكون البناية التي اكتشفت في اريحة مزاراً شيده الصيادون عند آبار منطقة اريحة التي كانت تتردد عليها الحيوانات.(٣)

ج. العصر الحجري الشبه الحديث (الحضارة الطاحونية) :

١. **الفترة الأولى** : وقد سمي بالعصر الحجري الحديث الأول السابق للفخار. واعطانا موقع اريحة خير مثال لانتقال الانسان من حياة الصيد الى الاستقرار. وقد توسعت المستوطنة واحيطت باسوار دفاعية بعرض يزيد عن ستة اقدام مع برج ترتفع بقاياه الى ٣٠ قدم يوصل أعلاه بسلم من ٢٢ عتبة. واحيط السور بخندق عرضه ٢٧ قدماً وعمقه ٩ اقدام. وعثرت في المدينة الثالثة على كثير من البيوت ارجع تاريخها الى حوالي ٧٠٠٠ ق.م. ومارس السكان الزراعة وانتجوا حبوباً ومحصولات واتقنوا طرق الري المنظم ودجنوا الماعز واستحصلوا بطريق التجارة على الزجاج البركاني من آسيا الصغرى والملح والقار والكبريت من منطقة البحر الميت . كما مارس سكنة وادي فلاح الزراعة وصنع سكان موقع الخيام قرب بيت لحم السهام والمثاقب.(٤)

٢. **الفترة الثانية** : وقد اتت بها جماعة جديدة سكنة اريحة طورت صناعة الصوان فقلت الفؤوس والقدم والـلاقطات وكثرت الرحي وصارت البيوت ذات غرف مستطيلة كبيرة وجدران مستقيمة وابواب كبيرة وعثر على عظام خنازير وماشيه وكثرت تماثيل الحيوانات الطينية. واستمر باستيراد الزجاج البركاني من آسيا الصغرى وحصلوا على الشذر من سيناء والاصداف من البحر. وعثر في بيت على غرفه صغيرة ربما كانت مزاراً حوت على مشكاة وجد به حجر مستوي. وعثر على تماثيل طينية تتألف من رجل وامرأة وطفل تعود لاشك الى عائلة وكذلك اواني وشفرات قطع. وتم اكتشاف عشرة جماجم فصلت عن هياكلها وعملت عضلات الوجه من الجص ووضعت اصداف بحرية في تجاويف العينين ربما تدل على عبادتهم للاسلاف. وعثر على نفس الصناعات في مواقع كريات العناب (ابو

غوش)، تل فلاح وشيخ على الخ) مما يدل على تشكيلها حضارة متماثلة بجماعة بشرية واحدة وفدت في الغالب من سورية حيث عثر على مايماثل حضارتها في مواقع تل الرماد قرب دمشق(٥)

د. العصر الحجري الحديث (حوالي ٧٥٠٠ ق.م.) : ازدادت خلالـه المستقرات في فلسطين. ويظهر ان موجة بشرية جديدة دخلت فلسطين جلبت معها صناعة فخارية حديثة وعاشوا باكواخ بنوها في اراضي منخفضة. وسكن القادمون الجدد موقع اريحة وصنعوا نوعين من الفخار اعتيادي ومزخرف وظهر نوع جديد من المناجل. ويظهر ان موجتين بشريتين دخلتا فلسطين خلال هذه الفترة تمثلتا في نوعي الفخار اللذين صنعوهما وكان الثاني منها اكثر تعقيداً واحسن حرقاً. كما سكنت عند ملتقى نهر اليرموك بنهر الاردن جماعة نعرف من الاتها المكتشفة انهم حصدوا الحبوب التي ربما زرعوها ومارسوا الصيد وجاء بعض فخارهم مشابه لفخار اريحة من هذا العصر واطلق عليه اسم اليرموكي كانت اوانيه بخطوط وحزوز وطرز شارية وصنعوا تماثيل صغيرة كثيرة من الحجر الجيري المطعم بالحصى وخطوط تمثل معالم الوجه واعضاء الجنس ربما لها اهمية دينية وعلاقة مع طقس الخصب.(٦)

٤. العصر الحجري المعدني (حوالي ٣٥٠٠ ق.م.)

وقد استعمل فيها البرونز الى جانب الأدوات المصنوعة من الحجر والعظام الخ. وقد تبدلت به وسائل الانتاج وظهرت صناعات مستحدثة ووسائل نقل. وعمت اكثر فلسطين حضارة متماثلة سميت الغسولية (نسبة لتليلة الغسول شمال شرق البحر الميت). فعرف الانسان الآن تعدين النحاس وخلطه مع القصدير لانتاج البرونز. وأدى استخدام المعادن الى تحسن وسائل الانتاج والاسلحة وقوت العلائق التجارية من والى مراكز المعادن. وقد زرع الانسان خلال هذا العصر الكثير من المحصولات والفواكه والخضروات كالحنطة والشعير والعنب والزيتون. والبيوت بحجم متوسط مستطيلة الشكل في الغالب بنيت متجاورة مفصولة بازقة دونما سور ولطخت جدرانها الداخلية بالجص ونقشت بمناظر ونقوش. وحوى كل بيت على حفر للخزن حوت على جرار حبوب وجد في بعضها نوى زيتون وتمر مما قد يدل على زراعة النخيل والزيتون في فلسطين آنذاك. ووجد كنز من اوعية نحاسية في كهف بمنطقة البحر الميت اخفته جماعة فلاحية تركت بقايا حنطة

وشعير وبصل وثوم ومنسوجات. وكثرة رؤوس الرماح يدل على كونها جماعة محاربة. وعثر في موقع عين جدي على معبد كبير من هذا العصر، ووجد في تلول بئر السبع اللؤلؤ والعقيق. وكان فخار موقع غسول بدائي الصنع جيد الحرق متعدد الاشكال ذات نقوش كالحزوز او الشرائط الملونة والزخرفة والهندسية. كما عثر على مناجل ورحى ومطاحن واصص وسهام صوانية قليلة. وكانت غسول قرية لفلاحين مكتفية ذاتياً، دفنوا موتاهم في بيوتهم ووضعوا جثث اطفالهم في جرار. ووجدت في موقع العديمة مقبرة واسعة يظهر منها ممارستهم لحرق الموتى ايضاً.

شيد سكنة تل ابو مطر جنوب بئر السبع كهوفاً اصطناعية يدخل الى بعضها من ممرات افقيه وهناك حفر يظهر انها استعملت لخزن الماء. ولم يعثر عندهم على سهام مما يقوى احتمال عدم ممارستهم الصيد. وكانوا عمال نحاس عدنوه في مواقد خارجيه وصفوه وصبوه بقوالب. ويظهر انهم انتجوا كيات كبيرة من الحبوب استعملوا الفائض عن حاجتهم منها لشراء ماتفتقر بلادهم له من المواد والمعادن. فقد حصل الفلسطينيون الآن على العاج من سوريه والشذر من سيناء والنحاس من وادي فينان عند منحدر عرابة الشرقي والاصداف من البحر الأحمر. وازدحمت صحراء القدس بالسكان ودخلت فلسطين جماعات جديدة سكنت مناطق واسعة في الشمال والوسط لذا نرى حضارتهم واضحة في مقابرهم عند مجيدو، بيث شان، العفوله، اريحه، تل الفارعة قرب نابلس، عاي الخ. وقد حفروا مدافنهم بالصخور ووضعوا مع الميت مااعتقدوا باحتمال حاجته له من الادوات في الحياة الاخرى. ووجدت مع الادوات الصوانيه لدى سكنة اريحة رؤوس رماح ومناجل طويلة وادوات نسيج نحيفه ربما لنسج الكتان، وكان هذا العصر في فلسطين عصر قرى انتشرت في كل الامكنة ببيوت مختلفة لم تحاط باسوار ممايدل على شعور الناس بالأمان.(٧)

المبحث الثاني

فجر تاريخ فلسطين

فجر تاريخ فلسطين، عصر دويلات المدن والتغلغل العموري (البرونزي المتقدم) ٣١٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م.

قسم الباحثون هذا العصر الى اربع فترات متعاقبة اطولها المتقدم الأول واقصرها الرابع. وقد عثر على آثاره في مواقع عديدة في ارجاء فلسطين لابد وان كانت مراكز لدويلات مدن مهمة مثل بيت شان، اريحة، خربت كرك، عاي، راس العين، لاخيش الخ. لانعرف عن تاريخها الكثير. وكانت المدينة تشيد في مكان عال او بموقع استراتيجي او وسط مناطق خصبة وتحاط بالأسوار. وحضارة العصر البرونزي المتقدم نتاج جماعة جديدة وازدادت اهمية فلسطين بسبب نشوء دول قوية في العراق ومصر لكل منها علاقاتها مع سورية ـ فلسطين. كما اثر موقع فلسطين على الطريق الذي يربط مصر بغرب آسيا. وكانت المدن الفلسطينية وحكامها في تنافس فيما بينهم مما جعلهم يشيدون الاسوار لحماية مدنهم. وفي اواخر العصر دخل العموريون فلسطين في الغالب من شمال الجزيرة العربية الغربي (الجزيرة الفراتية) الذين اخذوا يؤثرون على وضع البلاد العام في العصر اللاحق. وكانت اريحة معرضة للتحركات البشرية من الشرق مما اجبر اهلها على تحصين مدينتهم. واخذوا يستعملون اللبن المستطيل الشكل المعمول في قوالب بالبناء فوق اسس صخرية. وكان البناء محكماً كيما يصمد امام العوامل الطبيعية التي تتعرض لها المنطقة كالزلازل خاصة. وعثر على ماقد يكون مزاراً ومدافن كثيرة من هذا العصر في اريحة وبيوت تشير الى كونها كانت مزدهرة. ومارس فلاحون في هذا العصر زراعة الحنطة والشعير والعدس والبازليا والفاصولياء وربما زرع سكان اريحة اللوز والزيتون. كما زرع العنب لأول مرة واستخرجوا منه الخمر وتناولوه طرياً ومجففاً وصنعوا الجعة. وان الاختام الاسطوانية وطبعاتها تدل على علاقات مع العراق. وظهرت عند موقع تل الفارعة الشمالي (قرب نابلس) مدينة مستفيدة من السهول الزراعية حواليها وموقعها الجغرافي المؤدي الى قلب فلسطين وشخيم وبيسان عبر وادي الاردن.

تركزت غالبية مدن هذا العصر في شمال ووسط فلسطين. وخزن سكانها الحبوب بكواير تحت الارض او في جرار واحتفظوا بالماء والزيت في جرار كبيرة. وعثر بين البنايات على بيوت اكثر ضخامة من الاخرى مما يدل على التمايز بالموارد اضافة الى

بنايات عامة. وكشف في عاي على قصر ربما شيد في الوجه الثالث من هذا العصر حوى في الغالب طابقاً ثانياً. وسكنت القدس قبل العصر البرونزي المتقدم هذا ووجدت في مجيدو كومة من الصخور ترتفع حوالي عشرة امتار في بعض جهاتها تعود لهذه الفترة يرقى اليها بسلم وقربها كثير من عظام الحيوانات وكسر الفخار مما يرجح كونها مزاراً وهذا اول مثال نعرفه عن مكان عالٍ للعبادة والتي شاعت في الفترات اللاحقة. واستمر السكان في وضع ادوات مع الميت في قبره وتعقدت المدافن مثل تلك التي عثر عليها في اريحة وتنوعت طرق الدفن ومعاملة الجثة في المقابر المختلفة الأمر الذي يشير الى اختلاف المعتقدات بين السكان. وعم نوعان من الفخار شمالي منقوش بالشرائط المغطاة بنماذج متوازية او مشبكات على سطح الانية الناعم وجنوبي ملون. وصار الفخار الفلسطيني شهيراً واستوردته مصر. وتحسنت طرق حرق الفخار وتقدمت صناعة النسيج وفن العمل بالذهب والحلي والحفر على الصخور. كما انتشرت التجارة بين مدن فلسطين من ناحية والدول المجاورة كمصر وسورية والعراق من ناحية اخرى ونلحظ تأثيرات من حضاراتها على حضارة فلسطين. وقد عثر على صحن من اوروك بالعراق في قبر عند تل الفارعة الشمالي واخبرنا الفرعون المصري دن (الرابع للسلالة الأولى) عن دحره للشرقيين ونراه في صلاية يضرب اسيوياً بثوب قصير. والشرقيون لابد ان يكونوا من سكان جنوب فلسطين. كما اخبرنا القائد اوني من السلالة المصرية السادسة (المملكة القديمة) عن حملة في فلسطين قطع جنوده خلالها اشجار التين والعنب. ومن السلالة الخامسة نرى صورة حصار مدينة فلسطينية في مدفن اسماها نيتيا (ربما اللد) نشاهد المحاربين الفلسطينين فيها بشعور مربوطة ونساؤهم في ثياب طويلة. كلها تدل على حملات مصرية على فلسطين خلال هذا العصر ربما منها ايضاً حملة الفرعون ساحورع من السلالة الخامسة البحرية وصور سفنه في معبده الجنازي عائدة محملة بالغنائم منها الاغنام والماعز ودببة وخشب وزيت في جرار كنعانيه. وربما يكون الاسيويون الذين تسلطوا على مصر خلال العصر الانتقالي الأول هم من فلسطين. وقدم عمال كرتزقة في المنازعات التي شبت بمصر الوسطى خلال هذا العصر وربما يكون هؤلاء الاسيويون الفلسطينيون هم الذين ادخلوا الى مصر السهام ذات الرؤوس النحاسية والاختام الشبيهة بالأزرار.(٨)

دخل فلسطين خلال هذا العصر العموريون الذين نعرف عن تأسيس دولة قوية لهم في الجزيرة الفراتية بعاصمتها ماري (تل الحريري الحالية قرب دير الزور) ويبدو ان دخولهم فلسطين لم يكن سلمياً.

الفصل الثاني : العصر الكنعاني (٢٠٠٠ ـ ٣٣٢ ق٠م٠)

٠١ المبحث الأول
التاريخ السياسي للفترة

يعتبر هـذا العصر اكثر عصور تـاريـخ فلسطين القـديم ازدهـاراً فقـد دخلت البلاد خلالـه موجـات كثيرة مختلفـة الرس والخلفيه٠ واتخـذت البلاد فيـه طـابعهـا المميز الـذي صبغ واثر على كل الشعـوب التي دخلتهـا وصهرهـا بـبودقـة واحـدة (الحضـارة الكنعـانيـة)٠ واستمر حتى احتـلال الاسكنـدر لفلسطين وبـدء امتزاج الحضـارتين الغربيـة والشرقية (الهلنستي)٠ ويقسم هذا العصر الى خمس فترات متميزة :

١٠ الفترة العمـوريـة ـ الكنعـانيـة (حـوالي ٢٠٠٠ ـ ١٥٥٠ ق٠م٠) : وازدادت بهـا العلائـق مـع مصر، فقـد قـام الفرعـون امنمحت الأول وخليفتـه سنـوسرت الأول بحمـلات ضـد فلسطين٠ وكتب القائـد خوسوبـك عن حملة قـام بهـا الفرعون سنوسرت الثـالث وصل خلالها شخيم٠ واعطتنـا قصـة سنـوحي المصريـة التي تصف هرب امير مصري زمن الفرعـون سنـوسرت الاول ووصـولـه جبيـل في لبنـان ثم استقراره في قـدم عنـد شيـخ عمـوري اسماه عمي انشي الـذي زوجـه من ابنتـه الكبرى واعطـاه اراضي٠ فقـدم حيث استقر سنـوحي ربمـا تقـع في الجليـل حيث وصفهـا بمنطقـة تـزرع الشعير والهرطمان، كثيرة البسـاتين والمـاشيـه وحيـوانـات الصيـد وتنتـج العسـل٠ والمجتمـع الـذي وصفـه سنـوحي كان قبليـاً حيث نقرأ عن حروب بين القبـائـل وهجمات اعـداء٠ وكثرة الاتصـالات بين مصر وفلسطين واضحـة من قصـة سنـوحي الـذي اخبرنـا عن استضـافتـه على الـدوام لمصريين٠ ومن صـورة نراهـا في مـدفن خنـوم حـوطب الثـاني حـاكم منعت خـوفـو (بني حسن في مصر) تصـور وصـول زعيم اسيـوي واهلـه (وعـددهم سبعـة وثـلاثين) في السنـة السـادسـة من حكم الفرعـون سنـوسرت الثـاني (١٩٠٦ ـ ١٨٨٣ ق٠م٠) جـالبين كحلاً للملـك وربمـا كانت زيـارة رسميـة ذات صبغـة تجاريـة٠ وزاد الفلسطينيون العـاملـون في مصر سـواء في البيـوت والمعـابـد والاشغـال وحتى في الجيش كتطـوعين٠ وتعطينـا قصـة يـوسف دليلاً على سهـولـة دخـول الجمـاعـات من فلسطين الى مصر وبـالعكس للتجـارة والتزود بـالقـوت وقت الشحـة ـ وان

الآثار المصرية التي عثر عليها في فلسطين خلال هذا العصر كثيرة ومنها اختام الجعارين المصرية. وان كثرة هذه الآثار من فترة المملكة المصرية الوسطى جعلت الباحثين يفترضون احتمال وجود سيطرة مصرية على فلسطين والتي لم تكن في الواقع الا علاقات سياسية وتجارية قوية.(٩)

تعتبر نصوص اللعن التي وجدت في مصر خير مصدر عن فلسطين خلال هذا العصر. وهي كسرات جرار وتماثيل كانت يدون عليها اسماء اعداء التاج المصري وتكسر اثناء طقس خاص. وهي في مجموعتين موجودتين في برلين (من حوالي ١٩٠٠ ق.م.) وبروكسل (حوالي ١٨٠٠ ق.م.). وتعطينا وثائق مهمة عن طبيعة ومعتقدات سكان فلسطين خلال هذه الفترة. ونقرأ عن وجود رئيس لاورشليم (وهو الاسم العموري ـ الكنعاني للقدس ويتألف من مقطعين اور ومعناها مدينة وشليم وهو اله الغروب الكنعاني فيكون معناها مدينة الاله شليم) وهذا يدل على اتحاد قبلي. ونقرأ في اسماء هؤلاء العموريين مايدل على اعتبارهم الآلهة كاعضاء اسرة واحدة مثل خال، عم واب. وتظهر انهم كانوا قبائل مستقلة او ذات اتحادات قبلية. وكثرت في نصوص لعن بروكسل اسماء المدن المحصنة مثل مجدل، شخيم، ايبقوم، خاصور الخ. ونلحظ ان لكل مدينة رئيس واحد وبعض برئيسين. وترينا النصوص بان المصريين كانوا على معرفة طيبة باحوال فلسطين وذات علائق متينة معها. وفي نصوص بروكسل عم اسم الاله حداد مما يدل على ان عبادات وآلهة الناس صارت اقل عدداً من الماضي. والاله حدادِ هو اله الرعد والمطر والزوابع. والعموريون الذين دخلوا فلسطين في نهاية العصر السابق لم يهتموا باحاطة مدنهم باسوار ووصلتنا ادلة كثيرة عنهم من مدافنهم المتنوعة الكثيرة.(١٠) والادلة كثيرة عن العناصر الحضارية العراقية لدى العموريين الذين استقروا في فلسطين. فمعبد في نهارية يماثل في خطته معبد هـ في آشور بشمال العراق وهناك دار من حوالي ١٦٠٠ ق.م. عند جبل جرزيم قرب نابلس يماثل في خطته بيوتاً من اور ونفر بجنوب العراق من عصر ايسن ـ لارسة الى جانب كؤوس واوعية وجرار ومباخر من مواقع نهارية، قبية، يافا وتل بيت مرسيم لهاما يوازيها في مواقع منطقة ديالى من العصور الاكدية حتى بداية العصر البابلي القديم.

وفي وقت لاحق عند بداية العصر البرونزي الأوسط دخل الكنعانيون فلسطين باسلحة وفخاريات وطرق دفن جديدة وحياة مدنية متقدمة تدل عليها الآثار المادية.

وان دخولهم المتقارب زمنياً مع دخول العموريين وعلاقة لغتيهما الوثيقتين حيث كلتاهما لغات جزرية شمالية-غربية ووجود عدد كبير من الصفات المشتركة بين اللغتين جعل الشعبين العموري والكنعاني كثيراً مايقرنان سوية. وعمت خلال هذا العصر حضارة واحدة شملت كل سورية - فلسطين كانت على مستوى حضاري رفيع. وكثرت المدن في فلسطين وكان دخول الكنعانيين بجماعات قليلة لاعلى شكل غزو منظم واحد جالبين معهم انواع عدة من الاسلحة البرونزية . وشيدوا للمدن التي سكنوها اسواراً.

وفي الفترة من ١٨٠٠ - ١٦٠٠ والتي عاصرت تسلط الهكسوس على مصر زاد عدد المدن في فلسطين وكانت باسوار دفاعية ومساحات قليلة. وقد تقدمت صناعات الفخار والخشب واوعية المرمر، وازدادت الحركة التجارية مع الاقطار المجاورة والبعيدة فاستوردوا من مصر وقبرص وكثرت في فلسطين اختام الجعارين المصرية. وتعقدت القبور وزودت بالاثاث ووضعوا الميت غالباً بلباسه مع اختام الجعارين وكلها تلقي الضوء على حضارة العصر. وقد سكنت اريحة وكانت مساحة المدينة خلال هذا العصر سبعة ايكرات كما سكنت مجيدو المهمة حربياً وتجارياً لانها واقعة على الحد الفاصل بين الكرمل والسامره والطريق الذي يربط مصر بسهل مرج بين عامر فالاردن وسورية. اما خاصور التي تشرف على الطريق المؤدي الى مصر فقد توسعت الان وعثر فيها على معابد ومزارات وبنايتين ضخمتين ربما تكونان قصراً ومركزاً ادارياً. كما ازدهرت لاخيش والمدن عند تل العجول قرب غزة وتل الفارعة الجنوبي والشمالي وجزر ونهارية شمال عكا بقليل، وصارت شخيم مركزاً ذو قيمة.(١١)

ب. فترة الاضطراب السياسي والمقاومة ١٥٥٠ - ١٠٢٠ ق.م.

١. الوجه الأول : ١٥٥٠ - ١١٥٠ ق.م. ويطابق آثارياً العصر البرونزي المتأخر تقريباً ويتمثل بدخول الهكسوس فلسطين هاربين من مصر وتعقب الفراعنة لهم بعد ان حكموا مصر لفترة من الزمن (السلالتين الخامسة عشر والسادسة عشر). واطلق عليهم اسماء عدة مثل عامو، سيتيتيو، منتو - سيتيت وهيكو خاسويت (حكام اراضي اجنبية او ملوك الرعاة) و يقصد بها شيوخ الصحراء الشرقية وقبائل جنوب غرب آسيا. ومن الخطأ اعتبارهم من قبيلة واحدة او شعب واحد. ولايزال اصل الهكسوس موضع خلاف بين الباحثين فجعلهم المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس (٣٨ - ١٠٠) عبريين وقال آخرون

يكون موطنهم الاصلي منطقة بحر الخزر واواسط آسيا وجزم غيرهم بانهم من الشعوب الهندية الأوربية في وقت ميز باحث حركتين بشريتين لهم في فلسطين هما موجة الهكسوس الاوائل ثم الموجة الحورية. ولكن المتفق عليه انهم سكنوا فلسطين مدة من الزمن قبل تغلغلهم التدريجي في مصر ثم تسلطهم السياسي عليها حوالي ١٧٢٥ ق.م. ففخار تل اليهودية بمصر والذي يؤخذ كنموذج لفخار الهكسوس قد مر بمراحل تطور في فلسطين. واقتنع البعض بتحرك الهكسوس جنوباً في طريقهم الى مصر ويمكن ملاحظة ذلك من التخريبات التي احدثوها في المدن التي مروا بها ومنها بيت يراح وعسقلان. وكانت فلسطين خلال فترة الهكسوس مزدهرة حيث شيدت مدن عدة باسوار على مواقع مثل لاخيش، غزة، تل قاسيلة (يافا القديمة)، جزر، شخيم، تل الرميلة (بيت شماش) ومجيدو وتاناخ الخ. وصار لحاكم البلدة بيتاً فخماً. وتوسعت مدينة القدس حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م وحُفِرَ حواليها خندقٌ وشيد لها سورٌ بالحجر وحوالي سنة ١٢٠٠ ق.م شيد للقدس سورٌ اكثر ضخامة سمكه ٢٠ قدم. وهناك ادلة على ثراء فلسطين في هذه الفترة. وعثر على كثير من الجعارين وطبعاتها وفي بيسان وجد ختم اسطواني لساحر بابلي اسمه مانوم لابد وان قدم من جنوب العراق. وشهدت هذه الفترة تقدماً اقتصادياً لدويلات اقطاعية حيث نمت المدن المحصنة وازدهرت التجارة حيث كانت فلسطين تقع على طرق القوافل بين آسيا وافريقية. وتدل المكتشفات على حضارة مادية عالية وظل البلد كنعانياً صرفاً يشكل الهكسوس فيه الطبقة الارستقراطية الحاكمة. وزاد الآن عدد الخيول المستعملة وبدء استخدام العربة الحربية ذات العجلتين. وكانت مدافن الهكسوس في فلسطين على ثلاثة انواع، قبور بغرف دائرية او بيضوية او مستطيلة كبيرة مع محاريب شبه دائرية في الجدران والارضيات للدفن ثم قبور الثولوس من مجيدو من حوالي سنة ١٦٥٠ ق.م. ذات الغرف المستطيلة او شبه المستطيلة ثم الدفن تحت ارضيات المساكن واخيراً مدافن الخيل والحمير مدفونة مع الموتى خاصة في موقع ام العجول. ووضع الميت في مقابر اخرى على اريكة من الخشب جهزت بالطعام والحلي. ووضع مع المحاربين الموتى الاسلحة ومع النساء ادوات الزينة.

عقب الفرعون أحموسة الهكسوس الى فلسطين فاستولى على شاروحين (ربما تل الفارعة الجنوبي قرب غزة) بعد حصار دام ثلاث سنوات. وقد عثر فيها على قلعة ذات تحصينات ترابية وخندق وآثار هكسوسية عدة. وتقدم الفرعون امنحوطب الأول (١٥٤٥ ـ ١٥٢٥ ق.م) داخل فلسطين ثم طحوطميس الثاني (١٥٠٨ ـ ١٤٩٠ ق.م) التي اخبرتنا زوجته

حشبسوت بانها جلبت الكثير من الاولاد رؤساء الريتنو اسرى الى مصر مع منتجات اسهوية. وسيطر خليفتها طحوطمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق.م.) على يافا بخدعة نفذها قائده ثوتي. كا هجم على مجيدو ودحر حلفاً ضده تزعمه امير قادش وباغته مع جيوشه حول مجيدو. ولما انسحبت الجيوش المندحرة وتحصنت في مجيدو حاصرتها الجيوش المصرية لمدة سبعة شهور استسلمت بعدها وغنم الفرعون الكثير من الغنائم. وتقدم الفرعون شمالاً حتى منطقة طبرية. وتبين غنائم المصريين في مجيدو ثراء فلسطين حيث ذكرت العربات الحربية المصفحة بالذهب والفضة والأواني الذهبية. وكانت حملة طحوطمس الثالث على مجيدو الأولى من ست عشرة حملة كان يقوم بها كل صيف. وارس طحوطمس حكمه على اساس تعاطفي حيث لم ينتقم من الامراء الذين قاوموه بل ابقاهم في مناصبهم بعد ان قدموا له الطاعة مكتفياً باخذ اولادهم الى مصر للتعليم ويكونوا كرهائن. ويبدو انه كان للحكام الفلسطينين بلاطهم والى جانب الحاكم هناك الشيوخ ويشرف على الجميع المقيم المصري ممثل الفرعون. وتقدم الفرعون امنحوطب الثاني (١٤٣٦ ـ ١٤١١ ق.م.) حتى حوالي بحر الجليل وسهل سارونا حاصلاً على غنائم كثيرة واسرى.

نقرأ في هذه الفترة عن حركات الخابيرو في سورية ـ فلسطين، ويختلف الباحثون حول معنى خابيرو والجماعات التي دخلت ضمن هذا الاصطلاح. ومعانيه المعطاة كانت بدو الصحراء، المكاريين، مرتزقة والاكثر رجحاناً الساكنين خارج المدن والذين لايتبعون اعرافها ولاقوانين الدولة. وتلقي رسائل العمارنه التي تبودلت بين ملك مصر وملوك غرب آسيا وحكام مدن سورية ـ فلسطين مدونة باللغة الاكدية ومؤرخة من حوالي ١٣٨٠ ـ ١٣٤٠ ق.م. خير الضوء على الاوضاع في فلسطين خلال الفترة. ونجد فيها خضوع فلسطين الى ملك مصر وانحلال السلطة المركزية وعبث الخابيرو في البلاد. ففي رسالة من الملك الكاشي بورنابورياش الثاني الى اخناتون فرعون مصر يخبره فيها بسرقة وقتل تجار عراقيين ببلاد كنعان على يد عصابة تعود الى شخص من عكا. كا نقرأ عن قلق بعض الحكام من تحركات الخابيرو وطلبهم من الفرعون ان يضع حد لهم ويوقف تحديهم لسلطة الملك وتخريبهم اراضيه. وبرسالة نقرأ بان بيت لحي (بيت لحم الحالية) قد انضمت الى الخابيرو. وفي رسالة الى الفرعون يؤكد عبدي خيبا حاكم القدس على خطورة حركات الخابيرو ويخبره ان هو ارسل خمسين جندياً فسوف يتمكن بهم ايقاف الخابيرو ودحرهم. كا اشتكى حاكم خاصور الى الفرعون عارضاً ماتتعرض

له مدينته من مصائب ربما نتيجة حركات الخابيرو. فرسائل العمارنه توضح اضطراب البلاد الناتج في الغالب عن حركات الخابيرو ونشرهم الرعب بين الناس وخوف الحكام منهم. وعاش في شخيم شخص حيثي ثري احرق الخابيرو بيتبه تدل آثاره على ممارسته التجارة ووصلنا رقيم مدون بالاكدية عن اعماله. وتوضح مكتشفات بيسان التأثيرات المختلفة في حضارة فلسطين خلال الفترة موضحة بالدين. وصارت شخيم مدينة ذات قيمة وحصل تبدل في خطة مدينة القدس كما زادت اهمية بثل ونمت عند موقع مدينة جزر مدينة مهمة مع سور جديد وكذلك مدن اخرى مثل لاخيش الذي عثر في معبدها على تمثال لرب العاصفه السوري رشف كما وجد اسم الالهه الكنعانيه ايلات ربة الشمس على قطعة فخار في المعبد. وكانت لاخيش تحت الادارة المصرية المباشرة وربما كانت مركزاً تعبدياً للديانة المصرية مع حق ممارسة الطقوس الكنعانية خارج اسوار المدينة.

ومن القرون ١٨ ـ ١٦ ق.م دخل الكثير من الحوريين فلسطين. فقد يكون الحيويون واليبوسيون بطوناً حورية. ونقرأ عن اخبار الفرعون سيتي الأول لهم على احترام عهودهم له بالطاعة. كما سكنت فلسطين خلال هذا العصر جماعات حيثية. وربما يكون الحيثيون في فلسطين هم من بقايا العصر الذي سيطر فيه الحيثيون على كل سورية بما فيها فلسطين. ويذكر نص حيثي عن هجرة حيثين حوالي سنة ١٣٣٠ ق.م. وسكناهم في مناطق تسيطر عليها مصر ومن ضمنها فلسطين. ويذكر لنا العهد القديم عن سكنى فلسطين من قبل جماعات كثيرة اسماهم الاركيون (سكان مدينة اركا، ارقا وهي تل عرقة قرب طرابلس في لبنان) وپيرزيون (سكان القرى الغير المسورة) والكَركَشيون (من الكنعانيين) والكَينزيون (قبائل بدوية تمارس السباكه وصنع الادوات المعدنية يتركزون في وادي عرابة).

وربما كان تقدم حورمحاب (١٣٣٩ ـ ١٣٠٤ ق.م.) لفلسطين هو القضاء على التهديدات منها. ويظهر ان الاوضاع في فلسطين لم تستقر حيث خرج سيتي الأول وعادت الامور الى نصابها بناء على جهوده في رتنو العليا (بين الكرمل واعالي نهر الاردن). واخبرنا بان الحيثين كانوا يسندون الثوار في فلسطين ضده وكون امير رحوب (ربما بروه قرب عكا) كان موالياً لمصر. وقد خرج رعمسيس الثاني (١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ ق.م.) ووصل عسقلان الذي لم يتمكن من الاستحواذ عليها في الوقت الذي كان يحكم قبضته على القدس.

يظهر من مجريات الاحداث بان العبريين بقيادة موسى،قد دخلوا فلسطين حوالي سنة ١٢٥٠ ق٠م٠ وقد تكون كلمة عبري محورة من الكلمة خابيرو (عابيرو، آبيرو) وبذلك يكون معنى الكلمة الخارج عن القانون، الدخيل والعاصي قادمين من سيناء التي يذكر العهد القديم بقاءهم فيها عشرين عاماً٠ ويخبرنا كتاب العدد من العهد القديم عن دخول العبريين من شرق الاردن وتوفي موسى وقت العبور وقاد جموع العبريين بعده شخص يسميه العهد القديم يشوع٠ وقد احتل العبريون اريحة، عاي التي كانت مهجورة وقتذاك ثم بثل التي كانت هي الاخرى مهجورة آنذاك٠ ويتفاخر العهد القديم بقتل العبريين للابرياء من السكان وحرقهم للمدن٠ ثم استمر العبريون في تقدمهم وحرقهم وتدميرهم٠ واخذ سكان فلسطين التي سلبهم العبريون اراضيهم واجبروهم على الهرب الى مقاومة العبريين٠ واخبرنا مارنپتاح عن ثورة في فلسطين ضد الحكم المصري جاء ذكر بني اسرائيل فيها وهذا اول مصدر نعرفه يذكر لفظه بني اسرائيل في فلسطين نفسها٠

بصورة عامة كانت فلسطين خلال هذا الوجه جزء من الامبراطورية المصرية نسمع خلالها عن ثورات هنا وهناك٠ وكان هناك سلاماً نسبياً في فلسطين (فترة السلام المصري) دفعت البلاد خلالها الجزية الى مصر٠ وهو عصر كثر به الاتصال مع مصر وشيدت المعابد في فلسطين على شرف الآلهة المصرية٠ (١٢)

٠٢ الوجه الثاني (١٢٠٠ ـ ١٠٢٠ ق٠م٠) : يبدأ هذا الوجه بدخول الاقوام الپيليستينية لفلسطين وتلاشي النفوذ المصري ومقاومة الاولين للعبريين ثم تصدرهم حركة المقاومة في البلاد ضد العبريين٠ والپيليستييون من اقوام اهل البحر وهم هنود اوربيون قدموا بنسائهم واولادهم على عجلات ليستقروا في سورية ـ فلسطين ومصر٠ وبعد ان فشلوا في هجماتهم على مصر استقروا في السواحل الفلسطينية٠ ومن نفس هؤلاء الاقوام كان التكريون الذين سكنوا مدينة دور (الطنطورة على ساحل البحر المتوسط جنوب حيفا)٠ وقد قدموا جميعاً من جزر بحر ايجة وكريت وربما مروا بقبرص ومن مدنهم في فلسطين غزه، عسقلان، واشدود كما سكنوا اللد وصقلغ٠ ولم تصلنا اية وثيقة مدونة باللغة الپيلستينية سوى كلمات مبعثرة مثل صيرين (رئيس) واسماء مثل جولياث، (جالوت) وأخيش٠ وبعد مدة من دخولهم فلسطين تأثروا كلياً بحضارة البلاد الكنعانية نراه واضحاً في الاسماء مثل صدقا، حنون وأخيميليك اضافة الى تكلمهم الكنعانية ولو ان لهم فخارهم الخاص ومدافنهم٠(١٣)

كان الغزو العبري لفلسطين احتلالاً عسكرياً شكلوا فيها اقلية ضئيلة طيلة عصور التاريخ القديم. ويخبرنا العهد القديم عن تقسيم القبائل العبرية للمناطق التي احتلوها من فلسطين على قبائلهم الاثنتي عشرة. وان معلوماتنا عن فلسطين خلال هذه الفترة قليلة ومستمد اغلبها من العهد القديم الذي صار من حوالي زمن سليمان بن داود ينقل اخباراً تاريخية. ولكن نظرته الى التاريخ عقائدية يؤمن بالقدر والأساطير يركز اهتمامه الكلي على الاقلية العبرية موضحاً وجهة نظرها من الأحداث فقط - وان سفري يشوع والقضاة من العهد القديم يذكران كثرة هويات عناصر المقاومة التي واجهها العبريون في فلسطين. وفي وسط اشتداد المقاومة ظهر بين العبريين، كما يذكر العهد القديم، شموئيل من بلد الرامة وكان كاهنا وقاضياً قرنه بسلسلة من المعجزات ويتكلم عن نبوته واخيراً باختياره شاؤل ليكون ملكاً على العبريين.

ج. فترة السيطرة العبرية (١٠٢٠ - ٧٣٠ ق.م.) : وتبدأ باعلان شاؤل (طالوت) ملكاً (١٠٢٠ - ١٠٠٤ ق.م.) الذي تنحصر معلوماتنا عنه بالعهد القديم الذي يتكلم عن تصديه للمقاومة الفلسطينية وحربه للعمالقة واخيراً اندحاره في معركة مع الپيليستينين عند جبل الفاقوعة قرب بيسان حيث قتل مع جميع اولاده. وبمقتله اختير داود (١٠٠٤ - ٩٦٣ ق.م.) الذي يخبرنا العهد القديم عن كونه في الاصل راعي غنم، تزوج ابنة الملك شاؤل ثم اختلف معه والتحق بالمقاومة الفلسطينية وصار يضرب بالعبريين. وربما كان اختيار العبريين له كملك يعود لاسباب منها زواجه من ابنة الملك السابق، شجاعته التي ابداها في صفوف المقاومة ولاغرائه بتركهم. نلحظ في حكم داود الانتقال من حكم قبلي الى نظام مركزي يماثل نظم الدول المجاورة. وقد تم اختيار داود القدس لتكون عاصمة للمنطقة التي يسيطر عليها العبريون وكانت بيد اليبوسيين وهي من بطون الحوريين. وقد احتل داود القدس بخدعة ضمنت وصوله لها بواسطة نفق يؤدي الى بئر يزود المدينة بالماء بقيادة ضابطه جواب. واسماها بعد ان احتلها مدينة داود وحصنها. ثم احتل مناطق الجليل، هاجم الپيليستيين ودحرهم، سيطر على مدن مرج بني عامر واخضع موآب وايدوم والعمونيين والاراميين (في معركه حيلام) واصلاً دمشق. وحرص داود ان تكون علاقاته طيبة مع حيرام ملك صور الذي ارسل معماريين ونجارين لبناء قصره الملكي في القدس وتبادل معه المنتجات التجارية . وان سبب توسع داود يعود الى ضعف مصر والعراق وقتذاك. ولاقى داود في اواخر حياته صعوبات كثيرة ربما سببها كثرة حريمه وماترتبت

عليها من نتائج. ونقرأ عن جوع اصاب فلسطين في زمانه لثلاث سنوات متتاليات وعن ارتكاب داود المآسي مع اهالي جبعة الكنعانيين.

خلف داود ابنه سليمان (٩٦٣ - ٩٢٣ ق.م) الذي شارك والده في الحكم بنهاية حياته. والمعروف ان سليمان قد احيط بهالة من الشهرة حجبت عنا الكثير من اخباره. ولم يكن رجلاً عسكرياً وتمكن بالوسائل الدبلوماسية ان يعمل على استقرار الامور. ويخبرنا العهد القديم عن تزوجه من ابنة الفرعون المصري شيشنق الذي وافق سليمان من اجلها ان يأخذ الفرعون مدينة جزر. وربما كان سليمان متزوجاً من امرأة مصرية من اسرة معروفة حيث يصعب التصديق بزواجه من اميرة وربما سلم سليمان فعلاً الى الملك المصري جزر ارضاء له. وقوى تحالف سليمان مع حيرام ملك صور وقويت علاقاته التجارية معه. وانفصلت الاقسام الشمالية الشرقية التي احتلها داود والتي اوصلته الى اطراف نهر العاصي بفضل جهود ريزون. وشيد سليمان في القدس معبداً وضحت في خطته وبنائه الرمزية الكنعانية والتأثيرات العراقية والمصرية. وقد بناه لسليمان معماريون فينيقيون من صيدا مع الكثير من العمال الحليين الذين كان يحصل عليهم عن طريق السخرة. ونقرأ في العهد القديم عن بناء سليمان لمزارات لزوجاته الأجنبيات التي لم يجبرهن على اعتناق دينه الخاص. وقد حصن سليمان مدناً عدة وكشفت آثار اصطبلاته في مجيدو. كما ازاد طاقة مركز التعدين الكنعاني عند عصيون جابر (تل الخليفه الحالي وهي ايلة او ايلات على اسم الهة الشمس الكنعانية) لانتاج النحاس. وعقد سليمان معاهدة مع حيرام تنازل فيها للآخير عن كثير من القرى بمنطقة الجليل. وقد اخبرنا لوقيانوس من القرن الثاني بان حيرام مسح سليمان بالزيت الأمر الذي قد يدل على اعتراف سليمان بتبعيته الى حيرام. وكان لسليمان، كما يذكر العهد القديم زوجات من موآب وعمون وايدوم ايضاً وماذلك الاالتقوية علاقاته بمناطقهن. وترينا معاهدته مع حيرام ولعه بالتجارة وكان له اسطول تجاري في البحر الاحمر اداره له بحارة فينيقيون وقد تكون قصة زيارة بلقيس (ماكيدا بالمصادر الحبشية) له ذات مغزى تجاري وتصور علاقة سليمان ببلاد العرب الجنوبية. وان كثرة نفقات سليمان وتبذيره المفرط، كثرة حريمه، فداحة الضرائب التي فرضها واعمال السخرة كانت من اسباب النقمة عليه في اواخر حياته وادت الى انقسام المملكة التي اسسها العبريون بعد وفاته. فقد انقسمت المملكة بعد سليمان الى دولتين اسرائيل بالشمال ويهوذا بالجنوب. وكان الشعب بالأولى مزارعاً وعاصمتها استقرت اخيراً بالسامرة وبالثانية يمارس الرعي وعاصمته القدس

٥٠١ المملكة الشمالية (اسرائيل) : شكلها يربعام (٩٢٢ ـ ٩١٠ ق٠م٠) من مستوطنين قرية زردة (دير غسانه شمال غرب نابلس) وقد عمل في اشغال السخرة لسليمان ثم هرب الى مصر خوفاً من بطش الأخير. وقد عمر يربعام شخيم واتخذ ترزه (تل الفارعة الشمالي قرب نابلس) عاصمة له. ويبدو انه تأثر كثيراً بالمدنية الكنعانية بحيث ان العهد القديم نعت كل ملك يخرج عن التقاليد العبرية بكونه (قد مشى في طريق يربعام) الامر الذي يدل على حرصه بمجاراة حضارة اكثرية سكان البلاد الكنعانية. وشيد معبدين في بثل (قرب الخليل) ودان لصرف شعبه العبري عن معبد القدس ووضع بكل منها ثوراً ذهبياً (بقول العهد القديم) ربما لتجيد كبير الآلهه الكنعاني ايل الذي رمز اليه بالثور ان لم يكن قد اراد مزج عبادة ياهوفه بعبادة ايل الكنعاني وجعل الثور يرمز الى ياهوفه. ويظهر ان الفرعون المصري شيشنق الأول قد حرر مدناً كثيرة من فلسطين ربما منتهزاً فرصة الانقسام في الكيان العبري. ومن ملوك هذه المملكة بعشا الذي صادق الآراميين اولاً ورعى الطقوس الكنعانية من اجل تركيز حكمه. ولكن سرعان ماانقلب عليه الملك الآرامي الذي اغراه ملك يهوذا وسيطر على مناطق كثيرة من مملكته. ومن الملوك الآخرين عمري الذي حصل على العرش بانقلاب عسكري (٨٨٥ ـ ٨٧٤ ق٠م٠) الذي جدد المعاهدة مع ايثبعال ملك صور وعزز اتفاقهما بزواج ابنة الأخير يزبيل من ولده اخاب ٠ ولانعرف اسم والد عمري ولكنه في الغالب عربي كما يستدل من اسمه واسم ولده اخاب (معناها اخ اب بالعربية). وان مجاراتها الاكثرية الكنعانية في الاتجاهات الدينية، قوة علاقتها بفينيقية والقسوة الشديدة التي عوملوا بها عند الثورة ضدهم بعد ذلك تؤكد افتراضنا باصلهم العربي. وربما يكون حب بعمري في التقدم وطموحه وعدم ذكر اسم والده يدللان على اعتناقه اليهودية لهذا الغرض. وقوى عمري علاقاته مع سورية حيث نسمع عن احياء كاملة في عاصمته شغلها تجار من دمشق. وقد حارب عمرى موآب واحتل ميدايا بشرق الاردن ونقل عاصمته الى السامرة (معناها برج المراقبة) التي شيدها بموقع استراتيجي اذ تقع على الطريق الشمالي الجنوبي الرئيسي. وشيد له فيها قصراً كبيراً وعثر على عدد من القطع العاجيه التي كانت تزين الاثاث يعود كثير منها الى فترة حكم عمري. وجاء بعد عمرى ابنه اخاب (٨٧٤ ـ ٨٥٣ ق٠م٠) الذي ذهب بعيداً في اخذ معالم حضارة البلاد الكنعانية وقوى علاقته مع فينيقية ونسمع عن سجوده للاله بعل الكنعاني وادخاله عبادته الى السامرة وتشييده معبداً له والاله ملكارت فيها. وبذلك صارت رعاية بعل الكنعانية ديانة رسمية وربما يكون هذا هو الذي دفع الملك بتهدئة الخواطر في تسمية اولاده باسماء تتضمن ياهوفه. وان قوة اخاب اضطرت

مملكة يهوذا الى التقرب منه ودفعت بملك الأخيرة يهوشافات بالزواج من عثاليا ابنة اخاب ويزبيل الفينيقيه. ونعرف بان اخاب قد دخل في حلف مع بن حداد الملك الآرامي وجنديب ملك العرب لحرب شلمانصر الثالث الآشوري الذي اصطدموا معه في معركة قرقر غير الحاسمه في ثنية نهر العاصي. وكانت علاقة اخاب مع مصر وليبيا طيبة. ولكن اتفاق اخاب مع الاراميين كان قصيراً حيث اصطدم الطرفان بعد ذلك وكان الى جانب اخاب ملك يهوذا يهوشافات وانتهزت موآب الفرصة فحررت نفسها من السيطرة العبرية بقيادة ميشع.

وقد قتل اخاب في معركة له مع الاراميين. وان اصل عائلة عمري وسياستها في مجاراة الاكثرية الكنعانيه وعلاقاتها مع الدول المجاورة ادت الى معارضات من يسميهم العهد القديم بالانبياء ومنهم اليشع وايليا واخيراً قام ياهو بثورة قضى بها على سلالة عمري وقتل جميع افراد العائلة المالكة السابقه ومؤيديهم. ونعرف عن مثول ياهو امام شلمانصر الثالث عند مروره بفلسطين وتقديمه له جزية ضخمة ونشاهده في مسلة هذا الملك الآشوري السوداء راكعاً في حضرته. ودفع الملك مناحيم الجزيه الى الملك الاشوري تجلات پلاصر الثالث. واتفق ملك اسرائيل الاخير مع ريزون الآرامي ملك دمشق وحارب يهوذا التي استنجدت بتجلات بلاصر الثالث. وقد تقدم الأخير واخذ دمشق، قتل ريزون وخرب السامرة وحرر المناطق الفلسطينية التي كانت خاضعه لاسرائيل وحمل اسرى منها اسكنهم في مناطق من الجزيرة الفراتية. وهكذا حرر تجلات پلاصر الثالث فلسطين بالقضاء على اسرائيل وصيرورة يهوذا مقاطعة اشورية يدفع حاكمها الجزية السنوية لآشور.

٠٢ المملكة الجنوبية - يهوذا : وشكلها رحبعام بن سليمان الذي تعرضت مملكته في بداية حكه الى هجوم الفرعون المصري شيشنق الذي قدم له رحبعام من كنوز معبده. اعتلى رحبعام (٩٢٣ - ٩١٥ ق٠م٠) في ظروف صعبة حيث واجه انفصال المملكة الشمالية وسخط الناس على تصرفات والده. وتبعه في الحكم ولده ابيام الذي يظهر اسم عرشه هذا ومعناه (والدي الاله يم) تأثره بالحضارة الكنعانية ورغبته في التقرب لاكثرية سكان فلسطين الكنعانية. ومن ملوك السلالة احاز الذي استنجد بالملك تجلات بلاصر الثالث الاشوري ضد المملكة الشمالية ودفع الجزية للاشوريين واصبح تابعاً لهم بعد ان دحره الارآميون.(١٤)

د. فترة الحكم الآشوري ـ الكداني (٧٣٠ ـ ٥٣٩ ق٠م٠)

حرر تجلات بلاصر الثالث فلسطين بعا ان دحر المملكة الشمالية ودفعت له يهوذا الجزية كدولة تابعة لاشور. واستحدث تجلات بلاصر الثالث مقاطعتين في فلسطين الأولى مركزها الاداري مجيدو والثانيه دور. واخبرنا تجلات بلاصر عن وضعه هوشع كحاكم ولكنه سرعاه ماثار على الاشوريين واخمد ثورته خلفاء تجلات بلاصر وحمل سرجون الثاني الكثير من الاسرى. وقد حارب تجلات بلاصر الپيليستين فهاجم عسقلان واستسلم ملكها الجديد روكيبتي له. وفر حنون ملك غزة الپيليستيني الى مصر ثم عاد والقى الآشوريون القبض عليه. وفي يهوذا ثار حاكمها حزقيا ضد الآشوريين واوقف حاكم اشدود الجزية التي يدفعها للآشوريين فقبض سرجون على الثوار وعمر السامرة.

عند وفاة سرجون الآشوري طردت اشدود وعسقلان حكامهم ورفضت المدن الپيليستينية للسيادة الاشورية فتقدم خليفته سنحاريب ومر بمنطقة دور الى سهل سارونا وحرر مدناً عدة بمنطقة لاخيش ثم يافا وازور التابعة لمقاطعة عسقلان ودحر جيشاً مصرياً اتى لنجدة الثوار في فلسطين ثم تقدم سنحاريب لحرب حزقيا حاكم يهوذا وحاصر القدس حتى اجبره على الاستسلام والرضوخ الى السيادة الآشورية. واستمر سنحاريب في اخضاع المدن الفلسطينيه الواحده بعد الاخرى واعطانا سنحاريب قائمة بالغنائم التي اخذها من فلسطين والتي تدل على ثراء المدن الفلسطينيه بعد تحررها من ربقة العبريين. وقسم الآشوريون الساحل الفلسطيني الى ثلاث مقاطعات هي مجيدو، الدور واشدود وجعلوا السامرة والجليل مقاطعة واحدة. وظل منشي (مناسة) خليفة حزقيا مخلصاً للاشوريين. ومن حكام يهوذا الآخرين يوشع (٦٣٨ ـ ٦٠٨ ق٠م٠) وسيه جديدة ربما تكون (بدليل اسمها) عربية. الذي بدأت في السنة الثامنة عشر من حكمه حركته الاصلاحية في الدين العبري على ضوء سفر التثنية التي ادعى الكاهن هلكايا انه وجد في المعبد من زمن موس. ونقرأ عن قتله بعض الكهنة ونهب وهدم مزاراتهم مما يدل على ان اصلاحه لم يمر بسلام. علماً بان الدراسات التي اجريت على سفر التثنية اوضحت بانه لابد وان كتب بفترة مقاربه لحكم يوشع. وقد انتهز يوشع فرصة وهن اسياده الآشوريين في الفترة التي تلت اختفاء آشور بانيبال ستة ٦٣٠ ق٠م٠ وخليفته فاخذ يوسع حدود مقاطعته يهوذا) على حسابها. ومن الصعب تأييد مايذهب اليه هيرودوتس بشأن انتهاز السكيثين فرصة ضعف الدولة الآشورية خلال هذه الفترة فاكتسحوا سورية ـ فلسطين حتى حدود مصر. وعندما سقطت الدولة الآشورية سنة ٦١٢ ق٠م٠ وتقدم الفرعون المصري نيخو عارضه يوشع ودارت الحرب بينهما عند مجيدو انتهت بانكسار يوشع ومقتله.

سيطر المصريون على فلسطين كلها بعد مقتل يوشع ووضعوا على يهوذا ابنه ياهو ياكيم الذي صار يدفع الجزية للمصريين. ولكن سرعان ماوصل نبوخذ نصر الثاني فلسطين سنة ٦٠٠ ق.م. وسلم له حاكم يهوذا ياهو ياكيم الذي ثار بعد ثلاث سنوات فغزى نبوخذ نصر فلسطين ولكن ياهو ياكيم مات وحل محله ابنه ياهو ياكين الذي سلمت القدس في عهده لنبوخذنصر واخذه الاخير والف من مهرة صناع المدينة وسبعة الاف من اتباعه الى بلاد بابل. وكان ممن اسروا الان النبي المتصوف اليهودي الاول حزقيال وهذا ماعرف بالأسر البابلي الأول سنة ٥٩٨ قدم. وقد وضع نبوخذ نصر بدل يهوياكين عمه صدقيا ابن يوشع الذي ثار على اسياده الكلدانيين بعد سنوات بمساعدة مصر. ولكن نبوخذنصر سار الى يهوذا، حاصر القدس اكثر من سنة ونصف هدم بعدها اسوارها والمعبد والقى القبض على صدقيا في اريحة وسملت عيناه، وهذا هو الاسر البابلي الثاني الذي حمل به نبوخذنصر نصر الى بلاد بابل اكثر من خمسين الف من العبريين وهرب قسم منهم الى مصر واليمن وذلك سنة ٥٨٧ ق.م.(١٥)

هـ. فترة الاحتلال الأخميني ٥٣٩ ـ ٣٣٢ ق.م.

احتل كورش الفارسي بابل ٥٣٩ ق.م. بفضل خيانة غوبا رو حاكم الكَوتي ولابد ان ساعده اليهود القاطنين في بابل في احتلال البلد الامر الذي يفسر تقريبه لهم واوامره باعادة المعبد في القدس واعادة الاوعية الفضية والذهبية التي حملت، كما يذكر العهد القديم. وقد سمح كورش لليهود الاسرى في بابل بالعودة الى فلسطين وفعلاً عاد منهم الى فلسطين بزعامة زيرو بابل (معناه بذرة بابل بالأكدية). ولما كان نبوخذنصر قد حمل الاكثرية الساحقة من العبريين كاسرى الى العراق وقلة من رجع منهم الى فلسطين فقد ارتأينا استعمال مصطلح الجالية اليهودية على اليهود في فلسطين خلال الفترات اللاحقة حيث لم يشكلوا الا نسبة ضئيلة جداً من السكان.

واظهر هجوم كبوشية (قمبيز) على مصر سنة ٥٢٥ ق.م. ان الانباط العرب كانوا هم القوة الحقيقية في منطقة واسعة من فلسطين وشرق الاردن والنقب. وفي اوائل فترة الاحتلال الأخميني لفلسطين سكن الايدوميون مناطق كثيرة من النقب وجنوب هضبة فلسطين الوسطى حتى الخليل. واعتبر سكان فلسطين رجوع قسم من ابناء العبريين امراً يصعب تحمله. ومن العهد القديم يظهر ان ماوعده كورش لم يتحقق حيث ان القلة من

اليهود الذين رجعوا الى فلسطين واجهوا صعوبات جمه في السكن الى جانب عدم توفر الاموال لبناء المعبد. فبعد رجوع وجبتين من اليهود الى فلسطين صار مجموعهم الكلي لايزيد عن عشرين الفاً. وباعادة داريوس الأول لتنظيم الدولة الأخينية صارت فلسطين مع سورية وقبرص مقاطعة واحدة اسماها عبر النهر. ونعرف عن سيطرة العرب القيداريين على ساحل البحر المتوسط بين غزة واينيوس وخشية الفرس منهم.

يذكر العهد القديم عن شخص أسمه عزرة، قابل الملك الفارسي ارتحششتا الاول سنة ٤٥٨ ق.م وعرض عليه مشروعه بالنسبة للجالية اليهودية في فلسطين. وعزرة من يهود بلاد بابل ذهب الى فلسطين حاملاً افكاراً اصلاحية للدين اليهودي دونها وامر جماعته باتباعها. ثم رجع في اواخر حياته الى العراق حيث مات ولايزال قبره ماثلاً في العزير بمحافظة ميسان. وقد امر عزرة اليهود بالكف عن اي امل قومي وان يقصروا جهودهم على الامور الدينية وتطبيق قوانين الرب الخلقية وعدم الاختلاط بالزواج مع السكان. وان عودة عزره الى العراق يوضح الصعوبات التي كان يلاقيها اليهود في فلسطين بحيث لم تبق له رغبة بالعيش فيها.

حدث في سنة ٤٣٢ ق.م. انفصال السامريين (نسبة الى السامرة) وهم الجماعات التي تحولت الى اليهودية من الفئات التي اسكنها الآشوريون من قبل منطقة السامرة وحدث هذا الانفصال الكلي بعد رجوع عزرة ونحميا اللذان اصرا على ضرورة بقاء العنصر اليهودي نقياً حتى النهاية. وتم انفصال السامريين فبنوا هيكلاً على جبل جرزيم قرب نابلس ليعوض لهم عن معبد القدس. ولما كان كتاب العبريين المقدس وقت الانفصال يتكون من اسفار موس فقد ظل كتاب السامريين المقدس مقتصراً على هذه الكتب الخمسة فكتبوا بحروف عبرية قديمة لفترة المكابيين. وبعدت الشقه بين السامريين واليهود بمرور الزمن، ومن يدرس السامريين وافكارهم يرى تأثرهم الكبير بالتراث والحضارة العربية وكثرة الافكار العربية الاسلامية في تعاليمهم الدينية التي ادخلوها في عصور تالية.

انتهز الفرعون المصري نفريتس وهن الدولة الاخينية خلال الحرب الاهلية بين كورش الصغير واخيه الملك ارتحششتا سنة ٤٠١ ق.م. ثم تقدم اغيسيلاوس ملك اسبارطه سنة ٣٩٥ ق.م. في آسيا الصغرى، فتقدم بقواته المصرية في فلسطين وهناك ادلة آثارية توضح سيطرته على جزء كبير من فلسطين.

زاد اتصال فلسطين مع بلاد اليونان الذي توضحه الآثار المكتشفة كما زاد الاتصال بالجنوب العربي وكثرت محطات القوافل المعينية في فلسطين لنقل البخور.(١٦)

المبحث الثاني : الحضارة الكنعانية : رغم ان للحضارة الكنعانية شخصيتها المتميزة الا انها اعتمدت على الحضارتين الأصيلتين العراقية والمصرية. ودينياً عبد الكنعانيون آلهة عدة وكانت شخيم مركزاً دينياً مهماً والههم الحامي كان بعل. وفي هذه المدينة كانت صخرة مقدسة ومذبح مقدس وشجرة بلوط الامر الذي يدل على تقديس الكنعانيين للصخور والاشجار والآبار. وبعل نفسه هو الاله حداد الذي عبده العموريون كاله للشتاء والمطر والرعد. ونقرأ في اساطير راس شمرة الكنعانية عن اخذه الملك من والده يام ونزاعه مع موت وكونه الاله الذي يموت ويعود للحياة ثانية. وشقيقة بعل حبيبته اناث الهة الحرب والحب. ثم الاله رشف وهونفسه الاله ميكال . ومن مراكز عبادته المهمة بيسان وعرصوف. وان ارتباطه بالحبوب يوضح اسمه ابن داكون. ثم الاله هورون العموري الأصل ورب العالم السفلي عند الكنعانيين ثم الاله شليم رب الغروب الذي نراه في اسم أورشليم. والالهه عشتوريت الهة الخصب الذي نقرأ في العهد القديم عن تعلق سليمان بها ورعايته لطقسها وقرنتها بعض النصوص مع اناث وربما كان لها موحى. كا عبد الكنعانيون الاله يراح (القمر) وقرينته نيكال الذي نرى اسمه في اريحه وبيث يراح. ثم الالهه شيپيس (الشمس). وقد ميز الكنعانيون بين عنصريين الهين اعليين ايل وبعل والأول هو تجسيم . للقوة الموجودة في كل اداة او ظاهرة او شئ يبعث الرهبة والخشوع. وهو رأس المجمع الالهي الكنعاني.

ان زراعة الاشجار المقدسة، الفحش المقدس والبكاء على بعل عند موته صيفاً كانت من طقوس الدين الكنعاني. ويخبرنا العهدالقديم عن كهنة بعل واعمالهم الخارقة مثل قفزهم فوق المذابح وتقطيعهم انفسهم بالسكاكين. ونقرأ فيه ايضاً عن العمود الصخري في بيسان كا نعرف عن وجود تضحية الاطفال للاله مولوخ. ويذكر العهد القديم بان مزارات الكنعانيين كانت عبارة عن اماكن عليا للعبادة تبنى على قمم التلال اكتشف منها بمواقع عدة منها جزر. ووجدت عند باب الذراع اعمدة قائمة قرب سور محصن فسر بكون الموقع بالأصل محجاً لمنطقة البحر الميت. وعثر في عاي على معبد من العصر البرونزي المتقدم ابطل اكتشافه فكرة كون الكنعانيين لم يبنوا معابد حتى العصر البرونزي المتأخر. واقدم مزار كنعاني عثر عليه عند منحدرات جبل جرزيم من العصر البرونزي المتوسط والذي يحوي على ساحة مركزية صغيرة محاطه بغرف من جهاته الاربع وماقد يكون حجراً مقدسا في وسط الساحة. وحوى المعبد على مذبح وتمثال للاله.

وكان المكان المقدس من المظاهر البارزة في المدينة الكنعانية. واعتقد البعض ان هناك نوعين من المزارات الكنعانية الاول الخاص بآلهة المناطق الحضرية ثم الاماكن المقدسه المرتبطه مع الاسلاف والتي تشد رابطة اعضاءها بواسطة تقديم الأضاحي والوجبات الدينية. وهذا هو مزار البدوي البسيط الذي يظل يقدس جده الاعلى الذي ترجع قبيلته اليه.

كانت المدن الكنعانية محاطة باسوار ترتفع الى اكثر من ٢٠ قدم حوت في الغالب على ابراج دفاعيه اشتمل كل برج على غرفتين. وكانت بوابة المدينة ضخمة ذات حاجز مزدوج او ثلاثي كما في جزر وشخم (شخيم) او باستدارة على شكل زاوية قائمة وحواجز ثلاثة كما في تل الفارعة الشمالي (ربما ترزة). وتحاط الاسوار من الخارج بخندق جاف او بحواجز ترابية. وكانت بوابة المدينة وسيلة دفاعية الى جانب كونها مركزاً لحياة العامة.

اتبع الكنعانيون في فلسطين تقويماً شمسياً، وكان تقويمهم زراعياً حيث يبدأ اول يوم بالسنة الجديدة من بدء الحصاد وبذلك تكون مقاربة للسنة الشمسية تماماً. وهذا التقويم يقسم السنة الى سبعة اقسام لكل منها خمسون يوماً بسبع اسابيع مع يوم اضافي ذي طابع مقدس يسمى عيد الختام.

ليس في فلسطين انهارٌ كبيرة كدجلة والفرات والنيل ولا اراضي خصبة واسعة كما في العراق ومصر لذا عمل الفلسطينيون على التحفظ وحماية مايحصلون عليه من مياه الينابيع والآبار. وصار وجود الينابيع في فلسطين القديمة العامل المقرر للسكن ومن هذه اريحة حيث عين السلطان. ثم حفر الآبار كما في لاخيش وبيسان الخ. وجرت العادة في كثير من مناطق فلسطين على خزن مياه الامطار لوقت الجفاف. وبينت الحفريات في جزر كثرة مخازن المياه واعتمدت السامرة ومزيهاح على نظام محكم لخزن مياه الأمطار. ونسمع عن حفر الكثير من الحكام للآبار وبنائهم لمخازن المياه، وكانت في بعض المدن الفلسطينية برك مياه كما في جزر وللقدس عيون ماء عدة منها عين ام الدرج (جيحون في العهد القديم) وبئر ايوب وبئر الثعلب (لانعرف موقعها الآن). وعمد اهالي مجيدو على شق الانفاق للحصول على مياه الينابيع القريبة لهم والينبوع الرئيس يقع على بعد حوالي ٧٠ ياردة خارج بلدتهم. وكانت اهم مهن السكان الزراعة واهم المحاصيل المزروعة كانت العنب والزيتون والحبوب. كما زرعوا الكتان وكانت زراعة النخيل موجودة في وادي الاردن شمال البحر الميت ثم التين والرمان والعدس والحمص والثوم الخ. وعثر على لوح من جزر مدوناً بما يشبه تقويماً للفلاح الفلسطيني.

عرف الكنعانيون الكثير من المعاملات الشرعية فباعوا اراضيهم وعقاراتهم بموجب وثائق مدونة. وعثر على عقد بيع ارض مدون باللغة الاكدية في شخم من القرن الرابع عشر ق.م. وآخر من جزر مدون بالاكديه يعود لعصر السيطرة الآشورية على فلسطين. ونعرف ان بيع المحصولات الزراعية من املاك الحكام كانت تؤثر دوماً على حالة السوق المحلية. كما تاجر الحكام الكنعانيون بالحبوب وزيت الزيتون خزنوها في مخازن لهم. كما نعرف عن ممارسة الملوك العبريين للتجارة. وزود اصحاب الحرف في المدن الفلسطينية الاسواق بالفخار والمنسوجات والاوعية المعدنية والآلات والاسلحة وادوات الزينة. وان موقع فلسطين الاستراتيجي ادى الى انتعاشها التجاري وزيادة اهميتها وثرائها. وصارت فلسطين تصدر انواع الحبوب وزيت الزيتون والصمغ الراتنجي والعسل واللوز والعنب والنبيذ والمنسوجات والتين المجفف. واستوردوا انواع المعادن كالفضه والرصاص من شرق ايران والنحاس من آسيا الصغرى، وقبرص والكتان من مصر وسورية. وازدهرت موانئ عكا ودور ويافا وغزة الخ. ونشطت التجارة في البحر الاحمر خاصة خلال الالف الأول ق.م. وازدهرت في فلسطين صناعات عدة كالمنسوجات الصوفية بالوان مختلفة والسلال وصنع الخمور والطابوق. كما عرف الكنعانيون تعدين معادن عديدة كالذهب، والفضة والنحاس والرصاص والقصدير والحديد. وازدهرت صناعات التعدين عند مينان . منذ القرن الثاني عشر ق.م. وكثرت مواقع التعدين والاذابة مؤخراً على طول وادي عرابة امثال المنيعة، خربت الغويبة ، خربت الجرية وتل الخليفه في النهاية الجنوبية ن الوادي.

ثم صناعة العاجيات المزخرفة، وكان العاج متوفراً في سورية لكثرة الفيله فيها خلال الالف الثاني ق.م. وشهرة فلسطين في الصناعات العاجيه تؤكده قوائم الغنائم التي كان يأخذها المصريون والآشوريون من فلسطين. واهم مجاميع العاج وصلتنا من مجيدو والسامرة. ومن الصناعات التي عرفتها فلسطين هي صنع الفخار، وقد وصل الفخار خلال الوجه الأول من فترة الاضطراب السياسي والمقاومة درجة رفيعة في الاشكال والانواع. وصلتنا من فلسطين الكثير من الكتابات الهيروغليفية من الازرار والتماثيل والنصب المدونة بتلك اللغة. وعثر ايضاً على العديد من الوثائق المكتوبة باللغة الاكدية من مواقع تاناخ ومجيدو وشخم وجزر الخ. ولوح بالكتابة التخطيطية لجبيل والتي حوت على حوالي ١٤٠ رمز كتبت من اليمين الى الشمال. واستعمل الكنعانيون الاوغاريتية التي

كتبت بالمسمارية المختزلة، وعثر في فلسطين على بضع كتابات مدونة بالاوغاريتية. وهناك الكتابة التخطيطية في الجنوب والممثلة في ٢٥ نقشاً مكتوباً وجدت عند مراكز استخراج الشذر المصرية في سيناء من حوالي منتصف القرن السادس عشر ق.م. وهي الفبائية بحروف صحيحة تقرأ بصورة عمودية او من اليمين الى الشمال. واستخدمت نفس هذه الالفباء في كتابات جزر ولاخيش وشخم. وهناك عدد من الكتابات عثر عليها في موقع بيت شمش وجبيل ولاخيش تعود الى مرحلة متقدمة من هذه الكتابة وقد اطلق على هذه المرحلة الكتابة شبه الكنعانية من القرون ١٣ ـ ١٤ ق.م.

في حقل الفن تأثر الفنانون الكنعانيون كثيراً بالفنون العراقية القديمة والمصرية والاناضولية والايجية فانتجوا فناً خاصاً بهم تتوضح فيه تأثيرات هذه المناطق وجاء رائعاً ينطق بالحيوية والروعة. وقد وصلت المنحوتات العاجية الى درجة عالية من الروعة وتبين لنا التأثيرات المتعددة التي اثرت بالفنان الكنعاني) ففي لوح عاجي من لاخيش يعود للقرن الثالث عشر ق.م. نرى فيه ثيراناً واسوداً تتصارع مع نمر ضخم فوق المنظر، وهو مشهد نراه في نقوش اختام العراق الاسطوانيه. وفي الصورة على الصندوق العاجي من تل الفارعة الجنوبي قرب غزة نرى مناظراً تشير الى تأثيرات مصرية كمنظر المأدبه وصورة صيد البط الوحشي في وقت نجد فيه البسة الحاضرين بالمأدبة سورية ويشير النخيل الى تأثير عراقي والثيران عند حافة الدغل لابد وان يكون نتيجة تأثير ايجي.(١٧)

الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية : لم يقدم اليهود لمدنية العالم القديم سوى شيئين اظهرت الأدلة الحديثه عدم اصالتها وهما العهد القديم المستمد كثير من اخباره من آداب العراق القديم ومصر وكنعاني سورية ـ فلسطين والذي عكس (ربما) لاول مرة فلسفة للتاريخ تجعل احداثه مسيرة من قبل الله ـ والثاني المعتقد اليهودي الذي نعرفه الآن عن كونه مزيجاً من معتقدات اديان العراق ومصر وبلاد كنعان. واذا اخذنا المعتقد اليهودي نرى تناقض الآراء حول اصوله الأولى واهم المصادر هو العهد القديم الذي هو خليط من حقائق واساطير وقصص واخبار تاريخية وتقاليد تناقلها الناس لقرون طويلة وادخلت اليها امور لاتمت اليها بصلة ـ وتمتاز اجزاؤه باختلاف طبيعتها من كتب، ذات طبيعة تاريخيه الى اخرى شعرية او خاصة بالانبياء ، وتمتاز جميعها بعدم الترتيب في الكتابة والتناقض في الأخبار والتكرار. ومن المصادر الأخرى كتب الرؤى الرمزية

والهالاخا (القانون الشفاهي الذي انتقل بالرواية حتى تدوينه) والهاً كادا (أخبار التلمود ذات الطبيعة الاسطورية التي اريد بها النصح) والمشنا هو المتن الذي يشرحه التلمود، وجمع الاخير واخرجه جوداس الأول (نهاية القرن الثاني وبداية الثالث). ثم الكمارا وهي توضيحات على القانون الشفاهي اليهودي دونت خلال القرن الرابع.

لدى تحرينا عن اساس الدين العبري نجد ان بعض عبارات العهد القديم توحي باساس في الحيوية باعتقادات العبريين الأوائل، فقد جاء ذكر قدسية اشجار معينة مثل الايلونيين (بطن شجرة البلوط). كما نرى ارتباط المعتقد العبري بالطوطمية واضحاً في تقديسهم للحيوانات رغم تحذير الوصايا العشر. وخير مثل لتعلق العبريين بعبادة الحيوانات المختلفة حتى وقت متأخر ماورد في سفر حزقيال عن وجود صور على جدران المعبد في القدس لانواع من الحيوانات والزواحف القذرة ويتصدر عبادتها شخص. ونجد ان بعض بطون القبائل العبرية تنتسب الى حيوانات مثل الاروديين (عشيرة الحمار) والتولاتيين (عشيرة الدود) والبخيريين (عشيرة البعير) والكلبين.

يكمن الطور الثاني للعقيدة اليهودية في عصر الاباء (ابراهيم الخليل واولاده واحفاده). ويصعب اعطاء تاريخ مؤكد لهم ويرجح انهم قاموا بدورهم بين ٢١٠٠ - ١٥٥٠ ق.م. وتكاد تجمع اجزاء العهد القديم بان موطن ابراهيم الأصلي كان شمال الجزيرة الفراتية وورد تردد بعضهم الى هذه المنطقة لتأمين نساء لابنائهم. وفسر التأثير الحوري على عادات الآباء بوجود الحوريين على مقربة من موطن ابراهيم واقاربه الاصلي. ونقرأ عن جذور طائفة من اسماء الآباء والقبائل الأولى في رسائل ماري من القرن الثامن عشر امثال يعقوب، لاوي، اسماعيل وبنيامين. علماً بان اور التي ذكر كون ابراهيم قد قدم منها ليست اور في جنوب العراق بل في شمال العراق الغربي حيث نقرأ في النصوص عن اكثر من اور واحدة في شمال العراق وان اقران أور في جنوب العراق مع الكلدانيين الذين ظهروا في وقت متأخر يرجح كون اور المقصودة في الجزيرة الفراتية. ويجعل العهد القديم الآباء عبدة آلهة كثيرة وحقيقة كون لكل موقع اله معين. كما يذكر عن هجرة يعقوب حفيد ابراهيم واولاده الى مصر وكيف ان يعقوب قد حنط عند موته الأمر الذي يدل على تأثر الآباء بطقوس المصريين الجنازية. وان معلوماتنا عن احوالهم في مصر قليله جداً ونعرف انهم سكنوا ارض جوشن (وادي طوميلات الحالي شرق الدلتا).

وبشخص موسى يبدأ الدور الثالث للعقيدة اليهودية والذي تنحصر اخباره في العهد القديم والمصادر التي اعتمدته. ويظهر ان موسى مصرياً ومعنى اسمه بالمصرية طفل وقد وصلنا اسمه ناقصاً فربما كان ملحقاً باسم آخر لم يردنا. ونقرأ عن هروبه الى بلاد مدين في سيناء حيث تزوج من ابنة، كاهنهم رووبل. واعتبر البعض موسى من معتنقي العقيدة الاتونية التي اتى بها الفرعون اخناتون. وربما حور موسى تلك العقيدة وجعل خالق الشمس (اتون) هو اله الكون وخالق البشر الجدير بالعبادة. وقد آمن العبريون برسالته وقادهم من مصر الى سيناء حيث ظل بها فترة قدرها العهد القديم بعشرين سنة. ويذكر العهد القديم عن تسلم موسى الرسالة من الله عزوجل عند جبل بسيناء ويعتقد باحثون انه جبل سن بشر. واسفرت الرسالة عن اتفاق التزم به موسى امام الباري وبلغ به جماعته تقضي بعبادة الله الواحد وعدم الشرك به وتطبيق ماورد في الوصايا العشر. ويبدو من العهد القديم ان موسى وحد العبريين في كتلة واحدة متراصة غزا بهم ارض كنعان. وقد توفي موسى عند بدء دخول فلسطين وخلفه في القيادة يشوع الذي دخل بالعبريين فلسطين. وينص العهد القديم بان العبريين اعملوا باهل فلسطين الأصليين السيف واحرقوا قراهم وتلك حقائق اثبتتها الحفريات الحديثة في الكثير من المواقع. ويبدو ان العبريين دخلوا البلاد خلال فترة الاضطراب السياسي والمقاومة كما رأينا.

والدور الرابع يأتي بأتصال الحضارتين العبرية والكنعانية وتأثر الأولى بالثانية فأخذوا الكثير من مظاهر تلك الحضارة وبدأوا يقدسون الاله بعل الكنعاني واقتبسوا الفحش المقدس ومارسوا البكاء على تموز (الاله الذي كان يموت صيفاً ويعود الى الحياة بالربيع حسب اعتقاد اقوام الشرق الأدنى القديم ومنهم الكنعانيين). كما صنع العبريون التماثيل لاله الخصب وزرعوا الاشجار المقدسة وصنعوا مذابح بخور واستخاروا الموتى كالكنعانيين او في طقس عيد السككوت (العرازيل) اليهودي بقايا كنعانية وضحوا اطفالهم البكر الى الاله الكنعاني مولوخ.

عندما حرر الآشوريون فلسطين ايام تجلات بلاصر الثالث بدأ التاثير الآشوري يظهر في طقوس الديانة العبرية. فنقرأ في العهد القديم عن اخذ الملك العبري للمذبح الآشوري كنموذج لمذبح امر بصنعه. وتغلغل طقس الاله آشور والطقوس ذات العلاقة بالكواكب مع كهنتها الآشوريين وطقس عشتار في الممارسات الدينية العبرية. كما نقرأ عن عبادة العبريين للشمس وزاد الولع بالتنجيم والاعتقاد به ودخلت طريقة رصد النجوم وهناك ادلة عن عبادة العبريين للشمس والقمر.

ان الطور السادس يتركز في حركة النبوة بين العبريين والتي دعا اصحابها للتمسك بعبادة جاهوفه ونبذ الشرك والطقوس الوثنية. وسمى دعاتها انفسهم بالانبياء، ولم يكونوا جميعهم على نفس النوع. وشاع نوع من التنبؤ عند العبريين الآن يشبه الوجد الذي مارسه الكنعانيون واعتبروا بيناتهم من عمل روح مقدسة. ولم تكن النبوة قد استحدثها العبريون حيث نعرف عن وجودها في ماري بالعراق القديم ومارستها فئة اطلق عليهم اسم موخخو. ومن الانبياء العبريين جاد، ناثان، ايليا، عاموس، اليشع، اورميا، ناحوم وحبقوق. وحتى انتقدوا الترف وفساد الناس ودعوا الى تطبيق العدل والاصلاح الاجتماعي.

اما الطور السابع فينحصر في اصلاحات يوشع الدينية التي نفذ بها ماجاء في كتاب ادعى الكاهن هلكايا انه وجده في المعبد وكونه بخط موسى وهو مايسمى بكتاب التثنيه من العهد القديم والذي ظهر انه كتب في فترة مقاربه لحكم الملك يوشع. وطبق ماجاء في الكتاب ٦٢١ ق.م. وصدرت الاوامر بكسر جميع الاوثان والمذابح، الغاء الفحش المقدس، ابطال عبادة بعل والغاء التضحية لمولوخ.

يبدأ الطور الثامن بالأسر البابلي منذ ان حمل نبوخذ نصر اسرى عبريين في سنين ٥٩٨، ٥٨٧ ق.م. واسكنهم بلاد بابل وصار اليهود يختلطون بالناس وخرجوا لاول مرة من عزلتهم. وفي هذا الدور ظهر التصوف اليهودي الذي يتجلى في خبرة حزقيال احد الرجال الذين حملهم نبوخذ نصر في اسره الأول. كما تبلور التوحيد التام لذات الله في اليهودية والموضحة في القسم الثاني من كتاب اشعياء. وتأتي اصلاحات عزرة خلال هذا الطور. وخلال فترة الاحتلال الأخميني تأثرت اليهودية بالأفكار الفارسية. فقد اختفى المعتقد القائل بوجود مكان يسمى شيول (الهاوية) يذهب اليه الموتى والذي يماثل الارالو البابلية ودخل معتقد القيامه للموتى في يوم النشور وان هناك محاكمة قاسية من ذات الخالق يذهب بعدها من يثبت اجرامه الى جهنم اما المؤمنون فلهم جنات. كما اخذوا يؤمنون بوجود قوة للشر سموها بالشيطان كما صار اليهودي يؤمن بوجود الجان وقوتهم والملائكة وسطوتهم. واخذ اليهود ينظرون الى كورش مؤسس الدولة الاخمينية كمخلص لهم وكونه المسيح الذي ينتظرونه. واستمر تزايد التأثير الفارسي باليهودية حيث يشاهد قوياً في معتقدات جماعة قمران (المغائريون) خلال الفترة الهلنستية حيث تشكل معتقداتهم حلقة الوصل بين اليهودية والمسيحية الأولى.

باحتلال الاسكندر المقدوني للشرق وبضمنه سورية - فلسطين وحكم السلوقيين بعده تبدأ الفترة الهلنستية التي امتزجت بها الافكار الشرقية بالغربية. وقد واجهت اليهودية الحضارة الهلنستية وكانت هناك ردود فعل مختلفة من قبل اليهود فنهم من احب الهلنستية وتأثروا بها (حبهم للفنون، تركهم الختان، اكلهم لحم الخنزير وتسمى يهود كثار باسماء يونانية ودرسوا الفلسفة اليونانية). بوقت حافظ معه فريق من اليهود على معتقدهم محاولين التوفيق بينها وبين الثقافة الهلنستية امثال فيلون الاسكندراني وجوزيفوس. وفريق ثالث رفض الهلنستية وقام حزب الحاسيديم اليهودي بثورة عارمة برآسة جوداس المكابي.

خرج يهود من فلسطين الى اقطار خارجية خلال فترات مختلفة فنهم من سكن روما واثروا بالسياسة والدين ومارسوا التبشير بحيث صار اعتناق اليهودية في روما واجزاء امبراطوريتها باوربا خاصة في النصف الأول من القرن الأول الميلادي موضة العصر الشائعة بحيث ان حتى زوجة نيرون الامبراطور اعتنقت اليهودية. علماً بأن اليهود لم يغلقوا باب التبشير بدينهم الا بحدود اواسط القرن الثالث عشر الميلادي. وقد شكل هؤلاء المعتنقين لليهودية نواة يهود اوربا وبذلك فهم لايمتون بصلة عرقية الى يهود الشرق. ومنذ القرن الثاني الميلادي تفرغ اليهود تماماً لكتابة الكتب الدينية لشرح كتبهم المقدسة الاساسية وظهرت في العراق وفلسطين خاصة مدارس كان لها اثر كبير في بلورة اليهودية.(١٨)

الفصل الثالث
فلسطين تحت الاحتلال السلوقي، الروماني والبزنطي

اندفع الاسكندر الكبير المقدوني الى القدس بعد احتلاله صور وغزة ولم يلق في فلسطين اية مقاومة الا في غزة التي ظلت تقاومه مدة ثلاثة اشهر وقيل خمسة شهور. وقد دافع عن غزة قائد اسماه اريانوس باطش مستعيناً بجيوش عربية اذاقت المقدونيين الأمرين. وبعد احتلال الاسكندر لغزة ذبح الكثير من سكانها ونهبها وخرب اكثرية احيائها. وفي القدس ساعدت الجالية اليهودية جيوش الاسكندر على احتلال المدينة سنة ٣٣٢ ق.م. وسمح الاسكندر للجاليه اليهودية في القدس ان تعيش وفق قوانينها الدينية وعاداتها الخاصة وعفا افرادها من ضرائب تلك السنة. وقابل وفد من السامريين الاسكندر واعلموه بانهم ليسوا يهوداً بل صيدونيين وربما كان بينهم صيدونيون اضافة الى اولئك الذين قدموا من بلاد الرافدين.

بقيت فلسطين بعد وفاة الاسكندر تابعه للبطالمة لاكثر من مائة سنة (٣٠١ - ١٩٨ ق.م.) تمتعت البلاد خلالها بسلام وهدوء فيما عدا تخريب دمتريوس للسامرة سنة ٢٩٦ ق.م. وقسم البطالمه فلسطين الى مقاطعات قسمت بدورها الى اقسام. وكانت الحكومة المركزية وحاكم القرية عادة من مواطني البلد. وصار التجار اليونانيون يتغلغلون في فلسطين من غزة حتى حوران ويعملون بشتى الحرف خاصة في تجارة العبيد. وربما احتكرت صيدا كل تجارة فلسطين وقامت بدور مهم في حياة مدن فلسطين الساحلية. وكانت المدن الأخيرة ذات دساتير خاصة تحكم بموجبها ومجالس تدير شؤونها.

اعقب البطالمة في احتلال فلسطين السلوقيين الذين ظلوا يحكمونها حتى سنة ٦٣ ق.م. حيث دحر انطيوخوس الثالث السلوقي سنة ١٩٨ ق.م. بطليموس الخامس عند بانياس تمكن بعدها من الحصول على كل فلسطين وفينيقية واعترف البطالمه بذلك في السلام الذي عقد. ورحبت الجالية اليهودية في القدس بالسلوقيين واخذوا في مهاجمة الحامية البطلومية. والواقع ان الجالية اليهودية كانت ترحب بكل منتصر وتعتبره محرراً. وقد اهتم البطالمة والسلوقيين في تحويل المدن الفلسطينية الى قلاع للهلنستية ومراكز لها امثال عكا، دور، عرصوف، يافا وغزة الخ. وقد شبت المنازعات بين المتنفذين بالجالية اليهودية في القدس حول الكهانه العليا. ومن البيوت التي دخلت في هذا الخصام عائلة طوبيا

العمونية التي يرتبط بها ازدهار الهلنستية في القدس بالذات والتي ربما اعتنق بعض افرادها اليهودية لغايات سياسية. وغدت القدس مدينة هلنستية وقد صمم الملك السلوقي انطيوخوس الرابع على طمس كل طابع متميز لافراد الجالية اليهودية فاصدر اوامره بمنع القيام باية شعائر دينية امثال تقديم الاضاحي واحترام مراسيم يوم السبات ومنع الختان وتلف الكتب المقدسة وفرض عقوبة الموت على كل مخالف وادخل الى المعبد طقوساً جديدة. وقد لقيت هذه الاوامر ترحيباً من الكاهن الاعلى مينليوس ومؤيديه المتأثرين بالهلنستية في وقت رفضت فئة قليلة من اليهود الاستجابة وفضلت الموت على القيام بالشعائر الدينية الجديدة وذبح واكل لحم الخنزير وعبادة الاله زووس والامتناع عن تطبيق الشريعة الموسوية. وقد طبق القانون السلوقي في نهاية سنة ١٦٧ ق.م. وادى تطبيقة الى ثورة بين اليهود المعارضين للهلنستية تزعمها ماتثياس واولاده الخمسة من زوجته شموني وعرفت بالثورة المكابية نسبة الى جوداس المكابي (بمعنى راس المطرقة او المطرقة الثقيلة بالآرامية ربما نسبة الى شكل جوداس ابن ماتثياس الجسماني). وقد اعتصم المكابيون بالجبال والمناطق الصعبة الوصول وصاروا يقطعون الطرق ويتعرضون للكل. وقد ساعدتهم الطبيعة الوعرة وطريقة القتال المباغت السريع الى جانب مساعدة الانباط والعرب في فلسطين للثوار لاضعاف الطرفين المتقاتلين. وقد دحر المكابيون جيوشاً سلوقية قدمت لحربهم حتى تم اخيراً الاتفاق بين السلوقيين والعصابة المكابية سنة ١٦٥ ق.م. وسمح للجالية اليهودية بحرية التعبد ورفعت المعالم الوثنية من المعبد ودخل جوداس واخوتة القدس بانتصار اطلق عليه عيد تكريس البيت (الخانوكة). ولكن سرعان ماشب النزاع بين السلوقيين والمكابيين انتهت بقتل جوداس المكابي. وتظهر مجريات الاحداث قوة القبائل العربية في فلسطين في وقت امتازت به حياة الجالية اليهودية في القدس بالعقم السياسي حيث انصرفت الجهود الى المؤمرات وحبك الدسائس. ولما خسر هركانوس منصب الكهانة العليا الذي اخذه اخوه ارستوبولوس فذهب الاول الى بطرا طالباً حماية ملكها العربي الحارث الثالث الذي وافق على مساعدته لإسترجاع المنصب. وفعلاً هاجم الحارث القدس وانهزم ارستوبولوس الذي استنجد بروما التي انذر قائدها الجيوش النبطية بالانسحاب. وقابلت القائد الروماني پومپي في دمشق كل الفئات اليهودية المتصارعة وبينما كان پومپي يفكر في حل لموضوع ادارة شؤون الجالية اليهودية احتل ارستوبولوس مواقع له في القدس مما اغضب پومپي. وقاومت جماعة ارستوبولوس التقدم الروماني ودخل پومپي القدس وارسله وافراد اسرته الى روما سنة ٦١ ق.م.

ثبت الانباط العرب خلال الاحتلال السلوقي انفسهم كما يثبت ذلك الدليل الآثاري واستقروا في مناطق ايدوم وموآب ووادي عرابه وجنوب النقب. وسيطر الانباط خلال هذا العصر على الطرق التجارية ومارسوا الزراعة وتقدموا بفنون الارواء نتيجة قدرتهم في السيطرة على تقدم المياه في موسم الامطار وحصرها. وحولوا الأراضي الصحراوية القريبة من الوديان الصغيرة الى حقول مزروعة. وصارت منطقة سيناء ـ النقب ـ عرابة تقطعها الكثير من القوافل التجارية وبنيت القلاع والخانات لتأمين راحة المسافرين وضمان سلامتهم ولهم مراكزهم في غزة وعسقلان. وقد انجز الانباط عملية تحويل هذه الآراضي الصحراوية الى حقول منتجة عن طريق بناء الخزانات والبرك والجدران الصخرية الواسعة التي تحيط بكل قطعه من الارض المزروعة على التلال المتدرجة واستغلال اعالي التلال المستوية كما في مناطق تليلة من العنب. ونعرف ان في القرون الثلاثة التي سبقت العصور الميلادية كانت غالبية تجارة الشرق بيد الانباط جرت عليهم موارد ضخمة. وازدهرت موانئ ليوكي كومي (ايلات) وغزة والعريش.(١٩)

ومنذ القرن الثاني ق.م. اخذنا نسمع عن العرب الايطوريين في القسم الشمالي من الجليل ومنطقة سهل البقاع عند عنجر (خالكيس). وشكلوا دولة قوية زمن مليكهم بطليموس (٨٥ ـ ٤٠ ق.م.) وخليفته ليسانيوس ثم زينودوروس. وتشير اسماء ملوكهم على تأثرهم بالهلنستية ولابد ان كانت لهم اسماء عربية لم تصل الينا. ومن رجالات عنجر الفيلسوف يامبليخوس وكانْ من الافلاطونيين له شروحا على افلاطون وارسطو وكما في الدين والفلسفة والرياضيات. ونعرف ان الايطوريين قد تأثروا بالآرامية وكونهم قد عرفوا اللغتين الآرامية والعربية واضح من اسماء الجنود الايطوريين التي وصلتنا والتي تعطي لكل واحد اسمين ارامي وعربي.

نظم پومپي فلسطين بعد ان احتلها، فوضعت المدن الساحلية تحت ادارات محلية مستقلة وصارت مدن بيسان وپيلا (خربت فحل) من المدن العشر، وصارت السامرة تحت ادارة مقاطعة سورية الرومانية. وفي سنة ٥٧ ق.م. قسمت المناطق التي يسكنها اليهود (كاقليات طبعاً) الى خمس مناطق لكل منها مجلسه الخاص في القدس، اماثوس، اريحة، الصغورية الخ. من اجل اضعاف سلطة الجالية اليهودية في القدس. وفي هذه الفترة كان المسير الحقيقي لشؤون الجالية هو انتيپاتير الايدومي الذي كانت سياسته تقوم على ارضاء روما. وبعد انكسار پومپي ومقتله اجتهد انتيپاتير وهركانوس الكاهن الاعلى للجالية

اليهودية على خطب ود يوليوس قيصر فارسلا قوة الى مصر لتأييده ٤٧ ق٠م٠ قادها انتيپاپتر٠ وفعلاً ايدهما قيصر ومنح انتيپاتير المواطنة الرومانيه وعينه رئيساً للادارة الرومانية لمنطقة القدس وضواحيها ووسع المنطقة التي يشرف عليها هركانوس٠ وعمل انتيپاتير على تقريب ولديه فاسيل وهيرود فعين الاول وهو الاكبر حاكماً على شرق الاردن ومنطقة القدس وضواحيها والثاني حاكماً على الجليل٠ وعند مقتل قيصر سنة ٤٤ ق٠م٠ اقنع هيرود والده وهركانوس بتأييد الجمهوريين فعهدوا له بجمع الأموال للحرب من عموم فلسطين٠ ولم يكن اليهود ليحبوا هيرود بصفته اجنبي عنهم (عربي من ايدوم) ويجعله البعض ايكلكتيكي المعتقد (يأخذ من كل دين مايناسبه) وامه كوفرة (ابنة كوثرة الهة قبيلة طي) وليس بالمخلص لليهودية اضافة الى حبه للرومان وهيامه بالهلنستية٠

هاجم الفرثيون سورية سنة ٤٠ ق٠م٠ بقيادة الملك فاقور واعتبرت الجالية اليهودية في القدس الفرثيين منقذين لهم من بيت هيرود واسياده الرومان وفتحت القدس ابوابها لهم وهرب فاسيل وقتل كما هرب هيرود الى قلعة مداسا على البحر الميت ثم الى روما ووفق في الحصول على اعتراف مجلس الشيوخ الروماني به كحاكم على اليهود سنة ٤٠ ق٠م٠ وقدم الاضاحي اثناء تتويجه في روما الى الاله جوبيتر وعاد الى فلسطين لمعاونة الرومان ضد الفرثيين٠ وبأمر انطوني ارسل القائد الروماني سوسيوس جيشاً رومانياً قاده هيرود تمكن به من دخول المدن الفلسطينية وصارت فلسطين تحت حكمه٠ وكان هيرود شخصاً مليئاً بالحيوية نشطاً محارباً ودبلوماسياً ماهراً٠ فلم يكن باليهودي الحقيقي ولن يشعر باي روابط بالقانون اليهودية وعمل على جعل فلسطين مملكة هلنستية رومانية٠ وبعد موت كيلوباترة استرجع هيرود منطقة اريحة٠ وادخل هيرود العاب خاصة على شرف الامبراطور الروماني اوغسطوس الذي ثبته في منصبه وشيد في القدس مسرحاً ومدرجاً ومعابداً كثيرة للوثنيين٠ وسميت مدينة قيصرية على شرف قيصر واطلق على ميناؤها اسم سيباستوس على شرف اوغسطوس وصارت قيصرية التي اكمل بناءها سنة١٠ ق٠م٠ عاصمة لكل فلسطين٠ وقد وسع اوغوسطوس المنطقة التي يديرها هيرود٠ وكانت كتابات/ عملة الأخير باليونانية واصبحت القاب موظفي بلاطه هلنستية مبعداً اليهود عن الجيش والوظائف العليا وعهد بتربية اولاده الى علماء غير يهود٠ واكمل هيرود نظام المستقرات بحلقة من القلاع وشيد الكثير من المدارج والمسارح بعدد من المدن

الفلسطينية وعمر مدناً وانشئ بضع مدن وبنى سنة ٢٠ ق٠م٠ معبداً في القدس٠ وشهدت حياة هيرود الأخيرة مشاكل وخصومات ضمن اهل بيته ومحاولات لاغتياله٠ وقام اليهود بعد موت هيرود سنة ٤ ق٠م٠ بثورة على اولاده باءت بالفشل٠ وصارت اكثر المنطقة التي ادارها هيرود بعد وفاته من حصة ابنه ارخيلوس (٤ ق٠م٠ ـ ٦) الذي اخرجه اوغسطوس وصار الرومان يديرون منطقته مباشرة ثم اعطيت ادارة خاصة مرتبطه بالحاكم الروماني المقيم في قيصرية٠ وكانت حل قضايا الجالية اليهودية بيد السانهدرين عدا الموت الذي يجب ان يصادق عليه الحاكم٠ ومن الحكام كان پايلوت (٢٦ ـ ٣٦) الذي اخبرنا العهد الجديد الكثير عنه وان في فترة حكمه شنق المسيح الذي اصدر السانهدرين الحكم عليه وصادقه هو٠ وكان حاكم فلسطين ضمن ادارة حاكم سورية الروماني٠ وادار الجليل ومنطقة پيرية للرومان بعد وفاة هيرود ابنه الثاني انتيپاس (٤ ق٠م٠ ـ ٣٩) ومركزه كان عند صفورية اولاً ثم انتقل سنة ٢٠ الى طبرية حتى عزله الامبراطور كاليكَولا ونفاه الى فرنسا٠ وامتاز حكام فلسطين الرومان بفسادهم المالي الأمر الذي جعل البلاد نهباً للمجرمين وقطاع الطرق٠ كما امتازت الفترة بمنازعات بين الوثنيين والاقلية اليهودية في الكثير من المدن امثال قيصرية وكثيراً ماكان الرومان يتدخلون الى جانب الاولين٠

ان الامور في فلسطين لم تكن تسير على ماتريده الجاليه اليهودية التي كانت تريد اكثر ماتستحق، فغالبية السكان الساحقة هم من الوثنيين (كنعانيين، عرب ويونانيين) الذين ينظرون الى افراد الجالية اليهودية نظرة كره وسلطة رومانية وضعت ثقتها في عائلة يهودية في الظاهر هلنستية في الواقع تحقد عليها الجموع اليهودية وتتبع سياسة ترضي الاكثرية الغالبية من السكان واسيادهم الرومان٠ وظلت الاوضاع تتطور بالنسبة للجالية اليهودية حتى انتهت بالعصيان على الرومان٠ وبدأ العصيان بايقاف الاضاحي على شرف الامبراطور نيرون سنة ٦٦ في وقت تم الهجوم على مسادا والقضاء على جميع افراد حاميتها الرومانية الصغيرة٠ وعمت كافة المدن تقريباً السخط على الاقلية اليهودية التي تعرضت الى حوادث تعرض٠ وتحصن الثوار اليهود في القدس وفشل الحاكم العسكري الروماني بالقضاء عليها سنة ٦٦٠ وعهد الامبراطور نيرون الى قائده ڤيسپشيان لقمع العصيان الذي وصلها سنة ٦٧ مع ولده تيتوس٠ فضرب الجليل وطهرها من حركات العصيان ثم الضفة الغربية وانحصر العصاة سنة ٦٩ في القدس٠ وعندما صار ڤيسپيشيان امبراطوراً عهد الى ولده

تيتوس بالقضاء على العصيان وتم له ذلك سنة ٧٠ ودخل القدس. وقام اليهود بثورة اخرى زمن الامبراطور الروماني تراجان سنة ١١٦ سببها المباشر انسحاب قسم من الحامية الرومانية من فلسطين لحرب الفرثيين. وفي سنة ١٣١ اصدر الامبراطور هدريان اوامره باذابة اليهود في بودقة الامبراطوريه فمنع الختان وحول القدس الى مستعمرة رومانية مشيداً في موقع معبدها مزارا الى الاله الروماني جوبيتر. وادت هذه الاجراءات الى ثورة الجالية اليهودية ضد الرومان قادها سمعان المسمى بار كوكبا سنة ١٣٢ كان نصيبها الفشل.

استمرت النقب في ازدهارها الذي بدأ في الفترة السابقة على يد سكانها الانباط بفضل الاهتمام بالطرق التجارية ومشاريع الارواء. فقد عمل الانباط على جمع كل قطرة من الماء فوضعت الحواجز في الوديان وبنيت فوقها الجدران لدفع الماء نحو الكهاريز. وقد عثر على الكثير من المستقرات النبطيه متناثرة في النقب وسيناء.

لما خلص اذينة بن حيران ملك تدمر النصف الشرقي من الامبراطورية الرومانية من الفرس منحته روما حكم الشرق بضمنها فلسطين حتى اغتياله سنة ٢٢٦. واستمر بالحكم بعده زوجته الزباء وابنه وهب اللات.

وشهدت فلسطين خلال فترة الاحتلال الروماني استقلال كثير من جماعات الجالية اليهودية وثورتهم على ممارسات زعماء الجالية حتى صارت لهم مبادؤهم الجديدة. وقد اطلقت على هؤلاء عدة تسميات منها القمرانيون (نسبة الى خربت قمران عند النهاية الشمالية للبحر الميت) والاسينيون واصحاب مخطوطات البحر الميت والمغائريون لسكناهم المغارات. وسموا انفسهم الميثاق او الميثاق الجديد، المجمع، المجلس، الجماعه والامة. وقد عثر على مخطوطاتهم التي منها دستورهم وشروح لكتب من العهد القديم. وكانوا يعيشون سوية ويتناولون طعامهم سوية ويقضون وقتهم في العبادة والدراسة واستنساخ الكتب الدينية واستعملوا الكهوف القريبة لاخفاء مخطوطاتهم ايضاً. ويصعب معرفة مؤسس هذه العقيدة الذي لابد ان يكون كاهناً، ويظهر انه لم يكتف بالانفصال التام عن عقيدة وحياة اليهود بل اعتبر راسها عدو جماعته الأول واعتبروا كهنة معبد الجالية اليهودية في القدس مارقين.

ومن مخطوطاتهم كتاب النظام وهو دليل يحوي التزامات الاعضاء وشروط الدخول في الجماعه وواجبات الفرد ثم كتاب اليوبيل وهو اعادة لكتاب التكوين وربما كان تقويم

خاص بالاسينين قبل انفصالهم عن الجاليه اليهودية في القدس. ونقرأ في مخطوطاتهم عن الشيطان (سموه بلعال) ويوم الحساب والايمان بالقدر والايمان بالمسيح المنتظر الذي توقعوا ظهوره وانعزلوا عن العالم حتى يحصلوا على رضاه وعاشوا على الفلاحة. وبمقارنة افكار المغائريين بتلك للكنيسة المسيحية الأولى نرى تشابهاً كبيراً. فالتعميد يشابه طقس الاستحمام لدى المغائريين وتتضمن مخطوطاتهم تشابهاً في اللغة والفكر مع مايرويه العهد الجديد عن المسيح. فافكار المغائريين تشكل الحلقة المفقودة بين اليهودية والمسيحية وان الشخص الذي قام بدور كبير في المسيحية الأولى كان يوحنا المعمدان الذي نستنتج من افكاره واعماله كونه من المغائريين.

من الأحداث المهمة خلال فترة الاحتلال الروماني بفلسطين كان ظهور المسيح الذي عمده في نهر الاردن يوحنا المعمدان. وتؤكد الاناجيل الاربعة كون الأخير من عائلة كهنونية وان امه اليصابات تمت بصلة القربى الى مريم ام المسيح. ودعا يوحنا الناس الى التوبة والتعميد لغفران الذنوب وتنبأ لهم بمجيْ الاعظم (المسيح) ويصف انجيل لوقا يوحنا بكونه (لابساً وبر الجمال بحزام من الجلد حول خصره ويأكل الجراد والعسل). واخيراً قبض عليه رجال هيرود انتيپاس وقتل بأمر الأخير. واعقب ظهور يوحنا بدء رسالة المسيح الذي يذكر سفر متي ولادته في بيت لحم ثم ذهابه الى الجليل وبشر بدعوته وهو في سن الثلاثين وصورته الاناجيل واعظاً متجولاً. ودعا في رسالته الى ان مملكة الله على الأبواب وعلى التوبة وحثهم على امتحان النفس وحب الجار والتواضع وحب الله والسلام. والحب بنظره العفو والحنان والصبر والتضحية والتواضع والاخلاص والشجاعة. ولم يرفض المسيح التوراة ولم يدع الى الرهبنة والعزلة. وكانت نهاية المسيح محزنة اذ حكم عليه السانهدرين بالشنق الذي صادق عليه الحاكم الروماني پايلوت ونفذ به سنة ٢٨. واخذ المؤمنون به يتزايدون رغم اضطهاد الرومان لهم ويبشرون برسالته في كل مكان وكثر معتنقوها ودخل بها جماعة من اليهود المتأثرين بالهلنستية ومنهم پولس الذي اعتنقها سنة ٣٨ والذي يعتبر المؤسس الحقيقي للمسيحية بما ادخله فيها من افكار. وعقد المسيحيون القلائل في فلسطين مجمعاً لهم في "قدس" سنة ٤٩ وآخر في قيصرية سنة ١٩٨ حضره اساقفة قيصرية والقدس وعكا وصور قرروا اموراً مهمة واساسية في العقيدة المسيحية. برز في فلسطين في بداية العصر الميلادي رجالات مهمة امثال الغنوصي سمعان الساحر الذي تعكس افكاره نظاماً تأملياً دينياً ـ فلسفياً مع

مستيرية اصيلة. ثم دوسيثيوس العربي (الذي تظهر تعاليمه الفلسفية تأثيرات عربية، فينيقية وبابلية) ومنعم العربي (الذي استند نظامه على فكرة الانسان السماوي ويتضح بافكاره الاطار الغنوصي المشبع بالاراء الافلاطونية والفيثاغورية للهندسه والرياضيات ويؤكد على الجوهر الفرد في الخلق) ومينا ندر الذي اكد على التدريب العملي طريقاً للحصول على المعرفة. وبرزت مدينة كَادارا كمركز علمي كان من جملة علمائها مينيپوس وثيودوسيوس. ثم عسقلان التي ظهر فيها انطيوخوس (١٢٠ ـ ٦٨ ق.م.) مؤسس الاكاديمية الخامسة ثم بوثيوس.(٢٠)

دخلت فلسطين في حوزة البيزنطيين سنة ٣٢٤ وبقت بايديهم حتى حررها العرب الفاتحون سنة ٦٣٥. ونظراً لاعتبار البيزنطين الدين المسيحي عقيدتهم الرسمية صار لفلسطين مركز مهم فقصدها الحجاج من مختلف الارجاء وشيدت بها الكنائس على مواقع ميلاد وقيامة المسيح وتبشيره. ومنع القانون اليهود من سكن القدس وثار السامريون بضع مرات واخمدت ثوراتهم. وقد سكن الغساسنة العرب اجزاء من فلسطين وارتفع شأنهم ومنح الامبراطور جوستنيان ملكهم الحارث الثاني حوالي سنة ٥٥٠ لقب سيد القبائل العربية في فلسطين وكانت عكا من المدن التي لمست النفوذ الغساني. واستمرت النقب في ازدهارها تجارياً وزراعياً على يد الانباط. وتوسعت مدينة القدس وازدهرت غزة وبرز بها علماء اشتهروا بمؤلفاتهم امثال پروكوپيوس وتلميذ كوريكيوس وزوسميوس واينياس الخ.

كان لفلسطين خلال فترة الاحتلال البيزنطي علاقات قوية مع عرب الجزيرة. فقد استوطنت عشيرتي درماء ورزيق من بني ثعلبة قرب قلعة داروم جوار غزة. وكان تردد هاشم جد الرسول محمد (ص) ووفاته ودفنه فيها كثيراً على غزة بحيث سميت غزة هاشم. وكثرة ذكر القدس في القرآن الكريم والأحاديث النبوية يدل على قوة صلات عرب الجزيرة بها ومعرفتهم الجيدة لفلسطين. وتقدمت الجيوش الفارسية زمن الملك كسرى الثاني على فلسطين وهاجمت منطقة الجليل سنة ٦١٥ ثم القدس سنة ٦١٦ حيث يقال ان عدد من قتل فيها كان تسعون الف رجل. وكان تعاون افراد الجالية اليهودية في فلسطين مع الفرس قوياً حتى قيل ان اليهود قد اشتروا من القائد الفارسي الأسرى المسيحيين وقتلوهم جميعاً. وكانت مجزرة الفرس التي ارتكبوها بحق رهبان دير سابا مشهودة . ولكن هرقل تمكن من اخراجهم عن فلسطين وارجاع ماحملوه من تحف كان منها الصليب الذي يقال

ان المسيح قد شنق عليه. غير ان انتصار هرقل لم يدم طويلاً حيث سرعان ماتقدم العرب محررين وشرفوا البلاد بالاسلام وسلمت القدس شخصياً الى الخليفه عمر بن الخطاب بموجب عهد مدون بناء على طلب بطريركها صفرونيوس سنة ٦٣٨.(٢١)

١. الدكتور سامي سعيد الاحمد، تاريخ فلسطين، (بغداد، ١٩٧٩) ص ٤٣ ـ ٤٥

2. Ernest Wright Biblical Archaeology, (Phildelphia, 1957), P. 31, A.T. Olmstead, History of Palestine and Syria to the Macedonian Conquest, (New York, 1931), PP. 23–31, DA. Garrod, Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe in Palaeolithic Times, CAH, eds. E.S. Edwards and Others, VOL. I, Part I, (Cambridge, 1970) ,PP. 81 – 83.

الدكتور سامي سعيد الأحمد، ص ٥٣ ـ ٥٧

الدكتور عز الدين غربية، فلسطين تاريخها وحضارتها (بغداد، ١٩٨١) ص ٥٨ ـ ٥٩

3. W.F. Albright, The Archaeology of Palestine, (Baltimore, 1954) PP. 59 – 61, D.AE.Garrod, The Natufian Culture, Precedings of the British Academy, VOL. 43, (1957), PP. 211 FF. K.M. Kenyon, Archaeology of the Holy Land, (New York, 1960), P. 38.

الدكتور سامي سعيد الأحمد، ص ٥٧ ـ ٥٩، الدكتور عز الدين غربية، ص ٥٩ ـ ٦٣

4. Kenyon, Archaeology, OP. cit. PP. 43 – 46.

5. R. de Vaux, Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods, CAH VOL. I,Part I, PP. 505 – 606, Wright..OP. Cit. P. 31.

6. Vaux, ibid, P. 514, Kenyon..OP. Cit. PP. 67 – 68. الدكتور غربية ص ٦٥ ـ ٧٥

7. Vaux, ibid, PP. 522 FF. Kenyon..OP. Cit. PP. 77 – 98. الدكتور غربية، ص ٧٧ ـ ٧٩

8. Kenyon, OP. Cit. PP. 103 – 136, Olmstead, OP. Cit. PP. 124 – 133, Albright, OP. Cit. PP. 72 – 73. الدكتور سامي سعيد الأحمد، ص ٧٥ ـ ٩٤

9. G.Posener, Syria and Palestine, CAH, VOL. I, Part 2, PP. 541 – 576.

10. M.Maisler, Palestine at the time of the Middle Kingdom in Egypt, Revue Historique Juive en Egypte, VOL. I, (1947), PP. 33 – 68, W.Helck, Die Agypt ische Verwaltung in den Syrischen Besitzungen, MDOG, 92, (1960), PP. 1 – 13.

A.Alt, Die Asiatischen Gefahrzonen in den Achtuntexten der II Dynastie, Zeitschrift fuer agyptische Sprache und Altertumskunde, VOL. 63, (1928), PP. 39 – 45.

11. Kenyon, OP. Cit. PP. 137 – 173, Poesener, OP. Cit. PP. 545 – 583, Kathleen Kenyon, Palestine in the Middle Bronze Age, CAH, VOL. I, (Cambridge, 1966 P. 9.)

12. Olmstead, OP. Cit. PP. 124 – 186, W.F. Albright, Palestine in the Earliest Historical Periods, Journal of Palestine Oriental Society, VOL. 15, (1935), PP. 223 FF.

دكتــور نجيب ميخــائيــل ابراهيم، مصر والشرق الادنى القــديم، مصر، الجــزء الثــاني (القــاهرة، ١٩٦٦) ص ١٠٢ ـ ١٢٥، الدكتور احمد فخري، مصر الفرعونية (القاهرة، ١٩٦٠) ص ٢٧٩ ـ ٢٨٣.

Kathleen Kenyon, Palestine in the Time of the Eighteenth Dynasty, CAH, VOL. 2, Ch. II, (Cambridge, 1971), PP. 7 – 30, O. Eissfeldt, Palestine in the Time of the Nineteenth Dynasty, CAH, VOL. I,Part 2, (Cambridge, 1965)

13. Olmstead, History.. PP. 269 FF., M. Noth, History of Israel, (Edinburg, 1958), PP. 53 – 84.

الدكتــور فيليب حتى، تــاريخ ســوريــة ولبنــان وفلسطين، ترجمة الــدكتــور جــورج حــداد وعبــد الكريم رافق (بيروت، ١٩٥٨) ص ٩٦ ـ ١٠٤

14. Albright, Archaeology.. OP. Cit. PP. 120 – 121, Noth, OP. Cit. PP. 178 – 202, John Bright, A History of Israel, (Philadelphia, 1959), PP. 174 – 190, Bernard Anderson, Understanding of the Old Testament, (Englewood, 1959) PP. 134 – 143, Olmstead, OP. Cit. PP. 334 – 418, Kenyon, Archarology of the ...OP . Cit. PP. 245 – 289, Wright, Op. Cit. PP. 148 – 152.

الدكتور سامي سعيد الأحمد، ص ١٧٩ ـ ٢٢٢

دكتور نجيب ميخائيل ابراهيم، مصر والشرق الادنى القديم ٣ سورية (القاهرة ١٩٦٤) ص ٢٤٠ ـ ٣٦١

15. Olmst ead, Op. Cit. PP. 461 – 507, Wright, PP. 166 – 172.

الدكتور سامي سعيد الأحمد، ص ٢٢٣ ـ ٢٣٥

16. Olmstead, History of the Persian Empire, (Chicago, 1958), PP. 56, 88, Olmstead, History of Palestine.. Op. Cit. PP. 558 FF. Albright, Archaeoloy.. Op. Cit. PP. 142 – 145.

17. Vergilius Ferm ed., Forgotten Religions, Theodore Gaster, The Religion of the Canaanites, (New York, 1956), PP. 111 – 144, John Gray, The Canaanites, (New york, 1965), R.S. Lamon, The Megiddo Water System, (London, 1935)

G. Loud, The Megiddo Ivories, (Chicago, 1939), Al BRigt, Archaeology.. Op. Cit. PP. 80 – 145.

الدكتور سامي سعيد الأحمد، نفسه ص ٢٤٣ ـ ٢٨٥

١٨. الدكتور سامي سعيد الأحمد، الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية (بغداد، ١٩٦٩)

١٩. الدكتور ابراهيم نصحي، مصر في عهد البطالمة (القاهرة، ١٩٤٦) ص ٣٧ ـ ٣٨، ٤٨، ٤٣٩، ٦٠٣

الدكتور سامي سعيد الأحمد تاريخ...، السالف للذكر، ص ٢٨٦ ـ ٢٣٢٣

S.Cook and Others eds., CAH, VOL. VII, (Cambridge, 1954), PP. 191 – 193, Noth, Op. Cit. PP. 349 – 365, CAH, VOL. VIII, PP. 499 – 502, 509 – 519, Nelson Glueck, The Rivers of the Desert, (New York, 1959), PP. 197 – 198, PP. 271 FF. Albright, Archaeology.. PP. 147 – 153.

Glueck, Deities and Dolphins, (New York, 1965) PP. 5 – 69.

20. Noth, Op. Cit. PP. 402 – 425, CAH, VOL. 9, PP. 402 – 403, 316 – 318, 320, 405 – 406, CAH, VOL. 10, PP. 323, 332, Robert Pfeiffer, History of New Testament Times, (New York, 1949, PP. 32 – 35. Albright, Archaeology... PP. 154 – 156, Wright, Op. Cit. PP. 218 – 232, Glueck, Rivers, Op. Cit, PP. 204 – 232, J.M. Allegro, The Dead Sea Scrolls, (Baltimore, 1957),

ميلر باروز، ترجمة محمود العايدي، مخطوطات البحر الميت (عمان، ١٩٦٧)

Theodeo H. Gaster, The Dead Sea Scriptures, (New York, 1956), Ch, Gulghn ebret, Gesus, (New York, 1956), Ch. Guignebert, Ancient, Medieval and Modern Christianity, (New York, 1961),

الدكتور اسد رستم، الروم، الجزء الأول، (بيروت، ١٩٥٥) ص ٢٤ ـ ٣٥، الدكتور سامي سعيد الأحمد، السالف الذكر ص ٣٢٤ ـ ٣٩٥

الدكتور سامي سعيد الأحمد، نظرة في تاريخ فلسطين خلال الاحتلال البيزنطي سومر، مجلد ٣٨ (١٩٨٢) ص ١٣٢ ـ ١٤٠

21.A.A. Vasiliev, History of the Byzantine Fmpire, VLO. L, (Madison, Wisc. 1970), PP. 150, 117, 195, Glueck, Rivers... Op. Cit. PP. 208, 255 – 273.

Glanville Downey, Gaza, (Norman, 1963), PP. 14 – 110.

الدكتور اسد رستم، السالف الذكر، ص ٦٠، ١٥٥ ـ ١٥٦

الباب الخامس
الفصل الثالث
الحيثيون
المبحث الاول
عصر المملكة القديمة

مرت بلاد الاناضول بعصور حجرية (قديمة، وسيطة وحديثة). ومن مواقع العصر الحجري الحديث حاجي لر، ومرسين و چاتال هويوك. وكان للعصر المدني الذي تلام فترتان متميزتان اولية ومتأخرة اعقبته فترة العصر البرونزي المتقدم فالمتوسط المعروف بالعصر الحاتي (٢٣٠٠ ـ ١٧٥٠ ق.م.). وان هناك تداخلاً بين العصرين البرونزي المتقدم والاوسط يصعب معه فصلها زمنياً. واعتبر كثيرون اصحاب قبور موقع الاجاهويوك هم من الحاتيين الذين نزحوا (برايهم) من بلاد القفقاس. كما اعتقدوا ان هؤلاء الحاتيين قد طغوا على منطقة واسعة امتدت من آسيا الصغرى حتى فلسطين وهم الذين يذكرهم العهد القديم باسم الحيثين. وفي زمن الحاتيين هؤلاء ازدهرت المستوطنة التجارية الآشورية عند مدينة كانيش والقصبات الاخرى بآسيا الصغرى. وطغى على البلاد في نهاية الفترة الحيثيون.

تكلم الحيثيون لغة هندية اوربية وربما كانوا بالأصل من سكنة منطقة القفقاس انطلقوا منها جنوباً الى سهل عمق في شمال سورية وبعد اخراجهم منه ذهب قسم منهم الى فلسطين واستقرت الاغلبية في حوض نهر الهاليس (قزل ايرمق) باسيا الصغرى. وهناك من اعتقد بهجرتهم من شمال البحر الاسود او منطقة بحر ايجة. ويؤكد البعض بان طلائع الحيثيون قد استوطنت كانيش (كول تپه قرب قيصري) في وقت سكن الحاتيين بدليل الاسماء الشخصية للسكان المحليين وكون كانيش هي نيسا التي اطلقها الحيثيون على لغتهم اضافة الى الدليل الآثاري (الفخار المتعدد الالوان) ووثائق المستوطنة الآشورية في كانيش. فدخول الحيثين لآسيا الصغرى كان تدريجياً وحصل بعضهم على اليد الارفع في بضع دويلات محليه وجاءت وثيقة مدونة بالحيثية بين نصوص المستوطنة الآشورية.

تعددت اللغات السائدة في بلاد الاناضول زمن الحيثيين، فكانت اللغة الاكدية لغة الادب والمراسلات ثم اللغات الحاتية، الهالية، الحورية واللوفية التي دونت بالخط الحيثي الهيروغليفي. ونقرأ عن حكم شرق آسيا الصغرى في نهاية فترة المستوطنة الآشورية من قبل ملوك كوسسارا ومنهم بيتخانا وولده انيتا. وقد ضم الاخير كانيش الى مملكته وخرب حاتتوشاش (بوغازكوي) عاصمة الحيثيين الشمالية. ويبدو ان المستوطنين الآشوريين قد تركوا ديارهم سلماً واعطوها الى الحيثيين الذين اندفعوا بعد ذلك للسيطرة على كانيش واستوطنوا حاتتوشاش التي كان موقعها مهجوراً آنذاك. والمعروف الآن ان الحيثيين قد اخذوا السلطة من سلالة لنيتا في ظل ظروف لانعرفها الآن وشكلوا دولتهم حوالي سنة ١٦٥٠ ق.م.

نقرأ في قرار الملك تيليپنيوش مايدل بان الدولة الحيثية الأولى بدأت بالملك لابارنا الذي اخضع الاعداء وجعل البحر (المتوسط) حدوده وعين اولاده على البلدان التي فتحها. واعقبه حاتوشيليش الذي سار على نهج لابارنا. وظل الحيثيون يحترمون لابارنا ويحيون ذكراه مع زوجته تاوننا نناش ويقدمون القرابين الى اشخاصهم المؤلهة واخذ كل ملك يطلق على نفسه عند التتويج لابارنا وعلى زوجته الملكة العظمى اسم زوجة لابارنا. ويظهر ان لابارنا المؤسس كان جداً لحاتوشيليش الأول الذي وسع الدولة الحيثية واخترق ممرات طوروس بجيوشه. وان اتخاذه لقب رجل كوسسارا (ربما موقع على شار) قد يدل على مجيئه بالأصل منها وكونها العاصمة الاصلية للسلالة. وقد اتخذ مدينة حاتتوشاش المنيعه عاصمة له وربما سيطر على سهل اطنة ومنطقة مرسين والحق مملكة يمخد (عاصمتها الالاخ - تل عطشانة) في سهل انطاكية بشمال سورية الى مملكته كما صد الحوريين عن اراضيه. ومن عهده وصلتنا اقدم النصوص المدونة باللغة الحيثية القديمة. وخلفه حفيده وولده بالتبني مورسيليس الأول وقد حارب مملكة يمخد وخرب حلب ثم تتبع نهر الفرات وقضى على سلالة بابل الأولى في بابل ربما بالاتفاق مع الكاشيين الذين ربما كان لهم كيان في منطقة عانة. كما دحر الحوريين قبل ان يقع ضحية لمؤامرة دبرها ضده زوج ابنته مع ساقي زوج اخته. وكانت الفترة التي اعقبت مقتل مورسيليس الأول فترة اضطراب ضاعت بسببها الكثير من المقاطعات واشتدت الغزوات الحورية. ومن الملوك الذين حكموا كان تيليپينوش الذي ربما اعاد السيطرة على بعض المدن التي فقدت سابقاً وعقد معاهدة مع كزواتنا (شرق سهل كليكيا) ربما اعترف للأخير بها بالمساواة. ويظهر انه اندفع نحو سورية وعمل على استقرار الامور للحيثيين فيها. كما حاول العمل على استقرار

الامور في البلاد فدعا النبلاء الى الوحدة في الاخلاص للعرش وتحكيم القانون عند اختلافهم. ويبدو ان الپانكوش (مجلس جميع المواطنين) زمانه كان المحكمة العليا الذي يمكنه معاقبة المخالفين. ووضع تيليپينوش قانوناً لولاية العهد ظل متبعاً لمدة طويلة ربما لوضع حد لكل اختلاف بين افراد البيت المالك ينص على تخليف اخ او ابن وفي حالة انعدامهما فزوج اميرة من الخط المستقيم للملك.(١)

المبحث الثاني : عصر الامبراطورية:

يعتبر الكثير من الباحثين عصر الامبراطورية الحيثية ابتداء بعهد شوبيليوليوما ١٣٨ ـ ١٣٤٠ ق٠م٠) وكون الفترة التي سبقته منذ وفاة تيليبينوش هي عصر المملكة لوسطى الحيثية٠ ومن ملوك العصر زيدانتاش الثاني الذي عقد معاهدة مع ملك كزواتنا استعمل فيها الأول اللقب الشمس الذي صار الملوك الحيثيون يطلقونه على انفسهم الى عهود لاحقه٠ وربما عقدت اتفاقية مع مصر ايضاً٠ وبدأت ظواهر جديدة في الكيان الحيثي منها صيرورة سلطة الملك مطلقه وبروز التأثير الحوري في مجمع الآلهه الحيثية واسماء الملوك ودخول العربات في سلاح الجيش٠ ثم الملك تودحيلياش الثاني (١٤٦٠ ـ ١٤٤٠ ق٠م٠) الذي حارب حلب والميتانيين ودحرهما وغزى المناطق الغربية وبلاد ايشوا جنوب نهر مراد صو٠ وقد ساءت الامور بالنسبة للحيثين زمن الملك تودحيلياش الثالث (١٤٢٠ ـ ١٣٨٠ ق٠م٠) اثر التقارب الميتاني ـ المصري وانتزعت منها اجزاء عدة وهاجمت قبائل الكاسكا عاصمتهم٠ وهنا برز اسم شوبيليوليوما نجل تودحيلياش الذي بدأ حركاته زمن والده فاسترجع الكثير من الاقاليم المفقودة ودحر الكاسكا٠ وقد حكم شوبيليوليوما (١٣٨٠ ـ ١٣٤٠ ق٠م٠) ويعتبر باني الامبراطورية فقد نظم الامور في الداخل، وشيد سوراً للعاصمة واسترجع نفوذه على كزواتنا وحلب وسيطر على ايشوا وهاجم سورية عدة مرات واصلاً حتى جبال لبنان وتحكم بالمدن الحورية واعاد الى حضرته الكثير من المناطق امثال نوخاش، موكيش،٠ كينزا واحتل كركميش الخ٠ ونعرف بان ارملة الفرعون توت عنخ آمون طلبت منه ارسال احد اولاده للزواج منها وقد لبى شوبيليوليوما الطلب ولكن المصريين قتلوا ولده الذي بعث به٠ وعقد شوبيليولوما معاهدات مع دول عدة وكانت له علاقة طيبة مع الأخخياوا (ربما اليونانيين)٠ ومن الملوك الذين تلوه ولده مورسيليس الثاني (١٣٣٩ ـ ١٣٠٦ ق٠م٠) الذي قضى على الفتن داخل الاناضول، فحارب قبائل الكاسكا، وبلاد ارزاوا والبلاد العليا ونوخاشي الخ٠ كما جدد المعاهدة مع اوغاريت واتبع في سورية سياسة فرق تسد لتسهل عليه الادارة٠ وجاء بعده الملك موواتاليش (١٣٠٦ ـ ١٢٨٢ ق٠م٠) الذي دارت في زمانه معركة قادش مع المصريين ايام رعمسيس الثاني التي انتصر بها الحيثيون وثبتت نفوذهم في مناطق نفوذهم بسورية٠ ومن ملوك الفترة حاتوشيليش (١٢٧٥ ـ ١٢٥٠ ق٠م٠) الذي تقرب من الكاشيين وعقد معهم معاهدة صداقة٠ ثم عقد معاهدة سلام وصداقة مع مصر دعمه بعد عقد من السنين بزواج ابنته من الفرعون

زعمسيس الثاني وذلك للوقوف بوجه التعاظم الآشوري. ونعرف عن اصطدام الملك الآشوري توكولتي ننورتا الأول ودحره الحيثين ونقله الآف الاسرى منهم الى آشور زمن الملك الحيثي ارنووانداش الثالث (١٢٢٠ ـ ١١٩٠ ق.م.). وتلى الأخير اخوه شوبيليوليوما الثاني الذي نقرأ عن حركاته ضد قبرص التي ربما اندفع لها من اوغاريت. ومن اواخر حكم هذا الملك توقفت الوثائق والنصوص الحيثية واظهر الدليل الآثاري اصابة سورية وبلاد الاناضول بنكبة. فقد خربت اقوام اهل البحر واحرقت مدنها حوالي سنة ١١٩٠ ق.م. ودخلت البلاد بفترة مظلمة دامت حوالي الاربعة قرون.(٢)

المبحث الثالث
عصر الدويلات المتأخرة

وسمي ايضاً بالعصر الحيثي الجديد او عصر الدويلات السورية الحيثية). ظهرت دويلات عدة في شمال سورية الغربي امثال تابال عند الأبواب الكليكية وميليد (ملاطية) في منطقة كوماني امتدت من الفرات حتى جبال انتى طوروس. ثم ارپاد غرباً، ياعديا (صمعل) عند موقع زنجرلي، بيت بارسيب (تل احمر) جنوب كركميش على الفرات. ويظهر ان موجة جزرية قد هاجرت الى هذه المنطقة ربما منذ القرن الحادي عشر ق.م. او بعد ذلك نتيجة ضغط العموريين. وربما سكنت هذه المناطق عناصر قدمت من جنوب كبادوكية امتزجت بها بعد ذلك الموجة الآرامية الذين عبروا الفرات وسكنوا منطقة واسعة تمتد من شمال كركميش حتى جبال الامانوس. فالى الشمال تحت سلسلة جبال طوروس تقع دولة كوركوم التي ذكر لنا سرجون الثاني الآشوري فيما بعد اسماء امراء لها ذات طابع حيثي. ثم دويلتي تونيپ وحالمان (حلب) اللواتي ربما كانتا تابعتين الى ارفاد (شمال حلب بمنطقة كيليس).

يعتبر تجلات بلاصر الأول اول عاهل نعرفه الآن ذكر عن مملكة في ملاطيه سنة ١١١٠ ق.م. سماها خاتي الكبرى وعن تسلمه جزية من ملك آخر حيثي قد يكون ملك كركميش. وقد طغى الآراميون نتيجة الضعف الآشوري فيما بعد على السلالات الحيثية في تل بارسيب (التي سميت بيت أديني) وارفاد (سميت بيت اغوسي) وياعديا (سميت بيت جبار او صمعل). ويظهر من الكتابات الثنائية اللغة (الحيثية والفينيقية) من قره تپة عن وجود مملكة في كليكيا عاصمتها عند اطنة تضم اكثر سهل كليكيا (كوي بالمصادر الآشورية).

وقد هاجم الآشوريون هذه المناطق منذ بداية ماتعرف بالامبراطورية الآشورية الثالثة. فقد غزا اداد نراري الثاني (٩١٢ ـ ٨٩١ ق.م.) منطقة كوماني مرتين وحارب اشور ناصرپال الثاني (٨٨٤ ـ ٨٥٩ ق.م.) الرؤساء الآراميين للمنطقة الممتدة من الخابور حتى جبال طوروس سبع مرات. كما هاجم بيت اديني ودفعت له كركميش الجزية. ويظهر ان شمال سورية عاد وشق عصا الطاعه على الآشوريين حيث يخبرنا خليفته شلمانصر الثالث عن حربه لجيوش كركميش، خاتتينا، بيت اديني وصمعل وارجاع المنطقة

للحضيرة الآشورية كما حمل حفيده اداد نراري الثالث على المنطقة وادعى سيطرته على كل خاتي وعمورو.

وقعت الدويلات السورية هذه خلال مايسمى بالعصر الآشوري الأخير تحت تأثير دولة ارارات المنافسين اللدودين للآشوريين مما آثار الآشوريين ودفعهم الى تأديب هذه الدويلات مراراً. فقد اخضع تجلات بلاصر الثالث ارفاد سنة ٧٤٠ ق.م. وهزم حلفاً من ١٩ دويلة وسيطر على قلعة كولاني قرب صمعل. واول دويلة حيثية صارت مقاطعة اشورية كانت اونقي (سهل انطاكية) حيث كان يحكم توتامو. كما اخضع صمعل المهمة آنذاك حيث كانت موقع تلاقي الطريقين القادمين من مرعش ووادي العاصي ثم من الفرات عبر كيلكيا وممرات جبال الامانوس. واستسلم ملكها برركب بن بنمو. وسار خلفاء تجلات بلاصر الثالث على نهجه فالحقت صمعل وكوي زمن شلمانصر الخامس سنة ٧٢٤ ق.م. وفي عهد سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م.) الحقت حماث وكركميش وتابال وكوروم وكوموخو التي اتحدت مع ملاطيه.(٢)

الفصل الرابع
الحضارة الحيثية

كان على رأس الدولة الحيثية الملك الذي كثيراً ماكانت وفاته تسبب ازمة دستورية ماجعل التاريخ الحيثي مليئاً بالصراع بين افراد البيت المالك. ويبدو ان الملكية الحيثية كانت بادئ الأمر انتخابية تحتم على الملك اخذ موافقة مجلس النبلاء على مرشحه للخلافه. وعرفنا كيف ان تيليپينوش الأول قد نظم الخلافه على اسس بقيت سارية لعصور لاحقه. واطلق الملوك على انفسهم لقب الملك العظيم لابارنا ثم الشمس في عصر الامبراطورية مما قد يدل على تبدل في العلاقة مع الآلهة صار الملك بموجبها وكيل اله العاصفه على الأرض خاضع لقواعد صارمه لضمان الطهر الطقوسي الضروري لرضا الآلهة. واعتبر الحيثيون ملوكهم آلهة بعد موتهم وعبدوهم في طقس خاص وعبّروا عن وفاة الملك بالعبارة (صار الهاً). والملك هو الكاهن الاعلى لجميع مزارات البلاد والمشرف على طقوسها. وعلى الملك تقديم السكائب والخبز في كل يوم الى تيليپينوش اله الخضرة لضمان سلامة اسرته وشعبه. وكان يرعى جميع الاعياد التي كان بعضها يستغرق بضعة ايام وعليه الالتزام بتحريمات قاسية قد تشمل اعضاء غيره من اسرته. وحضوره عيد الربيع الكبير (الپورولي) الذي كان يقام وقت رجوع الحياة الى الاله تيليپينوش (تموز الحيثي) ضرورياً وتمثل في مزار مدينة نريك محاربة التنين الخطر ايللوياتكاس . وبوقت معين من الخريف يزور الملك وبصحبته الملكة وولي عهده جميع مزارات البلاد لمدة ١٦ يوماً في طريقهم الى نريك. وعلى الملك تقديم الاضاحي والسكائب الى الربة الشمس في ايريننا وعليه تقع مسؤولية النكبات التي تحدث في البلاد. وكان تمثال الملك يوضع في المعابد وتقدم له القرابين. والملك راس السلطة القضائية والمسؤل عن العلاقات الخارجية.

وفي عصر الامبراطورية ترسخ النظام الاقطاعي المستند على سلاح العربات وطبقة الفرسان. وارتبط حكام الولايات برؤساء محليين ذو علاقة بحكام اعلى مسؤولين امام الملك. وكان للملكة زوجة الملك مقام مرموق عند الحيثين فهي وكيلته عند غيابه وتحمل لقب تاوانا نناس الذي لاتحمله سوى واحدة من حريمه ونعرف عن ملكات لعبن دوراً كبيراً في التاريخ الحيثي امثال زوجة شوبيليوليوما وپودوخيبا زوجة حاتوشيليش الثالث لتي اشتركت مع زوجها في الحكم ونابت عنه في المراسلات وتقديم الاضاحي. وكانت للكة المتوفاة تقرن بالهة الشمس.

كان لكل مدينة وقرية مجلس للكبار في السن وكان للمراكز الدينية نظم خاصة. وكان الملوك الحيثيون في البداية يعينون اولادهم لادارة المناطق الجديدة المكتسبة ثم عهدوا بها لقوادهم الذين كانوا عادة من اقارب الملك. وعندما توسعت الدولة صارت الاقطاعيات تعطي الى امراء البيت المالك. وان صعوبة المواصلات ادت الى تعيين حكام دائميين ومستقلين مرتبطين بالملوك بمعاهدات. وكانت هناك محميات تالفت من الممالك الخاضعة لهم وكانت تعطى استقلالاً رمزياً تحت حكم مواطن منها ذي ميول حيثيه عليه تقديم فرق للجيش الحيثي ايام الحرب وارسال الجزية. وكثيراً ما كان الملوك الحيثين يزوجون بناتهم للحكام التابعين لهم لضمان طاعتهم.

كان الملك هو المسؤول عن علاقات الدولة مع الخارج، واظهرت رسائل العمارنه من منتصف القرن الرابع عشر الأول علاقة الملك الحيثي الطيبه مع ملوك غرب آسيا ومصر. ونعرف عن معاهدات عقدها الملوك الحيثيون مع دول اجنبية سواء مساوية لهم كمصر او تحت نفوذهم كاوغاريت او تابعة لهم مثل كزواتنا.(٤)

وعثر على قوانين حيثيه في لوحين تضمنت حوالي المائتين مادة واطلق على اللوح الأول عبارة اذا رجل وعلى الثاني اذا كرمة نسبة الى العبارة الأولى التي استهل بها كل لوح مواده. ويظهر انهم مالوا الى تطوير موادهم القانونية على مرور الزمن حيث نقرأ العبارة (كان القانون كذا وصار الآن كذا) والمواد الجديدة عادة اخف من السابقه. وحوت مواد اللوح الأول قضايا القتل، التعدي، العبيد، الزواج، السحر، السرقه، التأجير والالتزامات الاقطاعيه. ومن مواد الثاني الاعتداء على الممتلكات والاسعار والسحر والزواج الشاذ والتعويض الخ. ومن ميزات القانون الحيثي احتوائه على العقوبة المماثلة (قانون العين بالعين والسن بالسن) وشموله التعويض واقتصار عقوبة الاعدام على بعض الجرائم وهي الزنا والاتصال الجنسي بالحيوانات ومعارضة الدوله والسحر الأسود. واقتصر التعذيب في قطع اعضاء من الجسم على العبيد فقط. وفرق القانون الحيثي بين القتل المتعمد والقتل بالصدفه والديه موجودة.

اما دينياً فان معلوماتنا غير كامله تعود غالبيتها للعائلة المالكة وتقتصر على عصر الامبراطورية. واتانا الدين الحيثي متكاملاًبآلهة كثيرة ويبدو انه مر بادوار الحيوية والطوطمية. وكان لكل منطقة بآسيا الصغرى آلهتها الخاصة ومزاراتها وطقوسها. وقام الدين بدور مهم في حياة الحيثين. ولأجل التوحيد بين مختلف الآلهه جرت هنالك عملية

توحيد الآلهه المتماثلة الوظيفه او اعتبارها متطابقه. وكان للدولة والعائلة المالكة جمع خاص من الآلهه الوطنية العظمى. وحوت مناطق البلاد المختلفه كثير من المنحوتات الصخرية الدالة على الطقوس المحلية مثل منحوتات يازيليكايا قرب بوغازكوي حيث نحتت صور الآلهه الحيثيه على الصخور. والاله الحيثي كان يمسك عادة سلاحاً او اداة في يده اليمنى ورمزاً في اليسرى له حيوان مقدس يصطحبه وله عادة جناحان.

اهم الالهه الحيثيه رب الجو ذابح التنين ايللويانكاس في الاساطير الحيثيه واهم معابده في منطقة طوروس وسهل شمال سورية. وعلى راس الآلهه الحوريه اله الجو تيشوب وزوجة هيبات اللذين عبدا في منطقه حلب وملاطيه. ثم الالهه شوشكا (عشتار الحيثيه) اخت تيشوب التي عبدت في ملاطيه ومدن كثيرة. وكانت نريك مركز عبادة اله الجو الرئيسي كما عبد الحيثيون آلهه عراقيه امثال آنو، انتو، انليل، ننليل، ايا ودامكينا. وطوبق الاله الحيثي وورنكاتي مع الاله العراقي زبابا. كما عبد الحيثيون ربة الجو وروسيمو وزوجها رب الجو وابنتيها خوللا ومازوللا وحفيدتها زينتوخي. ويرتبط الاله تيليبينو ابن اله الجو مع اربع مدن وهو الاله الذي يموت شتاء ويعود الى الحياة في بدء الربيع وهو اله الزراعة وزوجته خاتبينزو. كما عبد الحيثيون الجبال والاشجار والانهار والآبار. وعبد الحيثيون الاله اللوفي سانتاس الذي طوبق مع الاله العراقي مردوخ. وحوى المجمع الالهي الحيثي على آلهه ثانوية عديدة.

كانت عبادة آلهة الشمس عند ارينا هي الدين الرسمي للدوله الحيثيه وقد اطلق عليها ملكة بلاد الحيثين، ملكة السماء والارض وسيدة ملوك وملكات بلاد الحيثين وكانت نصيرة الدولة والعائلة المالكة. وعبد الحيثيون ارما اله القمر والالهه كاتاحا الهة السحر ثم آلهة حرب تعارفوا على التميز بينهما كالهة دروع وميدان (لاماسو). كما قدس الحيثيون الحيوانات كالثور والاسد.

جاءت اماكن العبادة الحيثيه على اشكال عدة من المزارات الصخرية المكشوفه كما في يازيليكايا الى المعابد الضخمة التي عثر عليها في بوغازكوي وغالباً ماكان المعبد يمثل المركز الاداري والاقتصادي للمدينة. وفي كل معبد تمثال الاله الذي حجب عن الانظار في قدس الاقداس على قاعدة. وصنعت التماثيل في الغالب من المعادن الثمينه، وفي المزارات الثانوية مثلت الآلهه برموزها. ومن صفات المعبد الحيثي وجود الساحة الوسطية المرصوفة التي شيدت حواليها الغرف الصغرى. ووجود الشبابيك في الجدار الخارجي التي تصل مستوى

الارض تقريباً. والمعبد هو بيت الاله ويحرص على خدمته الكهنة حيث يقوموا بغسل التمثال الالهي والباسه وتقديم الطعام والشراب له وتسليته بالرقص والموسيقى. والكهنة على اصناف ويلزم اقامتهم في المعابد. كما قدم المتعبدون الاضاحي الحيوانيه وحتى البشرية احياناً وتلو الادعية لها ونشدوا شفاعتها وعونها. كما كان للحيثيين اعياد دينية فصلية كثيره حصر عددها نص بثمانية عشر سمي بعضها على فصول السنة يشرف عليها الكهنة. ومن اهم الاعياد الحيثيه كان عيد الربيع الكبير الذي يمثل انتصار الخير على الشر ثم عيد راس السنة في الخريف وعيد الطقس البارد وعيد نبتة انداخشوم (الربيعية الصالحه للأكل). وكان الكهنه يستمعون لاعتراف الافراد بذنوبهم ويغفرونها لهم باسم الاله وقام كهنه آخرون باخذ الفأل عن طريق فحص كبد الحيوان المضحى ومراقبة الطيور او بالقرعة التي كانت تقوم بها كاهنة. ومارسوا السحر وحرموا السحر الاسود واستخدموا السحر لطرد الشرور والعفاريت. ويظهر ان الحيثين مارسوا الدفن والحرق وكان احتفال دفن الملك يستغرق اكثر من ١٣ يوم ولو ان الجثة تحرق في اليوم الثاني.(٥)

وفي الحقل الاقتصادي فقد عملت اغلبية السكان بالزراعة حيث زرعوا مختلف المحصولات كالحنطة والشعير اللذين كانا الطعام الاساسي والكتان والعنب والتفاح والرمان. واحتفظ المزارعون بالاغنام والماشيه والخنازير كما صنعوا الخمر من العنب والزيت من اللوز والجعة من الشعير وامدتهم مناجم بلادهم بالفضة والرصاص (من بولغار معدن في طوروس الكليكيه) والحديد حيث اشتهرت كزواتنا في تعدينه ثم النحاس الذي خلطوه مع القصدير لاستحصال البرونز. وكانت وسيلة التبادل عندهم الفضة التي كانت لهم منه اوزاناً عدة كالمن (المساوي الى ٦٠ شاقل) وهذا يدل على تأثرهم بنظام الاقتصاد العراقي ربما وصلهم عن طريق المستوطنه الاشورية بآسيا الصغرى.

ومن الناحية الاجتماعية فقد كان للعائلة المالكة الحيثية المقام الاسمي في المجتمع الحيثي حيث انحصرت بها المناصب العليا في الدولة. وكانت الغالبية العظمى من الشعب زراعاً وحرفيين في مختلف المهن كالتجارة، البناء، الحياكه الحدادة، السراجة الخ. ثم التجار. وكان المواطن الحيثي حراً يمكن للسلطه ان تجنده للسخرة. ويأتي العبيد في الحضيض اجتماعياً اذ اعتبروا اشبه بالبضاعه عند مالكيهم الذي لهم حق رهنهم، بيعهم، ضربهم وحتى قتلهم. وكانت دية العبد قانوناً نصف دية الرجل.

وكانت سلطة الاب في العائلة الحيثية قوية وفي حالة وفاته يحل محله فيها ابنه الاكبر. ولايكون الزواج شرعياً الابعقد بين الزوج والزوجه. وعلى الخطيب ان يقدم الصداق لعروسته (كوساتا بالحيثيه) ويقدم اهل العروس لابنتهم هبة عينية او نقدية. واذا ماتت الزوجه في بيت زوجها فيكون صداقها ملكاً لها يرثه ورثتها الشرعيون وفي حالة عدم وجود اطفال لها فاهلها. وحرم القانون الحيثي الزواج بالاقارب الاقربين كما منع الاتصال الجنسي مع الام، البنت، الاخت، ابنة الزوجة من زواج سابق او مع زوجة الاب او الاخ في حياتها. وحتم على الاخ الزواج بارملة اخيه المتوفي وفي حالة عدم وجود اخوه فتقترن بوالده او ابن اخت لو ابن اخ له. ولم يحدد القانون الحيثي عدد الجواري التي التي يمكن للرجل الاحتفاظ به منهن.(٦)

اما فنياً فالمقصود بالفن الحيثي ذلك الفن الذي عم في المنطقه الممتدة من شمال سورية حتى اواسط بلاد الاناضول. وليس هناك فن معين يمكن ان نسميه فناً حيثياً خالصاً. وكل منطقه من هذه قدمت طرازاً خاصاً فلشمال سورية يعزى طراز البيت هيلانى في العمارة وتوضح مقابر الاجاهويوك من العصر الحاتتي تأثير قفقاسياً في وقت جاءت به بعض البرونزيات الحيثيه ذات علاقه مع البرونزيات العيلاميه وحتى مع تلك من لورستان. وتعتبر المنحوتات الصخرية احدى ميزات الفن الحيثي مثل منحوتات الاستعراض الديني في يازيليكايا. وولع الحيثيون في الاختام المسطحة في وقت استخدم به ملوك كركميش الحيثين الاختام الاسطوانيه. والتأثير العراقي اقوى جميع التأثيرات على الفن الحيثي حيث نراه واضحاً في كل مجال يليه التأثير المصري فالحوري.

ففي النحت فانه جاء عند الحيثين مرتبطاً بالعمارة كالنحوت التي تزين بوابات بوغازكوي. ومن صفات النحوت الحيثيه كبر حجمها وعمقها. وان استعمال الاسود المنحوته كاحجار زوايا في بناية البوابات قد بدأ في شمال سورية خلال العصر المتأخر بتأثير اشوري. وهناك منحوتات يازيليكايا الصخرية المهمة من عصر الامبراطورية التي تصور استعراض الآلهة يقود الاستعراض على الجانب الايسر الاله تيشوب والثاني الالهه هيبات. وتدل هذه المنحوتات على تقدم فن النحت في عصر الامبراطورية، ثقة الفنان الحيثي بنفسه ومعرفته بتناسيق وتناسب الاشكال ودقة عمله. والى نفس العصر تعود مجموعة نحوت من الاجاهويوك تصور اربعاً من السفينكس ونسراً برأسين والملك ومرافقته وثلاثة لاعبين او صور شخصين يحمل احدهما قرداً والآخر قيثارة الخ. وتمثل هذه المجموعة مرحلة انتقالية بين نحوت بوغاز كوي وتلك من العصر الحيثي المتأخر.

وهناك منحوتات اخرى من مواقع كرابيل، سركلي وافلاتون بهار الخ. وقد كثرت المنحوتات في العصر الحيثي المتأخر وتنوعت مواضيعها ومنها منحوتات الجدار الطويل في كركميش التي تمثل استعراض الهة وعربات ومحاربين لمسافة ٣٧ متراً ثم منحوتة جدار المبعوث وهو الواجهه الشماليه لبوابة الملك تصور مناظر اسطورية واخرى من الحياة اليومية. واكثر الاشكال لابد وان لها غاية سحرية لطرد الشرور وتوضح التأثير العراقي. ثم بوابة الملك من كركميش ايضاً والتي تصور سفينكس وموسيقين واسدين ثم لجنود. وان التأثير العراقي واضح في منحوتات كركميش مثل منحوتة الاسد المجنح وبين مخالبه طير. وفي منحوتة اخرى نجد ربما كَلكَامش جالساً على ركبته محاطاً بالحيوانات الوحشية واخرى ربما لانكيدو حاملاً الرمح. ومن صفات الفن الحيثي المتأخر اقتصاره على مواضيع معينه عسكريه ودينية ومن الحياة اليومية نراها واضحة في منحوتات ملاطية. الى جانب تأثر هذا الفن بتأثيرات عدة من اوغاريت وميتاني واشور. وان التأثير المصري واضحاً في قره تبه بصورة الاله المصري بيس وبزهرة اللوتس المصريه. ويتوضح التأثير العراقي في آثار صمعل، كَوزانا وسكجه كَوزي.

كما وصلت الينا قطع بالنحت المجسم مثل تمثالان من كركميش للاله اثار لوخاس جالساً على كرسي وبقبعة ذات قرني ثور. ثم راس لاله من صمعل وتمثال ضخم لاله من ملاطيه متأثر بالنحت الاشوري

برز الحيثيون في بناء الأسوار وقد بلغ سمك اسوار بوغازكوي حوالي ١٤ قدم تتألف من سورين داخلي وخارجي مشيدين بالحجارة الضخمة غير المنتظمة ويواجه السوران بعضها وقويا بالطلعات والابراج على بعد كل مائة قدم وتحمي المداخل الاسود المنحوتة. وفي السور الجنوبي خمسة مداخل عرفت باسماء نسبة الى المنحوتات التي تزينها. ويقف السوران على استحكام عالي وهناك ايضاً استحكام شديد الانحدار عند مدخل للمدينة على طول السور الخارجي وفوقه طريق يتحول فجأة الى طريق عرضه عشرون قدماً بين ابراج ضخمة على الجانبين حيث وضعت البوابة الاولى. ولموقع علي شار سور دفاعي يماثل سور بوغازكوي في البناء واستعيض فيه بطراز اسنان المنشار. ووجد في كركميش بقايا سور وقلعة وشملت دفاعاتها على استحكام ارضي من جهة المدينة مع سور آخر من جهة النهر. وتحرس مدخل المدينة تماثيل لأسود فاغرة افواهها. ويمر طريق مبلط خاص للعربات خلال بوابات واسعة موضوعة الواحدة بعد الاخرى حتى القلعة. ولزنجرلي قلعة حصينة يتم الدخول اليها من بوابتين ضخمتين داخلية وخارجية لان الأسوار ذات جدار

دفاعي مزدوج. وقد شيدت زنجرلي على خطة مدورة محاطه بسور مزدوج، حصن الجزء الجنوب منه جيداً ويؤدي الى القلعة. وتقع بوابة المدينة بين برجين.

جاءت الاختام الحيثية على اصناف امثال المسطحة المنقوشة بصور حيوان واحد او عدة حيوانات. ثم الاسطوانية التي رسمت عليها صور حيوانات ومناظر صيد وحرب وعبادة واستعراضات آلهة. ثم الاختام ذات الطراز السوري ـ الكبادوكي من النوع الشائع في شمال سورية مع مناظر لاشكال بملابس حيثية وضعت بين صور حيوانات. ووردتنا من كركميش اختام اسطوانية مقطوعة باتقان عليها مناظر حيثية وصور آلهة وملوك. واظهرت الاختام الاسطوانية من العصر الحيثي المتأخر التأثير المصري الكبير حيث نرى آلهة ورموز مصرية واشكال بملابس مصرية.

كان فخار اواخر المملكة الحيثية ملوناً وعلى نوعين هما الطاسة الصغيرة والابريق ذو الرقبة النحيفة. وحوى الأخير صورة عين على الصنبور وشريطاً بأشكال طيور او حيوانات حول الرقبة. وتلت هذه الانواع من الفخار الطاسات البدائية الصنع المعمولة باليد واباريق تماثل فخار قبرص من العصر البرونزي الأخير. وغطيت الطاسات بطبقة بيضاء فوقها طبقات سوداء وحمراء. وصنعت الاباريق من طين رمادي بسطح اسود مزين بخطوط بسيطة ملونة بالأحمر او الابيض او باشكال منحنية الاضلاع. وعم في العصر الحيثي المتأخر نوع من فخار سورية يماثل الفخار المايسيني. وحوت مقبرة يونس في كركميش (حوالي ١٢٠٠ ـ ٦٠٠ ق.م.) كميات من الزير الدفني وانية مزج الخمر بالماء التي تذكرتا زينتها بالطرز القبرصيه. كما حوت اباريق صغيرة مزينة بزينة الدوائر المتحدة المركز الملونة بالاسود على الاحمر. كما برع الصاغة الحيثيون المتأخرون في صنع الأدوات المعدنية كالطاسات البرونزية التي تظهر التأثيرات العدة على الصائغ في شمال سورية.(٧)

خاتمة : تلى الحيثيون في آسيا عصر الدويلات الاناضولية واليونانية (١١٥٠ ـ ٥٥٠ ق.م.) فقد بدأت هجرات يونانية الى بلاد الاناضول استقروا في مدن اسسوها امثال ملطية، استاكوس، كالكيدون وهرقلية الخ. ومن ممالك بلاد الاناضول خلال هذا العصر ادانيا (اطنة)، اراراث التي تأسست نتيجة اتحاد القبائل الحورية التي عاشت حوالي بحيرة وان، ومملكة فريجيا وليديا وكاريا وليكيا وپيسيديا. وأعقبه فترة الاحتلال الفارسي (٥٤٦ ـ ٣٣٣ ق.م.) ثم عصر الاسكندر الكبير والفترة الهلنستية (٣٣٣ ـ ٣٠ ق.م.).

وازدهرت خلال الفترة الهلنسيتة ممالك بيثينيا، البونطس، كبادوكية، برغاموم)٠ وصارت بعدها آسيا الصغرى بيد الرومان الذين استمروا باحتلالهم لها حتى سنة ٣٢٤ بتأسيس الامبراطور قسطنطين للدولة البيزنطية وبناءه القسطنطية عاصمة لدولته الجديدة٠

الهوامش

1. O.R. Gurney, Anatolia C. 1750 – 1600 B.C., The Cambridge Ancient History, CAH, VOL. II, (Cambridge, 1965), O.R. Gurney, The Hittites, (Baltimore, 1954), PP. 15 – 25

الدكتور سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الادنى القديم ايران وبلاد الاناضول (بغداد ١٩٨٠) ص٢٣٩ ـ ٢٤٩

2. O.R. Gurney, Anatolia C. 1600 – 1300 B.C., CAH,2 (Cambridge, 1966)Guerney,The Hittites, OP. Cit. PP. 26 – 39. A.Goetze, Anatolia from Shupilluluma. CAH, II, (Cambridge, 1965)

د. سامي سعيد الاحمد ورضا الهاشمي، ص ٢٤٩ ـ ٢٦٧

3. Gurny, The Hittites, OP. Cit. PP. 39 – 46.

د. سامي سعيد الاحمد ورضا الهاشمي، نفسه، ص ٢٥٨ ـ ٢٧٢

4. O.R. Gurney, Hittite Kingship, in S.H. Hooke, ed., Myth, Ritual and Kingship, (Oxford, 1958), E.O.James, The Ancient Gods, (New York, 1960) PP. 127 – 130, Goetze, OP. Cit. PP. 54 – 57.

5. Vergilius Ferm ed., Ancient Religions, (New York, 1965), Hittite Religion, by Hans Gueterbock, PP. 83 – 109

د. دكتور تقي الدباغ، الفكر الديني في اسيا الصغرى، مجلة كلية الآداب، مجلد ٢٥ (١٩٧٦) ص٢٥٧ـ ص٢٧٦، د. سامي سعيد الاحمد ورضا الهاشمي، السالف الذكر ص ٢٩٤ ـ ٣٠٣

6. Gurney, The Hittites, OP. Cit. PP. 80 – 103.

7. Akram Akurgal, Ancient Civilizations and Ruins of Turkey, (Istanbul, 1970), PP. 296 FF., Maurice Vieyra, Hittite Art, (London, 1955), PP. 10 – 54, Henry Frankfort, Art and Architecture of the Ancient Orient, (Baltimore, 1958), PP. 64 – 201

الدكتور سامي سعيد الأحمد ورضا الهاشمي، الدكتور سابقاً، ص ٣٠٨ ـ ٣٢٣.

الباب الخامس

Gurney, The Hittites, OP. Cit. PP. 80 – 103

7. Akurgal, Ancient Civilizations and Ruins of Turkey, Istanbul 1970, PP. 298 FF, Maurice Vieyra, Hittite Art, London 1955, PP. 10 – 56, Henry Frankfort, Art and Architecture of the Ancient Orient, Baltimore 1958, PP. 64 – 201

الباب الرابع

الفصل الأول

ايران

١- العيلاميون
٢- الميديون
٣- الاخمينيون

التسمية والموقع الجغرافي

تقع بلاد ايران في القسم الغربي من قارة آسيا. والتسمية مشتقة من كلمة (آريا Airiya) الواردة في كتاب الآفيستا التي تعني بلاد الآريين. ويرجح ان يكون استعمالها قد بدأ منذ الالف الأول قبل الميلاد، واستعملت بنفس المعنى في كتابات مؤرخي اليونان والرومان. فقد ورد استعمال صيغة (آريانا) في كتابات الجغرافي اليوناني (ايراتوسثينس (Eratosthenes) في القرن الثالث ق.م. وشملت هذه التسمية مفهوما جغرافياً اوسع مما هو عليه الآن. فقد دخلت بلاد افغانستان وشرق بحر القزوين واواسط آسيا ضمن بلاد آريانا. وبذلك تتميز هذه التسمية عن مفهوم ميديا وكذلك فارس تأريخياً وقومياً.

اما مفهوم ايران الحالية فهو احد الاقطار في الشرق الادنى ذو حدود سياسية معروفة تعطيها اهمية جغرافية خاصة، فهي توصل مابين آسيا الوسطى والشرق الاقصى وآسيا الغربية وبلاد الشرق الادنى وتحيطها سلاسل جبلية تعتبر من الموانع الطبيعية لها ومنها :

١- **جبال زاغروس** وطولها يربو على ٦٢٠ ميلا تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وتقع غربي ايران وتطل هذه المرتفعات على سهول بلاد مابين النهرين ولاتزال مصدر خطر كبير على العراق.

٢- **السلاسل الجبلية الشمالية** وتعرف بجبال البرز وتبلغ اعلى مرتفعات فيها حوالي ١٩,٠٠٠ قدم وهو جبل (دماوند). وتتاخم السواحل الجنوبية لبحر قزوين وتؤلف حاجزاً مرتفعاً يفصل المناطق الصحراوية الداخلية عن المناطق الساحلية الغنية بنباتاتها. وتتفرع جبال خراسان من هذه الجبال.

٣ـ **السلاسل الجنوبية** : وهي المعروفة بجبال مكران ويخترق هذه السلاسل مدخلان او ممران يؤدي احدهما الى بندر عباس ويؤدي الآخر الى بلوجستان

يحد ايران اليوم من الشمال اتحاد الجمهوريات السوفيتية وبحر قزوين، ومن الشرق افغانستان وباكستان ومن الجنوب الخليج العربي وخليج عمان، ومن الغرب العراق وتركيا.

ان المجموع الكلي لمساحة هذه البلاد هو ٢٩٥ر٦٣٦ كم٢ وطولها يقرب من ٢٧٥٠ ميلاً،(١) ويمكن تقسيمها جغرافياً بشكل عام الى مناطق اذربيجان وجبال زاغروس ومكران والسلاسل الشمالية لجبال البرز وخراسان، ثم الهضبة الوسطى والمقاطعات الشرقية، واخيراً سهول الاحواز في جنوب زاغروس. لذا تبدو هضبة ايران وهي شبيهه بالمثلث، محصورة مابين منخفضين هما بحر قزوين في الشمال والخليج العربي في الجنوب، ويشكل مرتفعاً تربط سهول آسيا بهضبة آسيا الصغرى ومن بعدها بأوربا. كما تحيط بتلك الهضبة المثلثة سلاسل من الجبال ترتفع محيطة بصحراء منخفضة هي قاع بحر يابس. تعتبر هذه الهضبة القسم المتبقي من مرتفعات افغانستان وباكستان ومن الاجزاء المهمة لامتدادات النظام الطبيعي لجبال الألب وهيمالايا.(٢) اما سلاسل الجبال الغربية المشهورة بزاغروس فتمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وطولها نحو ٦٢٠ ميلاً وعرضها نحو ١٢٠ ميلاً وتتراوح ارتفاعها بين ٣٢٨٠ و ٥٥٧٠ قدماً وهي تتألف من جملة سلاسل متوازية تخترقها اودية تتراوح في اطوالها من ٣٠ ـ ٦٠ ميلاً طولاً ومن ٦ ـ ١٢ اميال عرضاً،(٣) ويمتد من السلسلة الوسطى لهذه الجبال ذراع يتجه غرباً الى سهل بلاد مابين النهرين ويسمى (مرتفعات حمرين) مخترقاً نهر دجلة نحو الشمال الغربي حيث تتخذ اسم (جبل مكحول).

في اسفل المراعي وعلى المنحدرات العالية لجبال زاغروس تمتد اشجار البلوط بصورة كثيفة وكذلك تنمو فيها اشجار الجوز واللوز والأشجار الدائمة الخضرة للبلوط والفستق. وفي الاسفل وعلى الوديان المرتفعة تنمو الكروم والتين والرمان، كما ان هناك مناطق زراعية واسعة للحنطة والشعير وخشخاش الأفيون والقطن والتبغ.

اما في الشمال فيرتفع اعلى جبل في سلسلة جبال البرز وهو (جبل دماوند) شمال طهران زهاء ١٩٫٠٠٠ قدم وتمتد تلك السلسلة المحاذية للساحل الجنوبي لبحر قزوين لكي تصل في نهايتها الغربية الى اذربيجان الايرانية التي تقع (بحيرة اورميه) في غربها. كما

تتفرع من جبال البرز الى الشرق جبال خراسان التي لاترتفع كثيراً، وهي ذات وديان وسهول خصبة. وتكمل سلاسل الجبال المحيطة بهضبة ايران سلسلة جبال (مكران) في جهة الجنوب، حيث يمر من هذه الجبال مجازان احدهما في بندر عباس والآخر يؤدي الى بلوجستان.

ومن ان بلاد ايران محاطة بالجبال الا انها مفتوحة من جهاتها الأربع ويمر منها منذ اقدم الأزمان طرق مواصلات مهمة تربط الشرق بالغرب، فيخترقها طريق تجارة الحرير الشهير الذي كان طريق الفتوح ايضاً كما انها حلقة وصل بين مركزي حضارتي بلاد مابين النهرين ووادي نهر السند في الهند. وعلى الرغم من كون ايران بلداً زراعياً بالدرجة الاولى الا ان له ميزة جغرافية اخرى حددت من امكانيات ايران في نشوء الحضارة والدول الكبرى في عصور اقدم وهي محدودية الاراضي الزراعية الصالحة للري بالانهار مما يحتم على السكان الهجرات الموسمية من الوديان الى الجبال وبالعكس للمحافظة على الماشية. ولهذه الظواهر الطبيعية فقد ظلت المجتمعات القديمة في ايران على حالة البداوة بالرغم من ظهور بعض الانظمة السياسية لمجتمعات مستقرة كدولة المانانا جنوبي بحيرة أورمية بوقت متأخر وكانت في علاقة سياسية وثقافية قوية مع الآشوريين، الا ان هذا الاستقرار لم يشمل الكاسيين او اللولوبيين الا عندما احتكوا بسكان بلاد الرافدين وذلك لتأخر نشوء الحياة الحضرية عندهم نسبة الى نشوئها في وادي الرافدين، باستثناء بلاد عيلام التي كانت بطبيعة موقعها على اتصال واحتكاك دائم بالعراق القديم. هذا فضلاً عن ان المهاجرين الجدد من الايرانيين (الميديون والاخمينيون والسكس) اقتبسوا جوانب عديدة من حضارة الآشوريين والبابليين خلال الالف الاول قبل الميلاد بحيث حددت سمات حياتهم العامة التي نوضحها ضمن الموضوعات التالية.

المبحث الأول
العيلاميون

لقد ظهرت آثار العصر الحجري القديم في جمه كهوف نتيجة التحريات الأثرية في ايران واشهرها كان كهف (تنكى ـ بابدا) في جبال بختيارى الى الشمال الشرقي من شوشتر حيث عاش الانسان الصياد واستعمل ادوات الصوان، والادوات المصنوعة من العظام. وكانت الأحوال ملائمة للانقلاب الذي تم في العصر الحجري الحديث بتعلم الانسان الزراعة وتدجين الحيوان، وقد كشف البحث عن المستوطنات القديمة التي احتوت آثاراً من هذا العصر في مختلف المناطق ولعل اشهرها كان في (تبة سيالك) الواقعة في سهل قرب كاشان جنوب طهران، وهو موضع ظل يستوطنه الانسان في العصور التي اعقبت العصر الحجري الحديث في الاطوار التي اشتهرت باسم العصر الحجري المعدني. وقد كشفت مثيلاتها في مناطق اخرى من ايران وخاصة في عيلام.

ففي هذه المنطقة كشفت البحوث الاثرية عن وجود اطوار ماقبل التاريخ وهي ممثلة في جملة مواضع، ولاسيا في مدينة سوسة، حيث وجدت ادوار العصر الحجري المعدني ذي الفخار الملون الجميل، ووجد مايضاهي طور العبيد في العراق بما يعرف بالدور الأول من سوسه. ومن الوجهة الحضارية فان بلاد عيلام تأثرت تأثراً بالغاً بالحضارة السومرية واشتقت منها عناصر أساسية من الحضارة، وبدأت هذه التأثيرات واضحة اكثر في العهد الذي سمي في تأريخ العراق باسم (العهد الشبيه بالكتابي) اي النصف الثاني من طور الوركاء وجمدة نصر. واول مايلاحظ من هذه التأثيرات الواضحة اقتباس العيلاميين للخط المسماري، حيث ظهر في عيلام نوع من الكتابة الصورية في عهد جمدة نصر (في حدود ٣٠٠٠ ق.م) على غرار الخط المسماري القديم، وقد اشتهر هذا الخط بالخط المسماري العيلامي القديم، ودون في عدة مئات من الواح الطين وجدت في السوس وظل مستعملاً الى العهد الاكدي، وقد ترك العيلاميون استعمال هذا الخط القديم في منتصف الالف الثالث، واستعملوا بدلاً منه طريقة من الكتابة المسمارية مشتقة من الخط المسماري في العراق بعد تعديلات وتغييرات لجعله ملائما لاصوات لغتهم (٥)

ومن جهة اخرى فان اول اشارة لذلك الفخار الملون الذي ظهرت في مواقع حضارية عدة ومنها في سوسة يرجع زمنه الى النصف الثاني من الالف الرابع قبل الميلاد قد توقف فجأة ايضاً وحل محله فخار ذو لون احمر مع قبضة وصنبور مجوف وصناعة وهذا النوع من الفخاريات ترجع في اصلها الى بلاد وادي الرافدين وملامحها اشتهرت هناك بملامح فخار اوروك - الطبقة الرابعة. وهي المرحلة التي تلاها مباشرة العصر الشبيه بالكتابي. وهكذا يمكن القول بأنه ظهرت في منطقة عيلام من بين عادياتها، وتحت تأثير حضارة وادي الرافدين، ادوات ترجع الى الالف الرابع قبل الميلاد اصبحت نموذجاً لحضارة سميت بـ(حضارة شوشه) واطلق على كتابتها اسم ماقبل العيلامية او الشبه العيلامية عاصرت فترة جمدة نصر، وصارت الحاجات المدفونة مع المقابر اكثر ثراء كادوات المرمر والمرايا النحاسية، كما زينوا جثة الميت بالحلي والقلائد الفضية ذات الشذر والذهب والأصداف مع اقراط ذهبية واساور فضية وقلائد طويلة من خرز فضية وذهبية. وفي هذه الفترة بدأ استعمال الاختام الأسطوانية للتوقيع على غرار ماستعملت في العراق.

وفي بداية الدور الكتابي سمى السومريون الاقليم الكائن الى شرق وادي الرافدين الاسفل بمصطلح (نم (Nim) الذي يعني (البلاد المرتفعة) وجاء الاسم في الاكدية بصيغة (ايلام - تو) وفي العهد القديم بشكل (عيلام).(٤) اما العيلاميون فقد سموا انفسهم باسم يختلف عن ذلك حيث جاء في المصادر العيلامية المسمارية بهيئة (ها - پير - تي) و (ها - تام - تي) الا ان منطقة عيلام اشتهرت في العصر الاخميني بصيغة (هواجا)، ودعاها اليونان باسم العاصمة (السوس، سوسا) فسموها (سوسيانه) وورد جزء من هذه المنطقة باسم (انشان او انزان) نسبة الى اسم المدينة التي اشتهرت في هذا الجزء وكانت تقع الى الشمال الغربي من مدينة السوس وعلى نهر الكرخة، ولما احتل الاخمينيين هذه المنطقة صاروا يتلقبون بملوك انشان.

تعد عيلام جزءاً من جنوبي وادي الرافدين من ناحية الخصائص الجغرافية ومن الناحية الحضارية حيث التشابه الكبير في البناء الحضاري والاتصالات الثقافية منذ عصور ماقبل التأريخ، وهي لاتبعد عن بلاد سومر اكثر من ١٠٠ ميل، وغالباً ماصارت ولاية تابعة الى الدول التي قامت في وادي الرافدين، كما انها كانت واسطة للاتصال الحضاري بين سكان وادي الرافدين وبين المراكز الحضارية في الهند وغيرها من البلاد الآسيوية.

استوطن بلاد عيلام اقوام لايمتون بصلة الى الايرانيين المهاجرين اليها في بداية الالف الاول قبل الميلاد، وهناك آراء عدة حول اصل هؤلاء وظلت لغتهم في الاستعمال زهاء اربعة آلاف عام وسميت هذه اللغة بالخوزية بعض الاحيان[٦]، وقد حلت رموز اللغة العيلامية من النقوش الاخمينية في (پرسيپوليس وبهستون).

اما عن تاريخ بلاد عيلام فتزودنا المصادر السومرية والاكدية، اضافة الى مااستخرجت من آثار في تلك البلاد، اغلب حوادث المراحل التاريخية فيها، وخاصة انها بدأت منذ بداية الالف الثالث قبل الميلاد تزودنا بشئ من المصادر عن تأريخها.

ان اول اشارة الى عيلام دونت من قبل الحاكم التأريخي (ايناتم) من سلالة لجش الاولى الذي غزاها ولقب نفسه بـ(غازي عيلام، الجبل الكثير الاشجار).[٧] ومن بعد هذه الاشارة هناك اشارات اخرى الى غزوات ايناتم لعيلام ومن بعده تلت حملات اخرى الى تلك البلاد من قبل امراء لجش. وفي بداية العصر الاكدي احرز سرجون الاكدي نصراً كاسحاً على عيلام وباراهسي وضم بلاد السوس الى امبراطوريته. وظلت عيلام خاضعة لسيطرة الاكديين في عهد (مانشتوسو) بن سرجون لكنها حاولت الخروج عن طاعة الاكديين في عهد نارام سن الا ان هذا اخضعها من جديد وعين حاكماً من قبله على مدينة السوس. ومنذ هذا الوقت بلغ من نفوذ حضارة وادي الرافدين في عيلام في العهد الاكدي مبلغاً كبيراً بحيث ان اللغة الاكدية حلت محل اللغة العيلامية فيها

وبعد فترة الحكم الاكدي غزا الكوتيون (وهم من سكان المناطق الجبلية لشمال العراق) سهول بلاد مابين النهرين ولكن بعد اكثر من قرن من الزمان استطاع ايبي سن، الملك الخامس لسلالة اور الثالثة وآخر ملك سومري مهم قدير، من اعادة السيطرة على سوسة وادامدو وأوان ومناطق اخرى من بلاد عيلام ولكنها لم تدم طويلاً حيث اقتيد ايبي سن اسيراً مع تمثال اله القمر (نانار) الى سوسه نتيجة نزاع نشب معهم.[٨] وفي هذه الفترة نشأت في عيلام سلالة محلية جاءت بعض اخبار ملوكها وجملة وثائق مدونة باللغة الاكدية وتظهر فيها اسماء بعض الآلهة العيلامية، اشهرها الالهه (شالا) وزوجها (انشوشيناك) وقد احتل هؤلاء بعض المدن في بلاد مابين النهرين واستطاع احد ملوكهم المسمى (كودور مابوك) من تأسيس سلالة (لارسا) كما قضى ريم سن العيلامي على سلالة ايسن المعاصرة لها. لقد غزا في الواقع كودور مابوك مناطق الحدود بين عيلام وبلاد (ياموت - بال) اى بابل بعد ان سقطت سلاله نبلا - نوم في ايدي دولة صغيرة اخرى

فعزل آخر ملوكها زيلي ـ حدد واعتبر نفسه بعد ذلك حامياً لمدينة لارسا ونصب ابنه ملكا عليها بنا بقى هو في ياموت ـ بال. لقد كان اسما كودور مابوك وابيه سمتي سلشاك عيلاميين بنا كان اسم حفيده واراد سن اكدياً.

لقد امّن كودور مابوك الحماية لابنه ريم سن في السيطرة على بلاد سومر واكد، وبهذا تمكن مع الزمن من احتلال اوروك التي بقت لمدة اطول تتمتع بشيء من الاستقلال واخذ بعدها ينتزع عن امبراطورية سلالة اى ـ سن المدينة تلو الاخرى ويضمها الى سلطته وبذا احتل اغلب اجزاء البلاد باستثناء بابل ومقاطعاتها الصغيرة.(٩) واستطاع هؤلاء ان يظلوا اصحاب السياسة في تلك الاجزاء لبعض الوقت حتى ظهر شخصية سياسيه قوية في بابل. لقد اعتلى حمورابي عرش بابل وكسب عطف الملوك المحليين في مدن بلاد مابين النهرين فضلاً عن كفاحه مرحلة بعد اخرى ضد حكام من بني جلدته او اجانب عنه. وبعد سبع سنين من اعتلائه العرش بدا للبعض وكأن حمورابي سيقضي عاجلاً على خصمه الأكبر ريم سن وقد تحقق ذلك له ودخلت بلاد عيلام ضمن امبراطورية حمورابي. وفي نهاية سلالة بابل الأولى انفصلت عيلام وقامت فيها سلالة حاكمة رافق حكمها فترة الاحتلال الكاشي لبلاد بابل. وقد استطاع احد ملوك عيلام وهو (شوتروك ناخونته) من وضع نهاية للحكم الكاشي في بابل بعد ستة قرون وقد نهبها واخذ معه غنائم مهمة اشهرها المسلة التي نقش فيها حمورابي شريعته المشهورة ومسلة نارام سن، حيث وجدت في عاصمة عيلام (السوس) اثناء التحريات الاثارية فيها. ولعل اشهر الملوك الذين حكموا عيلام فضلاً عن (شوتروك ناخونته) هم (كوتور ناخونته وشيلهاك انشوشيناك) وغيرهم، وقد ازدهرت بلاد عيلام في عهد هؤلاء في عمرانها وثقافتها وفي قوتها السياسية وسعة حدود حكمها، بجانب انتشار استعمال اللغة العيلامية وكتابتها وخطوطها الخاصة بها، ولكن لم يدم هذا العهد زمنا طويلا اذ حل التدهور في عيلام خلال بداية الالف الاول قبل الميلاد بوصول العناصر الايرانية (الميدية والفارسية) الى غربي ايران حيث صادف ذلك تعاظم الآشوريين وسيطرتهم على معظم البلدان التي احاطت بدولتهم وبضمن ذلك بلاد عيلام. وقد قام ملوك آشور بعدة حملات على عيلام وكان آخر الضربات هي التي وجهها الملك الآشوري (آشور بانيبال) على بلاد عيلام حيث دمرها ودمر العاصمة وازال الدولة العيلامية من الوجود وبعد قيام دولة ميديا وظهور الدولة الاكدية في بابل حطم نبوخذنصر جموع العيلاميين واستولى على عاصمتهم السوس، وقد اعاد تمثال مردوخ الذي اخذه العيلاميون سابقاً.

المبحث الثاني
الميديون

يعتبر الميديون احدى المجموعات البشرية التي تداولت نوعا من اللغات الهندو اوربية وهاجرت ضمن الهجرات الواسعة للقبائل من شرق القزوين نحو بلاد ايران الحالية واستمرت في زحفها نحو جبال زاكروس ومناطق غرب ايران. لقد كانت هذه القبائل تعيش في الاصل في المقاطعات الواقعة بين حدود الصين من الشرق ووديان نهر الدانوب في الغرب، اي السهول الواقعة جنوب روسيا الحالية، وفي مطلع الالف الأول قبل الميلاد توجهت نحو الجنوب ودخلت بلاد ايران بالتدريج وتقدمت نحو بلاد الكوتيين واللولوبيين والكاسيين والماننا سكان جبال زاكروس القدماء واختلطوا بهم. وقد اطلقت هذه القبائل في البداية على نفسها اسم (آريا) وشملت الميدين والاخمينين والاسكيث واساكارتيا والكميريين والفرث وغيرهم وسموا موطنهم الجديد باسم (آريانا) الذي تطور فيما بعد الى (ايران).

تأتي اخبار القبائل الايرانية في السجلات الآشورية لأول مرة في القرن التاسع قبل الميلاد[١٠]، وقد ذكر شلمانصر الثالث في السنة السادس عشر من حكمه، عند تسجيل اخبار حملته عام ٨٤٤ ق.ن، بلاد (پارسوا) كما وذكر الميدين عام ٨٣٦ ق.م في السنة الرابعة والعشرين من حكمه،[١١] وكانت هذه القبائل لاتزال في حالة البداوة الا ان اغلبيتها استقرت في منطقة همدان والسواحل الجنوبية من بحيرة اورمية، لكن الفرس (وعلى الاغلب الاخمينيون منهم) استقروا فيما بعد في جنوب غرب ايران حيث احتلوا تدريجيا المناطق العيلامية وطغوا على سكانها، وخاصة بعد ان كان الآشوريون قد قضوا على كيانهم السياسي في زمن آشور بانيبال، ولم تعد هناك اية قوة تصدهم.

بعد ان استقر الميديون في ايران شملت بلادهم بمعناها الواسع الآراضي الواقعة شمال نهر آراس وقمم جبال البرز (جنوب بحر قزوين) وفي الشرق دشتي كوير، اما في الغرب فشملت مرتفعات في جبال زاكروس. ويمكن تقسيم هذه البلاد الى المقاطعات الآتية :

القسم الاول : ميديا اتروپاتين ـ وشملت المقاطعات الشمالية لنهر آراس ماراً الى الجنوب لحد جبل الوند وضمت مناطق بحيرة اورميه ونهر جغتو وماتحيط به من أنهار وكذلك حوض نهر (سفيدرود) الذي يقطع جبال البرز قرب مدينة (رشت) ويصب في بحر قزوين· وبذا احتوى هذا القسم من ميديا كل من بلاد اذربيجان وكوردستان ايران الحالية·

القسم الثاني : ميديا الصغرى ـ وشملت بعض المناطق المتموجة التي تقع بين سلسلتين جبليتين اتصلتا بجبال البرز التي تمتد من الجنوب نحو بحر قزوين في الشمال، واعلى جبل في هذه المنطقة هو جبل دماوند

القسم الثالث : پاريتاكينا : وهي منطقة تقع بين سلسلتين من الجبال بدأت بجبل (رود) وتلتقيان في النهاية بجبال زاكروس يمر بها (نهر زودك) وكانت تحد هذه المنطقة قديما مع بلاد اورارتو في الغرب ثم مع أرمينيا بوقت متأخر ،اما في الشمال مع قوم اشتهر بـ(الألبان) وحوالي بحر قزوين كانت تحد هذه المنطقة مع مراكز تجمع الكاسپيين والكادوسيين والجيل (الكَيلان)· وهكذا فان الطرق التي كانت توصل المراكز المدنية في بلاد آسيا الغربية مع قفقاسيا وآسيا الوسطى والهند كانت تمر ببلاد ميديا، هذه البلاد التي تغيرت حدودها بعد سقوط الامبراطورية الميدية حسب اقوال مدوني اخبار دولة الاخمينيين والمقدونيين ثم اليونان والرومان·

ويحتمل ان تسميق (پارسوا) و (ماداى) اللتين ذكرتا في المدونات الآشورية لايدلان على سمات قومية في البداية، الا ان قبائل ذات لغات ايرانية سكنت في المقاطعات التي سميت بتلك الاسماء اشتهرت بها فيما بعد، وقد عاشت في الوقت نفسه بعض هذه القبائل في منطقة تبريز واتجهوا ايضاً نحو الغرب مقتربين من حدود مملكة اورارتو واشتهروا عند الاشوريين كـ(زيكرتو) وهم قبائل ساكَاريتا الايرانية الذين ابقوا اسمهم بصيغة جغرافية تشتهر بها جبال زاكروس·

وهكذا استقر قسم من الميدين في منطقة اصفهان واقتربوا بذلك من مناطق العيلاميين، وبعيداً في الشرق سكن الفرث في منطقة (پارثافا) الواقعة شرق بحر القزوين (مناطق تركانيا وقرغيزيا والكازاخ واوزبكستان السوفيتية الآن) بينما احتل الهراويون (هارايفا) واحات منطقة هراث في المقاطعات الجنوبية لخراسان (مناطق افغانستان وتركستان)·

لقد ذكر الملك الآشوري شمشي ادد (٨٢٨ ـ ٨١٠ ق٠م) اسم احد الزعماء الميدين في المنطقة الواقعة شمال بحيرة اورميه مع مجموعة كبيرة من مدنه التي كانت في الواقع مراكز تجمع الاتحادات القبلية الميدية في غرب ايران٠ كانت كل قبيلة تملك مايقرب من ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ من الفرسان الذين يعتبرون القوة التي كانت ملوك آشور يصدونها، وكان هؤلاء لايزالون في هذه الآونة في حالة البداوة ومستمرين في الهجرة نحو مراكز المدنية والتحضر في الغرب٠ وقد ظهر في هذه الفترة اسماء من المجموعات الايرانية الذين اشتركوا في جيش مملكة اورارتوا مما تدل على انهم كانوا قد زحفوا داخل المملكة المذكورة، لكن مملكة مانننا (وكانت تشمل اغلب المناطق الكردية في ايران) كانت لاتزال تحافظ على سماتها القومية وكان سكانها من العناصر القديمة التي اتخذت هذه البلاد وطناً له٠

وقبل ظهور الامبراطورية الآشورية، كقوة عالمية مابين ٧٥٠ ق٠م و ٦٥٠ ق٠م نلاحظ وجود فترة قصيرة من الزمن، اتصف بها التطور الآشوري بالركود، وذلك في النصف الأول من القرن الثامن ق٠م٠ فبالرغم من بعض الحملات العسكرية التي قام بها الجيش الآشوري ضد بلاد الشام وضد الميدين، فقد مكث الملوك الآشوريون سنين كثيرة في الوطن، وهم ينظرون الى ملوك اورارتو وقد تخطوهم في الغرب حتى شمال بلاد الشام وفي الشرق حتى نهر اراكس (آراس) مستخدمين نفس اساليب وطرق الاشوريين التي اقتبسها عنهم الاورارتيون، مما قاد هذه الامبراطورية الى حافة الفناء.[١٢] وقد انتهى الصراع بين الاشوريين والاورارتين مؤقتا اثناء حكم شلمانصر الرابع (٧٨٢ ـ ٧٧٢ ق٠م) حيث كانت اورارتو تسيطر على حوض بحيرة اورميه وبعض المقاطعات الصغيرة شرق آسيا الصغرى وشمال العراق٠ وقد وضع حداً لهذا الانهيار والتدهور في السلطة الآشورية الملك تيغلات پلاصر الثالث حين تبوأ عرش آشور بالقوة واسترجع جميع المناطق التي كانت تقع بين نهر الفرات وبحر الابيض المتوسط٠

اما فيما يتعلق بـ(اورارتو) فلم يصطدم تيغلات پلاصر بادئ الأمر مع مملكتها على اراضيها، وانما حدد ارض المعركة على تراب شمال بلاد الشام التي كان فيها اهم حلفاء ساردور الثاني ملك اورارتو٠ ان تسديد ضربة قاضية ضد حلفاء الاورارتيين في هذه المنطقة يعنى كذلك زعزعة المركز العالمي لـ(اورارتو)٠ لقد وقف الى جانب ساردور ملوك كوخ وميليتين وغيرهم من الملوك المحليين ونشبت في كوخ على الشط الغربي من الفرات عام ٧٤٣ ق٠م المعركة الفاصلة بين تيغلات پلاصر الثالث وساردور الثاني الذي لم

يستطع الا بصعوبة النجاة بحياته مرتدا وتقهقروا الى بلاد، حيث ضرب عليه الحصار في عاصمته توشپا أ على بحيرة وان الحالية من قبل الاشوريين الذين دخلوا الى عمق الاراضي الأورارتية. وبالرغم من ان ساردور لم يستسلم لتيغلات پلاصر، الا ان عظمة اورارتو قد تحطمت.

تبع هذه الانتصارات قيام تيغلات پلاصر الثالث بعدة حملات في المقاطعات الغربية لايران وجبال زاكروس، ومرة اخرى بدأت المدونات الآشورية في زمانه تذكر اسماء امراء ايرانيين بجانب الاسماء المحلية للأمراء من غير الايرانيين (من السكان المحليين). وقد دخل الاشوريون بلاد ميديا وحاربوا الميدين في شمال غرب همدان وواصلوا تقدمهم حتى جبل بيكنى (دماوند الحالي) وصحراء الملح. لقد ورد في هذه المدونات اسماء مدن مثل شيركارى او شيلكا (ويحتمل ان تكون سيالك) ومقاطعات مثل نيسهاى (سهل نيساي) جنوب همدان الذي اشتهر بخيولها البرية آنذاك، ثم اسس تيغلات پلاصر الثالث ادارات آشورية في هذه المقاطعات الميدية. ارتبطت مباشرة بالملك وعين لكل منها حاكماً محلياً. وكان من سياسته نقل السكان من منطقة الى اخرى داخل الامبراطورية وذلك لتأمين السلطة الادارية للاشوريين عليهم، لذا فقد نقل مايقرب من ٦٥٫٠٠٠ شخص من تلك المقاطعات الميدية واسكنهم على وادي نهر ديالى[١٣] كما اجرى نفس العملية مع سكان المقاطعات الاخرى، ولم يكن في هذه الحالة تهجير سكان بلاد بابل شيئاً جديداً في حد ذاته، بل الاسلوب والعزم اللذين اتبعهما تيغلات پلاصر الثالث في حل الامور، وسار عليها في اعادة تنظيم عالم الشرق الادنى القديم من جديد.

بدأ في هذه الآونة (روساس الأول) ملك اورارتو بدعم الممالك الصغيرة وزعمائها المواجهين للحدود الآشورية وشجع قيام اتحاد سياسي بينهم، وقد نجحت هذه الخطة بعض الشئ وخاصة بين الزعماء الميدين اللذين ظهر بينهم شخص لُقب بـ(دياكو او دهيوكو) الذي اعتبره المؤرخ اليوناني هيرودوت بمؤسس الدولة الميدية. ودون اسمه بصيغة (ديوكيس) وهو في الواقع (ديوك) ابن (فرائورت). ولم يدون اخباراً مفصلة حول دوره السياسي الا اننا لو سلمنا بصحة السنين التي اوردها هيرودوت في كتابه (التأريخ) فيكون بداية حكم (ديوك) عام ٧٢٧ ق.م او ٦٩٩ ق.م الا ان هذا التأريخ يتعارض مع تأريخ السجلات الآشورية. لذا فأقرب السنين لحكم هذا الزعيم الميدي هو فيما بين ٧٨٨ و ٧٤٥ ق.م[١٤]

لقد حكم ديوك مايقرب من ٥٠ ـ ٥٣ عاماً وقد قضى الاشوريون عليه عام ٧١٥ ق٠م٠ وبالرغم من كثرة حروب وحملات الملك الاشوري سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥) فقد ظلت ميديا مسرحاً لاكثر عملياته الحربية وذلك لان تمردات عديدة ضد السلطة الاشورية قد حدثت هناك٠ فعصى (المانا) تحت اشراف زعماء ميدين ومدفوعين من قبل الملك الاورارتي روساس٠ كما انه نقل ٣٠,٠٠٠ من سكان السامرة في فلسطين ووزعهم في المدن الميدية٠ وبالرغم من ان سرجون قد سنحت له الفرصة، نتيجة ذلك ليهاجم مملكة اورارتو الضعيفة تحت ظل شروط موضوعية جيدة وليقضي نهائياً على سلطتها، الا ان بلاد آشور كانت تجابه تمردات وثورات عديدة من الداخل٠ فضلاً عن ان سرجون وقف امام الدولة الكلدانية في بابل كأنشط وأعند منافس له في الجنوب٠ وقد الحق (مردوك ـ ايال ـ ادّينا) وبواسطة حليفه ملك عيلام بسرجون هزيمة ادت به ان ينسحب من بلاد بابل لكنه هاجمها بعد اثنى عشر عاماً عقب حملته الصغيرة الى الشرق من دجلة وفصلها ستراتيجيا ٠٠ بلاد عيلام حيث اكره (مردوك ابال أدينا) على الهرب٠

وهكذا استمرت المملكة الاورارتية بتحسين علاقاتها مع الزعماء المحليين في غرب ايران وارسل (ديوكو) الميدي ابنه الى البلاط الاورارتي لتوطيد تلك العلاقة، لذا قبض الاشوريون على ديوكو واسرته، ونفوهم الى منطقة حماه في سوريا٠ وفي الواقع لايعرف البلاد التي حكمها هذا الحاكم الميدي الا ان (المانا) دعموا حكمه وكان مركز ثقل هذا الحكم منطقة همدان، وهو يعتبر اول من وحّد بعض القبائل الميدية سياسياً.(١٥)

وحينما قام سرجون بالحملة على بلاد ميديا، استمر في زحفه عام ٧١٣ ق٠م الى ماوراء منطقة همدان وقبض على ٤٢ زعيماً محلياً وكان اسماء اغلبهم تنتمي الى العالم الايراني ومن بينهم ديوكو وقبيلته (بيث ديوكو) التي قادت القبائل الأخرى ضد السلطة الآشورية٠ وقد تزعم ابنه خشتريتا ٦٥٥ ـ ٦٣٣ ق٠م (الذي سماه هيرودوث فرائورتيس) هذه القبائل ضمن اتحاد سياسي واستمر على التمرد ضد الاشوريين وخاصة عندما كان الملك الاشوري سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق٠م) منشغلاً بحملاته ضد عيلام ومصر وبابل٠ وبدأ خشتريتا بمحاولات لتوحيد المقاطعات الميدية بالاضافة الى المانا وقبائل الكيميريين الذين تواجدوا مع الاسكيث عبر قفقاسيا في شرق اسيا الصغرى وغربي ايران٠ وقد جرأ هذا على الهجوم على بلاد آشور ولكنه دحر في عام ٦٥٣ ق٠م واستغل الاخمينيون الفرس هذه الحادثة وبدأوا لايعترفون بتبعيتهم للميدين وانظم كبيرهم (المسمى كورش وهو غير كورش الاكبر الذي

اسس الدولة الاخمينية) الى العيلاميين ثم اظهر خضوعه للاشوريين وارسل جزية مع ابنه الى نينوى وضمن بذلك استقلاله.(١٦)

لم تؤثر انسياب القبائل الاسكيثية الى المناطق التي تحيط ببحيرة اورميه بأى شكل محاولات الميديين ضد آشور بقيادة خشثريتا الذي استطاع توحيد المناطق الواقعة بين همدان ودماوند والمناطق الجنوبية حوالى حدود الصحراء الوسطى في ايران. ويحتمل ان نشوء بوادر الدولة الميدية ترجع الى هذه الفترة وخاصة فيما بين ٦٢٥ ـ ٦١٥ ق.م. ولكن يذكر هيرودوت بان خشثريتا (فرائورتيس) حكم ٢٢ عاماً اي الى حد عام ٦٥٢ ق.م حيث قتل في احدى المعارك وقضى على معظم قواته، والواقع فان اغلب تلك المعارك كانت تقع بين الميدين والاسكيثيين المتحالفين مع آشور، وقد اضاف هيرودوت بأن الاسكيث حكموا ٢٨ عاماً في آسيا حينما استمر (كى أخسار) ابن خشثريتا في حربه مع الآشوريين، وهاجم الاسكيثيون بلاد ميديا ونهبوها، وكان ذلك على اغلب الاحتمال عام ٦٢٥ ق.م، لان (كى اخسار) مات عام ٥٨٥ ق.م، وحسب قول هيرودوت انه حكم ٤٠ سنة وباضافة سني حكمه على تأريخ حياته يكون الرقم صحيحاً، وقد ورث حكم الميدين بعد ابيه وكان لايزال صغيراً. ويظهر ان ظهور الدولة الاسكيثية المؤقتة في غرب ايران وتحالفها مع الآشوريين كانت نتيجة الانتصار على خشثريتا وقد فرضوا الضرائب على الميديين الا ان زعماء الاسكيث لم يستطيعوا توحيد مناطق واسعة على غرار الاشوريين لتشكيل امبراطورية اسكيثية، لكنهم اوجدوا دويلة ذات نظام قبلي نتيجة الصراع الآشوري ـ الميدي وقد غدوا خطراً كذلك على اورارتو وانتهت الدولة الاورارتية بيدهم زمن ملكهم روسا الاول الذي احرق نفسه في قصره وكان يعاصر سرجون الثاني الاشوري.

وعندما اعتلى اسارحدون عرش آشور كان عليه ان يوجه انظاره الى خطر القبائل الميدية والاسكيثية والكيميرية في حدود امبراطوريته الشرقية والشمالية. لذا حاول ان يحالف السكيثين ضد التحالف الميدي ـ الكميري وزوج بابنة له للملك الاسكيثي (پارتوتوا)، وفي هذا الوقت على الأرجح، فقدت الامبراطورية الآشورية المقاطعة الميدية التي التحمت فيها كل القبائل الميدية في نظام دولة واحدة مستقلة. وبعد ٢٨ عاماً من حكم الاسكيث استطاع (كى اخسار) الميدي ان يدعو زعمائهم الى بلده حيث قبض عليهم وقتلهم، وبذا تخلص من اخطر منافسيه الذين تحالفوا مع الاشوريين ووضع نهاية للحكم الاسكيثي في حدوده الشمالية عام ٦١٦ ق.م وذلك بعد ان فشل في هجوم له على بلاد آشور، ولكن

اصبحت يده حرة طليقة الان ضد تلك البلاد. كما عرف اثناء ذلك كيف يجتذب (نبوبولاصر) الملك البابلي الى جانبه. وفي نفس الوقت الذي تغلب فيه (كى اخسار) على الاسكيثيين، ان (نبوبولاصر) قد احرز نصراً على الاشوريين والدول الآرامية في اواسط الفرات. ولكنه لم يستطع الصمود امام جيش آشورى - مصرى جديد، حتى انه اضطر في السنة التالية، للتراجع عن حصار مدينة آشور الذي كان قد بدأه، دون ان يتوصل الى اي نجاح. وبعد ذلك اي عام ٦١٤ ق.م عاد نبوبولاصر فظهر مرة ثانية على مسرح القتال. وهكذا عقد معاهدة حلف مع كى اخسار، بعد ان كان الميديون قد احتلوا مدينتي (تربيزو وآشور)، وبذا لم يبق سوى وقت قصير، لتزول الامبراطورية الآشورية نهائيا من الوجود، وقد تمت اثناء معاهدة الحلف مع (نبوپولاصر) ان تزوج بموجبها ابنه (نبوخذنصر) بابنة الملك الميدي المسماة (اميتا او اميتيس) واستؤنف الهجوم على نينوى. فبينما لم تحدث عام ٦١٣ ق.م سوى مناوشات ضعيفة الأهمية، سقطت مدينة نينوى عام ٦١٢ ق.م، اثر الهجوم الكاسح الثالث، في ايدى الميديين والكلدانيين. وقد حرق الملك زن - شوم - اوشكين نفسه مع اقرابه في قصره الخاص، ودمرت هذه المدينة ومعها المدينة الملكية القديمة كالح بصورة جذرية شاملة، لدرجة لم تستطع معها الاجيال اللاحقة تذكر موقعها او وصفها. اما آخر محاولة لانقاذ الموقف، فقد كانت على يد امير آشوري لقب نفسه بالاسم المشهور، اشور - او بليط حيث حاول تأسيس دولة في مدينة حران الآشورية التي كانت تتمتع بامتيارات استثنائية خاصة، غير انه اضطر للانسحاب تحت ضغط الميديين والكلدانيين، فلم يبق اذن الا ان تلفظ الامبراطورية الاشورية المحتضرة النفس الأخير، هذه القوة التي بقيت مسؤولة لألف عام مضت، عن نظام العالم لذلك الوقت. وبذلك اصبحت الدولة الميدية، عقب وصول (كى اخسار) في حملاته الى حد نهر هاليس (قزل ايرمق في اواسط الانضول) واتفاقه مع ملك ليديا بزواج استياك ابن كي اخسار بـ(ثاريانيا) ابنة الملك الليدي ثالياتى، رابع دولة كبرى في الشرق بعد مملكة مصر وبابل وليديا،وقد شملت بلاد آشور وميديا وفارس وشرق آسيا الصغرى وشمال بلاد مابين النهرين.

خلف ى اخسار في الحكم ابنه استياك عام ٥٨٤ ق.م / ٥٨٥ ق.م واستمر في الحكم لحد عام ٥٤٩ / ٥٥٠ ق.م وهو آخر ملوك الميدين ولم تحدث في زمنه احداث كبرى تلفت نظر معاصريه الا مايتعلق بانتقال الحكم في اواخر ايامه من يده الى كورش الاخميني الفارسى الذي سيتبين في الموضوع الآتي

المبحث الثالث

الاخمينيون

ان اول ملك حكم في بلاد فارس جنوبي غرب ايران، حسبما يخبرنا بذلك المؤرخ اليوناني هيرودوت هو (تيسپيس او چيشپيش) بين اعوام ٦٧٥ ـ ٦٤٠ ق·م) ابن شخص اسمه (هخامنيش) رأس السلالة الهخامنشية (الاخمينية)، وقد لقب نفسه بملك (انشان) واعترف بسيادة الميدين في عهد فرائورت (خشثريتا) ولكن بعد موت هذ الملك الميدي واجتياح الاسكيثيين لبلاد ميديا اصبحت الاسرة الاخمينية تشعر باستقلالية اكثر، وبعد موت تيسپيس انقسمت مملكته بين ولديه (آريامنا ٦٤٠ ـ ٥٩٠ ق·م) و(كورش الاول ٦٤٠ ـ ٦٠٠ ق·م) وفي فترة حروب آشور بانيبال مع العيلاميين سلم كورش ابنه الاكبر الى الدولة الآشورية المنتصرة رمز ولائه لها، ولكن هذا الوضع تغير بعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق·م حيث اصبح ملوك السلالة الاخمينية تابعين للملك الميدي، وقد خلف آريامنا ابنه (ارسام) الذي تخلى عن الحكم لـ(قمبيز الأول ابن كورش الاول) ابن عمه، ويظهر ان الحدث قد تم بمعرفة وبموافقة الملك الميدي.(١٧)

بالرغم من الاقوال المتباينة لمؤرخي اليونان حول تحول الحكم من ايدي الميدين الى ايدي الاخمينيين، فانه من السائد لديهم صحة زواج قمبيز الاول من ابنة الملك الميدي (استياك) المسماة (مندانه)، والذي لاشك فيه ان هذا الزواج قد قوى من مكانة السلالة الاخمينية· وفي الواقع بقي عالم الشرق الادنى حتى منتصف القرن السادس قبل الميلاد مقسما بين سلطتي ميديا وبابل وفقاً لتخطيط كى اخسار ونبوخذنصر ولم يلعب الاخمينيون في هذا الجزء من العالم سوى دور ثانوي حتى وان كان قمبيز الاول قد تزوج ابنة الملك الميدي استياك وقد ظل ابنه كورش الثاني (الاكبر) في البداية ملكاً تابعاً للملك الميدي الكبير·

ويظهر انه قبل موت ابيه كان كورش قد عاش في ميديا مدة من الزمن واشترك في بعض الحملات العسكرية فيها، لكنه انقلب على الملك الميدي وحاربه ثلاث سنوات· ولقد رفض كورش عام ٥٥٢ ق·م اي بعد ست سنوات من توليه العرش في فارس، طلب مليكه الميدي الاكبر (استياك) المثول امامه في اكبتانا (همدان) للدفاع عن نفسه بعد عصيانه، الا انه لم يكتف بهذا العصيان بل بدأ الحرب ضد الميديين وانتصر على استياك

بمساعدة بعض زعماء الميدين. لكن ملوك الاخمينيين الأوائل استمروا يلقبون انفسهم بلقب ملوك الفرس والميدين. وقد اغتنم (نابونائيد) الفرصة مستبشراً، ليعيد السيطرة على مدينة حرّان في شمال بلاد مابين النهرين بعد انهيار السلطة الميدية في هذه المناطق.

لم يقف كورش عند هذا الحد وانما بدأ يحتل مناطق واسعة من بلدان غربي آسيا لذا وقفت دول المدن اليونانية وفرعون مصر وملك بابل بوجه هذا الغازي الطموح، بينما عقد اليهود الآمال على نصره.

وفي عام ٥٤٦ ق.م هزم كورش الجيش الليدي واحتل سارديس عاصمة (كروسس) ملك ليديا، وهكذا وقع اليونانيون ولأول مرة تحت الاحتلال الفارسي وبعد ست سنوات (٥٣٩ ق.م) احتل كورش مدينة بابل بعدما وجه هجوماً من عيلام ضد اوروك ومن وادي ديالى ضد سيبار.

وهكذا فبتمرده ضد مليكه الميدي (استياك) ورث كورش الاجزاء التابعة لمملكتي ميديا وبابل، اضافة الى ضمه للبلاد الواقعة حوالي نهر السيحون والجيحون شرق بحر القزوين في اواسط آسيا والتي اشتهرت ببلاد الصُغد. وبذا تجاوزت سلطته تلك المناطق التي عرفها ملوك ميديا وبابل مع احتواء الثقافات العديدة لشعوبها انعكست بالحكمة الكلدانية وفلاسفة الطبيعة الأيونيين وكذلك ديانتي (يهوه) و (آهورا مازدا) بالاضافة الى عبادةالاله مردوك من خلال العقيدة البابلية العريقة المتطورة.

مات كورش عام ٥٢٨ ق.م متأثراً على الارجح بجراح اصابته في غزوة طارد بها بدو (الساكا) في الشمال الشرقي من امبراطوريته عبر اواسط آسيا، وخلفه في الحكم ابنه الأكبر (قمبيز الثاني ٥٣٠ ـ ٥٢٢ ق.م) الذي كان قاسيا وغريب الاطوار، ولو لم يلق حتفه في بلاد الشام بعد حكم ظالم دام فترة قصيرة فشلت بسببه فكرة الامبراطورية الاخمينية كليا. لقد اشركه ابوه في الحكم في خلال الثماني سنوات الأخيرة من حكمه، وكان لكورش ابن ثان هو (بارديا) اودع اليه ابوه ادارة الاقاليم الشرقية من الامبراطورية. ولما تبوأ قمبيز العرش بدأت الاضطرابات الناشئة عن المؤامرات التي يرجح اشتراك (بارديا) فيها فاتهمه اخوه ودبر امر اغتياله. وبعد ان وطد الأمور داخل المملكة قاد حملة الى وادي النيل وبعد معركة شديدة تقهقر الجيش المصري الى مدينة (منف) التي سقطت بيد الاخمينيين. ومع ان قمبيز انتصر على پسامتيك الثالث فرعون مصر بالقرب من بيلسيوم بعد حرب خطط لها بكل عناية وضم على اثرها مصر الى الامبراطورية الا انه كان اشد معاملة مع السكان

المحليين وتقاليدهم نسبة الى ابيه. وقد تجلى هذا التناقض في الطرق الشاذة التي سلكها عند تنصيب نفسه فرعوناً على مصر. ففي الوقت الذي قام فيه بتقديس بعض الآلهة المصرية واحترامها ومنح كهنتها امتيازات خاصة، هدم بالمقابل معابد اخرى واحتقر تقديس الحيوانات عند المصريين وعبادتها اذ انه لم يظهر تفهما لها. وباالرغم من اعداده الخطط لحملات على قرطاجة والحبشة وواحة آمون في بادية طرابلس على الطريق الى ليبيا وتنفيذه لقسم من هذه الخطط، فانه اضطر في الاسراع الى الرجوع نحو آسيا وذلك اثر وصول انباء الثورة التي قامت في ايران من قبل شخص انتحل شخصية (بارديا) واشتهر باسم (كَاوماتا) الكاهن المجوسي. فادعى هذا بالعرش واعلن نفسه ملكاً عام ٥٢٢ ق.م فقبلت الولايات جميعاً هذا الملك الدعى الذي دارى الناس واعفاهم من الضرائب ثلاث سنوات، ولايعلم اين مات قمبيز اثناء عودته في الشام ولكن جيشه رجع الى بلاده وظل مواليا للسلالة الاخمينية حيث انحاز الى النبلاء السبعة الذين تآمروا عل (كَاوماتا) بزعامة (دارا بن هستاسپس) الذي ينتمي الى فرع آخر من السلالة الاخمينية. فهو حفيد (آريارامنا) ملك (بارسا) الوحيد الذي كان (كی اخسار) الميدي قد قهره، وصاحب نفوش جبل بهستون التي كتبت بالخص المسماري في لغات ثلاث، الفارسية القديمة والعيلامية والاكدية وتتضمن موضوع توليه السلطة واعماله واخبار امبراطوريته وانقاذها من التفكك عندما نشبت الثورات المحلية خاصة في القسم الشرقي منها. وقد قضى على تسعة ملوك محليين ومن بينهم (كَاوماتا) الساحر الذي ادعى انه بارديا شقيق قمبيز وچيثران تاخما الذي ادعى انه حفيد (كي اخسار) الميدي و(ندينتو ـ بل ابن نابونائيد) وغيرهم ونقش صورهم واقفين امامه فوق الكتابات المسمارية المذكورة. وبدأ دارا باحتلال جديد لولايات الامبراطورية اثناء قضائه على الثورات الداخلية ومنها احتلال مصر وسورية وليديا والسوس وميديا وارمينيا وآشور وبابل. وكانت ثورة بابل شديدة وكلف اخضاع الولاية ثمناً غاليا. فقد اعلن ندينتو ـ بل نفسه ملكاً على بابل باسم (نبوخذنصر الثالث) ولاقى الجيش الاخميني مصاعب في الاقتراب من العاصمه، حيث وضع هذ الملك جيشاً قوياً واسطولاً على ضفة دجلة الغربي، وبعد هجوم مباغت عبر دارا النهر ثم وصل الى بابل وحاصرها، وفيما كان في الحصار بلغته الأنباء بثورة ثانية في بلاد السوس. وقد قاومت بابل الهجمة الاخمينية مقاومة شديدة ولكنها استسلمت في الشهر الحادي عشر من حكم هذا الثائر البابلي (شباط ٥٢١ ق.م). وقتل دارا اغلب وجهاء هذه المدينة العريقة في التأريخ.

قسم دارا الاخميني امبراطوريته الى عشرين ولاية، كل ولاية يحكمها (ساتراب) وكان هؤلاء الولاة يختارون من النبلاء او من الاسرة المالكة. وعمل ستاً وثلاثين سنة متواصلة من حكمه في البناء الداخلي والخارجي لدولته التي امتدت من الحدود الليبية في شمال افريقيا والساحل الايجي حتى نهر الهندوس ومن البحر الأسود وبحر قزوين في الشمال حتى المحيط الهندي في الجنوب. ولم تكن حملاته ضد الهنود والاسكيثيين الا لتدعيم حدود امبراطوريته. ففي نحو٥١٢ ق.م وجّه حملة ضد الاسكيثيين وتعقبهم من آسيا الصغرى الى جنوب روسيا (بلاد سكيثيا) حيث عبر البسفور ونهر الدانوب الى الفولغا واصطدم خلالها بدول المدن اليونانية التي ثارت عليه ولكن الثورة فشلت بسبب زعمائها. واحتل الفرس مناطق ومدن عديدة في بلاد اليونان وقامت معارك في البر والبحر الا ان اثينا هزمتهم شر هزيمة في معركة ماراثون بقيادة البولمارخوس كاليماكوس وميلتيادس وقد قدرت خسارة الاثينيين ب ١٩٢ رجلاً في حين خسر الاخمينيون ٦٤٠٠ رجلٍ فكانت هذه نكسة غير متوقعة للغزاة. استمر دارا في محاربة اثينا بعد اندحاره في ماراثون، ولكن المنية وافته في سنة ٤٨٥ فآل تحقيق امنيته الى ابنه احشويروش الذي خلفه على العرش واشتهر في الكتابات اليونانية بـ(كسيركس Xerxes ٤٨٦ ـ ٤٦٥ ق.م)

اعتلى احشويروش العرش الاخميني بعد ان كان نائباً لأبيه دارا على بابل طوال ١٢ عاماً. وقد استمر باستعمال القسوة والعنف في اخماد ثورات الشعوب المغلوبة على امرها وسلك سبيل العنف كذلك في بابل التي حاولت الاستقلال ايضاً عندما ثارت ضد الاحتلال الاخميني. وقد بلغ من حقد وغضب احشويرش انه بعد ان قضى على مقاومة الثائرين خرّب مدينة بابل، ولاسيما حصونها ومعابدها ونهب تمثالاً من الذهب للاله مردوخ. وبلغ التدمير مبلغاً بحيث يروى ان الاسكندر المقدوني لما فتح بابل حاول تعمير المعابد ولكنه وجد ان ذلك يكلفه عملا كبيرا.

ومن جهة اخرى فقد خطط احشويرش للقيام بغزو بلاد اليونان على نطاق واسع. فسار عام ٤٨٠ ق.م من ساردیس وعبر الهيليسپونتوس (الدردنيل) على جسر عظيم من الزوارق امر بوضعها على عرض المضائق بالقرب من ابيدوس. وسار من هناك على طول ساحل تراقيا الى دوريسكوس ثم وصل ثيرما بمقدونيا وبعد معارك جانبية انسحب الى آسيا تاركاً وراءه الجزء الاكبر من جيشه في الجانب الأوربي بعد ان جابه مقاومة بطولية على يد جيش صغير من اليونان بقيادة ملك اسبرطة. واخيراً احرز الاغريق النصر باسطولهم الذي حطم الاسطول الفارسي في معركة سلاميس (٤٨٠ ق.م). ومع ان الجيش الاخميني البري لم يتأثر بهذه الموقعة الا ان تحطيم اسطولهم قد اثر في اعصاب الامبراطور الاخميني فتقهقر مع الجيش البري نحو بلاده.(١٨)

لقد كان اثر هذا الانحدار على يد الاغريق اثراً بالغاً في الاخمينيين عدا التكاليف الجسيمة في المال والمعدات، كما ان احشويرش يئس من استئناف الحرب، لذا استقر في برسيبوليس وشغل نفسه في تعمير العاصمة. وقد بدأت السلالة الحاكمة تنهار في معنوياتها منذ اواخر حكمه حيث ساد العنف والاغتيالات والانحطاط ومؤمرات نساء القصر والملذات بين الطبقات الارستقراطيه الحاكمة التي كانت تدير الولايات، وانتهت حياة احشويرش في ٤٦٥ ق.م بأن اغتاله احد حجاب القصر.

خلف احشويرش ابنه اردشير الأول (ارتحشتاء Artaxerxes ٤٦٥ ـ ٤٢٤ ق.م) وقد بدأ حكمه بتمرد قام به اخوه فأخمد هذا التمرد واعقب ذلك قتله لجميع اخوته. ثم ثارت مصر بمساعدة اثينا التي كانت تحتاج الى صادرات من الغلات لتعذر الحصول عليها عبر البسفور بسبب احتلال الفرس، وقد فشلت الحملة الأولى في اخماد هذه الثورة، ولكن مدداً عظيماً مكن الجيش الاخميني من اخمادها ومن التغلب على الاسطول الاثيني في الدلتا. وخسرت الامبراطورية الاخمينية في عهده نفوذها في اسيا الصغرى عندما تنازل عن المدن الايونية فيها وجعل نهر الهاليس (قزل ايرمق) الحد بينه وبن اليونان، وكان هذا انخذالا لفارس

كانت الضرائب الباهضة التي فرضت على سكان بابل بجانب استيطان الفرس في هذه البلاد حيث صارت ادارتها مقتصرة عليهم من الاسباب التي حفزت هؤلاء السكان على الثورة بالرغم من سياسة نوع من التساهل في حرية العبادة ازاء البابلين التي اتبعها أردشير (أرتحشتا) الأول.

لقد ساءت الاوضاع في عهد خليفة ارتحشاء الأول المسمى احشويرش الثاني (٤٢٤ ق.م) الذي اغتيل بعد زمن قليل من اعتلائه العرش من جانب اخيه من ابيه، وقتل هذا بدوره على يد دارا الثاني (٤٢٤ ـ ٤٠٤ ق.م) الذي عم في عهده الفساد ومؤامرات، وبذرت الأموال على التدخل في الحروب الأثينية الاسبارطية في بلاد اليونان ، وآل الأمر بعد تمرد ساتراب (والى) سارديس الى تحالف الاخمينين مع اسبارطة حيث اعلن دارا الثاني الحرب على اثينا. كما عمت الثورات في جهات اخرى من الامبراطورية كبلاد ميديا ومصر.

بتوسلات امه وتضرعها فنجحت في اصدار العفو عنه واعادته الى حاكية ولاية آسيا الصغرى، لكنه جدد هناك الثورة على اخيه في خفية فجمع جيشاً مختلطاً من الفرس والاغريق المرتزقة واوهم اخاه بأنه سائر لاخماد بعض التمردات في شرق آسيا الصغرى، الاانه سار بهذا الجيش نحو بابل حيث دون احد المشاركين الاغريق وهو كسينوفون اخبار هذه الحملة ونتائجها في كتاب سماه (اناباسيس).

والاغريق المرتزقة واوهم اخاه بأنه سائر لاخماد بعض التمردات في شرق آسيا الصغرى، الا انه سار بهذا الجيش نحو بابل حيث دون احد المشاركين الاغريق وهو كسينوفون اخبار هذه الحملة ونتائجها في كتاب سماه (أناباسيس).

نازل كورش اخاه بنفسه في معركة كوناكسا قرب بابل الا انه قتل بضربة رمح قوية، فانهزمت جموعه ورجع المرتزقة الاغريق بقيادة كسينوفون الى بلادهم عبر ارمينيا وسواحل البحر الاسود متخذين ضفاف نهر دجلة شمالاً محوراً لمسيرتهم.

استمر ارتحشتا الثاني في ارشاء المدن الاغريقية ولاسيما اسبارطه واثينا احداهما ضد الاخرى وبلغ من انهاك قوى هاتين المدينتين انهما قبلتا بمعاهدة الصلح والسلم الذي اقترحه ارتحشتا الثاني نفسه مما عرف باسم. (سلام الملك) واصبحت معظم المدن الايونية تحت السيطرة الاخمينية. وقد رافق فترة حكم هذا الملك نزاع داخلي بين الولاة وعدم اطاعتهم له فضلاً عن استقلال بعض الولايات مثل مصر. وفي اواخر حكمه استطاع القضاء على بعض هذه الاضطرابات التي ظلت تسود بعض جهات الامبراطورية في عهد خليفته ارتحشتا الثالث الذي استمر في استعمال القسوة الشديدة تجاه رعاياه، حتى انه قتل جميع اخوته واخواته، ثم وجه همه لاخماد الثورات واستعادة مصر ولكنه فشل في ذلك، وقد تحالف صيدا مع مصر وثارت عليه فدمرها تدميراً وحشياً حيث احرقها مع الوف من سكانها في انقاض البيوت. وارسل بعدئذ حملة جديدة على مصر نجحت في احتلالها. لذا فاثناء تبوء دارا الثالث العرش كانت الاسرة الاخمينية قد اعادت احتلال اغلب الولايات التابعة لها في السابق.

لحق دارا الثالث في حكم الاخمينيين بعد ان مات ابن ارتحشتا الثالث مسموماً، ويعتبر من الحكام المتميزين في تأريخ الامبراطورية الاخمينية وان سقطت في ايامه هذه الامبراطورية واصبح الاسكندر المقدوني الوريث القوي لممتلكاتها. فبعد معركة (ايسوس) خذلت دارا شجاعته امام المقدونيين بقيادة الاسكندر فولى هاربا تاركاً جيشه في ارتباك وفوضى وخلف وراءه نساءه واهل بيته وقد عاملهم الاسكندر معاملة شريفة لائقة. ثم استقبل الاسكندر اثناء حصار مدينة صور وفداً من دارا قدم له فدية كبيرة عن عائلته واقتراحاً بحلف عسكري، لكنه اهمله وقصد مصر عام ٣٣٢ ق.م.

وبعد رجوعه من مصر توجه نحو شمال بلاد مابين النهرين فسار شرقاً الى نهر دجله وعبره بقرب فيشخابور، وسار الى (كَوكَميلا) غربي نهر الخازر شمالي غربي اربيل بنحو ٢٠ ميلاً، حيث وجد دارا معسكراً فجرت معركة كانت حاسمة في القضاء على الامبراطورية الاخمينية ثم فقد دارا جرأته مرة اخرى حين رأى قلب جيشه وميسرته يتراجعان امام

وطأة ميمنة الجيش المقدوني، فهرب من ساحة المعركة، وانتصر الاسكندر فاصبح سيد الشرق من تشرين الأول من عام ٣٣١ ق.م توقف الاسكندر حينئذ من ملاحقة دارا واستأنف سيره فاحتل بابل ثم مدينه السوس التي منحت له كنزها. وبعد ذلك بزمن قصير عاود سيره وعبر من ابواب السوس وفتح المدينتين الملكتين القديمتين للاخمينيين (پيرسيپوليس وپاسارگادى) وكانت فيها كنوز هائلة.

التجأ دارا بعد هزيمته قرب اربيل الى اكبتانا (همدان) فلحقه الاسكندر الى هنالك في اوائل سنة ٣٣٠ من پيرسيپوليس ولكنه وجد ان الملك قد هرب الى مقاطعات القزوين، فتبعه الى هناك مسرعاً. وفي هذه الاثناء كان دارا قد وقع بيد مرزبان باختريا فوضعه في الاغلال، ولما اصبح الاسكندر على مقربة من المرزبان طعن المرزبان دارا ليسهل امر هربه. فأمر الاسكندر بتسليم جسد دارا الى الملكة الأم ليدفن باحترام واجلال. وبهذا انتهى عصر الحكم الفارسي الاخميني على بلاد الشرق وحل عصر جديد امتزج خلاله الحضارة اليونانية بحضارات الشرق وعرف بالعصر الهلنستي.(١٩)

الفصل الثاني

الجوانب الحضارية
في
بلاد ايران

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في ايران خلال الالف الأول قبل الميلاد[٢٠]

مما لاشك فيه ان ماأكدته عاديات بلاد عيلام من الوجهة الحضارية هو تأثرها البالغ بالحضارة السومرية، حيث اشتقت منها عناصر اساسية. وبدأت هذه التأثيرات واضحة اكثر في العهد الذي سمي في العراق باسم (العهد الشبيه بالكتابي) اي النصف الثاني من طور الوركاء وجمدة نصر، وأول مايلاحظ من هذه التأثيرات الواضحة اقتباس العيلاميين للخط المسماري، حيث ظهر في هذه البلاد نوع من الكتابة الصورية (في حدود ٣٠٠٠ ق.م) على غرار الخط المسماري القديم السومري، وقد سمي هذا الخط بالمسماري العيلامي القديم، كما دون في عدة مئات من الواح الطين وجدت في السوس وظل مستعملاً الى العهد الاكدي، ثم تحولوا الى استعمال الكتابة المشتقة من الخط المسماري العراقي بعد اجراء بعض التعديلات والتغييرات فيه لجعله ملائماً لاصوات لغتهم، وتتألف هذه الكتابة من نحو (١٣١) علامة مسمارية مقطعية و(٢٥) علامة كل منها تقوم لكلمة (اي بطريقة الكتابة الرمزية) و(٧) علامات دالة، واختصروا في هذا الخط ايضاً مرة اخرى وجعلوه يتألف من (١١٣) علامة، منها (١٠٢) علامة مقطعية و(١١) علامة للكلمات وعلامات دالة.

ومن خلال اللغة المدونة في الالواح الكتابية لبلاد عيلام يظهر ان اقواماً استوطنت فيها ولاتمت بصلة لغوية بالاقوام الهندو ـ ايرانية التي سادت على تلك البلاد في الالف الاول قبل الميلاد كالميديين والاخمينيين. وهناك بعض الاشارات تدل على صلاتهم بسكان جبال زاكروس وشمال العراق القدماء كاللولوبيين والكوتيين والكاشيين، وتعتبر لغات هذه الاقوام من اللغات المحلية القديمة البائدة في هذه المناطق ولاتمت بصلة بأية مجموعة معروفة الآن.

اما في العصور القديمة فالمصادر المهمة للتعرف على تأريخ عيلام مأخوذة من الكتابات التأريخية في حضارة وادي الرافدين وتتحدث عن قيام امارات وسلالات حكمت عيلام في منتصف الألف الثالث ق.م، وامتد سلطانها الى بعض الاقاليم الجبلية المجاورة والى القرب

من العاصمة المتأخرة بيرسيبوليس واقليم بوشير وحتى الخليج العربي. وبالمقابل فقد فتح السومريون بلاد عيلام، كما تعرضت الى ضربات شديدة بقيام السلالة الاكدية في العراق حيث قام سرجون الاكدي بحملة عليها واحرز نصراً كاسحاً. وبلغ من نفوذ حضارة وادي الرافدين في عيلام في العهد الاكدي مبلغاً كبيراً بحيث ان اللغة الاكدية حلت محل اللغة العيلامية في بلاد عيلام، وسمى كثير من السكان انفسهم باسماء عراقية، ويبدو ان العيلاميين تظاهروا بالركون الى سياسة الخضوع والطاعة فأفادوا من ذلك اذ حصلوا على رضا فاتحيهم وسلموا من التدمير والتخريب حتى ان نارام - سن لم يخش من ان يعين على بلاد عيلام واليا من العيلاميين انفسهم خلفا للحاكم الاكدي لاذي عينه من قبل. فاستغل هذا الحاكم العيلامي (واسمه بوزور - انشوشيناك) ثقة الاكديين واخذ يبذر بذور التمرد لاحياء التراث المحلي، حتى صارت النصوص تكتب في عهده باللغة العيلامية والخط اليلامي القديم الى جانب اللغة الاكدية، كما اشتهر بأعماله العمرانية البنائية في مدينة السوس، واستطاع ان يحتل جملة اقاليم الى جهة الشمال شرق الزاب الاسفل متظاهراً بحماية ولاية عيلام التابعة الى الدولة الاكدية. ولما مات نارام - سن اعلن هذا الوالي استقلاله عن الاكديين، ولم يكتف بذلك بل انه غزا بلاد الاكديين نفسها في عهد الضعف الذي حل بالسلالة الاكدية.

لم يدم الازدهار السياسي زمناً طويلاً في عيلام، اذ ان ضعف السلالة الأكدية من بعد نارام - سن عرض العيلاميين كذلك الى خطر آخر من سكان جبال زاكَروس الآخرين الذين سكنوا شمال عيلام كاللوبيين والكوتيين. ويبدو ان الكوتيين الذين قضوا على السلالة الاكدية واحتلوا بلاد سومر واكد قد فرضوا سيطرتهم ايضاً على بلاد عيلام. وبعد طرد الكوتيين من العراق وقيام سلالة اور الثالثة وانشائها امبراطورية كبرى دخلت بلاد عيلام ضمن هذه الامبراطورية لحد سقوطها. وفي نهاية سلالة اور الثالثة غزا العيلاميون العراق واسس ملكهم (كودور مابوك) سلالة لارسا وقد لقب نفسه بملك لارسا وبملك سومر واكد ودون كتاباته ايضاً باللغة السومرية القديمة المقدسة، كما وسع بسخاء معبد الاله (سن) اله القمر في مدينة اور حتى ان اخته اصبحت كبيرة كاهنات هذا الاله. الا ان في عهد حفيده (ريم - سن) دحر حمورابي قوة العيلاميين ثم دخلت عيلام نفسها ضمن امبراطورية حمورابي. ولكن استعادت بلاد عيلام استقلالها في عهد الاحتلال الكاشي لبلاد بابل الا ان العيلاميين استعادوا احتلال هذه البلاد من الكاشيين بعد ستة قرون وقضوا على السلالة الكاشية هناك. وقد قام منهم في هذا العهد ملوك اقوياء مثل (شوتروك - ناخونته وكوتور ناخونته وشيلهاك انشوشيناك) كما ازدهرت عيلام في هذا العهد في

عمرانها وثقافتها، وفي قوتها السياسية، كما نشطت الثقافة المحلية، وانتشر استعمال اللغة العيلامية بالخط العيلامي. ومع كل ذلك وبالرغم من ظهور معبودات عيلامية محلية واشهرها الاله (شالا) وزوجها (انشوشيناك) في بلاد عيلام لكن شاعت عبادة الآلهة البابلية خلال عهود متباينة من تأريخ هذه البلاد مما تدل على ذلك التأثير القوي للعراقيين في البناء الروحي للمجتمع العيلامي ومع كون لدين عيلام شخصيته المتميزة على الدوام منها تقديس العنصر الانثوي في السحر وقوى العالم السفلي والاهتمام بعبادة الحيات الا ان الأصول الاولية لهذا الدين غير معروفة. وكان لديهم ربة مهمة هي **پنكير** (تقابل عشتار) وهي الربة العظمى، ثم الرب (خومبان) زوج الربة الأم، والارباب خوتران وايشمة كاراب، لاكامال، ابا رغيرهم. هذا جنبا الى جنب الارباب العراقية مثل ادد، اتكى،/انليل، ايشوم، نركَال وغيرهم.

اما المعابد فقد شيدت على الاغلب بصورة عاليه مستطيل الشكل وعلى مرتفع اصطناعي كما تظهر على رسوم الاختام الاسطوانيه. وزينت هذه المعابد بالطابوق وبها شبابيك صغيرة وسطوح مستويه. ومن خصائصها وجود ثلاثة قرون ضخمه على جدرانها من البرونز. وكرس يوم ٢٥ آذار لاحد الارباب حيث يذبح به ثور. ومارس كهنتهم قراءة كبد الحيوان المضحى للاخبار عن المستقبل ومهما يكن فان التأثيرات المادية والروحية الأجنبية التي سرت على حياة سكان جبال زاكَروس عامة، وخاصة بظهور آلهات جديدة ذات اسماء هندية - اوربية عند الكاسيين كـ(بوكَاش وماروتاش) مثلاً خلال الالف الثاني قبل الميلاد. لم تصل الى بلاد عيلام على مايظهر، لذا فانها احتفظت بتقاليدها المحلية والمتأثرة بحضارة وادي الرافدين، ليس في المجال الديني حسب، وانما في اغلب مجالات الحياة.

وهكذا بدأت عيلام منذ الالف الثالث قبل الميلاد تزودنا بشئ من المصادر عن تأريخ ايران وكثرت هذه المصادر في العصور التأريخيه المتأخرة. ولكن بعد ان طورت عيلام صناعة خاصه من الصور البرونزية المجسمه في عصر الحاكم (اونتاش - خوبان او اونتاش - كَال) في النصف الاول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وبعد ان وصل بناء المعابد قمته وبدأ هذا الحاكم بالتدوين بلغته الخاصه، وبعد كل هذا لم تستمر الحقبة العيلامية الكلاسيكية بالعيش مرة اخرى سوى بعد ١٢٠٠ ق.م. لكن في عهد الملوك الثلاث الكبار له (انشان) و (سوسه) وهم شوتروك - ناخونته وولديه كوتير - ناخونته وسيلخاك - انشوشيناك وصلت عيلام القديمة اوج قوتها وان مجموعة من النصب التذكارية المهمة للتأريخ الاكادي - البابلي من عهدهم قد وجدت في سوسه، حيث كان قد نقلها شوتروك

- ناخونته كغنيمة الى هناك، كما احضر تماثيل ونصب تذكارية وكودورو ومن بينها نصب النصر لـ(نارام - سن) ونصب قانون حمورابي، حيث اضاف على بعضها كتاباته الخاصه واعاد تنصيبها القرب من معبد الاله انشو - شيناك في عاصمته (سوسه). وبهذا فقد اكتسح ونهب القسم الأكبر من بلاد بابل كما اسند شوتروك - ناخونته الحكم هناك الى ابنه كوتير - ناخونته وعندما وجب على هذا ان يخلف اباه في الحكم على عرش (سوسه) و (انشان) نقل معه كلا من تماثيل مردوك من بابل واينن من اوروك الى (سوسه). ولما لم يدم حكمه سوى اربع سنوات فقط، خلفه أخوه الأكبر شيلخاك - انشوشيناك الذي استطاع كذلك لبضع سنوات اخرى الحفاظ على القوة العيلامية الخاصه ونفوذها. وفي بداية الالف الاول قبل الميلاد قاسى العيلاميون كثيراً من ضربات الآشوريين الشديدة، وكانت آخرها هي التي وجهها الملك آشور بانيبال حيث دمر بلاد عيلام وعاصمتها وازال دولتهم من الوجود حيث استقرت فيها السلالات الايرانية فيما بعد.

وبعد توطن القبائل الايرانية من الميديين والفرس في ايران كان البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لتلك القبائل وحتى بعد استقرارها يشبه بعضها البعض. وكما دون دارا الاخميني اخبار امبراطوريته على صخور جبل بهستون فانه ذكر طبقه مهمة في المجتمع سمي بـ(كارا) عند الميديين وكذلك عند الفرس وكانت الكلمه تعني الناس المسلحين (او الشعب العسكري). ولما نشأت الدولة الاخمينية فانها استمرت على نفس الاعراف الميدية في ادارة الحكم، كما ان الالقاب والتسميات ظلت مثلما هي بالنسبة لافراد الطبقات الارستقراطية. واذا كان معروف لدينا اسماء اربعة ملوك ميديين على وجه الخصوص، فان في العصر الاخميني حكم مايقرب من احد عشر ملكا ابتداءً من (كورش الكبير) تفرد منهم جملة من ملوك امتازوا بالتنظيم وحب التوسع وعلى رأسهم كورش الكبير ودارا الاول. وقد ادى التوسع العسكري والسيطرة السياسية على شعوب مختلفة حيث كانت بلاد اغلبها مراكز حضارية ذات مآثر عريقة في العمران والمدنية، في تأثر الايرانين بحضارات تلك الشعوب وبالاخص شعوب بلاد مابين النهرين من الاشوريين والبابليين وبذا تمازجت الثقافات القديمة بينها وظهرت كحضارة شرقية متميزة حاول الاسكندر المقدوني فيما بعد صبغها بالصبغة اليونانية وانشاء مجتمع ذي حضارة عالمية موحدة.

لقد نظمت الامبراطورية الاخمينية تنظيما مركزياً قويا بحيث انها بقيت متماسكة طوال قرنين من الزمان. وقد قسم كورش امبراطوريته الى عشرين ولاية يحكم كلا منها وال تابع الى الملك الكبير. ومع ذلك فقد شكل بعض الولاة مصدر خطر على الدولة احيانا حينما ارادو الاستقلال بولاياتهم. لذا فقد وضع كورش نظاماً خاصا حسنه دارا فيما

بعد وهو تعيين قائد لجيوش الولاية يكون تابعاً للملك مباشرة ومستقلا عن حاكم الولاية، كما كان سكرتير الولاية والموظف المالي مرتبطين بالملك رأساً.

ومن الأمور التي مكنت الملك من زيادة سيطرته المركزية ماأنشأه دارا من نظام الطرق الملكية والبريد المنظم بين الولايات والعاصمة. ومما ساعد على تنظيم الامبراطورية وتماسكها اتخاذ النقود المسكوكه في عهد دارا الاول.

وهكذا شملت الامبراطورية الاخمينية عدداً من الشعوب اكثر من ملك، التي كانت تحكم من قبل الاشوريين والميديين. لقد ذكر دارا الاول على قبره في (نقشى روستم) تسعة وعشرين شعباً بربرياً من شعوب الحدود الشرقية، فضلاً عن الشعوب ذات الحضارة العريقة تتجسم الأواصر التي تربط هذه الشعوب ببعضها ضمن الدولة الواحدة في وجهة نظر الاخمينيين، في رحمة (آهورا مازدا) اله الخير. لذا كان الحفاظ على الامبراطورية متعلقاً بشخص الملك بالذات الذي يدين بسلطته على شعوب اجنبية لالهه الخاص. فالملك الاخميني وكذلك الميدى لم يكن الهـا، ولكن الملكية عند الميديين كانت حق موروث لسلالة (ديوكو) وعند الفرس لابناء (هخامنش). والى جانب الملك اخذ زعماء الأسر السبع الممتازة في الطبقة الارستقراطية امكنة خاصة حيث يعين ابناؤها حكام ولايات.

لم تختلف الاوضاع في النظام الاخميني عن الاشورى من ناحية سلطات الملك ولكن الفرق تجلى في الناحية الفكرية لسلطات الالهين آشور وآهورا مازدا، ثم اعتبار الملك الاخميني نفسه على انه المختار من قبل الآلهة المحلية لشعوب الامبراطورية بعكس ماجرى من قبل الملك الاشورى، عندما كانوا يجسدون آلالهات الاشورية.

لقد اقدم كورش الثاني على بناء مقر لمملكته وسماه (باسار كادى) اما دارا فقد شيد بالمقابل عاصمة محلية اطلق عليها اليونانيون اسم (پيرسيپوليس) التي هي عبارة عن قصر محصن في المدينة الصغيرة (پارسا). ومن ذلك فلقد كانت العاصمة الحقيقية للاخمينيين حصن مدينة (سوسه) العاصمه القديمه لعيلام حيث اقدم داريوس على توسيعه واصلاحه، وجهزه بأثمن المواد والمفروشات، على يد صناع مهرة، ينتمون الى كافة مقاطعات الامبراطورية، من الجزر الايجية الى الهند. لم يتخذ الملك من قصر سوسه مسكنا وبيت مال فقط، وانما كان محاطا من قبل الاشراف من الفرس والميديين الذين كانوا من اشراف الاقطاع، وفي الوقت نفسه من اشراف البلاط. وفضلاً عن ذلك فقد كان حوله كامل جهاز موظفي القصر كرئيس سواس الخيول وكبير السقاة ورئيس الخزينه وسائق العربة وحامل الرمح وحامل الصولجان، كما كان لديه ايضاً اطباؤه وفنانوه، وكذلك التقت هنا معا، وبصورة خاصة، خيوط الادارة العليا من سائر انحاء الامبراطورية في يد (مجلس السبعة) وعلى رأسه على الارجح الآمر الاعلى للحرس الخاص الذي كان بمثابة الوزير الكبير.

كانت الآرامية اللغة الرسمية لدواوين الامبراطورية، بينما لم تستعمل الفارسية والعيلامية والبابلية الا في الكتابات على المباني، والتماثيل او في مناسبات محلية صرفة. وهكذا لم تستطع الكتابة المسمارية التي اخذها الملوك الاخمينيون يستعملونها للغتهم الخاصة، من ايقاف النصر الذي حققته اللغة الارامية في الشرق.

تتلمذ الاخمينيون على يد حضارات بلاد الرافدين العريقة في كل الحقول سواء كانت الصناعات اليدوية، او التكنيك، او في صياغة التعابير اللغوية. وبالرغم من ذلك استطاعوا ان يخلقوا من منشآتهم المعمارية والفنية رمزا على اتجاههم الفكري والروحي الخاص. ولم ينشأ الفن الاخمينى بطريقة التدرج والتطور البطيء، مع انه انتخابي في جوهره، واخذ الشئ الكثير من انماط الفنون والحضارات الناضجة التي دخلت اقوامها في حظيرة الامبراطورية، وانه تأثر بالفن اليوناني ولاسيما بالفنانين الايونيين، لكنه تميز بالطابع الخاص ولاسيما فن العمارة التي نلاحظ في بعضها آثار اصول العمارة البابلية.

اما عن النحت المجسم فقد اقتصر فن نحت التماثيل على تمثيل الملوك والامراء، اي هو فن البلاط الرسمي ولذلك حرم من الحرية التي تمتع بها الفن اليوناني. وقد استعمل، المعادن، وخاصه البرونز، في الاعمال الفنية، وهناك نماذج في تمثيل الحيوانات كالاسود والخيول. كما امدتنا آثار پرسيپوليس بعدد كبير من اواني الحجر بعضها مزين برؤوس الاوز والبط بجانب مجموعات من الاحجار والخواتم الاسطوانية والمنبسطة وغيرها من القطع الفنية.

اما عن الديانة التي سادت بين الميدين والاخمينين فهي تتكون من مجموعة من الاعتقادات، التي ظلت بعضها مدونة في الآفيستا، الكتاب الديني للزرادشتيين، وهي متطورة من عقائد قديمه سادت بين الهنود الايرانيين. وقبل ان تتوطد الديانه الزرادشتية التي تدور حول عبادة الاله (آهورا مازدا) في العصر الاخميني (كما هو واضح من كتابات دارا في جبل بهستون) فان القبائل الايرانيه المهاجرة كانت تعبد قوى الطبيعه المختلفه التي جسموها وشخصوها على هيئة الهة. ولكن قبل مجئ هذه القبائل كانت لبلاد المانا جنوب بحيرة اورميا ومناطق لورستان وكذلك للكاسيين وللكوتيين واللولوبيين آلهتها الخاصه اضافة الى الالهة الهندية الاوربية التي تواجدت اسمائها في غرب ايران منذ بدايه الالف الثاني قبل الميلاد. فمثلا دون اسم الاله (بوكاش) الكاسي، وهو ذو اصل هندي اوربي، بصيغه (باگا) في الآفيستا، كما ظل (ميترا) عند الميتانيين والحيثيين بنفس الصيغه عند الميديين والاخمينيين، كما ان هناك علاقة بين هذه الالهات والآت الحوريين سكان شمال بلاد مابين النهرين القدماء. ومن جهة اخرى فان المنزلة التي يتمتع

بها الكلب كما دونت في آفيستا كانت من عادات الكاسپيين والالبان سكان شمال ايران، وقد ظلت عند الميديين جذور الديانة البابلية. لذا ففي بدايه الالف الاول قبل الميلاد تتمثل قوى الطبيعه في اسماء ميثرا اله الشمس المقرون بالعدل والخلاص، والالهة اناهيتا الهة المياه والخصب والانتاج وقد تنظمت هذه العلاقات الروحيه بيد افراد القبيله الميديه التي اشتهرت بـ(الماكية) التي اشتقت منها صيغه (ماكَوش ـ مجوس) التي تعنى المشرف على الشؤون الدينية فيما بعد، وخلال جميع الحقبات تتمتع افراد هذه الطبقه بامتيازات سياسيه ودينيه وكانوا يصحبون الجيوش للقيام برسوم الضحايا، كما كانوا يقومون بتعبير رؤى الاحلام ويشتركون في احتفالات تتويج الملوك التي كانت تقام في العاصمه. كما كانوا يتولون تعليم الصبيان فضلا عن القيام بمراسيم خاصه اثناء الموت. فمنذ اللحظه التي يحل في الاجسام الموت يصبح الجسم خطراً على الاحياء ولذلك كانوا يبعدون اجسام الموتى في اعلى المواضع لتأكلها الوحوش والطيور الجارحه، وبعد تخليص العظام من اللحم الدنس تؤخذ وتوضع في صندوق صغير مثقوب ليستطيع الميت رؤية الشمس. ولقد ظلت هذه العادة طوال العهدين الميدي والاخميني. اما بقاء قبر كورش لحد الآن فدليل على ان هذا الملك لم يتخذ من تلك العقائد ديانة لدولة وانما دارا هو اول من اعترف من الاخمينيين. للمزدية كدين الدولة الرسمي. لذا لانستطيع ان نجد لحد الآن قبراً واحداً من قبور الملوك الاخمينيين. ويعتقد ان زرادشت بدأ تبشيره حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد في الجهة الشمالية الغربية من ايران (بلاد ميديا) لكنه اضطر هجر موطنه والتبشير في جهات ايران الشرقيه وحول مولده تحيط مجموعه من الاساطير. لقد تجلى له، حسب المعتقدات الايرانيه، الاله اهورا مازدا واوحى له بالتعاليم المقدسه التي دونت في الاڤيستا، وهي كتاب المعرفة والحكمة ويعتقد ان اميراً اسمه (وستشپا او هستاسپس) اعتنق ديانة واوعده بأنه سينشرها بين الناس. وقد وجد مع اله الخير آهور مازدا منذ البدء روح الشر التي اخذت تنازعه. وهكذا فمنذ البدء كان هناك مبدأن توأمان الخير والشر، وعن هذين المبدئين نشأت الحياة والفناء، وسمى اله الشر بـ(اهريمان).

وهكذا فالمبدأ الثنائي للديانه الزرادشتيه يجعلها غير مطلقة التوحيد وقد نظمت العبادة الزرارشتية بموجب قواعد شديدة فقد حرمت الضحايا والقرابين، واتخذ مبدأ عدم دفن الموتى او حرقهم او غسلهم مخافه تدنيس العناصر الثلاثة المقدسه (التراب والنار والماء).

نستطيع من جهة اخرى ان ندرس الاسس القانونيـه من النقوش الكتـابيـه التي خلفهـا لنـا دارا في عدة مواضع. وقد وجد الباحثون الذين اشتغلوا فيها عدداً من اوجه الشبه بين كتابـاتـه الخاصه بتنظيماته وشريعته وبين شريعه حمورابي، وان قوانينه واوامره التي اصدرهـا بقيت يسـار عليها في ايران زمنا طويلا من بعد زوال الامبراطورية وكان الملك بصوره عامه مصدر القوانين والشرائع وارادته هي القانون وهي موحاة من الاله آهورا مازدا. كما كان الملك المحكمة العليا التي يستأنف اليها، ويلي ذلك محكه عليا خاصه للعدل مكونه من سبعه حكام.

اما عن الحياة الاقتصاديه في العهدين الميـدي والاخميني فـان جملـة عوامل مهمـه عملت على ازدهار الحياة الاقتصادية عندهم وحسنت التجارة الخارجية مابين اجزاء الامبراطورية الاخمينيـة وعلى رأس هـذه العوامل توحيـد جميع آسيـة الغربيـة والشرق الادنى تحت ادارة واحـدة، وتقسيم هذه الرقعة الشاسعة الى ولايات تحت ادارة مركزية، وايجـاد نظـام من طرق المواصلات البريـة والبحرية ونظام البريد ثم ايجاد نظام متوازن من الضرائب وادخال الاوزان والقياسـات المطردة واخيراً ادخال النقود المسكوكه ونشوء نظام على غرار نظام النقود المسكوكه في بلاد ليديـا قبيل عهـد (قـارون) فـانتشر استعمالهـا سريعـاً وادخـال دارا استعمالـه في امبراطوريتـه. وفي النهـايـه امتزجت كل هذه بالحضارة الهيللينيه التي تأغرقت فيها جميع القيم الروحيه والماديه في الشرق.

هوامش الباب الخامس
الفصل الاول

١) دار المعارف البريطانية، مادة ايران

٢) المرجع السابق

3) Ghirshman R., Iran (Pelican 1954) P.21

4) Speiser E.A. Mosopotamian Origins. The Basic Population Of The Near East. (Philadelphia 1930) Chap. II, P.26

5) Ghirshman R., Ibid PP. 45 – 50

٦) راجع دار المعارف الاسلامية، مادة خوزستان

7) Speiser E.A. Ibid. P.30.

٨) المرجع السابق، ص ٣٢

٩) انطون مورتكان، تأريخ الشرق الادنى القديم، دمشق ١٩٦٧م، ص ١٣٢

10) Herzfeld E., The Persian Empire (Wiesbaden 1968) P.16.

11) T.Cuyier Young gr., The iranian Migration in to the Zagros. IRAN. Journal Of British Inst. Of Persian Studies VOL.V, 1967, P.II

Ghirshman R., Ibid. P. 90.

12) Georges Roux., Ancient Iraq (Pelican Book) P.275

13) Ghirshman R., Ibid. P.94.

14) Diyakonov IM. Istoriya Midii, M.1956, Str. 176, Herod. I, 96 – 97.

15) Ghirshman R, Ibid. P.95

١٦) دياكونوف، المصدر السابق

') Ghirshman R. Ibid P. 125



١٨) بتري، مدخل الى تأريخ الاغريق، ص ٢٦ بغداد ١٩٧٧ الترجمة العربية

١٩) المرجع السابق

٢٠) راجع دار المعارف البريطانية، مادة ايران

راجع كذلك غريشمان، نفس المصدر، ص ٢٣٠ ومابعدها

وراجع دياكونوف المصدر السابق